

كتاب

رنات المثالث والمثاني

فى

روايات الاغانى



كتاب

رنات المثالث والمثاني

في

روايات الاغاني

جمعهُ ووقف على طبعهِ احد الآباء اليسوعيّين

الجزء الثاني

في

الروايات التأريخيّة

المطبعة الكاثوليكيّة
للآباء المرسلين اليسوعيّين في بيروت
سنة ١٨٨٨

كِتَابُ



رَنَّاتِ ٱلْمَثَالِثِ وَٱلْمَثَانِي
فِي
رِوَايَاتِ ٱلْأَغَانِي

نزول اليهود ثم الأَوْس والخَزْرج بيَثْرِب

اخبر جعفر بن سعد عن العماري قال: كان ساكنو المدينة في اوَّل الدهر قبل بني اسرائيل قوماً من الامم الماضية يقال لهم العماليق وكانوا قد تفرَّقوا في البلاد وكانوا أَهل عزّ وبغي شديد. فكان ساكني المدينة منهم بنو هَفّ وبنو سعد وبنو الازرق وبنو مطروق وكان ملك الحجاز منهم رجل يُقال لهُ الارقم ينزل ما بين تيماء الى فَدَك. وكانوا قد ملأُوا المدينة ولهم بها نخل كثير وزروع. وكان موسى بن عمران عليهِ السلام قد بعث الجنود الى الجبابرة من اهل القرى يغزونهم. فبعث موسى عليهِ السلام الى العماليق جيشاً من بني اسرائيل وأَمرهم ان يقتلوهم جميعاً اذا ظهروا عليهم ولايستبقوا منهم احداً. فقدم الجيش الحجاز فاظهرهم الله عزّ وجل على العماليق فقتلوهم أَجمعين الّا ابناً للأَرقم فانهُ كان وضيئاً جميلاً فضنّوا بهِ على القتل وقالوا: نذهب بهِ الى موسى

*

فيرى فيهِ رأيه. فرجعوا الى الشام فوجدوا موسى عليهِ السلام قد تُوفي. فقالت لهم بنو اسرائيل: ما صنعتم. فقالوا اظهرنا الله جلَّ وعزَّ عليهم فقتلناهم ولم يبقَ منهم احد غير غلام كان شابًا جميلًا فنفسنا بهِ عن القتل وقلنا نأتي بهِ موسى عليهِ السلام فيرى فيهِ رايه. فقالوا لهم: هذه معصية. قد أُمرتم ان لا تستبقوا منهم احدًا. والله لا تدخلون علينا الشام ابدًا

فلمَّا صنعوا ذلك قالوا: ما كان خيرًا لنا من منازل القوم الذين قتلناهم بالحجاز. نرجع اليهم فنقيم بها. فرجعوا على حاميتهم حتى قدموا المدينة فنزلوها وكان ذلك الجيش اوَّل سكنى اليهود المدينة. فانتشروا في نواحي المدينة كلها الى العالية فاتخذوا بهـا الآطام والاموال والمزارع. ولبثوا بالمدينة زمانًا طويلًا (١)

ثم ظهرت الروم على بني اسرائيل جميعًا بالشام فوطأُوهم وقتلوهم. فخرج بنو النضير وبنو قُرَيظة وبنو بهدل هاربين منهم الى مَن بالحجاز من بني اسرائيل لما غلبتهم الروم على الشام. فلمَّا فصلوا عنها باهليهم بعث ملك الروم في طلبهم ليردَّهم فأعجزوهُ. وكان ما بين الشام والحجاز مفاوز. فلمَّا بلغ طلب الروم الثَّمَد انقطعت اعناقهم عطشًا فماتوا وسُمّي الموضع الروم ثمد فهو اسمهُ الى اليوم

فلمَّا قدم بنو النَضير وقُرَيظة وبهدل المدينة نزلوا الغابة فوجدوها وبيئة فكرهوها وبعثوا رائدًا أَمروه ان يلتمس لهم منزلًا سواها. فخرج حتى اتى العالية وهي بُطحانُ ومهزورٌ واديانِ من حَرَّة على تلاع ارض عذبة بهـا مياه

(١) فكان ممن يسكن المدينة حتى نزلها الاوس والخزرج من قبائل بني اسرائيل بنو عِكرِمة وبنو ثعلبة وبنو محمر وبنو زعورا وبنو قينقاع وبنو زيد وبنو النضير وبنو قريظة وبنو بهدل وبنو عوف وبنو الفصيص

عذبة تنبت حُرَّ الشجر. فرجع اليهم فقال: قد وجدتُ لكم بلدًا طيبًا نزهًا الى حرَّة يصبُّ منها واديان على تلاع عذبة ومدرة طيّبة في متأخر الحرَّة ومدافع الشَّرْج. (قال) فتحوَّل القوم اليهـا من منزلهم ذلك فنزل بنو النضير ومن معهم على بطحان. وكانت لهم ابل نواعم فاتخذوها أَموالًا. ونزلت قريظة وبهدل ومن معهم على مهزور فكانت لهم تلاعه وما سقي من بُعاث وسموات. فكان يسكن يثرب جماعة من ابناء اليهود فيهم الشرف والثروة والعزّ على سائر اليهود. وكان بنو مرانة في موضع بني حارثة ولهم كان الاطم الذي يقال لهُ الخال وكان معهم من غير بني اسرائيل بطون من العرب منهم بنو الحرمان حيّ من اليمن وبنو مرثد حيّ من بلي وبنو نيف من بلي ايضًا وبنو معاوية حيّ من بني سليم ثم من بني الحرث بن بُهْثة وبنو الشظية حي من غسان وكان يقال لبني قريظة وبني النضير خاصة من اليهود الكاهنان (١)

فلمَّا ارسل الله سيل العرم على اهل مأرِب وهم الأَزد قام رائدهم فقال: من كان ذا جمل مغنٍ ووطب مدنٍ وقربة وشنّ فلينقلب عن بقرات النعم فهذا اليوم يوم همّ وليلحق بالثني من شنّ (٢). فكان الذين نزلوه أزد شنوءة. ثم قال لهم: ومن كان ذا فاقة وفقر وصبر على أزمات الدهر فليلحق ببطن مرّ. فكان الذين سكنوه خُزاعة. ثم قال لهم: من كان منكم يريد الخمر والخمير

(١) نسبوا بذلك الى جدهم الذي يقال لهُ الكاهن كما يقال العمران والحسنان والقمران. قال كعب بن سعد القرظي:

بالكاهنين قررتم في دياركمُ جمًّا ثواكم ومن اجلاكمُ جدبا

وقال العبَّاس بن مرداس السُلَمي يردّ على خوّات بن جبير لمَّا هجاهم:

هجوت صريح الكاهنين وفيكمُ لهم نِعمٌ كانت مدى الدهر ترتبي

(٢) فيقال وهو بالشراة

والامر والتأمير والديباج والحرير فليلحق ببُصرَى والحفير وهي من ارض الشام فكان الذين سكنوه غسان. ثم قال لهم: ومن كان منكم ذا همٍّ بعيد وجمل شديد ومزاد جديد فليلحق بقصر عُمان المشيد. فكان الذين نزلوه ازد عمان. ثم قال: ومن كان يريد الراسخات في الوحل المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل. فكان الذين نزلوها الاوس والخزرج. فلمّا توجهوا الى المدينة ووردوها نزلوا في صرار ثم تفرّقوا. وكان منهم من لجأ الى عفاء من ارض لا ساكن فيهِ فنزلوا بهِ. ومنهم من لجأ الى قرية من قراها فكانوا مع اهلها. فأقامت الاوس والخزوج في منازلهم التي نزلوها بالمدينة في جهد وضيق في المعاش ليسوا باصحاب ابل ولا شاء لانّ المدينة ليست ببلاد نعم. وليسوا باصحاب نخل ولا زرع. وليس للرجل منهم الّا الاعداق اليسيرة والمزرعة يستخرجها من ارض موات والاموال لليهود. فلبثت الاوس والخزرج بذلك حيناً

مكر أبي جُبَيْلة باليهود ومقتلهم

ثم ان مالك بن العجلان وفد الى أبي جُبَيْلة الغساني وهو يومئذٍ ملك غسان فسألهُ عن قومهِ وعن منزلتهم. فأخبره بحالهم وضيق معاشهم. فقال له أبو جبيلة: واللهِ ما نزل قوم منّا بلداً الّا غلبوا أهلهُ عليهِ فما بالكم. ثم أمرهُ بالمضي الى قومهِ وقال لهُ: اعلمهم اني سائر اليهم. فرجع مالك بن العجلان فأخبرهم بأمر أبي جبيلة ثم قال لليهود: ان الملك يريد زيارتكم فأعدّوا نزلًا فأعدّوه. وأقبل أبو جبيلة سائرًا من الشام في جمع كثيف حتى قدم المدينة فنزل بذي حُرُض ثم ارسل الى الاوس والخزرج فذكر لهم الذي قدم لهُ وأجمع

يمكر باليهود حتى يقتل رؤوسهم واشرافهم. وخشي ان لم يمكر بهم ان يتحصنوا في آطامهم فيمنعوا منهُ حتى يطول حصاره اياهم. فأمر ببنيان حائر واسع فبُني ثم أرسل الى اليهود: انّ ابا جبيلة الملك قد أحبّ أن تأتوهُ. فلم يبقَ وجه من وجوه القوم الّا أتاه وجعل الرجل يأتي معهُ بخاصتهِ وحشمهِ رجاء ان يحبوهم. فلمّا اجتمعوا ببابهِ أمر رجالًا من جندهِ أن يدخلوا الحائر الذي بني ثم يقتلوا كلّ من يدخل عليهم من اليهود. ثم أمر حُجَّابه ان يأذنوا لهم في الحائر ويدخلوهم رجلًا رجلًا. فلم يزل الحجّاب يأذنوا لهم كذلك ويقتلهم الجند الذين في الحائر حتى أتوا على أخرهم. فقالت سارة القريظية ترثي مَن قتل منهم أبو جبيلة تقول:

بنفسي أمة (١) لم تغنِ شيئاً ... بذي حرض تعفّيها الرياحُ
كهولٌ من قريظـة أتلفتهم ... سيوف الخزرجيّة والرمـاحُ
رزئنـا والرزية ذات ثقـل ... يمرّ لاهلهـا الماء القراحُ
ولو أربوا بامرهم لجـالت ... هنالك دونهم جأوى رداحُ (٢)

وقال الرمَق وهو عبيد بن سالم بن مالك بن عوف بن عمـرو بن عوف بن الخزرج يمدح أبا جبيلة الغساني:

لم يقضِ دينك في الحسا ... ن وقد غَنيتَ وقد غنينا
الراشقـات المرشقـا ... ت الجازيات بما جَزينـا
أمثـال غزلان الصرا ... ثم يأتزرنَ ويرتدينـا
الرَّيط والديبـاج والزَ ... رد (٣) المضاعف والبرينا
وأبو جبيلة خير من ... يمشي واوفاهم يمينـا

(١) وفي نُسخة: بأهلي رِمّةٌ (٢) وفي رواية: ولو اذنوا بامرهم لحالتْ هنالك دونهم حرب رداحُ (٣) وفي نسخة: والحَلي

وأبرّهم برًّا وأ م علمهم بفضل الصالحينا
ابقت لنا الايام والحرب م المهمّة تعترينا
كبشًا لنا ذكرًا يفلّ م حسامهُ الذكر السمينا (١)
ومعاقلًا شمًّا واسيا م فًا يقمنَ وينحنينا
ومحلّةً زوراء تز حف بالرجال المصلتينا

فلمّا انشدوا أبا جبيلة ما قال الرمق ارسل اليهِ فجيء بهِ. وكان رجلاً ضئيلاً غير وضيء. فلما رآه قال: عسل طيّب ووعاء سوء. فذهبت مثلاً. وقال للاوس والخزرج: ان لم تغلبوا على هذه البلاد بعد مَن قتلت من اشراف اهلها فلا خير فيكم. ثم رحل الى الشام. وقال الصامت بن أَصرم القوفلي يذكر قتل أَبي جبيلة اليهود:

سائل قريظة من يقسم سبيها (٢) يوم العريض ومن افاء المغنما
جاءتهم الحجاء تخفق ظلّها وكتيبة خشناء تدعو سلما
عيّ الذي جلب الهمام لقومهِ حتى أحلّ على اليهود الصيلما

قال أَبو المنهال احد بني المعلّى: انهم اقاموا زمنًا بعد ما صُنع ويهود تعترض عليهم وتُناويهم. فقال مالك بن عجلان لقومهِ: والله ما أثخنا يهود غلبةً كما نريد. فهل لكم ان اصنع لكم طعامًا ثم ارسل في مائة من اشراف من بقي من اليهود فاذا جاءوني فاقتلوهم جميعًا. فقالوا: نفعل. فلمّا جاءهم رسول مالك قالوا: والله لا نأتيهم ابدًا وقد قتل أَبو جبيلة منّا من قتل. فقال لهم مالك: ان ذلك كان على غير هوًى منّا وانما اردنا ان نمحوهُ وتعلموا حالكم عندنا.

(١) وفي نسخة: كبشًا له زرٌّ يفلّ متونها الذكر السنينا
(٢) يعني بقولهِ: (من يقسم سيها) نسوة سباهنّ أبو جبيلة من بني قريظة

فأَجابوه. فجعل كلما دخل عليهِ رجل منهم أَمر بهِ مالك فقُتل. حتى قتل منهم بضعة وثمانين رجلًا. ثم ان رجلًا منهم أَقبل حتى قام على باب مالك. فتسمّع فلم يسمع صوتًا. فقال: أَرى اسرع ورد وابعد صدر. فرجع وحذر أَصحابه الذين بقوا فلم يأتِ منهم احد. (قال) وصوّرت اليهود مالكًا في بيعهم وكنائسهم فكانوا يلعنونهُ كلما دخلوها. (قال) فلما قتل مالك من يهود مَن قتل ذلّوا وقلّ امتناعهم وخافوا خوفًا شديدًا وجعلوا كلما هاجهم احد من الاوس والخزرج بشيء يكرهونهُ لم يمشِ بعضهم الى بعض كما كانوا يفعلون قبل ذلك ولكن يذهب اليهود الى جيرانه الذي هو بين أَظهرهم فيقول: انما نحن جيرانكم ومواليكم. فكان كل قوم من يهود قد لجأوا الى بطن من الاوس والخزرج يتعززون بهم

محاربة الاوس والخزرج

قال أَبو المنهال عتيبة بن المنهال: بعث رجلٌ من غطفان من بني ثعلبة بن سعد بن ذُبيان الي يثرب بفرسٍ وحلّةٍ مع رجلٍ من غطفان وقال: ادفعهما الى اعزّ اهل يثرب (١). (قال) فجاء الرسول بهما حتى ورد سوق بني قَينُقاع فقال ما أُمر بهِ. فوثب اليهِ رجل من غطفان كان جارًا لمالك بن العجلان الخزرجي يقال لهُ كعب الثعلبيّ فقال: مالك بن العجلان أَعزُّ أَهل يثرب. وقام رجل آخر فقال: بل أُحيحَة بن الجُلاح أَعزّ اهل يثرب. وكثر الكلام. فقبل

(١) وقيل ان الباعث بهما عبد ياليل بن عمرو الثقفيّ. وقيل بل الباعث بهما علقمة بن عُلاثة

الرسول الغطفاني قول الثعلبيّ الذي كان جارًا لمالك بن العجلان ودفعهما الى مالك. فقال كعب الثعلبيّ: ألم أقل لكم انّ حليفي أعزّكم وافضلكم. فغضب رجل من بني عمرو بن عوف يقال لهُ سُمَيْر فرصد الثعلبي حتى قتلهُ. فأُخبر مالك بذلك. فأرسل الى بني عوف بن عمرو بن مالك بن الاوس: انكم قتلتم منا قتيلاً فارسلوا الينا بقاتله. فلمّا جاءهم رسول مالك تراموا بهِ. فقالت بنو زيد: انما قتلته بنو جحجبا. وقالت بنو جحجبا انما قتلته بنو زيد. ثم ارسلوا الى مالك: انهُ قد كان في السوق التي قُتل فيها صاحبكم ناس كثير ولا يدرى ايهم قتلهُ. فأمر مالك أهل تلك السوق ان يتفرّقوا. فلم يبقَ فيها غير سمير وكعب. فأرسل مالك الى بني عمرو بن عوف بالذي بلغهُ من ذلك وقال: انما قتلهُ سمير فارسلوا بهِ اليَّ اقتلهُ. فارسلوا اليهِ: انهُ ليس لك ان تقتل سميرًا بغير بيّنة. وكثرت الرسل بينهم في ذلك يسألهم مالك ان يعطوه سميرًا ويأبون ان يعطوهُ اياه. ثم انّ بني عمرو بن عوف كرهوا ان ينشبوا بينهم وبين مالك حربًا فأرسلوا اليهِ: انّ صاحبكم حليف وليس لكم فيهِ الّا نصف الدية. فغضب مالك وأبى ان ياخذ فيهِ الّا الدية كاملة أو يقتل سميرًا. فأبت بنو عمرو بن عوف ان يعطوه الّا دية الحليف وهي نصف الدية. ثم دعوه ان يحكم بينهم وبينهُ عمرو ابن امرئ القيس أحد بني الحرث بن الخزرج وهو جدّ عبد الله بن رواحة. ففعل. فانطلقوا حتى جاءوه في بني الحرث بن الخزرج. فقضى على مالك بن العجلان انهُ ليس لهُ في حليفهِ الّا دية الحليف. وأبى مالك ان يرضى بذلك وآذن بني عمرو بن عوف بالحرب واستنصر قبائل الخزرج. فأبت بنو الحرث ابن الخزرج ان تنصرهُ غضبًا حين ردّ قضاء عمرو بن امرئ القيس. فقال مالك ابن العجلان يذكر خذلان بني الحرث بن الخزرج لهُ وحدب بني عمرو بن عوف

على سمير ويحرّض بني النجار على نصرتهِ

انّ سميرًا أرى عشيرتهُ … قد حدبوا دونهُ وقد انفوا
ان يكن الظنُّ صادقًا ببني م … النجار لا يطعموا الذي علفوا
لا يسلمونا لمعشرٍ ابدًا … ما دام منا ببطنها شرفُ
لكن مواليَّ قد بدا لهمُ … رأيٌ سوى ما لديَّ أو ضعفوا
بين بني جحجبا وبين بني … زيد فأنّى تخاذل اللففُ
يمشون في البيض والدروع كما … تمشي جمال مصاعبٌ قطُفُ
كما تمشّي الاسود في رهج م … الموت اليهِ وكلهم لهفُ

وقال درهم بن زيد بن ضبيعة أخو سمير في ذلك:

يا قوم لا تقتلوا سميرًا فانّ م … القتل فيهِ البوار والاسفُ
ان تقتلوه ترنَّ نسوتكم … على كريم ويفزع السلفُ
اني لَعمر الذي يحجّ لهُ م … الناس ومن دون بيتهِ سَرِفُ
يمين برٍّ بالله مجتهدٍ … يحلف ان كان ينفع الحلفُ
لا نرفع العبد فوق سنّتهِ … ما دام منا ببطنها شرفُ
انك لاقٍ غدًا غواة بني … عمّيَ فانظر ما انت مزدهفُ
فأبدِ سيماك (١) يعرفوك كما … يبدون سيماهمُ فتعترفُ

وقال درهم بن زيد في ذلك:

يا مالِ (٢) ما تبغيا ظلامتنا … يا مال انّا معاشرٌ أنفُ
يا مال والحقُّ ان قنعتَ بهِ … فيهِ وفينا لأمرنا نصفُ

(١) معنى قوله: (فابد سيماك) انّ مالك بن العجلان كان اذا شهد الحرب يغيّر لباسهُ ويتنكّر لئلا يُعرف فيُقصد (٢) مالِ: ترخيم مالك

انَّ بجيرًا عبـد فخذ ثمنـًا ... فالحقُّ يوفى بهِ ويعترفُ
ثم اعلما ان أردت ضيم بني ... زيد فاني ومن لهُ الحلفُ
لأُصبحا داركم بذي لجبٍ ... جون لهُ عن أمامـه عزفُ
البيض حصن لهم اذا فزعوا ... وسابغات كأنها النطفُ
والبيض قد ثلّمت مضاربها ... بها نفوس الكماة تختطفُ
كأنها في الأكُفِّ اذ لمعت ... وميض برق يبدو وينكشفُ

وقال قيس بن الخطيم الظفريّ أحد بني النبيت في ذلك (ولم يدركهُ وانما قالهُ بعد هذه الحرب بزمان) :

ردَّ الخليط الجمال فانصرفوا ... ماذا عليهم لو انهم وقفوا
لو وقفوا ساعة نسائلهم ... ريث يضحّي جمالهُ السلفُ

وهي طويلة يقول فيها:

ابلغ بني جحجبا واخوتهم ... زيدَ بأنَّا وراءهـم انفُ
انَّا وان قلَّ نصرنا لهمُ ... اكبادنا من ورائهم تجفُ
لمَّا بدت نحـونا جباههمُ ... حنَّت الينا الارحام والصحفُ
نفلي بحدِّ الصفيح هامهمُ ... وفلينا هامهم بها جنفُ
يتبعُ آثارها اذا اختلجت ... سخن عبيط عروقهُ تكفُ
ان بني عمّنا طغوا وبغوا ... ولجّ منهم في قومهم سرفُ

فردَّ عليهِ حسان بن ثابت (ولم يدرك ذلك) :

ما بال عينيك دمعها يكفُ ... من ذكر خودٍ شطت بها قذفُ
بانت بها غربة تؤمّ بها ... أرضًا سوانا والشكل مختلفُ
ما كنت ادري بوشك بينهم ... حتى رأيت الحدوج تنقذفُ

دع ذا وعدّ القريض في نفرٍ ... يرجون مدحي ومدحيَ الشرفُ
ان تدعُ قومي للمجد تلفهمُ ... أهل فعال يبدو اذا وصفوا
انَّ سميرًا عبدٌ طغى سفهًا ... ساعدهُ أعبدٌ لهم نطفُ

(قال) ثم أرسل مالك بن العجلان الى بني عمرو بن عوف يؤذنهم بالحرب ويعدهم يومًا يلتقون فيهِ. وأمر قومهُ فتهيَّأوا للحرب وتحاشد الحيَّان وجمع بعضهم لبعض. وكانت يهود قد حالفت قبائل الاوس والخزرج الَّا بني قريظة وبني النضير فانهم لم يحالفوا احدًا منهم. حتى كان هذا الجمع فأرسلت اليهم الاوس والخزرج كلٌّ يدعوهم الى نفسهِ. فأجابوا الاوس وحالفوهم. والتي حالفت قريظة والنضير من الاوس اوس الله وهي خطمة وواقف وأُمية ووائل . فهذه قبائل اوس الله. ثم زحف مالك بمن معهُ من الخزرج. وزحفت الاوس بمن معها من حلفائها من قريظة والنضير. فالتقوا بفضاء كان بين بني سالم وقُباء وكان اوَّل يوم التقوا فيهِ فاقتتلوا قتالًا شديدًا. ثم انصرفوا وهم منتصفون جميعًا. ثم التقوا مرَّةً أخرى عند أُطم بني قينقاع فاقتتلوا حتى حجز الليل بينهم. وكان الظفر يومئذٍ للاوس على الخزرج. فقال أبو قيس بن الاسلت في ذلك:

لقد رأيت بني عمرو فما وهنوا ... عند اللقاء وما همُّوا بتكذيبِ
ألا فِدًى لهمُ امي وما ولدتْ ... غداة يمشون ارقال المصاعيبِ
بكل سلهبة كالايم ماضية ... وكل ابيض ماضي الحدّ مخشوبِ (١)

(قال) فلبث الاوس والخزرج متحاربين عشرين سنة في أمر سمير يتعاودون القتال في تلك السنين. وكانت لهم فيها أيام ومواطن لم تحفظ. فلما رأت الاوس طول الشرّ وانّ مالكًا لا يفرغ قال لهم سويد بن صامت الاوسيّ وكان

(١) اصل المخشوب الحديث الطبع ثم صار كل مصقول مخشوبًا. فشبهها بالحية في انسلالها

يقال لهُ الكامل في الجاهلية : (١) يا قوم ارضوا هذا الرجل من حليفهِ ولا تقيموا على حرب اخوتكم فيقتل بعضكم بعضاً ويطمع فيكم غيركم وان حملتم على انفسكم بعض الحمل. فأرسلت الاوس الى مالك بن العجلان يدعونهُ الى ان يحكم بينهُ وبينهم ثابت بن المنذر بن حرام أبو حسَّان بن ثابت (٢) فأجابهم الى ذلك. فخرجوا حتى اتوا ثابت بن المنذر وهو في البئر التي يقال لها شميحة فقالوا: انا قد حكمناك بيننا. فقال: لا حاجة لي في ذلك. قالوا: ولِمَ. قال: أخاف أن تردّوا حكمي كما رددتم حكم عمرو بن امرئ القيس. قالوا: فانَّا لا نردُّ حكمك فاحكم بيننا. قال: لا احكم بينكم حتى تعطوني موثقاً وعهداً لترضون بحكمي وما قضيت بهِ ولتسلمُنَّ لهُ. فاعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم. فحكم بان يؤدي حليف مالك دية الصريح ثم تكون السنَّة فيهم بعده على ما كانت عليهِ في الصريح على ديتهِ والحليف على ديتهِ وان تُعدَّ القتلى الذين أصاب بعضهم من بعض في حربهم ثم يعطوا الدية لمن كان لهُ فضل في القتلى من الفريقين. فرضي بذلك مالك وسلَّمت الاوس وتفرقوا على ان على بني النجار نصف دية جار مالك معونة لاخوتهم وعلى بني عمرو بن عوف نصفها. فرأت بنو عمرو بن عوف انهم لم يُخرجوا الَّا الذي كان عليهم. ورأى مالك انهُ قد ادرك ما كان يطلب. وودَى جارهُ دية الصريح

---

(١) وكان الرجل في الجاهلية اذا كان شاعراً شجاعاً كاتباً سابحاً رامياً سموه الكامل وكان سويد احد الكمَلة

(٢) ويقال بل الحاكم المنذر ابو ثابت

قيس بن الخطيم يأخذ بثأر ابيه وجدّه

كان من حديث قيس بن الخطيم ان جدَّهُ عدي بن عمرو قتلهُ رجل من بني عمرو بن عامر يقال لهُ مالك. وقتل اباهُ الخطيمَ بن عدي رجلٌ من بني عبد القيس مِمَّن يسكن هجر. وكان قيس يوم قُتل أبوهُ صبيا صغيراً وقُتل الخطيم قبل ان يثأر بأبيهِ عدي. فخشيت ام قيس على ابنها ان يخرج فيطلب بثأر أبيهِ وجدّه فيهلك فعمدت الى كومة من تراب عند باب دارهم فوضعت عليها احجاراً وجعلت تقول لقيس: هذا قبر أبيك وجدّك. فكان قيس لا يشكّ انَّ ذلك على ذلك. ونشأ شديد الساعدين. فنازع يوماً فتىً من فتيان بني ظَفَر. فقال لهُ ذلك الفتى: والله لو جعلتَ شدة ساعديك على قاتل ابيك وجدّك لكان خيرًا لك من ان تخرجها عليَّ. فقال: ومَن قاتل أبي وجدّي قال: سَلْ امَّك تخبرك. فأخذ السيف ووضع قائمهُ على الارض وذبابهِ بين ثدييه وقال لأمّهِ: اخبريني من قتل أبي وجدّي. قالت: ماتا كما يموت الناس وهذان قبراهما بالفناء. فقال: والله لتخبرينني مَن قتلهما او لأتحاملنَّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري. فقالت: امَّا جدّك فقتلهُ رجل من بني عمرو بن عامر ابن ربيعة يقال لهُ مالك. وامَّا أبوك فقتلهُ رجل من بني عبد القيس ممَّن يسكن هجر. فقال: والله لا انتهي حتى أقتل قاتل أبي وجدّي. فقالت: يا بنيَّ انَّ مالكاً قاتل جدّك من قوم خِداش بن زهير ولأبيك عند خداش نعمة هو لها شاكر فأْتِهِ فاستشرهُ في أمرك واستعنهُ يعنك. فخرج قيس من ساعتهِ حتى أتى ناضحه وهو يسقي نخله. فضرب الجرير بالسيف فقطعهُ فسقطتِ الدلو في البئر واخذ برأس الجمل فحمل عليهِ غرارتين من تمر وقال: من يكفيني أمر

هذه العجوز (يعني امّهُ) . فان متُّ أنفقَ عليها من هذا الحائط حتى تموت ثم هو له وان عشتُ فالي عائد اليَّ ولهُ منهُ ما شاءَ ان يأكل من تمرهِ . فقال رجل من قومهِ : انا لهُ . فأعطاهُ الحائط : ثم خرج يسأل عن خداش بن زهير حتى دُلَّ عليهِ بمرّ الظهران . فصار الى خبائهِ فلم يجدهُ فنزل تحت شجرة يكون تحتها أضيافهُ . ثم نادى امرأة خداش : هل من طعام فاطلعت اليهِ فأعجبها جمالهُ وكان من أحسن الناس وجهاً فقالت : واللهِ ما عندنا من نزل نرضاه لك الّا تمرًا . فقال : لا أبالي فاخرجي ما كان عندك . فأرسلت اليهِ بقباع فيه تمر . فأخذ منهُ تمرة فاكل شقّها وردّ شقها الباقي في القباع . ثم أمر بالقباع فأُدخل على امرأة خداش بن زهير . ثم ذهب لبعض حاجاتهِ . ورجع خداش فأخبرتهُ امرأته خبر قيس . فقال : هذا رجل متحرّم . وأقبل قيس راجعاً وهو مع امرأته يأكل رطباً فلمّا رأى خداش رجله وهو على بعيره قال لامرأته : هذا ضيفك . قالت : نعم . قال : كأنّ قدمه قدم الخطيم صديقي اليثربي . فلمّا دنا منهُ قرع طنب البيت بسنان رمحهِ واستأذن . فأذن لهُ خداش . فدخل اليهِ . فنسبهُ فانتسب اليهِ وأخبرهُ بالذي جاء لهُ وسألهُ أن يعينهُ وان يشير عليهِ في أمره . فرحّب بهِ خداش وذكر نعمة أبيهِ عنده وقال : ان هذا الامر ما زلتُ اتوقّعهُ منك منذ حين . فأمّا قاتل جدّك فهو ابن عمٍّ لي وأنا اعينك عليهِ . فاذا اجتمعنا في نادينا جلستُ الى جنبهِ وتحدّثتُ معهُ . فاذا ضربتُ فخذه فثبْ اليهِ فاقتلهُ . (فقال قيس) فاقبلتُ معهُ نحوه حتى قمت على راسه لمّا جالسهُ خداش . فحين ضرب فخذهِ ضربتُ راسهُ بسيفٍ يقال لهُ ذو الخرصين . فثار اليَّ القوم ليقتلوني فحال خداش بينهم وبيني وقال : دعوه فانهُ واللهِ ما قتل الّا قاتل جدّه . ثم دعا خداش بجمل من ابله فركبهُ وانطلق مع قيس الى العبدي الذي قتل أباه . حتى اذا كانا

قريباً من هجر أشار عليهِ خداش ان ينطلق حتى يسأل عن قاتل أبيهِ فاذا دُلَّ عليهِ قال لهُ : انَّ لصًّا من لصوص قومك عارضني فأخذ متاعًا لي فسألت مَن سيّد قومهِ فدُللتُ عليك فانطلقْ معي حتى تاخذ متاعي منهُ . فان اتّبعك وحدهُ فستنال ما تريد منهُ . وان أخرجَ معك غيره فاضحكْ . فان سألك ممَّ ضحكتَ فقلْ : انَّ الشريف عندنا لا يصنع كما صنعتَ اذا دُعي الى اللص من قومهِ انما يخرج وحدهُ بسوطهِ دون سيفه فاذا رآه اللصّ أعطاهُ كل شيء أخذهُ هيبةً لهُ . فان أمر أصحابه بالرجوع فسبيل ذلك وان أبى الّا ان يمضوا معهُ فأتني بهِ فاني أرجو أن تقتلهُ وتقتل أصحابه . ونزل خداش تحت ظلّ شجرة وخرج قيس حتى أتى العبديّ فقال لهُ ما أمرهُ خداش فأحفظهُ . فأمر أصحابه فرجعوا ومضى مع قيس . فلمّا طلع على خداش قال لهُ : اختر يا قيس امّا ان أُعينك واما ان أكفيك . قال : لا اريد واحدة منهما ولكن ان قتلني فلا يلفتنّك . ثم ثار اليهِ فطعنهُ قيس بالحربة في خاصرتهِ فانفذها من الجانب الآخر فمات مكانه . فلمّا فرغ منهُ قال لهُ خداش : انّا ان قررنا الآن طلبنا قومُه ولكن ادخل بنا مكانًا قريبًا من مقتله فانّ قومه لا يظنون انك قتلتهُ وأقمت قريبًا منهُ ولكنهم اذا افتقدوه اقتفوا أثره فاذا وجدوه قتيلًا خرجوا في طلبنا في كل وجه فاذا يئسوا رجعوا . (قال) فدخلا في دارات من رمال هناك . وفقد العبديَّ قومُه فاقتفوا أثره فوجدوه قتيلًا فخرجوا يطلبونهما في كل وجه ثم رجعوا . فكان من امرهما ما قال خداش . وأقاما مكانهما أيامًا ثم خرجا فلم يتكلّما حتى أتيا منزل خداش ففارقهُ عنده قيس بن الخطيم ورجع الى اهلهِ . ففي ذلك يقول قيس :

ثأرتُ عديًّا والخطيم فلم اضع   ولايةَ(١) أشياخٍ جعلتُ ازاءها
ضربت بذي الزُّجين ربقة مالك   فأُبتُ بنفسي قد اصبتُ شفاءها
وساعدني فيها ابن عمرو بن عامر   خداش فأدّى نعمة وأفاءها
طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائرٍ   لها نفذٌ لولا الشعاع اضاءها
ملكت بها كفي فأنهرت فتقها   يرى قائم من دونها ما وراءها

فلمّا هدأت حرب الاوس والخزرج تذكرت الخزرج قيس بن الخطيم ونكايته فيهم فتوامروا وتواعدوا قتلهُ. فخرج عشية من منزلهِ في ملاءتين يريد مالًا لهُ بالشَوط حتى مرّ بأُطم بني حارثة. فرُمي من الاطم بثلاثة اسهم فوقع أحدها في صدرهِ فصاح صيحة سمعها رهطه. فجاءوا فحملوهُ الى منزلهِ فلم يروا لهُ كفوءا الَّا أبا صعصعة يزيد بن عوف بن مدرك النجاري. فأندسَّ اليهِ رجلٌ حتى أغتالهُ في منزلهِ فضرب عنقهُ واشتمل على راسه فأتى بهِ قيسًا وهو بآخر رمق فألقاه بين يديه وقال: يا قيس قد ادركت بثأرك. فقال: لا أُبالي ان كان غير أبي صعصعة. فقال: هو أبو صعصعة. وأراه الرأسَ. فلم يلبث قيس بعد ذلك أنْ مات

السموأل

السموأل بن غريض بن عادياء كان صاحب الحصن المعروف بالابلق بتيماء وهو المشهور بالوفاء (٢) وكان هذا الحصن لجدّهِ عادياء واحتفر فيهِ بئرًا رويّةً عذبة. وقد ذكرتهُ شعراء في اشعارها. قال السموأل:

(١) وفي رواية: وصيّة   (٢) قيل ان امّهُ كانت من غسّان

فبالأَبلق الفرد بيتي بهِ   وبيت النضير سوى الابلقِ

وقال السموءل يذكر بناء جدّه الحصن:

بنى لي عاديا حصنًا حصينًا   وماءً كلّما شئت استقيتُ

وكانت العرب تنزل بهِ فيضيفها وتمتار من حصنهِ وتُقيم هناك سوقًا. وبهِ يضرب المثل في الوفاء لاسلامه ابنه حتى قُتل ولم يخنْ أمانته في ادراعٍ أُودعها وكان السبب في ذلك ان امرءَ القيس بن حُجر لما صار الى الشام يُريد قيصر نزل على السموءل بن عادياء بحصنهِ الابلق بعد ايقاعهِ ببني كِنانة على انهم بنو أبيهِ وكراهة اصحابه لفعلهِ وتفرُّقهم عنهُ حتى بقي وحدهُ واحتاج الى الهرب فطلبهُ المنذر بن ماء السماء ووجَّه في طلبهِ جيوشًا من اياد وبهرا وتنوخ وجيشًا من الاساورة أمره بهم أنوشروان وخذلتهُ حمير وتفرَّقوا عنهُ فلجأ الى السموءل ومعهُ ادراع كانت لأَبيهِ خمسة الفضفاضة والضافية والمُحصنَة والخِريق وامّ الذيول كانت للملوك من بني آكل المرار يتوارثونها ملك عن ملك. ومعهُ بنتهُ هند وابن عمهِ يزيد بن الحرث بن معاوية بن الحرث وسلاح ومال كان بقي معهُ ورجل من بني فزارة يقال لهُ الربيع بن ضَبع شاعر. فقال لهُ الفزاريُّ: قلْ في السموءل شعرًا تمدحهُ بهِ فانَّ الشعر يعجبهُ. وأنشدهُ الربيعُ شعرًا مدحهُ بهِ وهو قولهُ:

ولقد اتيت بني المصاص مفاخرًا   والى السموءل زرتهُ بالابلقِ
فأتيت افضل من تحمَّل حاجة   ان جئتهُ في غارم او مرهقِ
عرفتْ لهُ الاقوام كلَّ فضيلة   وحوى المكارم سابقًا لم يسبقِ

(قال) فقال امرؤ القيس فيهِ قصيدته:

طرقتكَ هندُ بعد طول تجنب   وهنًا ولم تكُ قبل ذلك تطرقُ

(قال) وقال الفزاريُّ : انَّ السموءَل يمنع منها حتى يرى ذات عينك وهو في حصن حصين ومال كثير. فقدم بهِ على السموءَل وعرَّفهُ اياه وأنشداه الشعر. فعرف لهما حقَّهما وضرب على هند قبــة من أدم وأنزل القوم في مجلس لهُ براح فكانت عنده ما شاء الله. ثم ان امرء القيس سألهُ ان يكتب لهُ الى الحرث بن أبي شَمِر الغسَّاني ان يوصلهُ الى قيصر. ففعل. واستصحب معهُ رجلاً يدلُّهُ على الطريق واودع بنيهِ وماله وادراعه السموءَلَ ورحل الى الشام وخلَّف ابن عمهِ يزيد بن الحرث مع ابنتهِ هند. (قال) ووجَّه المنذر بالحرث بن ظالم (١) في خيل وأمرهُ باخذ مال امرئ القيس من السموءَل. فلمَّا نزل بهِ تحصَّن منهُ. وكان لهُ ابن قد يفع وخرج الى قنص لهُ. فلمَّا رجع أخذهُ الحرث بن ظالم ثم قال للسموءَل : أتعرف هذا. قال: نعم هذا ابني. قال: أفتسلم ما قبلك أم اقتلهُ. قال : شأنك بهِ فلستُ اخفر ذمتي ولا اسلم مال جاري. فضرب الحرث وسط الغلام فقطعهُ قطعتين وانصرف عنهُ فقال السموءَل في ذلك :

وفيتُ بادرع الكنديّ اني	اذا ما ذمَّ أقوام وفيتُ
واوصى عاديا يومــًا بان لا	تهدّم يا سموأل ما بنيتُ
بنى لي عاديا حصنــًا حصينًا	وماء كلما شئت استقيتُ
رفيعــًا تزلقُ العقبــانُ عنه	اذا مــا نابني ضيمٌ أبيتُ

(١) ويقال : بل نزل الحرث بن ظالم في بعض غاراتهِ بالأبلق . ويُقال : بل هو الحرث ابو شمر الغسَّاني

الأَعشى وشُرَيْح بن السموءَل

قال الاعشي يمدح السموءَل ويستجير بابنه شريح بن السموءَل من رجل كلبي كان الاعشى هجاه ثم ظفر بهِ فأسره وهو لا يعرفه فنزل بشريح بن السموءَل واحسن ضيافته ومرَّ بالأسرى فناداه الاعشى :

شريحُ لا تُسلمنّي بعد ما علقتْ	حبالك اليوم بعد القيد اظفاري
قد سرت ما بين بلقاء الى عدنٍ	وطال في العجم تكراري وتسياري
فكان اكرمهم عهدًا وأوثقهم	عقدًا ابوك بعُرف غير انكارِ
كالغيث ما استمطروهُ جاد وابله	وفي الشدائد كالمستأسد الضاري
كن كالسموءَل اذ طاف الهمام بهِ	في محفل كسواد الليل جرَّارِ
اذ سامهُ خطَّتي خسفٍ فقال لهُ	قُل ما تشاء فاني سامعٌ حارِ
فقــال غدرٌ وثكل انت بينهما	فاخترْ وما فيهمــا حظٌّ لمختــارِ
فشــكَّ غير طويلٍ ثم قال لهُ	اقتــلْ اسيرك اني مانعٌ جاري
انا لهُ خَلَفٌ ان كنتَ قاتلــهُ	وان قتلت كريمــًا غير غوَّارِ
وسوف يعقُبنيهِ ان ظفرتَ بهِ	ربٌّ كريم وقوم اهل اطهارِ
فاختار ادراعهُ كي لا يُسبَّ بها	ولم يكن وعدهُ فيهــا بختَّارِ

فجاء شريح الى الكلبي فقال: هذا الاسير المنصور. فقال : هو لكَ. فاطلقهُ وقال لهُ : أقم عندي حتى اكرمك واحبوك. فقال لهُ الاعشى : انَّ تمام احسانك اليَّ ان تعطيني ناقة ناجية وتخليني الساعة. فاعطاه ناقة ناجية. فركبها ومضى من ساعته. وبلغ الكلبي ان الذي وهب لشريح الاعشى فارسل الى

شريح : ابعث اليَّ الاسير الذي وهبتُ لك حتى احبوه واعطيه . فقال : قد مضى . فارسل الكلبي في اثره فلم يلحقه

معاوية وشعبة بن غريض

حدثني احمد بن معاوية عن الهيثم بن عدي قال : حجَّ معاوية حجتين في خلافته وكانت لهُ ثلاثون بغلة يحج عليها نساؤه وجواريه . (قال) فحج في احداهما فرأى شخصًا يصلي في المسجد الحرام عليهِ ثوبان ابيضان فقال : من هذا . قالوا : شعبة بن غريض وكان من اليهود . فارسل اليهِ يدعوهُ فاتاه رسولهُ فقال : اجبْ امير المؤمنين . قال : او ليس قد مات امير المؤمنين قبلُ فأجب معاوية . فاتاه فلم يسلم عليهِ بالخلافة . فقال لهُ معاوية : ما فعلتْ ارضكَ التي بتيماء . قال : يكسى منها العاري ويردّ فضلها على الجار . قال : أفتبيعها . قال : نعم . قال : بكم . قال : بستين الف دينار ولا خلة اصابت الحي لم ابعها . قال : لقد اغليتَ . قال : اما لو كانت لبعض اصحابك لاخذتها بستمائة الف دينار ثم لم تُبَلِ . قال : اجل واذ بخلت بارضك فانشدني شعر ابيك يرثي نفسه . قال : فقال ابي :

ياليتَ شعري حين اندب هالكًا ماذا تؤبنني بهِ انواحي
ايقلن لا تبعد فربَّ كريهةٍ فرَّجتها ببشارةٍ وسماحِ
ولقد ضربت بفضل مالي حقهُ عند الشتاء وهبة الارواحِ
ولقد اخذت الحقّ غير مخاصم ولقد رددتُ الحقّ غير ملاحِ
واذا دعيت لصعبةٍ سهلتها أُدعى بافلح مرةٍ ونجاحِ

فقال : انا كنتُ بهذا الشعر اولى من ابيك . قال : كذبتَ ولؤمتَ . قال : أما كذبت فنعم واما لؤمت فلِمَ . قال : لانك كنت ميتَ الحقّ في الجاهلية وميتهُ في الاسلام . وما أنت والخلافة وأنت طليق ابن طليق . فقال معاوية : قد خرف الشيخ فأقيموهُ . فأُخذ بيده فأُقيم . وشعبة هذا هو الذي يقول :

يا دار سعدى باقصى تلعة النعمِ حييتِ دارًا على الإقواء والقدمِ
وما بجزعك الّا الوحش ساكنة وهامدٌ من رماد القدر والحممِ
عجنا فما كلمتنا الدار اذ سُئلت وما بها عن جوابٍ خلت من صممِ

أُحَيحة بن الجُلاح وعاصم بن عمرو

كان أُحيحة سيّد قومهِ من الاوس وكان رجلًا صنيعًا للمال شحيحًا عليه يتبع بيع الربا بالمدينة حتى كاد يحيط باموالهم . وكان لهُ تسع وتسعون بعيرًا كلها ينضح عليها . وكان لهُ بالجُرُف أَصوار من نخل قلَّ يومٌ يمرّ بهِ الّا يطلع فيهِ . وكان لهُ اطمانِ أُطم في قومهِ يُقال لهُ المستظِلّ وهو الذي تحصّن فيهِ حين قاتل تُبَّعًا اسعد أبا كَرِب الحميريَّ . وأطمهُ الضَّحيان (١) بالعصبة في ارضهِ التي يُقال لها الغابة (٢) بناه بحجارة سود وبنى عليهِ نَبْرة بيضاء مثل الفضة ثم جعل عليها مثلها يراها الراكب من مسيرة يوم او نحوه . وكانت الآطام هي عزّهم ومنعتهم وحصونهم التي يتحرزون فيها من عدوّهم . ويزعمون انهُ لمّا بناه اشرف هو وغلام لهُ ثم قال : لقد بنيت حصنًا حصينًا ما بنى مثلهُ رجل من العرب

(١) الضحيان : البارز من كلّ شيءٍ للشمس
(٢) وفي نسخة : القُبابة

أَمنع ولا اكرم ولقد عرفت موضعَ حجرٍ منهُ لو نُزِع لَوقع جميعًا. فقال غلامه: أَنا أَعرفهُ. فقال: فأَرِنيه يا بنيَّ. قال: هو هذا. وصرف اليهِ رأسه. فلمَّا رأَى أُحيحة انهُ قد عرفهُ دفعهُ من رأس الاطم فوقع على راسهِ فمات. وانما قتلهُ ارادة ان لا يعرف ذلك الحجرَ احد. ولمَّا بناه قال:

بنيت بعد مستظِلٍّ ضاحياً　　بنيتهُ بعصبة من ماليا
للستر ممَّا يتبع القواضيا　　اخشى ركيبًا او رجيلًا عاديا

وكان أُحيحة اذا أَمسى جلس بحذاء حصنهِ الضحيان ثم ارسل كلابًا لهُ تنبح دونه على من يأتيه ممَّن لا يعرف حذرًا من ان يأتيه عدوٌّ يصيب منهُ غرَّة.

ثم ان رجلًا من بني مازن بن النجَّار يقال لهُ كعب بن عمرو تزوَّج امرأَة من بني سالم بن عون وكان يختلف اليها. فقعد لهُ رهط من بني جَحجَبا برصد فضربوه حتى قتلوه او كادوا. فادركهُ القوافل فاستنقذوه. فلما بلغ ذلك أَخاه عاصم بن عمرو خرج وخرج معهُ بنو النجار. وخرج أُحيحة بن الجلاح ببني عمرو بن عَوف. فالتقوا بالرُّحابة فاقتتلوا قتالًا شديدًا. فقتل أَخا عاصم يومئذٍ أُحيحةُ بن الجلاح فأَصابهُ في اصحابهِ حين انهزموا. وطلب أُحيحة حتى انتهى الى البيوت فأَدركهُ عاصم عند باب داره فزجَّهُ بالرمح. وقفل أُحيحة الباب ووقع الرمح في الباب. ورجع عاصم واصحابه. فمكث أَياماً. ثم ان عاصمًا طلب أُحيحةَ ليلًا ليقتلهُ في داره. فبلغ ذلك أُحيحة وقيل لهُ: ان عاصمًا قد زوى عن الضحيان والغابة. فأَقبل يريدهُ في مجلسهِ ذلك ليقتلهُ بأَخيهِ وقد أَخذ معهُ تمرًا. فلمَّا نبحتهُ الكلاب حين دنا منهُ القى لها التمر. فوقفت. فلمَّا رآها أُحيحة قد سكنت حذر فقام فدخل حصنه. ورماه عاصم بسهمٍ فأَحرزهُ منهُ الباب فوقع السهم بالباب. فلمَّا سمع أُحيحة وقع السهم صرخ في قومهِ. فخرج عاصم بن عمرو فأَعجزهم حتى أَتى

قومَه. ثم ان أُحيحة جمع لبني النجار فأَراد ان يغترَّهم. فواعدهُ قومه لذلك. وكانت عند أُحيحة سُلمى بنت عمرو احدى نساء بني عدي بن النجار. فلمَّا أَجمع أُحيحة بالغارة على قومها ومعها ابنها عمرو بن أُحيحة وهو يومئذٍ فطيم أَو دون الفطيم وهو مع أُحيحة في حصنهِ عمدت الى ابنها فربطتهُ بخيط حتى اذا اوجعت الصبيَّ تركتهُ. فبات يبكي وهي تحملهُ. وبات أُحيحة معها ساهرًا يقول: ويحكِ ما لابني. فتقول: والله ما ادري ما له. حتى اذا ذهب الليل اطلقت الخيط عن الصبيِّ فنام. فلمَّا هدأَ الصبي قالت: وا رأساه. فقال: أُحيحة هذا والله ما لقيتِ من سهر هذه الليلة. فبات يعصِّب لها رأسها ويقول: ليس بكِ بأْس. حتى اذا لم يبقَ من الليل الَّا اقلَّهُ قالت لهُ: قم فنمْ فاني اجد فيَّ صالحةً. قد ذهب عني ما كنت اجدهُ. وانما فعلت بهِ ذلك ليثقل رأسه وليشتدَّ نومه على طول السهر. فلما نام قامت وأَخذت حبلاً شديدًا واوثقتهُ برأس الحصن ثم تدلَّت منهُ وانطلقت الى قومها فانذرتهم وأَخبرتهم بالذي اجمع هو وقومه من ذلك. فحذر القوم وأَعدُّوا واجتمعوا. فأَقبل أُحيحة في قومهِ فوجد القوم على حذر قد استعدّوا. فلم يكن بينهم كبير قتالٍ. ثم رجع أُحيحة فرجعوا عنهُ وقد فقدها أُحيحة حين اصبح. فلمَّا رأَى القوم على حذر قال: عمل سلمى خدعتني حتى بلغت ما ارادت. وسمَّاها قومها المتدلِّية لتدلِّيها من رأس الحصن. فقال في ذلك أُحيحة وذكر ما صنعت بهِ سلمى:

تفهَّم ايها الرجل الجهولُ　　ولا يذهب بكَ الرأي الوبيلُ
فانَّ الجهل محملهُ خفيفٌ　　وان الحلم محملهُ ثقيلُ
اذا باتت اعصِّبها فنامت　　عليَّ مكانها الحمَّى الشمولُ
لعلَّ عصابها يبغيك حربًا　　ويأتيهم بعورتكَ الدليلُ

وقد أعددتُ للحدثان اصلاً   لو انّ المرء ينفعهُ العقولُ

وقال فيها وفيما صنعت بهِ :

اخلق الربع من سعاد فأمسى   ربعهُ مخلقًا كدرس الملاةِ
باليًا بعد حاضرٍ ذي انيس   من سُلَيمى اذ تغتدي كالمهاةِ

الحرب بين مُضاض بن عمرو والسَّمَيدَع

حدّثنا محمد بن عبد الله الازرقي قال : حدّثني جدّي ان نابت بن اسمعيل وليَ البيت بعد أبيهِ . ثم توفّي . فولي مكانه جدّه لأمه مضاض بن عمرو الجرهمي فضمّ ولد نابت بن اسمعيل اليهِ ونزلت جرهم مع ملكهم مضاض بن عمرو بأعلى مكّة ونزلت قطوراء مع ملكهم السميدع أجياد أسفل مكة . وكان هذان البطنان خرجا سيارة من اليمن . وكذلك كانوا لا يخرجون الّا مع ملك يملكونهُ عليهم . فلما رأوا مكة رأوا بلدًا طيبًا وماء وشجرًا . فنزلوا ورضي كل واحد منهما بصاحبهِ ولم ينازعهُ . فكان مضاض يعشِّر من جاء مكة من أعلاها . وكان السميدع يعشِّر مَن جاءها مِن اسفلها ومن كُدًى لا يدخل احدهما على صاحبهِ في امرهِ . ثم انّ جُرهمًا وقطوراء بغى كل واحد منهما على صاحبه . فتنافسوا في الملك حتى نشبت الحرب بينهم . وكانت ولاية البيت الى مضاض دون السميدع . فخرج مضاض من بطن قُعَيقعان مع كتيبتهِ في سلاح شاكٍ يتقعقع . (١) وخرج السميدع من شِعب أجياد في الخيل الجياد (٢)

(١) فيقال ما سميت قعيقعان الّا بذلك . ومن قعيقعان الى مكة اثنا عشر ميلًا
(٢) ويقال ما سميت اجيادًا الّا بذلك

والرجال حتى التقوا بفاضحٍ . فاقتتلوا قتالًا شديدًا . فقُتل السميدع وفُضحت (١) قطوراء . ثم تداعى القوم الى الصلح فصاروا حتى نزلوا المطابخ شعبًا بأعلى مكة (٢) فاصطلحوا هناك وسلّموا الامر الى مضاض . فلمّا اجتمع لهُ امر مكه وصار ملكها دون السميدع نحر للناس فطبخوا هناك الجزر فاكلوا وسمّي ذلك الموضع المطابخ . فقال مضاض بن عمرو في تلك الحرب :

نحن قتلنا سيد الحيّ عنوةً   فأصبح منها وهو حيران موجعُ (٣)
وما كان يبغي ان يكون سواؤنا   بها ملكًا حتى أتانا السميدعُ
فذاق وبالًا حين حاول ملكنا   وحاول منا غصةً تتجرّعُ
ونحن عمرنا البيت كنّا ولاتهُ   نضارب عنهُ مَن أتانا وندفعُ
وما كان يبغي ذاك في الناس غيرنا   ولم يكُ حيٌّ قبلنا ثَمَّ يمنعُ
وكنّا ملوكًا في الدهور التي مضت   ورثنا ملوكًا لا تُرام فتوضعُ

بغي جرهم وطردهم من مكة

قال عثمان بن ساج : حدّثني بعض اهل العلم ان سيلًا جاء فدخل البيت فانهدم فاعادتهُ جُرهُم على بناء ابراهيم بناه لهم رجل منهم يقال لهُ ابو الجَدَرة واسمهُ عمر الجارود . (٤) (قال) ثم استخفّت جرهم بحق البيت وارتكبوا فيهِ امورًا

(١) ويقال ما سمي فاضحًا الّا بذلك
(٢) وهو الذي يقال لهُ الآن شعب ابن عامر
(٣) يعني ان الحي اصبح حيران موجعًا
(٤) وسمي بنوه الجدرة

عظاماً واحدثوا فيهِ أَحداثاً قبيحة. وكانت للبيت خزانة وهي بئر في بطنهِ يُلقى
فيها الحُليُّ والمتاع الذي يُهدى لهُ وهو يومئذٍ لا سقف عليهِ. فتواعد عليه خمسة
من جرهم ان يسرقوا كل ما فيهِ. فقام على كل زاوية من البيت رجل منهم.
واقتحم الخامس فجعل الله عزَّ وجلَّ أعلاه أسفله وسقط منكساً فهلك. وفرَّ
الاربعة الآخرون

(قالوا) فلمَّا كثر بغي جرهم بمكَّة قام فيهم مضاض بن عمرو بن الحرث
ابن مضاض فقال: يا قوم احذروا البغي فانهُ لا بقاء لاهله وقد رأيتم مَن كان
قبلكم من العماليق استخفُّوا بالحرم ولم يُعظموه وتنازعوا بينهم واختلفوا حتى
سلطكم الله عليهم فاجتحتموهم فتفرَّقوا في البلاد. فلا تستخفُّوا بحق الحرم
وحرمة بيت الله ولا تظلموا مَن دخله وجاءَهُ مُعظِّماً لحرماتهِ او خائفاً او رغب
في جواره. فانكم ان فعلتم ذلكم تخوَّفتُ ان تخرجوا منهُ خروج ذلَّ وصِغار
حتى لا يقدر احد منكم ان يصل الى الحرم ولا الى زيارة البيت الذي هو لكم
حرزٌ وأمن والطير تأمن فيهِ. فقال قائل منهم يقال لهُ مجدع: ومن الذي
يخرجنا منهُ ألسنا أعزَّ العرب واكثرهم مالاً وسلاحاً. فقال مضاض: اذا جاءَ
الامر بطل ما تذكرون. فقد رأيتم ما صنع الله بالعماليق. (قالوا) وقد كانت
العماليق بغتْ في الحرم فسلط الله عزَّ وجلَّ عليهم الذرَّ فاخرجهم منهُ. ثم رُموا
بالجدب من خلفهم حتى ردَّهم الله الى مساقط رؤوسهم. فلمَّا رأى مضاض
ابن عمرو بغيهم ومقامهم عليهِ عمد الى كنوز الكعبة وهي غزلان من ذهب
واسياف قلعية فحفر لها ليلاً في موضع زمزم ودفنها. فبينا هم على ذلك اذ
سارت القبائل من اهل مأرب وعليهم مُزَيقياء وهو عمرو بن عامر. فلمَّا انتهوا الى مكة
واهلها أرسل اليهم عمرو ابنه ثعلبة فقال لهم: يا قوم انَّا قد خرجنا من بلادنا فلم ننزل

بلدة افسح اهلها لنا وتزحزحوا عنَّا. فنقيم معهم حتى نرسل روَّاداً فيرتادوا لنا بلداً
يحملنا. فأفسِحوا لنا في بلادكم حتى نقيم قدر ما نستريح ونرسل روادًا الى الشأم
والى الشرق فحيثما بلغنا انهُ أمثل لحقنا بهِ. وارجو ان يكون مقامنا معكم يسيرًا.
فأبت ذلك جرهم اباءً شديداً واستكبروا في انفسهم وقالوا: لا والله ما نحبُّ ان
ينزلوا فيضيِّقوا علينا مرابعنا ومواردنا فارحلوا عنَّا حيث احببتم فلا حاجة لنا بجواركم.
فأرسل اليهم: انهُ لا بدَّ من المقام بهذا البلد حولاً حتى ترجع اليَّ رسلي التي
أرسلت. فان انزلتموني طوعاً نزلتُ وحمدتكم وآسيتكم في الرعي والماء. وان أبيتم
أقمتُ على كرهكم ثم لم ترتعوا معي الَّا فضلاً ولا تشربوا الَّا رنقاً. وان قاتلتموني
قاتلتكم. ثمَّ ان ظهرتُ عليكم سبيتُ النساء وقتلت الرجال ولم أترك منكم
أحداً ينزل الحرم ابداً. فأبت جرهم ان تُنزلهُ طوعاً وتعبت لقتالهِ. فاقتتلوا ثلاثة
ايام أُفرغ عليهم فيها الصبر ومُنعوا النصر. ثم انهزمت جرهم فلم يفلت منهم
الَّا الشريد. وكان مضاض بن عمرو قد اعتزل حربهم ولم يعنهم في ذلك وقال:
قد كنت أُحذِّركم هذا. ثم رحل هو وولده واهل بيتهِ حتى نزلوا قَنَوْنا وما
حوله. فبقايا جرهم بهِ الى اليوم. وفني الباقون أفناهم السيف في تلك الحروب.
(قالوا) فلمَّا حازت خزاعة امر مكة وصاروا اهلها جاءَهم بنو اسمعيل وقد
كانوا اعتزلوا حرب جرهم وخزاعة فلم يدخلوا في ذلك. فسألوهم السكنى معهم
وحولهم. فأذنوا لهم. فلما رأى ذلك مضاض بن عمرو بن الحرث وقد كان اصابهُ
من الصبابة الى مكة امرٌ عظيم ارسل الى خُزاعة يستأذنها ومتَّ اليهم
برأيه، وتوزيعهِ قومه عن القتال وسوء العشرة في الحرم واعتزاله الحرب. فأبت
خزاعة ان يقرُّوهم ونفوهم عن الحرم وقالوا: من دخله منهم فدمهُ هدر.
فنزعت ابل لمضاض بن عمرو من قنونا تريد مكة. فخرج في طلبها حتى وجدها

قد دخلت مكة . فمضى الى الجبال نحو اجياد حتى ظهر على ابي قُبَيس يتبصَّر الابل في بطن وادي مكة فأبصر الابل تُنحر وتؤكل لا سبيل لهُ اليها . فخاف ان هبط الوادي ان يُقتل فولَّى منصرفًا الى اهله وانشأ يقول :

كأن لم يكن بين الحَجُون الى الصفا — أنيسٌ ولم يسمر بمكة سامرُ
ولم يتربع واسطًا فجنوبه — الى المنحنى من ذي الاراكة حاضرُ
بلى نحن كنا اهلها فأبادنا — صروف الليالي والجدود العواثرُ
وأبدلنا ربّي بها دار غربةٍ — بها الذئب يعوي والعدوّ المخامرُ
اقول اذا نام الخليُّ ولم انمْ — أذا العرشِ لا يبعد سهيلٌ وعامرُ
وبُدلتُ منهم أوجهًا لا اريدها — وحمير قد بدّلتها والنجائرُ (١)
فان تملْ الدنيا علينا بكلكلٍ (٢) — ويصبح شرٌّ بيننا وتشاجرُ
فنحن ولاة البيت من بعد نابتٍ — نمشّي بهِ والخير اذ ذاك ظاهرُ
وأنكحَ جدّي خير شخصٍ علمتهُ — فابناؤهُ منّا ونحن الاصاهرُ
واخرجنا منها المليك بقدرةٍ — كذلك يا للناس تجري المقادرُ
فصرنا احاديثًا وكنّا بغبطةٍ — كذلك عضّتنا السنون الغوابرُ
وسحّت دموع العين تبكي لبلدةٍ — بها حرمٌ أمنٌ وفيها المشاعرُ (٣)
ويا ليت شعري من باجياد بعدنا — أقام بمفضى سيلهُ والظواهرُ

(١) وفي نسخة : واليحابرُ
(٢) وفي رواية : بكلها
(٣) ويروى بعد هذا البيت :
بوادٍ انيسٍ ليس يؤذى حمامهُ — ولا منفرًا يومًا وفيها العصافرُ
وفيها وحوش لا تراب انيسة — اذا خرجت منها فما ان تغادرُ

فبطنُ منًى امسى كأن لم يكن بهِ — مضاضٌ ومن حيّ عديّ عمائرُ (١)
فهل فرجٌ آتٍ بشيءٍ تحبّهُ — وهل جزع منجيك ممّا تحاذرُ

(قالوا) وقال ايضًا :

يا ايها الحيُّ سيروا ان قصركمُ — أن تصبحوا ذات يومٍ لا تسيرونا
أنّا كما انتمُ كنّا فغيّرنا — دهرٌ بصرفٍ كما صرنا تصيرونا
أزجوا المطيّ وازجوا من أزمّتها — قبل المات وقضّوا ما تقضّونا
قد مال دهرٌ علينا ثم اهلكنا — بالبغي فيهِ فقد صرنا افانينا (٢)
كنّا زمانًا ملوك الناس قبلكمُ — نأوي بلادًا حرامًا كان مسكونا

يوم بُعاث

قال هشام بن الكلبيّ كانت الاوس قد اسندوا امرهم في يوم بعاث الى ابي قيس بن الأسلَت الوائلي فقام في حربهم وآثرها على كل امرٍ حتى شحب وتغيَّر. ثم انهُ جاء ليلة فدقّ على امرأته ففتحت لهُ فاهوى اليها بيده فدفعتهُ وانكرتهُ . فقال : انا ابو قيس . فقالت : والله ما عرفتك حتى تكلمت . فقال في ذلك ابو قيس هذه القصيدة واولها :

(١) وفي رواية : فيا ليت شعري هل تُعمَّر بعدنا — جيادٌ فمُمضى سيلهُ فالظواهرُ
فبطن منًى وحشٌ كأن لم يسر بهِ — مضاضٌ ومن حيّ عديّ عمائرُ
(٢) وفي رواية بعد هذا البيت ما نصهُ :
قضّوا اموركمُ بالحزم ان لها — امورُ رشدٍ رشدتم ثم مسنونا
واستخبروا في صنيع الناس قبلكمُ — كما استبان طريق عنده الهونا

قالت ولم تقصد لقيل الخنا   مهلًا فقد ابلغت اسماعي
استنكرت لونًا لهُ شاحبًا   والحرب غول ذات اوجاعِ
من يذق الحرب يجد طعمها   مرًّا وتتركهُ بجعجاعِ
قد حصّت البيضة رأسي فما   أطعم نومًا غير تهجاعِ
أسعى على جلّ بني مالكٍ   كل امرئ في شأنهِ ساعِ
لا نألم القتلَ ونجزي بهِ م   الاعداء كيلَ الصاع بالصاعِ

فاما السبب في هذا اليوم وهو يوم بعاث: ان الاوس كانت استعانت ببني قريظة والنضير في حروبهم التي كانت بينهم وبلغ ذلك الخزرج . فبعث اليهم ان الاوس فيما بلغنا قد استعانت بكم علينا ولن يعجزنا ان نستعين باعدادكم واكثر منكم من العرب فان ظفرنا بكم فذاك ما تكرهون . وان ظفرتم لم ننم عن الطلب ابدًا فتصيروا الى ما تكرهون ويشغلكم من شأننا ما انتم الآن منهُ خالون . واسلم لكم من ذلك ان تدعونا وتخلوا بيننا وبين اخواننا . فلما سمعوا ذلك علموا انهُ الحق فارسلوا الى الخزرج : انهُ قد كان الذي بلغكم والتمست الاوس نصرنا وما كنا لننصرهم عليكم ابدًا . فقالت لهم الخزرج : فان كان ذلك كذلك فابعثوا الينا برهائن تكون في ايدينا . فبعثوا اليهم اربعين غلامًا منهم . ففرّقهم الخزرج في دورهم . فمكثوا بذلك مدة

ثم ان عمرو بن النعمان البَياضيّ قال لقومهِ بياضة : ان عامرًا انزلكم منزل سوء بين سَبخة ومفازة . وانهُ والله لا يمسّ رأسي غسل حتى انزلكم منازل بني قريظة والنضير على عذب الماء وكريم النخل . ثم راسلهم : إما ان تخلوا بيننا وبين دياركم نسكنها . واما ان نقتل رهنكم . فهمّوا ان يخرجوا من ديارهم . فقال لهم الكَعب بن أَسَد القرظيّ : ياقوم امنعوا دياركم وخلوه يقتل الرهن . والله ما هي الّا

ليلة حتى يولد للرجل غلام مثل احد الرهن . فاجتمع رأيهم على ذلك . فأَرسلوا الى عمرو بأَن : لا نسلم لكم دورنا وانظروا الذي عاهدتمونا عليهِ في رهننا فقوموا لنا بهِ . فعدا عمرو بن النعمان على رهنهم هو ومن اطاعهُ من الخزرج فقتلوهم . وابى عبد الله بن أُبَيّ وكان سيدًا حليمًا وقال : هـذا عقوق ومأْثم وبغي فلست معينًا عليهِ ولا احد من قومي اطاعني . وكان عنده في الرهن سليمان بن أَسد القرظيّ وهو جدّ محمد بن كعب القرظيّ فخلى عنهُ واطاق ناسٌ من الخزرج نفرًا فلحقوا باهليهم . فناوشت الاوس الخزرج يوم قتل الرهن شيئًا من قتال غير كبير واجتمعت قريظة والنضير الى كعب بن اسد اخي بني عمرو بن قريظة . ثم تآمروا ان يعينوا الاوس على الخزرج . فبَعث الى الاوس بذلك . ثم اجمعوا عليهِ على ان ينزل كل اهل بيت من النبيت على بيت من قريظة والنضير . فنزلوا معهم في دورهم وارسلوا الى النبيت يأمرونهم باتيانهم وتعاهدوا الّا يسلموهم ابدًا وان يقاتلوا معهم حتى لا يبقى منهم احد . فجاءتهم النبيت فنزلوا مع قريظة والنضير في بيوتهم ثم ارسلوا الى سائر الاوس في الحرب والقيام معهم على الخزرج . فاجابوهم الى ذلك . فاجتمع الملأ منهم واستحكم امرهم وجدّوا في حربهم . ودخلت معهم قبائل من اهل المدينة منهم بنو ثَعْلَبة وهم من غسّان وبنو زعوراء وهم من غسان

فلما سمعت بذلك الخزرج اجتمعوا . ثم خرجوا وفيهم عمرو بن النعمان البياضيّ وعمرو بن الجَمُوح السَلَميّ حتى جاءوا عبد الله بن أُبيّ وقالوا لهُ : قد كان الذي بلغك من امر الاوس وامر قريظة والنضير واجتماعهم على حربنا . وانّا نرى ان نقاتلهم . فان هزمناهم لم يحرز احد منهم معقله ولا ملجأَه حتى لا يبقى منهم احد . فلما فرغوا من مقالتهم قام عبد الله بن ابيّ خطيبًا

وقـال : ان هذا بغي منكم على قولكم وعقوق ووالله ما احبّ انّ رِجلًا من جراد لقيناهم . وقد بلغني انهم يقولون : هؤلاء قومنا منعونا الحياة افيمنعوننا الموت . والله اني ارى قومـاً لا ينتهون او يُهلكوا عامتكم . واني لأخاف ان قاتلوكم ان يُنصروا عليكم لبغيكم عليهم . فقاتلوا قومكم كما كنتم تقاتلونهم فاذا ولّوا فخلّوا عنهم . فاذا هزموكم فدخلتم ادنى البيوت خلّوا عنكم . فقال لهُ عمرو ابن النعمان : انتفخ والله سحرُكَ يا ابا الحرث حين بلغك حلف الاوس قريظة والنضير . فقال عبد الله : والله لا حضرتكم ابدًا ولا احد اطاعني ابدًا . ولكأني انظر اليك قتيلًا تحملك اربعة في عباء . وتابعَ عبد الله بن أُبي رجال من الخزرج منهم عمرو بن الجموح الحرامي . واجتمع كلام الخزرج على ان رأّسوا عليهم عمرو ابن النعمان البياضي وولّوهُ امر حربهم

ولبثت الاوس والخزرج أربعين ليـلة يتصنعون للحرب ويجمع بعضهم لبعض ويرسلون الى حلفائهم من قبائل العرب . فارسلت الخزرج الى جُهَيْنَـة وأَشجع . فكان الذي ذهب الى اشجع ثابت بن قيس بن شمّاس . فاجابوه واقبلوا اليهم . واقبلت جهينة اليهم ايضًا . وارسلت الاوس الى مُزَيْنَة وذهب حُضَير الكتائب الأَشهَلِيّ الى ابي قَيس بن الاسلت فأَمرهُ ان يجمع لهُ أوس الله . فجمعهم لهُ أبو قيس . فقام حضير فاعتمد على قوسه وعليهِ نَمِرَة . فحرضهم وأمرهم بالجِدّ في حربهم وذكر ما صنعت بهم الخزرج من اخراج النبيت واذلال من تخلّف من سائر الاوس في كلام كثير . فجعل كلما ذكر ما صنعت بهم الخزرج وما ركبوه منهم يستشيط ويحمى . فاجابتهُ اوس الله بالذي يحبّ من النصرة والموازرة والجِدّ في الحرب . (قال هشام) فحدّثني عبد المجيـد بن ابي عيسى عن اشياخ من قومه انّ الاوس اجتمعت يومئذٍ الى حضير بموضع يقال

لهُ الحياة . فاجالوا الرأي . فقالت الاوس : ان ظفرنا بالخزرج لم نبقِ منهم احدًا ولم نقاتلهم كما كنا نقاتلهم . فقال حُضَير : يا معشر الاوس ما سُمّيتم الاوس الّا لانكم تؤسون الامور الواسعة . ثم قال :

يا قوم قد اصبحتم دوارا   لمعشر قد قتلوا الخيارا
يوشك ان يستأصلوا الديارا

(قال) ولما اجتمعوا بالحياة طرحوا بين ايديهم تمرًا وجعلوا يأكلون وحُضَير الكتائب جالس وعليهِ بردة لهُ قد اشتمل بها الصماء وما يأكل معهم ولا يدنو الى التمر غضبًا وحنقًا . فقال : يا قوم اعقدوا لابي قيس بن الاسلت . فقال لهم ابو قيس : لا اقبـل ذلك فاني لم أرأس على قوم في حرب قط الّا هزموا وتشاءموا برئاستي . وجعلوا ينظرون الى حضير واعتزاله أكلهم واشتغاله بما هم فيهِ من امر الحرب فاذا رأى منهم ما يكره من الفتور والتخاذل استشاط غيظًا وغضبًا . واذا رأى منهم ما يحبّ من الجِدّ والتشمير في الحرب سكن . واجابت الى ذلك أوس مناة وجدّوا في الموازرة والمظاهرة . وقدمت مزينة على الاوس فانطلق حضير وابو عامر الراهب ابن صيفي الى ابي قيس بن الاسلت فقالوا : قد جاءتنا مزينة واجتمع الينا من اهل يثرب ما لا قبل للخزرج بهِ . فما الرأي ان نحن ظهرنا عليهم ألانجاز ام البقية . فقال ابو قيس : بل البقية . فقال ابو عامر : والله لوددتُ لو أنّ مكانهم ثعلبًا ضباحًا . فقال ابو قيس : اقتلوهم حتى يقولوا : بزابزا (كلمة كانوا يقولونها اذا غُلبوا) . فتشاجروا في ذلك . واقسم حضير الّا يشرب الخمر او يظهر ويهدم مزاحمًا أطم عبد الله بن ابيّ

فلبثوا شهرين يعدون ويستعدون . ثم التقوا ببعاث . (وبعاث من اموال بني قريظة فيها مزرعة يقال لها قورى . فلذلك تدعى بعاث الحرب) . وتخلّف

عن الاوس بنو حارثة بن الحرث فبعثوا الى الخزرج : انَّا والله ما نريد قتالكم . فبعثوا اليهم ان : ابعثوا الينا برهن منكم يكونون في ايدينا . فبعثوا اليهم اثني عشر رجلًا منهم خديج ابو رافع بن خديج . وحشد الحيَّان . فلم يتخلَّف عنهم الَّا مَن لا ذكر لهُ . ولم يكونوا حشدوا قبل ذلك في يوم التقوا فيه . فلما رأت الاوسُ الخزرجَ أَعظموهم وقالوا لحضير : يا أَبا أُسَيد لو حاجزت القوم وبعثت الى من تخلَّف من حلفائك من مزينة . فطرح قوسًا كانت في يده ثم قال : أَنتظرُ مزينة وقد نظر اليَّ القوم ونظرت اليهم . الموتُ قبل ذلك . ثم حمل وحملوا فاقتتلوا قتالًا شديدًا . فانهزمت الاوس حين وجدوا مسَّ السلاح فولّوا مصعدين في حرَّة قَوْرَى نحو العُرَيْض وذلك وجه طريق نجد . فنزل حضير وصاحت بهم الخزرج : اين الفرار أَلا ان نجدًا سنة (اي مجدب) يعيّرونهم . فلما سمع حضير طعنَ بسنان رمحه فخذه ونزل وصاح : وا عقراه . والله لا اريم حتى أُقتل . فان شئتم يا معشر الاوس ان تسلموني فافعلوا . فتعطفت عليه الاوس وقام على رأسهِ غلامان من بني عبد الأَشْهَل يقال لهما محمود ولبيد ابنا خليفة بن ثعلبة وهما يومئذٍ معرسان ذوا بطش فجعلا يرتجزان ويقولان :

ايّ غلامي ملكٍ ترانا في الحرب اذ دارت بنا رحانا
وعدَّد الناس لنا مكانا

فقاتلا حتى قُتلا . واقبل سهم حتى اصاب عمرو بن النعمان رأس الخزرج فقتله . لا يُدرى مَن رمى بهِ الَّا ان بني قريظة تزعم انهُ سهم رجل يقال لهُ ابو لبابة فقتلهُ . فبينا عبد الله بن ابي يتردَّد على بغلة لهُ قريبًا من بُعاث يتجسَّس اخبار القوم اذ طلع عليهِ بعمرو بن النعمان ميتًا في عباءة يحمله أَربعة الى داره . فلما رآهُ عبد الله بن ابيّ قال : مَن هذا . قالوا : عمرو بن النعمان . قال : ذُق وبال

العقوق . وانهزمت الخزرج ووضعت الاوس فيهم السلاح وصاح صائح : يا معشر الاوس أَسجحوا ولا تُهلكوا اخوتكم لجوارهم خير من جوار الثعالب . فتناهت الاوس وكفت عن سلبهم بعد اثخان فيهم . وسلبتهم قريظة والنضير . وحملت الاوس حضيرًا من الجراح التي بهِ وهم يرتجزون حوله ويقولون :

كتيبة زيَّنها مولاها لا كهلها هدَّ ولا فتاها

وجعلت الاوس تحرق على الخزرج نخلها ودورها . فخرج سعد بن معاذ الاشهلي حتى وقف على باب بني سلمة وأَجارهم واموالهم جزاء لهم بيوم الرعل . (١) وأَقسم كعب بن اسد القرظي ليذلنَّ عبد الله بن ابيّ وليحلقنَّ راسهُ تحت مُزاحم . فناداه كعب : انزل يا عدوّ الله . فقال لهُ عبد الله : انشدك الله وما خذلت عنكم . فسأَل عمَّا قال فوجده حقًّا فرجع عنهُ . واجمعت الاوس على ان تهدم مزاحمًا أُطم عبد الله بن أُبيّ . وحلف حضير ليهدمنَّهُ . فكلم فيهِ فأَمرهم ان يريثوا فيهِ لحفروا فيهِ كوَّة . وأَفلت يومئذٍ الزبيرُ بنُ اياس بن باطا ثابتَ بن قيس بن شماس اخا بني الحرث بن الخزرج . وهي النعمة التي كافأَهُ بها ثابت فى الاسلام يوم بنى قريظة . وخرج حضير الكتائب وأَبو عامر الراهب حتى اتيا ابا قيس ابن الاسلت بعد الهزيمة . فقال لهُ حضير : يا ابا قيس ان رأَيت ان نأتي الخزرج قصرًا قصرًا ودارًا دارًا نقتل ونهدم حتى لا يبقى منهم احد . فقال ابو قيس : والله لا نفعل ذلك . فغضب حضير وقال : ما سميتم الاوس الَّا لانكم

(١) كان للخزرج على الاوس يوم يقال لهُ يوم مُعبَّس (ويروى مغلّس) ومضرّس . وكان سعد ابن معاذ حُمل يومئذٍ جريحًا الى عمرو بن الجموح الحرامي . فمنَّ عليهِ واجاره واخاه يوم رعل وهو على الاوس من القطع والحرق . فكافأه سعد بمثل ذلك في يوم بعاث

تؤسون الامر أوساً ولو ظفرتْ منّا الخزرج بمثلهـا ما أقالوناها . ثم انصرف الى الاوس فأمرهم بالرجوع الى ديارهم . وكان حضير جُرح يومئذٍ جراحةً شديدة . فذهب بهِ كليب بن صيفي بن عبد الاشهل الى منزله في بني امية بن يزيد . فلبث عنده اياماً . ثم مات من الجراحة التي كانت بهِ . فقبرهُ اليوم في بني أمية ابن يزيد

(قال) وكان يهوديّ أعمى من بني قريظة يومئذٍ في اطم من آطامهم . فقال لابنة لهُ : اشرفي على الاطم فانظري ما فعـل القوم . فاشرفت فقالت: اسمع الصوت قد ارتفع في اعلى قورى واسمعُ قائلًا يقول : اضربوا يا آل الخزرج . فقال : الدولة اذًا على الاوس لا خير في البقاء . ثم قال : ماذا تسمعين . قالت : اسمع رجالًا يقولون يا آل الاوس ورجالًا يقولون يا آل الخزرج . قال : الآن حميَ القتالُ . ثم لبث ساعة . ثم قال : اشرفي فاسمعي . فاشرفت فقـالت : أسمع قومًا يقولون : « نحن بنو صخرة اصحاب الرعل » قال تلك بنو عبد الاشهل (١) . ظفرت والله الاوس . ثم وثب فرحًا نحو باب الاطم . فضرب رأسهُ بجاق بابه وكان من حجارة فسقط فمات

وكان ابو عامر قد حلف ليركزنّ رمحه في اصل مُزاحم أُطم عبد الله بن ابيّ . فخرجت جمـاعة من الاوس حتى احاطوا بهِ وكانت امرأة أبي عامر جميلة بنت عبد الله بن ابيّ (وهي امّ حنظلة الغسيل بن ابي عامر) . فاشرف عليهم عبد الله فقال : اني والله ما رضيت هذا الامر ولا كان عن رأيي وقد عرفتم كراهتي لهُ فانصرفوا عني . فقال ابو عامر : لا والله لا انصرف حتى اركز لوائي في اصل اطمك . فلما رأى حنظـلة انهُ لا ينصرف قال لهم : ان

(١) صخرة امهم بنت مرّة بن ظفر ام بني عبد الاشهل

ابي شديد الوجد بي فاشرفوا بي عليه ثم قولوا : والله لئن لم تنصرف عنـا لنرمينّ برأسهِ اليك . فقالوا ذلك لهُ . فركز رمحهُ في اصل الاطم ليمينه ثم انصرف عنهم . فذلك قول قيس بن الخطيم :

صبحنا بهِ الآطام حول مزاحمٍ ... قوانس اولى بيضنا كالكواكبِ

وأسر ابو قيس بن الاسلت يومئذٍ مخلّد بن الصامت الساعدي ابا مسلمة بن مخلد . واجتمع اليهِ ناس من قومه من مزينة ومن يهود فقالوا : اقتلهُ . فأبى وخلّى سبيله وانشأ يقول :

اسرت مخلداً فعفوت عنـهُ ... وعنـد الله صالح ما اتيتُ
مزينة عنده ويهود قورى ... وقومي كل ذلكم كفيتُ

وقال خفاف بن نُدبة يرثي حضير ا لكتائب وكان نديمه وصديقه :

لو أن المنايا حدنَ عن ذي مهابة ... لهبنَ حضيرًا يوم أغلق واقما
أطاف بهِ حتى اذا الليـل جنّه ... تبوّأ منهُ منزلًا متناعمـا

وقال ايضًا يرثيه :

اتاني حديثٌ فكذّبتـهُ ... وقيل خليلكَ في الرمسِ
فيا عين ابكي حضير الندى ... حضير الكتائب والمجلسِ
ويوم شديد اوار الحديد ... تقطع منهُ عُرى الانفسِ
صليت بهِ وعليك الحديد ... ما بين سلع الى الاعرسِ
فأودي بنفسك يوم الوغى ... ونقّى ثيابك لم ندنَسِ

حسَّان بن تبَّع (*)

حدَّث ابن الكلبي وغيره قال: كان حسَّان بن تبع أَحول اعسر بعيد الهمة شديد البطش. فدخل اليهِ يوماً وجوه قومه وهم الاقيال من حمير. فلما اخذوا مواضعهم ابتدأَهم فأَنشدهم:

ايها الناس ان رأْيي يريني ... وهو الرأي طوفةٌ في البلادِ
بالعوالي وبالقنابل تردى ... بالبطاريق مشية العوَّادِ
وبجيشٍ عرمرمٍ عربيٍّ ... جحفلٍ يستجيب صوت المنادي
من تميمٍ وخندفٍ وأيادٍ ... والبهاليل حمير ومرادِ
فاذا سرت سارت الناس خلفي ... ومعي كالجبال في كل وادِ
سقّني ثم سقِّ حمير قومي ... كأْس خمر اولى النُّهى والعمادِ

ثم قال لهم: استعدوا لذلك. فلم يراجعهُ احد لهيبته. فلما كان بعد ثلثة خرج وتبعهُ الناس حتى وطئَ ارض العجم. وقال: لأَبلغنَّ من البلاد حيث لم يبلغ احد من التبابعة. فجال بهم في ارض خراسان. ثم مضى الى المغرب حتى بلغ رومية وخلف عليها ابن عمّ لهُ. واقبل الى ارض العراق حتى اذا صار على شاطئ الفرات قالت وجوه حمير: ما لنا نفني اعمارنا مع هذا نطوف في الارض كلها ونفرق بيننا وبين بلدنا واولادنا وعيالنا واموالنا فلا ندري من تخلّف عليهم بعدنا. فكلموا اخاه عمرًا وقالوا له: كلّم اخاك في الرجوع الى

(*) وتُبَّع ابو حسان هو تُبَّع الاوسط واسمهُ اسعد ابو كَرِب او اسعد تِبَّان بن كُلِيكَرِب بن تُبَّع الاكبر. وهو من اشهر التبابعة وملك من السنة ٢٠٠ الى ٢٣٦ للمسيح في عهد اردشير بن بابك ملك الفرس. امَّا حسَّان فانهُ ملك في عهد سابور بن اردشير

بلده وملكه. قال: هو اعسر من ذلك وانكر. فقالوا: فاقتلهُ ونملّكك علينا فانت أَحقُّ بالملك من اخيك وانت اعقل واحسن نظرًا لقومك. فقال: اخاف ان لا تفعلوا وأَكون قد قتلت اخي وخرج الملك عن يدي. فواثقوهُ حتى ثلج الى قولهم واجمع الرؤساء على قتل اخيهِ كلهم الاَّ ذا رُعَيْن فانهُ خالفهم وقال: ليس هذا برأي يذهب الملك من حمير. فشجَّعهُ الباقون على قتل اخيهِ. فقال ذو رعين: ان قتلتهُ باد ملكك. فلما رأَى ذو رعين ما اجمع عليهِ القوم اتاه بصحيفة مختومة فقال: يا عمرو اني مستودعك هذا الكتاب فضعهُ عندك في مكان حريز وكتب فيهِ:

أَلا مَن يشتري سهرًا بنومٍ ... سعيدٌ من يبيت قرير عينِ
فان تكُ حميرٌ غدرت وخانت ... فمعذرة الاله لذي رعينِ

ثم ان عمرًا اتى حسَّان اخاه وهو نائم على فراشه فقتلهُ واستولى على ملكه. (١) فلم يُبارك فيهِ وسُلّط عليهِ السهر وامتنع منهُ النوم (٢). فسأَل الاطباء والكهان والعياف. فقال لهُ كاهن منهم: انهُ ما قتل اخاهُ رجلٌ قطّ الاَّ منع نومه. فقال عمرٌو: رؤساء حمير حملوني على قتله ليرجعوا الى بلادهم ولم ينظروا اليَّ ولا لاخي. فجعل يقتل من اشار عليهِ منهم بقتله. فقتلهم رجلًا رجلًا حتى خلص

(١) وقيل لعمرو الموثبان اشارةً الى تقاعده عن الغزو لانَّ «وثب» في لغة حمير تتضمَّن معنى القعود على الوسادة. وقيل بل لُقِّب الموثبان لانهُ وثب على اخيهِ فقتلهُ

(٢) وتواترت بعمرو المذكور الاسقام حتى كان لا يخرج الَّا محمولًا على نعش فسمي ذا الاعواد لذلك. وقال صاحب الاغاني في ترجمة ذي الاصبع العدواني ان ذا الاعواد هو ربيعة بن مخاشن وانهُ لُقّب بذي الاعواد لانهُ اوَّل مَن جلس على منبر او سرير وتكلَّم. وفيهِ يقول الاسود بن يَعْفُر:

ولقد علمتُ لو انَّ علمي نافعي ... انَّ السبيل سبيل ذي الاعوادِ

الى ذي رُعين وايقن بالشرّ . فقال لهُ ذو رعين : أَلم تعلم اني اعلمتك ما في قتله ونهيتك وبينت هذا . قال : وفيمَ هو . قال : في الكتاب الذي استودعتك . فدعا بالكتاب فلم يجدهُ . فقال ذو رعين : ذهب دمي على اخذي بالحزم فصرت كمن اشار بالخطإِ . ثم سأَل الملك ان ينعم في طلبه . ففعل فأُتي بهِ فقرأَهُ فاذا فيهِ البيتان . فلما قرأَهما قال : لقد أَخذتَ بالحزم . قال : اني خشيت ما رأيتك صنعت باصحابي

(قال) وتشتت امر حمير حين قتل اشرافها واختلفت عليهِ حتى وثب على عمرو لخنيعة ينوف (١) ولم يكن من اهل بيت المملكة : فقتله واستولى على ملكه . وكان يقال لهُ ذو شناتر (٢) الحميري وكان فاسقًا . فمكث بذلك زمانًا حتى نشأَ زُرعة ذو نؤاس وكانت لهُ ذؤابة وبهِ سمي ذو نؤاس . فلما نشأَ ذو نواس اخذ سكينًا لطيفًا خفيفًا وسمّهُ وجعل لهُ غلافًا . فلما دعا بهِ لخنيعة جعلهُ بين اخمصه ونعله واتاه على ناقة لهُ يقال لها سراب فاناخها وصعد اليهِ . فلما اقبل عليهِ زُرعة اخذ زُرعة السكين فوجأَ بها بطنهُ فقتلهُ واحتزّ رأسهُ فجعل السواك في فيهِ واطلعه من الكوّة . فرفع الحرس رؤوسهم فرأَوهُ . ونزل زُرعة وجاء الى ناقته فركبها . فلما رأَى الحرس اطلاع الرأس صعدوا اليهِ فاذا هو قد قتل . فاتوا زرعة فقالوا : ما ينبغي ان يملكنا غيرك بعد ان ارحتنا من هذا الفاسق . واجتمعت حمير اليه . وهو الذي تهوّد وتسمى يوسف وهو صاحب الاخدود بنجران وكانوا نصارى . فخوفهم وحرق الانجيل وهدم الكنائس . ومن اجله غزت الحبشة اليمن لانهم نصارى . فلما غلبوا على اليمن اعترض البحر واقتحمه على فرس فغرق

(١) او ينوف كما يُقرأُ في النقوش الحميريّة (٢) اي الاقراط . قيل لهُ ذلك لأقراط كان يتحلّى بها

خبر طَسْم وجَدِيس

اخبر ابن الاعرابي عن المفضل انّ عمليقًا ملك طسم وجديس (وكانت منازلهم في موضع اليمامة) كان في اوّل مملكته قد تمادى في الظلم والغشم والسيرة بغير الحقّ . وان امرأَة من جديس كان يقال لها هُزَيلة وكان لها زوج يقال لهُ ماشق فطلقها واراد أَخذ ولدها منها فخاصمتهُ الى عمليق فقالت : يا ايها الملك اني حملتهُ تسعًا ووضعتهُ دفعًا وارضعتهُ شفعًا حتى اذا تمت اوصاله ودنا فصاله اراد ان يأخذه مني كرهًا ويتركني من بعده ولهًا . فقال لزوجها : ما حجتك . قال : حجتي ايها الملك اني قد اعطيتها المهر كاملًا . ولم اصب منها طائلًا . الّا وليدًا خاملًا . فافعل ما كنت فاعلًا . فأَمر بالغلام ان ينزع منهما جميعًا ويجعل في غلمانهِ . وقال لهزيلة : ابغيه ولدًا . ولا تنكحي احدًا . واجزيه صفدًا . فقالت هزيلة : أَمّا النكاح فانما يكون بالمهر . واما السفاح فانما يكون بالقهر . ومالي فيهما من أَمر . فلما سمع ذلك عمليق امر بان تباع هي وزوجها فيعطى زوجها خمس ثمنها وتعطى هزيلة عشر ثمن زوجها . فأَنشأَت تقول :

اتينا اخا طسم ليحكم بيننا   فانفذ حكمًا في هزيلة ظالما
لعمري لقد حكمت لا متورّعًا   ولا كنت فيما يبرم الحكم عالما
ندمت ولم اندم واني بعثرتي   وأَصبح بعلي في الحكومة نادما

فلما سمع عمليق قولها اغتاظ وزاد في الظلم . فلقوا من ذلك بلاءً وجهدًا وذلًا . حتى زوجت الشموس وهي عُفَيْرة بنت غِفار (١) اخت الاسود . فأَساء اليها عمليق ووجأَها بحديدة فأَدماها . فقالت تحرّض قومها فيما أَتى اليها :

أَيجمل ما يؤتى الى فتياتكم   وانتم رجال فيكمُ عدد الرملِ

(١) وفي نسخة : بنت عباد . وهو غلط

أَيجمل تمشي في الدماء عفيرة   صبيحة زفت في النساء الى بعلِ
ولو اننا كنا رجالًا وكنتمُ   نساءً لكنّا لا نقرُّ بذا الفعل
فموتوا كرامًا او اميتوا عدوكم   ودبُّوا لنار الحرب بالحطب الجزلِ
والّا فخلُّوا بطنهـا وتحمّلوا   الى بلد قفر وموتوا من الهزلِ
فلَلبين خير من تمادٍ على اذًى   ولَلموت خير من مقام على الذلِ
وان انتمُ لم تغضبوا بعد هذه   فكونوا نساءً لا تُعاب من الكحلِ
ودونكمُ طيب العروس فانما   خلقتم لاثواب العَروس وللغسلِ
فبعدًا وسحقًا للذي ليس دافعًا   ويختال يمشي بيننا مشية الفحلِ

فلما سمع الاسود اخوها ذلك وكان سيدًا مطاعًا قال لقومه : يا معشر جديس ان هؤلاء القوم ليسوا باعزّ منكم في داركم الّا بما كان من ملك صاحبهم علينا وعليهم . ولولا عجزنا وادهاننا ما كان لهُ فضل علينا وعليكم . ولو امتنعنا لكان لنا منهُ النصف . فاطيعوني فيما آمركم بهِ فانهُ عزُّ الدهر وذهاب ذلّ العمر . واقبلوا رأيي (قال) وقد احمى جديسًا ما سمعوا من قولها فقالوا : نطيعك ولكن القوم اكثر واحمى واقوى . قال : فاني اصنع للملك طعامًا ثم ادعوهم لهُ جميعًا فاذا جاءوا يرفلون في الحلل ثرنا الى سيوفنا وهم غارّون فاهمدناهم بها . قالوا : نفعل . وصنع طعامًا كثيرًا وخرج بهِ الى ظهر بلدهم ودعا عمليقًا وسألهُ ان يتغدّى عنده هو واهل بيته . فاجابهم الى ذلك وخرج اليهِ مع اهله يرفلون في الحُليّ والحلل حتى اذا اخذوا مجالسهم ومدُّوا ايديهم الى الطعام اخذوا سيوفهم من تحت اقدامهم فشدّ الاسود على عمليق فقتلهُ وكل رجل منهم على جليسه حتى اماتوهم . فلما فرغوا من الاشراف شدّوا على السفلة فلم يدَعوا منهم احدًا . فقال الاسود في ذلك :

ذوقي ببغيك يا طسم مجللةً   فقد اتيتِ لعمري اعجبَ العجبِ
انّا اتينا فلم ننفكّ نقتلهم   والبغي هيَّج منّا سورة الغضبِ
ولن يعود علينا بغيهم ابدًا   ولن يكونوا كذي انفٍ ولا ذنبِ
وان رعيتم لنا قربى مؤكدةً   كنّا الاقارب في الارحام والنسبِ

ثم ان بقية طسم (١) لجأُوا الى حسان بن تبع . فغزا جديسًا فقتلهـا واخرب بلادها . فهرب الاسود قاتل عمليق فاقام بجبل طيء قبل نزول طيء اياه

خبر زرقاء اليمامة

ان الزرقاء كانت ترى الجيش من مسيرة ثلاثين ميلًا . فغزا قوم من العرب اليمامة فلما قربوا من مسـافة نظرها قـالوا : كيف لكم بالوصول مع الزرقاء . فاجتمع رأيهم على ان يقتلعوا شجرًا تستر كل شجرة منها الفارس اذا حملها . فقطع كل واحد منهم بمقدار طاقته وساروا بها . فأشرفت كما كانت تفعل . فقال قومها : ما ترين يا زرقاء وذلك في آخر النهار . قالت : ارى شجرًا يسير . فقالوا : كذبتِ أو كذبتكِ عينكِ واستهانوا بقولها . فلما اصبحوا صبحهم القوم فاكتسحوا اموالهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة واخذوا الزرقاء فقلعوا اعينها فوجدوا فيهـا

(١) وكان ممَّن لجأ الى حسَّان بن تُبَّع رباح بن مُرَّة وهو اخو زرقـاء اليمامه . وكانت زرقاء اليمامة تزوجت برجل جديسي فلذا نراها مع جديس . ويقال لرباح القاشر وفيهِ يُضرَب المثَل في الشؤم فيقـال : اشأم من قاشر . وقيـل غير ذلك في قاشر

عروقاً سوداً . فسئلت عنها فقالت : اني كنت اديم الاكتحال بالاثمد فلعلَّ هذا منهُ . وماتت بعد ذلك بايام (١)

مقتل الأَسود بن غِفار

كانت طيّ تسكن الجُرف من ارض اليمن وهو اليوم محلة مُراد وهمدان وكان سيّدهم يومئذٍ أُسامة بن لُؤَيّ بن الغَوث بن طيّ . وكان الوادي مسبعة . وهم قليل عددهم . وقد كان ينتابهم بعير في ازمان الخريف ولم يُدرَ اين يذهب ولم يروه الى قابل . وكانت الازد قد خرجت من اليمن ايام العرم فاستوحشت طيّ لذلك وقالت : قد ظعن اخواننا فصاروا الى الارياف . فلما همُّوا بالظعن قالوا لاسامة : ان هذا البعير يأتينا من بلد ريف وخصب وانَّا لنرى في بعره النوى . فلو اننا نتعهّده عند انصرافهِ فشخصنا معهُ لكنا نصيب مكاناً خيراً من مكاننا هذا . فاجمعوا امرهم على ذلك . فلما كان الخريف جاء البعير فاختلط في ابلهم . فلما انصرف احتملوا واتبعوه يسيرون بسيره ويبيتون حيث يبيت حتى هبط على الجبلين (٢) . فهجمت طيّ على النخل في الشِعاب وعلى مواشٍ

(١) قال صاحب الاغاني بعد ذكر زرقاء اليمامة : « وبلغ هنداً (بنت النعمان) خبرها فترهَّبت ولبست المسوح وبنَت ديراً يُعرف بدير هند الى الآن . فاقامت فيهِ حتى ماتت » ونظن ان هذا سهو . لان زرقاء اليمامة التي سمل عينيها حسَّان بن تُبَّع هي غير زرقاء اليمامة صاحبة هند بنت النعمان المعروفة بحُرَقة . فهذه عاشت في القرن السادس للمسيح . اما الاولى واسمها اليمامة فكانت في اواسط القرن الثالث بعد المسيح . ولُقبت بالزرقاء لزرقة عينيها . وفيها يُضرَب المثل فيُقال : ابصر من زرقاء اليمامة . وقيل انها هي المسماة بحذامِ واليها يشير الشاعر بقولهِ :

اذا قالت حَذامِ فصدقوها فانَّ القول ما قالت حَذامِ

(٢) هذان الجبلان هما اجأ وسَلْمَى

كثيرة واذا هم برجل في شعب من تلك الشعاب وهو الاسود بن غِفار فهالهم ما رأَوا من عظم خلقه وتخوَّفوهُ وقد نزلوا ناحية من الارض واستبروها هل يرون بها احداً غيره فلم يروا . فقال اسامة بن لؤَيّ لابن لهُ يقال لهُ الغوث : أَيْ بُنيَّ ان قومك قد عرفوا فضلك عليهم في الجلد والبأس والرمي . فان كفيتنا هذا الرجل سُدتَ قومك آخر الدهر وكنت الذي انزلتنا هذا البلد . فانطلق الغوث حتى أَتى الرجل فكلمهُ وسأَلهُ . فعجب الاسود من صغر خلق الغوث فقال لهُ : من اين اقبلتم . قال : من اليمن واخبره خبر البعير ومجيئهم معهُ وانهم رهبوا ما رأَوا من عظم خلقه وصغرهم عنهُ . وشغلوه بالكلام . فرماه الغوث بسهم فقتلهُ . واقامت طيّ بالجبلين بعده . فهم هنالك الى اليوم

مقتل نصارى نجران وقدوم الحبشة الى اليمن

كان السبب في قدوم الحبشة اليمن وغلبتهم عليها وخروج سيف بن ذي يزَن الى كسرى يستنجده عليهم ان ملكاً من ملوك اليمن يقال لهُ ذو نواس غزا اهل نجران وكانوا نصارى فحصرهم . ثم انهُ ظفر بهم فخدَّد لهم الاخاديد واعرضهم على اليهودية . فامتنعوا من ذلك . فحرقهم بالنار وحرق الانجيل وهدم بيعتهم . ثم انصرف الى اليمن . وافلت منهُ رجل يقال لهُ دوس ثعلبان على فرس فركضهُ حتى اعجزهم في الرمل . ومضى دوس الى قيصر (١) ملك الروم يستغيثه ويخبره بما صنع ذو نواس بنجران ومن قتل من النصارى وانهُ خرب كنائسهم

(١) وقيصر هذا هو يوستينوس الاول . وفي دوس يضرب المثل في الشؤم فيقال : لا كدوس ولا كاعلاق رحله

وبقر النساء وهدم الكنائس فما فيها ناقوس يضرب بهِ . فقال لهُ قيصر : بعدتْ بلادي عن بلادكم ولكن ابعث الى قوم من اهل ديني اهل مملكتي قريب منكم فلينصرونكم . قال دوس ثعلبان : فذاك اذًا . قال قيصر : ان هذا الذي اصنعه بكم اذلُّ للعرب ان يطأها سودان ليس الوانهم على الوانهم ولا السنتهم على السنتهم . فقال : الملك انظرُ لاهل دينه انما هم خَوَلهُ . فكتب الى ملك الحبشة ان : انصرْ هذا الرجل الذي جاء يستنصرني واغضب للنصرانية فأوطئ بلادهم الحبشة . فخرج دوس ثعلبان بكتاب قيصر الى ملك الحبشة . فلما قرأ كتابهُ امر ارياطًا وكان عظيمًا من عظمائهم ان يخرج معهُ فينصره . فخرج ارياط في سبعين الفًا من الحبشة وقوَّد على جنده قوادًا من رؤسائهم وأقبل بفيلهِ . وكان معهُ أَبرَهة بن الصبَّاح . وكان في عهد ملك الحبشة الى ارياط : اذا دخلت اليمن فاقتل ثلث رجالها وخرّب ثلث بلادها وابعث اليَّ بثلث نسائها

فخرج ارياط في الجنود فحملهم في السفن في البحر وعبر بهم حتى ورد اليمن وقد قدم مقدمات الحبشة فرأى اهل اليمن جندًا كثيرًا . فلما تلاحقوا اقام ارياط في جنده خطيبًا فقال : يا معشر الحبشة قد علمتم انكم لن ترجعوا الى بلادكم ابدًا . هذا البحر بين ايديكم ان دخلتموهُ غرقتم وان سلكتم البرّ هلكتم واتخذتكم العرب عبيدًا . وليس لكم الّا الصبر حتى تموتوا أو تقتلوا عدوكم . فجمع ذو نواس جمعًا ثم سار اليهم . فاقتتلوا قتالاً شديدًا . فكانت الدولة للحبشة . فظفر ارياط وقتل اصحاب ذي نواس وانهزموا في كل وجه . فلما تخوَّف ذو نواس ان سيؤسر ركض فرسهُ واستعرض بهِ البحر وقال : الموت بالبحر احسن من اسار اسود . ثم اقحم فرسهُ لجَّةَ البحر فمضى بهِ فرسهُ وكان آخر

العهد بهِ . ثم خرج اليهم ذو جَدَن (١) الهمداني في قومه فناوشهم وتفرقت عنه همدان . فلما تخوَّف على نفسهُ قال : ما الامر الّا ما صنع ذو نواس فاقحم فرسه البحر فكان آخر العهد به

ودخل ارياط اليمن فقتل ثلثًا وبعث ثلث السبي الى ملك الحبشة وخرب ثلثًا وملك اليمن وقتل اهلها وهدم حصونها . وكان مما خرب من حصونهم سلحين وبينون (٢) وغُمدان (٣) حصونًا لم يرَ مثلها . فقال الحميري وهو يذكر ما دخل على حمير من الذل :

---

(١) واسمه علس ولُقّب ذا جدن لحسن صوته . والجدن الصوت بلغة حِمْيَر . ويقال انه اول مَن تغنّى باليمن (٢) بينون اسم حصن عظيم كان باليمن قرب صنعاء وهو من بناء بعض التبابعة ولهُ ذكر في اخبار حمير واشعارهم . قال ذو جدَن الحميري :

يا بنت قيل مَعافرٍ لا تسخري … ثم اعذريني بعد ذلك او ذَري
أَوَلا ترينَ وكل شيءٍ هالكٌ … بينونُ هالكة كان لم تُعمَرِ
أَوَلا ترين وكل شيءٍ هالكٌ … سلحين مدبرة كظهرِ الادبرِ
أَوَلا ترين ملوك ناعِطٍ اصبحوا … تُسفي عليهم كل ريح صرصرِ
أَوَما سمعتِ بحميرٍ وبيوتهم … أمست معطَّلةً مساكن حميرِ
فابكيهم اوما بكيتِ لمعشرٍ … لله درُّكِ حميرًا من معشرِ

(٣) غمدان حصن بين صنعاء وطيوة بناه لِيَشْرَح بن يحصب على اربعة اوجه وجه ابيض ووجه احمر ووجه اصفر ووجه اخضر وبنى في داخله قصرًا على سبعة سقوف بين كل سقفين منها اربعون ذراعًا . وكان ظلهُ اذا طلعت الشمس يرى على عينان وبينها ثلاثة اميال . وجعل في اعلاه مجلسًا بناه بالرخام الملوَّن . وجعل سقفهُ رخامة واحدة . وصير على كل ركن من اركانه تمثال اسد من شبه كاعظم ما يكون من الأُسد . فكانت الريح اذا هبت الى ناحية تمثال من تلك التماثيل دخلتْ من موَخره وخرجت من فيهِ فيُسمع لهُ زئير كزئير السباع . وكان يأمر بالمصابيح فتسرج في ذلك البيت ليلًا فكان سائر القصر يلمع من ظاهره كما يلمع البرق فاذا اشرف على الانسان من بعض الطرق

هوّنكَ اين تردُّ العين ما فاتا   لاتهلكنَّ اسفًا في اثرِ مَن ماتا
ابعدَ بينونَ لاعينٌ ولا اثرٌ   وبعد سلحين يبني الناس ابياتا

(قال) فلما ظفر ارياط اخذ الاموال واظهر العطاء في اهل الشرف. فغضبت الحبشة حين اعطى اشرافهم وترك اهل الفقر منهم واستذلهم واجاعهم واعراهم واتعبهم في العمل وكلفهم ما لا يطيقون. فجزع من ذلك الفقراء وشكا ذلك بعضهم الى بعض وقالوا: ما زلنا الّا اذلّة اشقياء اينما كنا. ان كان قتال قدمنا في نحور العدوّ. وان كان قتل قُتلنا. وان كان عمل فعلنا. والبلايا علينا. والعطايا لغيرنا مع ما يقصينا ويجفونا. فقال لهم عند ذلك رجل من الحبشة يقال لهُ ابرهة من قواد ارياط: لو انّ رجلًا غضب لغضبكم اذًا لأسلمتموه حتى يُذبح كما تذبح الشاة. قالوا: لا والمسيح ما كنا نسلمه ابدًا. فواثقوهُ بالانجيل لا يسلموه حتى يموتوا عن آخرهم. فنادى مناديهِ فيهم فاجتمعوا اليه. فبلغ ذلك ارياط ابا اصحم ان ابرهة جمع لك الجموع ودعا الناس الى قتالك قال: أوَقد فعل ذلك ابرهة وهو ممّن لا بيت لهُ في الحبشة. وغضب ارياط غضبًا شديدًا وقال: هو ادنى من ذلك نفسًا وبيتًا هذا باطل. قالوا: فارسل اليهِ فان اتاك فهو باطل وان لم يأتك فاعلم انهُ كما يقال. فارسل اليهِ: اجبِ الملك ارياط. فجثا ابرهة على ركبتيهِ وخرّ لوجهه واخذ عودًا من الارض

ظنهُ برقًا او مطرًا ولا يعلم ان ذلك ضوء المصابيح. وفيهِ يقول ذو جدَن الهمداني:

وهــذا المال ينفد كل يومٍ   لنزل الضيف او صلــة الحقوقِ
وغمدانُ الذي حُدّثتِ عنهُ   بنـاه مشيـدًا في رأس نيقِ
بمرمرةٍ واعـلاه رخـامٌ   تحامٌ لا يغيَّب بالشقوقِ
مصابيح السليط يلُحنَ فيهِ   اذا يُمسى كتَومـاض البروقِ
فاضحى بعد جدّتهِ رمادًا   وغيّر حسنهُ لهب الحـريقِ



فجعلهُ في فيهِ وقال للرسول: اذهب الى الملك فأخبره بما رأيت مني. انا اخلعه انا اشدّ تعظيمًا لهُ من ذلك. وأنا آتيه على اربع قوائم بحساب البهيمة. فرجع الرسول الى الملك فأخبره بالخبر. فقال: ألم أقل لكم. قالوا: الملك اعقل واعلم منّا

فلما ولّى الرسول من عند ابرهة وتوارى عنهُ صاح ابرهة في الفقراء من الحبشة فاجتمعوا اليهِ معهم السلاح والآلة التي كانوا يعملون بها ويهدمون بها مدن اليمن المعاول والكرازين والمساحي. ثم صفوا صفًا وصفوا خلفه آخر بازائه. فلما ابطأ ابرهة على الملك وهو يرى انهُ يأتيهِ على اربع قوائم كما قال وأتى ارياط فاخبره بما صنع ابرهة فركب في الملوك ومن تبعه من اتباعهم فلبسوا السلاح وجاءوا بالفيلة وكان معهُ سبعة فيلة. حتى اذا دنا بعضهم من بعض برز ابرهة بين الصفين فنادى بأعلى صوته: يا معشر الحبشة الله ربُّنا والانجيل كتابنا والنجاشي ملكنا. علامَ يقتل بعضنا بعضًا في مذهب النصرانية. هذا رجل وانا رجل فخلّوا بيني وبينهُ فان قتلني عاد الملك الى ما كان عليهِ من اثرة الاغنياء وهلاك الفقراء. وان قتلتهُ سلمتم وعملت فيكم بالانصاف بينكم ما بقيتُ. فقال الملوك لارياط: قد اخبرناك انهُ صنع ما قد ترى وقد أبنت أحسن الرأي فيهِ وقد أنصفك. وكان ارياط قد عُرف بالشجاعة والنجدة وكان جميلًا. وكان ابرهة قصيرًا دميمًا قبيحًا منكر الجُثّة. فاستحيا ارياط من الملوك ان يجبن فبرز بين الصفين ومشى احدهما الى صاحبه. وحمل عليهِ ارياط فضرب ابرهة ضربةً وقع منها حاجباه وعامّة انفه ووقع بين رجلي ارياط. فعمد ابرهة الى عمامته فشدّ بها وجههُ فسكن الدم والتأم الجرح واخذ عودًا وجعلهُ في فيهِ وقال: ايها الملك انما انا شاة فاصنع ما اردت فقد ابصرت

امري . ففرح ارياط بما صنع . وكان ابرهة قد سمّ خنجرًا وجعلهُ في بطن فخذهِ كانهُ خافية نسر . فلما رأى ابرهة ان ارياط قد افلت عنهُ وهو ينظر يمينًا وشمالًا لئلا تراهُ ملوك الحبشة استلّ خنجره فطعنهُ طعنة في فرج درعه اثبتهُ وخرّ ارياط على قفاه وقعد ابرهة على صدره فأجهز عليهِ . فسُمي ابرهة الاشرم بتلك الضربة التي شرمت وجهه وانفه

فملك ابرهة عشرين سنة . ثم ملك بعد ابرهة ابنه يكسوم . ثم اخوه مسروق بن ابرهة وامهُ ريحانة امرأة ذي يزَن امُّ سيف بن ذي يزَن الحميريّ . فكلَّموهُ في الخروج وقالوا : انَّا نجد في هاروت عن خبر لسطيح انهُ يوشك ان هذا البلاء يفرج بيد رجل من اهل بيتك ابن ذي يزن وقد رجونا ان ندرك بثأرنا . فأنعم لهم . فخرج الى قيصر (١) ملك الروم فكلمهُ ان ينصره على الحبشة . فأبى وقال : الحبشة على ديني ودين اهل مملكتي وانتم على دين يهود . فخرج من عنده يائسًا . فخرج عامدًا الى كسرى (٢) فانتهى الى النعمان بن المنذر بالحيرة فدخل عليهِ فأخبره بما لقي قومه من الحبشة . فقال: أَقِمْ فان لي على الملك كسرى اذنًا في كل سنة وقد حان ذلك . فلما خرج أخرج معهُ سيف ابن ذي يزن فادخلهُ على كسرى فقـال : غُلبنا على بلادنا وغلب الاحابيش علينا وانا اقرب اليـك منهم لاني ابيض وانت ابيض وهم سودان . فقال : بلادك بلاد بعيدة ولا ابعث معك جيشًا في غير منفعة ولا أمر اخافه على ملكي . فلما أيأسهُ من النصر أمر لهُ بعشرة آلاف درهم وافٍ . وكساه كُسًى . فلما خرج بها من باب كسرى نثرها بين الصبيان والعبيد . فرأى ذلك اصحاب

(١) وقيصر هذا هو يوستينيانوس او يوستينوس الثاني
(٢) كسرى انوشروان

كسرى فقالوا ذلك لهُ . فارسل اليهِ : لِمَ صنعت بجائزة الملك تنثرها للصبيان والناس . فقال سيف : وما اعطاني الملك . جبال ارضي ذهب وفضة . جئت الى الملك ليمنعني من الظلم ولم آتهِ ليعطيني الدراهم . ولو اردت الدراهم كان ذلك في بلدي كثيرًا . فقال كسرى : أنظر في امرك . فخرج سيف على طمع واقام عندهُ فجعل سيف كلما ركب كسرى عرض لهُ . فجمع لهُ كسرى مرازبته وقال : ما ترون في هذا العربي وقد رأيتهُ رجلًا جلدًا . فقال قائل منهم : ان في السجون قومًا قد سجنهم الملك في موجدة عليهم فلو بعثهم الملك معهُ فان قُتلوا استراح منهم وان ظفروا بما يريد هذا العربي فهو زيادة في ملك الملك . فقال كسرى : هذا الرأي . وأمر بهم كسرى فأحضروا . فوجد ثمانمائة رجل . فولّى امرهم رجلًا معهم يقال لهُ وهرز وكان راميًا شجاعًا مع مكانه في الفرس . وجهَّزهم واعطاهم سلاحًا وحملهم في البحر في ثماني سفن . فغرقت سفينتان وبقي من بقي وهم ستمائة رجل . فأرسوا الى ساحل عدن . فلما ارسوا قال وهرز لسيف : ما عندك فقد جئنا بلادك . فقال : ما شئتَ من رجل عربي وقوس عربي ثم اجعل رجلي مع رجلك حتى نموت جميعًا او نظفر جميعًا . قال وهرز : أنصفت . فاستجلب سيف مَن استطاع من اليمن ثم رجعوا الى مسروق ابن ابرهة وقد سمع بهم مسروق وبتعبيتهم . فجمع اليهِ جنده من الحبشة وسار اليهم والتقى العسكران وجعلت امداد اليمن تثوب الى سيف . وبعث وهرز ابنًا لهُ كان معهُ على جريدة خيل فقال : ناوشوهم القتال حتى ننظر قتالهم . فناوشهم ابنهُ وناوشوه شيئًا من قتال . ثم تورّط ابنـهُ في هلكة لم يستطع التخلص منها . فاشتملوا عليهِ فقتلوه . فازداد وهرز عليهم حنقًا وسيء العرب وفرحت الحبشة فاظهروا الصليب . فوتر وهرز قوسه وكان لا يقدر ان يوترها

عيره . وقال وهرز والناس في صفوفهم : انظروا اين ترون ملكهم . قال سيف : ارى رجلاً قاعدًا على فيل تاجهُ على راسه . بين عينيه ياقوتة حمراء . قال : ذلك ملكهم . قال وهرز : اتركوه . ثم وقف طويلاً . ثم قال : انظروا هل تحوّل . قالوا : قد تحوّل على فرس . قال : هذا منهُ اختلاط . ثم وقف طويلاً وقال : انظروا هل تحوّل . قالوا : قد تحوّل على بغلة . فقال : ابنة الحمار . ذلّ الاسود وذلّ ملكه . ثم قال لاصحابه : قتلتهُ في هذه الرمية تأملوا النشابة . واخذ النشابة وجعل فوقها في الوتر ثم نزع فيها حتى ملأها وكان ايدًا ثم ارسلها . فصكّت الياقوتة التي بين عيني ملكهم مسروق فتغلغلت النشابة في راسه حتى خرجت من قفاه . وحملت عليهم الفرس فانهزمت الحبشة في كل وجه . وجعلت حِمير تقتل مَن ادركوا منهم وتجهز على جريحهم . واقبل وهرز يريد ان يدخل صنعاء وكان موضعهم الذي التقوا فيهِ خارج صنعاء (١) . وكانت صنعاء مدينة لها باب صغير يدخل منهُ . فلما دنا وهرز من باب المدينة رآهُ صغيرًا فقال : لا تدخل رايتي منكسة اهدموا الباب . فهُدم باب صنعاء ودخل ناصبًا رايتهُ وسير بها بين يديه . فقال سيف بن ذي يزن : ذهب ملك حمير آخر الدهر لا يرجع اليهم ابدًا . فملك وهرز اليمن وقهر الحبشة وكتب الى كسرى يخبره : اني قد ملكت للملك اليمن وهي ارض العرب القديمة التي تكون فيها ملوكهم . وبعث بجوهر وعنبر ومال وعود وزباد وهو جلود لها رائحة طيبة . فكتب كسرى يامره ان يملّك سيفًا ويقدم وهرز الى كسرى . فخلّف على اليمن سيفًا . فلما خلا سيف باليمن وملكها عدا على الحبشة فجعل يقتل

(١) وكان اسم صنعاء ازال (وفي نسخة ايال وهو غلط) فلما قدمت الحبشة بنوها واحكموها فقالت صنعته فسُميت صنعاء

رجالها ويبقر نساءهـا عما في بطونها حتى افناها الّا بقايا منها اهل ذلة وقلة فاتخذهم خولاً واتخذ منهم جمازين بحرابهم بين يديه . فمكث كذلك غير كثير . وركب يومًا وتلك الحبشة معهُ ومعهم حرابهم يسعون بها بين يديه حتى اذا كان وسطًا منهم مالوا عليهِ بحرابهم فطعنوهُ بها حتى قتلوه

وكان سيف قد آلى الّا يشرب الخمر حتى يدرك ثارهُ من الحبشة . فجعلت لهُ حلتان واسعتان فاتّزر بواحدة وارتدى الاخرى وجلس على رأس غمدان يشرب وبرّت يمينه . وخرج بعد ذلك يتصيد فقتلتهُ الحبشة . وكان ملك ارياط عشرين سنة . وقال امية بن ابي الصلت الثقفيّ يمدح ابن ذي يزن :

لا يطلب الثأر الّا كابن ذي يزنٍ	في البحر خيّم للاعداء احوالا
أتى هرقلَ وقد شالت نعامتهُ	فلم يجد عندهُ النصر الذي سالا
ثم انتحى نحو كسرى بعد عاشرة	من السنين يهين النفس والمالا
حتى اتى ببني الاحرار (١) يقدمهم	تخالهم فوق متن الارض أجبالا
لله درهم من فتيةٍ صبروا	ما ان رأيت لهم في الناس امثالا
بيضٌ مرازبةٌ غلبٌ اساورةٌ	أسد تربّت في الغيضات اشبالا
فالقط من المسك اذ شالت نعامتهم	وأسبل اليوم في برديك اسبالا
واشرب هنيئًا عليك التاج مرتفقا	في رأس غمدان دارًا منك محلالا
تلك المكارم لا قعبان من لبنٍ	شيبا بماء فعادا بعدُ ابوالا

(١) بنو الاحرار الذي عناهم امية في شعره هم الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذي يزن وهم الى الآن يسمّون بني الاحرار بصنعاء ويسمون باليمن الابناء وبالكوفة الاحامرة وبالبصرة الاساورة وبالجزيرة الخضارمة وبالشام الجراجمة (للاصبهاني)

خبر جَذيمة الابرش (*)

ذكر ابن الكلبي عن ابيهِ والشرقي وغيرهُ من الرواة انَّ جذيمة الابرش (واصله من الازد وكان اوَّل من ملك قضاعة بالحيرة واوَّل من حذا النعال وادلج من الملوك وصنع لهُ الشمع) قال يوماً لجلسائهِ: قد ذُكر لي عن غلام من لخم مقيم في اخواله من اياد له ظرف ولب فلو بعثت اليهِ يكون في ندمائي ووليتهُ كأسي والقيام بمجلسي كان الرأي. فقالوا: الرأي ما رأى الملك فليبعث اليهِ. ففعل. فلما قدم فعل بهِ ما اراد لهُ. فمكث كذلك مدة طويلة. ثم اشرفت عليهِ يوماً رَقَاشِ اخت جذيمة الملك فقالت لهُ: يا عدي اذا سقيت القوم فامزج لهم واسقِ الملك صرفاً. فاذا اخذتَ منهُ الخمر فاخطبني اليهِ فانهُ يزوّجك وأشهِد القوم عليهِ ان هو فعل. ففعل الغلام ذلك فخطبها فزوّجهُ. وانصرف الغلام بالخبر اليها. فقالت: عرّس باهلك ففعل. فلما اصبح غدا مضرجاً بالخلوق. فقال لهُ جذيمة: ما هذه الآثار يا عدي. قال: آثار العرس. قال: ايّ عرس. قال: عرس رقاش. قال: فنخر واكبّ على الارض. ورفع عدي جراميزه. فأسرع جذيمة في طلبه فلم يجده وقيل انه قتله. فنقل جذيمة اختهُ اليهِ وحصنها في قصره فولدت غلاماً

(*) وانما قيل لهُ الابرش والوضاح لبرص كان بهِ. وكان يعظم ان يسمَّى بذلك فجعل مكانهُ الابرش والوضاح. وكان جذيمة الملك شاعراً وهو الذي يقول:

والملك كان لذي برا   ش حولهُ يزري بجابرْ
بالسابغات وبالقنا   والبيض تبرق والمغافرْ
ازمان لا ملك يجيـر   م ولا ذمام لمن يجاورْ
أودى بهم غِيَر الزما   ن فمُنجدٌ منهم وغائرْ

وسمتهُ عمراً وربتهُ. فلما ترعرع حلتهُ وعطرتهُ والبستهُ كسوة مثله ثم أرتهُ خاله. فاعجب بهِ والقيت عليهِ منهُ محبة ومودة. حتى اذا وصب خرج الغلمان يجتنون الكمأة في سنة قد اكمأت وخرج معهم وقد خرج جذيمة فبسط لهُ في روضة. فكان الغلمان اذا اصابوا الكمأة الطيبة اكلوها. واذا اصابها عمرو خبأها. ثم اقبلوا يتعادون وهو معهم يقدمهم ويقول:

هذا جناي وخياره فيهِ   اذ كل جانٍ يدهُ الى فيهِ

فالتزمهُ جذيمة وحباه وقرب من قلبه وحلَّ منهُ بكل مكان. ثم ان الجنّ استطارته. فلم يزل جذيمة يرسل في الآفاق في طلبه فلم يسمع لهُ بخبر فكفّ عنهُ. ثم اقبل رجلان يقال لاحدهما عقيل والآخر مالك ابنا فالج وهما يريدان الملك بهديَّة. فنزلا على ماء ومعهما قينة يقال لها امّ عمرو فنصبت قدراً واصلحت طعاماً. فبينما هما يأكلان اذ اقبل رجل اشعث أغبر قد طالت اظفاره وساءت حاله حتى جلس مزجر الكلب. فمدَّ يدهُ فناولتهُ شيئاً فأكلهُ. ثم مدَّ يده. فقالت: ان يعطَ العبد كراعاً يتسع ذراعاً فارسلتها مثلاً. ثم ناولت صاحبيها من شرابها وأوكأت دنَّها. فقال عمرو بن عديّ:

صددتِ الكأس عنّا امَّ عمرٍو   وكان الكأس مجراها اليمينا
وما شرّ الثلاثة امّ عمرٍو   بصاحبك الذي لا تصحبينا

فقال الرجلان: ومن انتَ. فقال:

ان تنكراني لن تنكرا نسبي   فانّي انا عمرو وعديّ ابي

فقاما اليهِ فلثماه وغسلا رأسهُ وقلّما اظفاره وقصّرا من لمته والبساه من طرائف ثيابهما وقالا: ما كنا لنهدي الى الملك هديَّة انفس عنده ولا هو عليها أحسن صنعاً من ابن اخته فقد ردّه الله عزّ وجلّ اليهِ. فخرجا حتى اذا رفعا الى

باب الملك بشراه بهِ. فصرفه الى امه فالبستهُ ثيابًا من ثياب الملوك وجعلت في عنقه طوقًا كانت تلبسهُ اياه وهو صغير وأَمرتهُ بالدخول على خاله. فلما رآه قال: شبَّ عمرو عن الطوق فارسلها مثلًا. وقال للرجلين اللذين قدما بهِ: احكما فلكما حكمكما. قالا: منادمتك ما بقيت وبقينا. قال: ذلك لكما فهما نديما جذيمة اللذان ذكرهما مُتمّم بن نُوَيْرة وضربت بهما الشعراء المثل. قال ابو خِراش الهُذَليّ:

أَلم تعلمي ان قد تفرّق قبلنا خليلا صفاء مالكٌ وعقيلُ

(قال ابن حبيب في خبره) وكان جذيمة من افضل الملوك رأيًا وأبعدهم مغارًا واشدهم نكاية وهو اوّل من استجمع لهُ الملك بارض العراق. وكانت منازلهُ ما بين الأنبار وبقّة وهيت وعين التمر واطراف البرّ والقُطْقُطانيّة والحيرة. فقصد في جموعه عمرو بن الظرب بن حسّان بن اذينة بن السميدع بن هويز العامليّ من عاملة العماليق. فجمع عمرو جموعهُ ولقيهُ. فقتلهُ جذيمة وفضّ جموعهُ وانفلّوا وملكوا عليهم ابنتهُ الزبّاء. وكانت من احزم الناس. فخافت ان تغزوها ملوك العرب فاتخذت لنفسها نفقًا في حصن كان لها على شاطئ الفرات وسكّنت الفرات في وقت قلّة الماء وبنت ارجاء من الآجرّ والكلس متصلًا بذلك النفق وجعلت نفقًا آخر في البرية متصلًا بمدينة لاختها ثم اجرت الماء عليهِ. فكانت اذا خافت عدوًا دخلت النفق. فلما اجتمع لها امرها واستحكم ملكها أجمعت على غزو جذيمة ثأرة بابيها. فقالت لها اختها وكانت ذات رأي وحزم: انكِ ان غزوتِ جذيمة فانهُ امرؤٌ لهُ ما يصدّه فان ظفرتِ اصبتِ ثأركِ وان ظفر بكِ فلا بقية لكِ. والحرب سجال ولا تدرين كيف تكونين ألكِ ام عليكِ. ولكن ابعثي اليهِ فأعلميهِ انكِ قد رغبت في ان تتزوجيهِ وتجمعي ملككِ الى ملكه وسليهِ ان يجيبك لذلك فانهُ ان اغترّ ففعل ظفرت بهِ بلا مخاطرة. فكتبت الزباء في ذلك

الى جذيمة تقول لهُ انها قد رغبت في صلة بلدها ببلده وانها في ضعف من سلطانها وقلة ضبط لمملكتها وانها لم تجد كفوءًا غيره وتسألهُ الاقبال عليها وجمع ملكها الى ملكه. فلما وصل ذلك اليهِ استخفهُ وطمع فيهِ. فشاور أَصحابه. فكلٌّ صوّب رأيهُ في قصدها واجابتها الّا قَصِير بن سعد بن عمرو بن جذيمة ابن قيس بن هلال بن نمارة بن لخم فقال: هذا رأى فاتر. وغدر حاضر. فان كانت صادقة فلتقبل اليك والّا فلا تمكّنها من نفسك فتقع في حبالها وقد وترتها في أَبيها. فلم يوافق جذيمة ما قال وقال لهُ: أَنت امرؤ ورأيك في الكِنّ لا في الضِحّ. ورحل. فقال لهُ قصير في طريقه: انصرف ودمك في وجهك. فقال جذيمة: ببقّة قضي الامر فارسلها مثلًا. ومضى حتى اذا شارف مدينتها قال لقصير: ما الرأي. قال: ببقة تركت الرأي. قال: فما ظنك بالزباء. قال: القول رداف. والحزم عثراته تخاف

واستقبله رسلها بالهدايا والالطاف فقال: ياقصير كيف ترى. قال: خطر يسير. في خطب كبير. وستلقاك الخيول فان سارت امامك فالمرأَة صادقة. وان أَخذت في جنبيك وأَحاطت بك فالقوم غادرون. فلقيته الخيول فأَحاطت بهِ. فقال لهُ قصير: اركب العصا فانها لا تدرك ولا تسبق (يعني فرسًا لهُ كانت تجنب) قبل ان يحولوا بينك وبين جنودك. فلم يفعل. فجال قصير في ظهرها فمرّت بهِ تعدو في أَوّل أَصحاب جذيمة. ولما أُحيط بجذيمة التفت فرأَى قصيرًا على فرسه العصا في اول القوم فقال: لحازم ما يُجري العصا في اوّل القوم. فذكر ابو عبيدة والاصمعي انها لم تكن تقف حتى جرت ثلاثين ميلًا ثم وقفت هناك فبني على ذلك الموضع برج يسمّى العصا. وأُخذ جذيمة فأُدخل على الزباء. فاستقبلتهُ. ثم قالت لجواريها: خذنَ بعضد سيدكنَّ. ففعلن. ثم

دعت بنطع فاجلسنهُ عليهِ وأمرت برواهشه (١) فقطعت في طست من ذهب يسيل دمهُ فيهِ وقالت لهُ : يا جذيم لا يضيعنَّ من دمك شيء فاني أُريده للخبل (٢) . فقال لها : وما يحزنكِ من دم اضاعهُ اهله . وانما كان بعض الكهان قال لها : ان نقط من دمه شيء في غير الطست ادرك بثأره . فلم يزل دمه يجري في الطست حتى ضعف . فتحرَّك فنقطت من دمه نقطة على اسطوانة رخام ومات . (قال) وجمعت دمه في برنية وجعلته في خزانتها . ومضى قصير الى عمرو بن عبد الجنّ التنوخي فقال لهُ : اطلب بدم ابن عمك والّا سبَّتك بهِ العرب . فلم يحفل بذلك . فخرج قصير الى عمرو بن عدي ابن اخت جذيمة فقال : هل لكَ في ان اصرف الجنود اليك على ان تطلب بثأر خالك . فجعل ذلك لهُ . فأتى القادة والاعلام فقال لهم : انتم القادة والرؤساء وعندنا الاموال والكنوز . فانصرف اليهِ منهم بشر كثير . فالتقى بعمر التنوخي فلمَّا صافوا القتال تابعه التنوخي ومالك ابن عمرو بن عدي . فقال لهُ قصير : انظر ما وعدتني في الزبّاء . فقال : وكيف وهي امنع من عقاب الجوّ . فقال : اما اذ أبيت فاني جادع انفي واذني ومحتال لقتلها فأعنّي وخلاك ذمّ . فقال لهُ عمرو : وأنت أبصر . فجدع قصير انفه . ثم انطلق حتى دخل على الزبّاء . فقالت : مَن

---

(١) الراهشان عرقان في باطن الذراعين . وعليهِ قول عمرو بن عديّ اللخميّ حين قتلت الزبّاء الغسانية ملكة الجزيرة خاله جذيمة الابرش :

وحكمتِ الحديد براهشيه فألفى قولها كذبًا ومينا

او الرواهش عروق ظواهر الكفّ

(٢) قال : والعرب تتحدث ان في دماء الملوك شفاء من الخبل . قال المتلمس :

من الدارميين الذين دماؤهم شفاء من الداء المَجنَّة والخبل

انت . قال : انا قصير . لا وربِّ البشر ما كان على ظهر الارض احد انصح لخدمته مني ولا اغشّ لكِ حتى جدع عمرو بن عدي انفي واذني فعرفت اني لن اكون مع احد أثقل عليهِ منكِ . فقالت : أي قصير نقبل ذلك منك ونصرفك في بضاعتنا . واعطتهُ مالًا للتجارة . فأتى بيت مال الحيرة فأخذ منهُ بأمر عدي ما ظنَّ انهُ يرضيها وانصرف اليها بهِ . فلما رأت ما جاء بهِ فرحت وزادته . ولم يزل حتى أنست بهِ . فقال لها : انهُ ليس من ملك ولا ملكة الّا وقد ينبغي لهُ ان يتخذ نفقًا يهرب اليهِ عند حدوث حادثة يخافها . فقالت : أما اني قد فعلت واتخذت نفقًا تحت سريري هذا يخرج الى نفق تحت سرير اختي . وأرتهُ اياه . فاظهر لها سرورًا بذلك . وخرج في تجارته كما كان يفعل . وعرف عمرو بن عدي ما فعلهُ فركب عمرو في ألفي دارع على الف بعير في الجوالق حتى اذا صاروا اليها تقدم قصير يسبق الابل ودخل على الزبّاء فقال لها : اصعدي في حائط مدينتكِ فانظري الى مالكِ وتقدَّمي الى بوابكِ فلا يعرض لشيء من أعكامنا فاني قد جئت بمال صامت . وقد كانت أمنتهُ فلم تكن تتهمه ولا تخافه . فصعدت كما أمرها . فلما نظرت الى ثقل مشي الجمال قالت (وقيل انهُ مصنوع منسوب اليها) :

ما للجمال مشيها وئيدا أجندلًا يحملنَ أم حديدا

ام صَرَفانًا باردًا شديدا أم الرجال جُثَّمًا قعودا

فلما دخل آخر الجمال نخس البوّاب عكمًا من الاعكام بمنخسة معهُ . فاصابت خاصرة رجل فصرخ . فقال البواب : شرّ والله عكمتم بهِ في الجواليق . فثاروا باهل المدينة ضربًا بالسيف . فانصرفت راجعة فاستقبلها عمرو بن عدي فضربها فقتلها . وقيل : بل مصَّت خاتمها وقالت : بيدي لا بيد عمرو . وخُربت المدينة وسُبيت الذراري وغنم عمرو كل شيء كان لها ولابيها واختها . وقال

الشعراء في ذلك تذكر ما كان من قصير في مشورته على جذيمة وفي جدعة انفه فأكثروا . قال عدي بن زيد :

ألا يا ايها المثري المرجّى   ألم تسمع بخطب الاوّلينا
دعا بالبقة الامراء يوماً   جذيمة ينتحي عصباً ثُبينا
فطاوع امرهم وعصى قصيراً   وكان يقول لو سمع اليقينا

وهي طويلة . وقال المتلمس يذكر جدع قصير انفه :

ومن حذر الايام ما حزَّ انفه   قصير وخاض الموت بالسيف بيهسُ (١)

عزو كسرى إيادًا (*)

حدَّث الشرقي بن القطامي قال : كان سبب غزو كسرى ايادًا ان بلادهم اجدبت فارتحلوا حتى نزلوا بسنداد ونواحيها . فاقاموا بها دهرًا حتى اخصبوا وكثروا . وكانوا يعبدون صنماً يقال لهُ ذو الكعبين وعبدته بكر بن وائل من بعدهم . فانتشروا ما بين سنداد الى كاظمة والي بارق والخورنق واستطالوا على الفرات حتى خالطوا أرض الجزيرة . ولم يزالوا يُغيرون على اهاليهم من ارض السواد ويغزون ملوك آل نَصر حتى أصابوا امرأة من اشراف العجم كانت عروساً قد هُديت الى زوجها . فولي ذلك منها سفهاؤهم واحداثهم . فسار اليهم من كان

(١) ومنهُ المثل . لمكرٍ ما جدع قصير انفه

(*) كسرى هذا هو سابور الثاني الملقب بذي الاكتاف . كان اليهِ الملك عند ولادته وفُوِّض تدبير الأمر الى امه لحداثة سنّه . وكان ذلك داعياً لان تغزو العرب بلاد العجم وتعيث فيها . فلما ان ترعرع سابور وشبّ وقوي على حمل السلاح رغب في الانتقام وغزا العربَ واذاقهم مرّ النكال . وذلك نحو السنة ٣٣٠ للمسيح

يليهم من الاعاجم . فانحازت اياد الى العراق وجعلوا يعبرون ابلهم في القراقير ويقطعون بها الفرات . وجعل راجزهم يقول :

بئس مناخ الحلقات الدهمِ   في ساحة القرقور وسط اليمّ

وعبروا الفرات وتبعهم الاعاجم . فقالت كاهنة من اياد تسجع لهم : ان يقتلوا منكم غلاماً سِلماً . او يأخذوا منكم شيخاً هِمّاً . تخضبوا نحورهم دماً . وترووا منها سيوفاً ظماً . فخرج غلام منهم يقال لهُ ثواب بن مِحْجَن . فلقيتهُ الاعاجم فقتلوه واخذوا الابل . ولقيتهم اياد في آخر النهار فهزمت الاعاجم (قال) وحدثني اهل بعض العلم ان ايادًا بيتت ذلك الجمع حين عبروا شطّ الفرات الغربي . فلم يفلت منهم الّا القليل . وجمعوا بهِ جماجمهم واجسادهم فكانت كالتلّ العظيم وكان الى جانبهم دير فسُمّي دير الجماجم . (١) وبلغ كسرى الخبر فبعث مالك بن حارثة احد بني كعب بن زهير بن جُشَم في آثارهم . ووجّه معهُ اربعة الاف من الاساورة . فكتب اليهم لقيط : (٢)

يا دار عمرة من محتلّها الجرعا   هاجت لي الهمّ والاحزان والوجعا

وفيها يقول :

يا قوم لا تأمنوا ان كنتم غيُرًا   على نسائكمُ كسرى وما جمعا
هو الجلاء الذي تبقى مذلّتهُ   ان طار طائرهم يوماً وان وقعا
هو الفناء الذي يجتثّ اصلهمُ   فمن رأى مثل ذا يوماً ومن سمعا

(١) دير الجماجم بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها على طرف البرّ للسالك الى البصرة

(٢) هو لقيط بن بكر شاعر جاهلي قديم مقلّ ليس يعرف لهُ شعر غير هذه القصيدة وقطع من الشعر متفرّقة

فقلّدوا امركم لله درّكمُ — رحب الذراع بامر الحرب مضطلعا
لا مترفاً ان ترجّي العيش ساعدهُ — ولا اذا حلّ مكروه بـهِ خشعا
لا يطعم النوم الّا ريث يبعثهُ — همّ يكاد حشاه يقطع الضلعا
مسهّر النوم تعنيهِ اموركمُ — يروم منها على الاعداء مطلعا
ما انفك يحلب هذا الدهر اشطرهُ — يكون متبعًا طورًا ومتبعا
فليس يشغلهُ مال يثمّرهُ — عنكم ولا ولد يبغي لهُ الرفعا
حتى استمرّ على شَزرٍ مريرتهِ — مستحكم السنّ لا قحماً ولا ضرعا
كمالكِ بن سنانٍ او كصاحبهِ — زين الفتاحين لاقى الحارثين معا
اذ عابهُ عائب يوماً فقال لهُ — دمّث لجنبك قبل الليل مضطجعا
فشاوروهُ فالفوهُ اخا عللٍ — في الحرب لا عاجزًا نكسيًا ولا روعا
عبل الذراع ابيًا ذا مزابنة — في الحرب يختتل الرئبال والسبعا
مستنجدًا يتحدى الناس كلهمُ — لو صارعوهُ جميعًا في الورى صرعا
هذا كتابي اليكم والنذير لكم — لمن رأى الرأي بالابرام قد نصعا
وقد بذلت لكم نصحي بلا دخل — فاستيقظوا ان خير العلم ما نفعا

وجعل عنوان الكتاب :

كتاب في الصحيفة من لقيطٍ — الى من بالجزيرة من ايادِ
بانّ الليث كسرى قد اتاكم — فلا يحبسكم شوق النفادِ

(قال) وسار مالك بن حارثة التغلبي بالاعاجم حتى لقي اياد وهم غارّون لم يلتفتوا الى قول لقيط وتحزيره اياهم ثقةً بان كسرى لا يقدم عليهم . فلقيهم بالجزيرة في موضع يقال لهُ الاكم . فاقتتلوا قتالًا شديدًا . فظفر بهم وهزمهم وأنقذ ما كانوا اصابوا من الاعاجم يوم الفرات . ولحقت اياد باطراف الشام

ولم تتوسطها خوفًا من غسّان يوم الحارثين ولاجتماع قضاعة وغسّان في بلد خوفًا من ان يصيروا يدًا واحدة عليهم . فاقاموا حتى أمنوا . ثم انهم تطرفوهم الى ان لحقوا بقومهم ببلد الروم بناحية انقرة . ففي ذلك يقول الشاعر :

حلّوا بأنقرةَ يسيل عليهمِ — ماء الفرات يجيءُ من اطوادِ

مقتل كليب وحرب البسوس

كان السبب في قتل كليب بن ربيعة فيما ذكره ابو عبيدة عن مقاتل الاحول بن سنان . ونسخت بعضهُ من رواية الكلبي . واخبرنا بـهِ محمد بن العباس اليزيدي عن عمـهِ عبيد الله عن ابن حبيب عن ابن الاعرابي عن المفضل . جمعت من رواياتهم ما احتيج الى ذكره مختصر اللفظ كامل المعنى

انّ كليبًا كان قد عزّ وساد في ربيعة فبغى بغيًا شديدًا . وكان هو الذي يُنزلهم منازلهم ويُرحلهم ولا ينزلون ولا يرحلون الّا بامره . فبلغ من عزّه وبغيه انهُ اتّخذ جرو كلبٍ فكان اذا نزل منزلاً بهِ كلأٌ قذف ذلك الجرو فيه فيعوي فلا يرعى احد ذلك الكلأ الّا باذنه . وكان يفعل هذا بحياض الماء فلا يرِدُها احد الّا باذنه او من أذن بجرب . فضُرب بهِ المثل في العزّة فقيل : أعزّ من كليب وائل . وكان يحمي الصيد ويقول : صيدُ ناحيـة كذا وكذا في جواري . فلا يصيد أحد منهُ شيئًا . وكان لا يمرّ بين يديه احد اذا جلس ولا يحتبي احد في مجلسه غيره . وكان لِمرّة بن ذُهل بن شَيْبان بن ثعلبة عشرة

بنين جسَّاس اصغرهم. وكانت اختهم امرأة كليب (١) . وخالة جساس البسوس (٢) وهي التي يقال لها اشأم من البسوس. فجاءت فنزلت على ابن اختها جساس فكانت جارة لبني مرَّة ومعها ابن لها ومعها ناقة خوَّارة (٣) من نعم بني سعد ومعها فصيل . فبينا اخت جساس تغسل رأس كليب زوجها وتسرّحه ذات يوم اذ قال : من اعزّ وائل . فصمتت . فاعاد عليها . فلما اكثر عليها قالت : اخوايَ جساس وهمَّام . فنزع رأسهُ من يدها وأخذ القوس فرمى فصيل ناقة البسوس خالة جساس وجارة بني مرَّة فقتله . فأغمضوا على ما فيهِ وسكتوا على ذلك . ثم لقي كليب ابن البسوس فقال : ما فعل فصيل ناقتكم . قال : قتلته واخليت لنا لبن امّه . فاغمضوا على هذه ايضًا . ثم انَّ كليبًا أعاد على امرأتهِ فقال : من اعزّ وائل . فقالت : اخوايَ . فأضمرها وأسرّها في نفسه وسكت حتى مرّت بهِ ابل جسَّاس فرأى الناقة فأنكرها فقال: ما هذه الناقة . قالوا : لخالة جساس . فقال : او قد بلغ من امر ابن السعدية ان يُجير عليَّ بغير اذني . ارمِ ضرعها يا غلام . (قال فراس) فاخذ القوس فرمى ضرع الناقة فاختلط دمها بلبنها . وراحت الرعاة على جساس فاخبروهُ بالامر . فقال . احلبوا لها مكيالَي لبن بمحلبها ولا تذكروا لها من هذا شيئًا . ثم اغمضوا عليها ايضًا . (قال مقاتل) حتى اصابتهم سماء فغدا في غبّها يتمطر . وركب جساس بن مرّة وابن عمّه عمرو بن الحرث بن ذهل (٤) . فمرّت بكر بن وائل على نِهيٍ يقال

(١) واسمها جليلة

(٢) وقال ابو برزة : البسوسة

(٣) واسم الناقة سراب وفيها يُضرب المثل في الشؤم فيُقال : اشأم من سراب

(٤) وقال ابو برزة بل عمرو بن ابي ربيعة

لهُ شُبَيث . فنفاهم كليب عنهُ وقال : لا يذوقون منهُ قطرة . ثم مرّوا على نِهيٍ آخر يقال لهُ الأَحَصّ . فنفاهم عنهُ وقال : لا يذوقون منهُ قطرة . ثم مروا على بطن الجريب . فمنعهم اياه . فمضوا حتى نزلوا الذنائب . واتبعهم كليب وحيُّه حتى نزلوا عليهِ . ثم مرّ عليهِ جسَّاس وهو واقف على غدير الذنائب فقال : طردت اهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشًا . فقال كليب : ما منعناهم من ماء الَّا ونحن لهُ شاغلون . فمضى جساس ومعهُ ابن عمه المزدلف (وقال بعضهم) بل جساس ناداه فقال : هذا كفعلك بناقة خالتي . فقال لهُ : أَوقد ذكرتها . أما اني لو وجدتها في غير ابل مُرَّة لاستحللتُ تلك الابل بها . فعطف عليه جساس فرسهُ فطعنهُ برمح فأَنفذ حضنيه . فلما تداءمهُ الموت قال : يا جساس اسقني من الماء . قال : ما عقلت استسقاءك الماءَ منذ ولدتك امّك الَّا ساعتك هذه (١) . (قال ابو برزة) فعطف عليهِ المزدلف بن عمرو

(١) ويروى ان جساسًا قال لكليب : تجاوزت شُبَيثًا والاحصّ . وفي ذلك يقول عمرو بن الاهتم :

وان كليبًا كان يظلم قومهُ ... فادركهُ مثل الذي تريانِ
فلمّا حشاه الرمح كفُّ ابن عمهِ ... تذكر ظلم الاهل ايّ اوانِ
وقال لجساس اغثني بشربة ... والَّا فخبّر من رأيت مكاني
فقال تجاوزت الاحصّ وماءهُ ... وبطن شبيث وهو غير زؤانِ

وقال النابغة الجعدي يخاطب عقالَ بن خُوَيلد وقد اجار بني وائل ابنُ مَعن وكانوا قتلوا رجلًا من بني جعدة فحذَّرهم مثل حرب البسوس وحرب داحس والغبراء :

فابلغ عقالًا ان غاية داحس ... بكفَّيك فاستأخر لها او تقدمِ
تجيرُ علينا وائلًا بدمائنا ... كانك عمًّا ناب اشياعنا عمِ
كليب لعمري كان اكثر ناصرًا ... وايسر جرمًا منك ضرّج بالدمِ
رمى ضرع ناب فاستمرَّ بطعنة ... كحاشية البرد اليماني المسهَّمِ

*

ابن ابي ربيعة فاحتزَّ رأسهُ (١) (قال ابو برزة) فلما قتلهُ أمال يده بالفرس حتى انتهى الى اهلهِ (قال). وتقول اختهُ حين رأتهُ لابيها: ان ذا الجساس أتى خارجًا ركبتاه. قال: والله ما خرجت ركبتاه الا لأمرٍ عظيم (قال). فلما جاء قال: ما وراءك يابنيَّ. قال: ورائي اني قد طعنت طعنة لتشغلنَّ بها شيوخ وائل زمنًا. قال: أقتلت كليبًا. قال: نعم. قال: وددتُ أنك واخوتك كنتم متُّم قبل هذا ما بي الّا أن تتشاءَم بي ابناء وائل. (وزعم مقاتل) ان جساسًا قال لاخيهِ نضلة بن مرّة وكان يقال لهُ عضد الحمار:

واني قد جنيتُ عليك حربًا ... تغصُّ الشيخ بالماء القراحِ
مذكرة متى ما يصحُ عنها ... فتًى نشبت بآخر غير صاحِ
تنكل عن ذئاب الغيّ قومًا ... وتدعو آخرين الى الصلاحِ

فاجابهُ نضلة:

فان تك قد جنيت عليَّ حربًا ... فلا وانٍ ولا رثّ السلاحِ

(وزعم مقاتل) ان همامًا كان آخى مهلهلًا (٢) وكان عاقده ان لا يكتمهُ

وقال لجساس اغثني بشربة ... تفضَّل بها طولًا عليَّ وانعمِ
فقال تجاوزت الاحصّ وماءَهُ ... وبطن شُبَيث وهو ذو مترشمِ

(١) وأمّا مقاتل زعم أنَّ عمرو بن الحرث بن ذهل الذي طعنهُ فقصم صلبهُ وفيهِ يقول المهلهل:

قتيلٌ ما قتيل المرء عمرو ... وجساس بن مرة ذو ضرير

(قال) ومقتل كليب بالذنائب عن يسار فلجة مصعد الى مكة وقبرهُ بالذنائب وفيهِ يقول المهلهل: ولو نبش المقابر عن كليب ... فتخبر بالذنائب ايّ زيرِ

(٢) اسم المهلهل عديّ بن ربيعة. وانمّا قيل لهُ المهلهل لانهُ اوّل من هلهل الشعر اي ارقّهُ



شيئًا. فكانا جالسين فمرّ جساس يركض بهِ فرسهُ مخرجًا فخذيهِ. فقال همام: ان لهُ لامرًا والله ما رايتهُ كاشفًا فخذيهِ قط في ركض. فلم يلبث الّا قليلًا حتى جاءته الخادم فسارّتهُ ان جساسًا قتل كليبًا. فقال لهُ مهلهل: ما اخبرتك. فقال: أخبرتني ان اخي قتل اخاك. قال: هو اقصر يدًا من ذلك. وتحمّل القوم وغدا مهلهل بالخيل

حرب البسوس

قال المفضل في خبره: فلما قتل كليب قالت بنو تغلب بعضهم لبعض لا تعجلوا على اخوتكم حتى تعذروا بينكم وبينهم. فانطلق رهط من اشرافهم وذوي اسنانهم حتى اتوا مرّة بن ذُهل فعظموا ما بينهم وبينهُ وقالوا لهُ: اختر منّا خصالًا اما ان تدفع الينا جسّاسًا ونقتلهُ بصاحبنا فلم نظلم من قتل قاتله. واما أن تدفع الينا همامًا. واما ان تقيدنا من نفسك. فسكت وقد حضرتهُ وجوه بني بكر بن وائل فقالوا: تكلم غير مخذول. فقال: اما جساس فغلام حديث السن ركب راسهُ فهرب حين خاف فلا علم لي بهِ. واما همام فابو عشرة واخو عشرة ولو دفعتهُ اليكم لصيَّح بنوه في وجهي وقالوا: دفعت ابانا للقتل بجريرة غيره. واما انا فلا اتعجل الموت وهل تزيد الخيل على ان تجول جولة فأكون اوّل قتيل. ولكن هل لكم في غير ذلك. هؤلاء بنيَّ فدونكم احدهم فاقتلوه بهِ. وان شئتم فلكم الف ناقة تضمنها لكم بكر بن وائل. فغضبوا وقالوا: انا لم نأتك لتؤدّي لنا بنيك ولا لتسومنا اللبن. فتفرّقوا ووقعت الحرب. وتكلم في ذلك عند الحرث بن عباد. فقال: لا ناقة لي في هذا ولا جمل وهو أوّل من قالها وارسلها مثلًا

(قالوا جميعًا) كانت حربهم أربعين سنة فيهنّ خمس وقعات مزاحفات . وكانت تكون بينهم مغاورات . وكان الرجل يلقى الرجل والرجلان الرجلين ونحو هذا وكان أوّل تلك الايام يوم عُنَيْزة وهي عند فلجة . فتكافأوا لا لبكرٍ ولا لتغلب . وتصديق ذلك قول مهلهل :

كأنا غدوة وبني أبينا   بجنب عنيزة رحيا مديرِ
ولولا الريح أُسمع من بحجر   صليل البيض تقرع بالذكورِ

فتفرّقوا . ثم غبروا زمـانًا . ثم التقوا يوم واردات . وكان لتغلب على بكر وقتلوا بكرًا أشدّ القتل وقتلوا بُجيرًا وذلك قول مهلهل :

فـاني قد تركت بواردات   بجيرًا في دم مثل العبيرِ
هتكت بهِ بيوت بني عباد   وبعض الغشم أشفى للصدورِ

(قال مقاتل) انهُ انما التقط توًّا (١) وسيجيء حديثهُ اسفل من هذا . (قال أبو برزة) ثم انصرفوا بعد يوم واردات غير بني ثعلبة بن عكـابة ورأّسوا على انفسهم الحرث بن عُباد . فاتبعتهم بنو ثعلبة بن عكابة حتى التقوا بالحنو فظهرت بنو ثعلبة على تغلب . (قال مقـاتل) ثم التقوا يوم بطن السرو وهو يوم القصيبات (٢) لبني تغلب على بكر حتى ظنت بكر ان سيُقتلوا معًا . (قال مقاتل) وقتلوا يومئذٍ همَّام بن مرّة . ثم التقوا يوم قِضَّة وهو يوم التحالق . ويوم الثنيَّة ويوم قضة ويوم الفصيل لبكر على تغلب

وكان من حديث مقتل همام انهُ وجد غلامًا مطروحًا فالتقطـهُ وربّاه وسماه ناشرة . فكان عنده لقيطًا . فلما شبَّ تبيَّن أنهُ من بني تغلب . فلما التقوا

(١) حديثهُ « التوّ » الفرد . يقال : وجدتهُ توًّا اي وحدهُ
(٢) وربمآ قيل يوم القصيبة وهي القصبات

يوم القصبات جعل همام يقـاتل فاذا عطش رجع الى قربة فشرب منها ثم وضع سلاحهُ . فوجد ناشرة من همام غفلة فشدّ عليهِ بالعنزة فأقصده فقتـلهُ ولحق بقومهِ تغلب . فقال باكي همام :

لقد عيل الاقوام طعنة ناشره   أناشرَ لا زالت يمينك آشره

ثم قتل ناشرة رجل من بني يشكر

(وقال فراس) كان رئيس بكر بعد همام الحرث بن عباد . (قال مقاتل) وكان الحرث بن عبـاد قد اعتزل يوم قتل كليب وخذل بكرًا عن تغلب واستعظم قتل كليب لسودده في ناقة . فقال سعد بن مالك يحضض الحرث ابن عباد :

يـا بؤس للحرب التي   وضعت أراهط فاستراحوا
والحرب لا يبقى لجـا   حمها التخيـل والمراحُ
الّا الفتى الصبار في النجـدات   والفرس الوقـاحُ

فلما أُخذ بجير بن الحرث بن عباد توًّا بواردات (وانما سلّ ولم يؤخذ في مزاحفة) قال لهُ مهلهل : من خالك يا غلام وبوّأ نحوه الرمح . فقـال لهُ امرؤُ القيس بن ابان التغلبي وكان على مقدمتهم في حروبهم : مهلًا يا مهلهل فان اهل بيتهِ قد اعتزلوا حربنا ولم يدخلوا في شيءٍ مما نكره . والله لئن قتلتهُ ليقتلنَّ بهِ رجل لا يسأل عن نسبه . فلم يلتفت مهلهل الى قولهِ وشدَّ عليه فقتلهُ وقال : بؤ بشسع نعل كليب (١) . فقال الغلام : ان رضيتْ بهذا بنو تغلب فقد رضيتهُ . فلما بلغ الحرث قتلُ بجير ابنه قال : نعمَ الغلام غلام اصلح بين ابنَي وائل وباء

(١) وقال مهلهل : كل قتيل في كليب حلامْ   حتى ينال القتل آل همام
وقال ايضًا : كل قتيل في كليب غرّه   حتى ينال القتل آل مرّه

بكلب . فلما سمعوا قول الحرث قالوا لهُ : ان مهلهلًا لما قتلهُ قال لهُ : بؤ بشسع كليب . فغضب الحرث عند ذلك فنادى بالرحيل . (قال مقاتل) وقال الحرث ابن عُباد :

قرِّبا مربط النعامة (١) مني ... لَقِحت حرب وائل عن حيالِ
لا بجير أغنى قتيلًا ولا رهط م ... كليب تزاجروا عن ضلالِ
لم اكن من جناتها علم الله م ... واني بحرّها اليوم صالِ

(قال مقاتل) فكان حكم بكر بن وائل يوم قضة الحرث بن عباد وكان الرئيس الفند وكان فارسهم جحدر وكان شاعرهم سعد بن مالك بن ضُبَيْعَة وكان الذي سدّ الثنية عوف بن مالك بن ضبيعة وكان عوف أنبه من أخيهِ سعد

(قال أَبو برزة) اتبعت تغلب بكرًا فقطعوا رملات خزازى والرغام ثم مالوا لبطن الحمارة . فوردت بكر قضَّة فسقت واسقت ثم صدرت وحلّأُوا تغلب ونهضوا في نجعة يقال لها مويبة لا يجوز فيها الّا بعير بعير . فلحق رجل من الاوس بن تغلب بغليم من بني تيم اللات بن ثعلبة يطرد ذودًا لهُ فطعن في بطنه بالرمح ثم رفعهُ فقال : تحدبي امّ البوّ على بوّك . فرآه عوف بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة فقال : أَنفذوا جمل أَسماء ابنته فانهُ أَمضى جمالكم وأَجودها منفذًا فاذا نفذ تبعته النعم . فوثب الجمل في المويبة حتى اذا نهض على يديهِ وارتفعت رجلاه ضرب عرقوبيهِ وقطع بطان الظعينة فوقع فسدّ الثنية . ثم قال عوف : أَنا البُرَك أَبرك حيث ادرك . فسُمي البرك . ووقع الناس الى الارض لا يرون مجازًا وتحالقوا لتعرفهم النساء . فقال جحدر بن ضبيعة بن

(١) فرس الحرث

قيس ابو المسامعة واسمهُ ربيعة (١) : لا تحلقوا رأسي فاني رجل قصير لا تشينوني ولكني اشتريهِ منكم بأَوّل فارس يطلع عليكم من القوم . فطلع ابن عناق فشدّ عليهِ فقتلهُ . فقال رجل من بكر بن وائل يمدح مسمع بن مالك بذلك :

يا ابن الذي لما حلقنا اللمما ... ابتاع منا رأسهُ تكرّما
بفارس اوّل من تقدما

وقال البكري :

ومنا الذي فادى من القوم راسهُ ... بمستلئم من جمعهم غير اعزلا
فأَدّى الينا بَزّه وسلاحهُ ... ومنفصلًا من عنقهِ قد تزيلا

(قال) وكان جحدر يرتجز يومئذٍ ويقول :

ردّوا عليّ الخيل ان أَلّمت ... ان لم اقاتلهم فجزوا لمتي

وقال البكري :

ومنا الذي سدّ الثنية غدوة ... على حلفة لم يبق فيها تحللا
بجهد يمين الله لا يطلعونها ... ولما تقاتل جمعهم حين اسهلا

فاسر الحرث بن عباد عديًا وهو مهلهل بعد انهزام الناس وهو لا يعرفهُ فقال لهُ : دلّني على المهلهل . قال : ولي دمي . قال : ولك دمك . قال : ولي ذمّتك وذمة ابيك (٢) . قال : نعم ذلك لك . قال : فانا مهلهل . قال : دلّني

(١) (قال) وانما سمي جحدرًا لقصرهِ

(٢) وزعم حجر انّ مهلهلًا قال : لا والله او يعهد لي غيرك . قال الحرث : اختر من شئت . قال : اختار الشيخ القاعد عوف بن محلم . قال الحرث : ياعوف اجره . قال : لا حتّى يقعد خلفي . فامرهُ فقعد خلفهُ فقال : انا المهلهل . واما مقاتل فقال : انما اخذهُ في دور الرحى وحومة القتال ولم يقعد احد بعد فكيف يقول «الشيخ القاعد»

على كفوءٍ لبجيرٍ . قال : لا اعلمه الّا امرؤ القيس بن أبان هذاك علمه . فجزّ ناصيتهُ وقصد قصد امرىء القيس فشدّ عليهِ فقتلهُ . فقال الحرث في ذلك :

لهف نفسي على عديّ ولم اعرف م عديًّا اذ امكنتني اليدانِ
طلّ من طلّ في الحروب ولم أوتر م بجيرًا أبأتهُ ابن أبانِ
فارس يضرب الكتيبة بالسيف م وتسمو أمامهُ العينانِ

(قال مقاتل) وشدّ عليهم جحدر فاعتوره عمرو وعامر التغلبيّان . فطعن عمرًا بعالية الرمح وطعن عامرًا بسافلته فقتلهما عداء وجاء ببزهما . (قال) وقتل جحدر أيضًا أبا مكنف . (قال مقاتل) فلما رجع مهلهل بعد الوقعة والاسر الى أهلهِ جعل النساء والولدان يستخبرونهُ تسأل المرأة عن زوجها وابيها واخيها والغلام عن أبيهِ واخيهِ . فقال :

ليس مثلي يخبّر الناس عن آ   بائهم قُتلوا وينسى القتالا
لم أرُمْ عرصة الكتيبة حتى   أنعلَ الورد من دماءٍ نعالا
عرفتهُ رماح بكر فما يأ م   خذنَ الا لباته والقذالا
غلبونا ولا محالة يومًا   يقلب الدهر ذاك حالًا فحالا

ثم خرج حتى لحق بأرض اليمن فكان في جنب . فخطب اليهِ أحدهم بنته . فأبى أن يفعل . فاكرهوه فانكحها اياه . فقال في ذلك مهلهل :

انكحها فقدها الاراقم في   جنب وكان الخباء من ادمِ
لو بأبانين جاء يخطبها   ضرّج ما انف خاطبٍ بدمِ
أصبحتُ لا منفسًا اصبت ولا   أبت كريمًا حرًّا من الندمِ
هان على تغلبٍ بما لقيتْ   اخت بني المالكين من حشمِ
ليسوا باكفائنا الكرام ولا   يغنون من عيلةٍ ولا عدمِ

ثم ان مهلهلًا انحدر فاخذه عمرو بن مالك بن ضُبيعة . فطلب اليهِ اخوالهُ بنو يشكر (وامّ مهلهل المرادة بنت ثعلبة بن جشم بن عبد اليشكرية واختها امية بنت ثعلبة حيّ من وائل وكان المجلل بن ثعلبة خالهما) فطلب الى عمرو ان يدفعهُ اليهِ فيكون عنده . ففعل . فسقاه خمرًا فلما طابت نفسهُ تغنى : « طفلة ما ابنة المجلل بيضاء » حتى فرغ من القصيدة . فأدّى ذلك مَن سمعه من المهلهل الى عمرو . فحوّلهُ اليهِ واقسم ان لا يذوق عنده خمرًا ولا ماءً ولا لبنًا حتى يرد ربيب الهضاب (جمل لهُ كان اقلّ وروده في الصيف لخمس) . فقالوا لهُ يا خير الفتيان أرسل الى ربيب فلتؤتَ بهِ قبل وروده . ففعل فأوجره ذنوبًا من ماء . فلما تحلل من يمينه سقاه من ماء الحاضرة وهو اوبأ ماء رأيتهُ فمات . (قال مقاتل) ولم يقاتل معنا من بني يشكر ولا من بني لجيم ولا ذهل بن ثعلبة غير ناس من بني يشكر وذهل قاتلت بآخرة . ثم جاءَ ناس من لجيم يوم قضة مع الفند . وفي ذلك يقول سعد بن مالك :

ان لجيمًا قد ابت كلها   ان يرفدونا رجلًا واحدا
ويشكر أضحت على نأيها   لم تسمع الآن لها حامدا
ولا بنو ذهل وقد اصبحوا   بها حلولًا خلقًا ماجدا
القائدي الخيل لارض العدا   والضاربين الكوكب الوافدا

وقال البكريّ :

وصدّت لجيم للبراءة اذ رأت   أهاضيب موت تمطر الموت معضلا
ويشكر قد مالت قديمًا وارتعت   ومنت بقرباها اليهم لتوصلا

قال مهلهل يصف هذه الايام :

أليلتنا بذي حسم أنيري   اذا أنت انقضيت فلا تحوري

فان يكُ بالذنائب طال ليلي　　فقد ابكي من الليل القصيرِ
فلو نبش المقابر عن كليب　　فيعلم بالذنائب ايَّ زيرِ
بيوم الشعثمين اقرّ عينًا　　وكيف لقاء من تحت القبورِ
واني قد تركت بواردات　　بجيرًا في دم مثل العبيرِ
هتكت بهِ بيوت بني عباد　　وبعض الغشم اشفى للصدورِ
على ان ليس يوفى من كليب　　اذا برزت مخبَّأة الخدورِ
وهمام بن مرّة قد تركنا　　عليهِ القشعمان من النسورِ
ينوء بصدره والرمح فيهِ　　ويخلجهُ خدبٌ كالبعيرِ
فلولا الريح اسمع من بحجر　　صليل البيض تقرع بالذكورِ
فدى لبني شقيقة يوم جاؤوا　　كأسد الغاب لجت في الزئيرِ
كأنّ رماحهم أشطان بئرٍ　　بعيد بين جاليها جرورِ
غداة كأننا وبني أبينا　　بجنب عنيزة رحيا مديرِ
تظل الخيل عاكفة عليهم　　كأنّ الخيل ترحض في غديرِ

القتلى في حرب البسوس

قال عامر بن عبد الملك : لم يكن بينهم من قتلى تُعدُّ ولا تُذكر الّا ثمانية نفر من تغلب واربعة من بكر عدّدهم مهلهل في شعرهِ . والدليل على انّ القتلى كانوا قليلًا انّ آباء القبائل هم الذين شهدوا تلك الحروب فعدُّوهم وعدُّوا بنيهم وبني بنيهم فان كانوا خمسمائة فقد صدقوا . فكم عسى ان يبلغ عدد القتلى والقبائل . فقال مسمع : ان أخي مجنون وكيف يحتج بشعر المهلهل

وقد قتل جحدر أبا مكنف يوم قضة فلم يذكر في شعرهِ . وقتل اليشكري ناشرة فلم يذكرهُ في الشعر . وقُتل حبيب يوم واردات . وقتل سعد بن مالك يوم قضة ابن القبيحة فلم يذكر . فهؤلاء اربعة . وقال البكري :

تركنا حبيبًا يوم أرجف جمعه　　صريعًا بأعلى واردات مجدّلا

وقال مهلهل ايضًا :

لست ارجو لذّة العيش ما　　أزمت أجلاد قدّ بساقي
جللوني جلد حرف فقد　　جعلوا نفسي عند التراقي

وقال آخر يوم واردات :

ومهراق الدماء بواردات　　تبيد المخزيات وما تبيدُ

فقلت لعامر : ما بال مسمع وما احتجّ بهِ من هؤلاء الاربعة . فقال عامر : وما اربعة ان كنت لأعقلهم فيما يقولون انهم قتلوا يوم كذا وكذا ثلاثة آلاف ويوم كذا وكذا أربعة آلاف . والله ما اظنّ جميع القوم كانوا يومئذٍ ألفًا . فهاتوا فعدّوا اسماء القبائل وابنائهم وأنزلوا معهم أبناء ابنائهم فكم عسى ان يكونوا

مقتل جساس

حدّث ابو عبيدة أنّ آخر من قُتل في حرب بكر وتغلب جساس بن مرّة بن ذهل بن شيبان وهو قاتل كليب بن ربيعة وكانت اختهُ امرأة كليب . فقتلهُ جساس وهي حامل فرجعت الى اهلها ووقعت الحرب فكان من الفريقين ما كان . ثم صاروا الى الموادعة بعد ما كادت القبيلتان تتفانيان . فولدت اخت جساس غلامًا سمّتهُ الهجرس رباه جساس فكان لا يعرف أبًا غيره .

فزوجهُ ابنتــه فوقع بين الهجرس وبين رجل من بني بكر بن وائل كلام. فقال لهُ البكري : ما انت بمنتهٍ حتى نلحقك بأبيك. فأمسك عنهُ ودخل الى امه كئيباً. فسألتــهُ عمّا بهِ . فأخبرها الخبر . فلما اوى الى فراشه ونام تنفَّس تنفُّسةً أحسَّت منهــا امرأتهُ لهيب نارٍ فقامت فزعة قد أقلتها رعدة حتى دخلت على ابيها فقصت عليهِ قصة الهجرس . فقــال جساس : ثائر وربّ الكعبة . وبات جساس على مــثل الرضف حتى اصبح فأرسل الى الهجرس فأتاه . فقال لهُ: انما أنت ولدي ومني بالمكان الذي قد علمت وقد زوّجتك ابنتي وانت معي وقد كانت الحرب في أبيك زمــانًا طويلًا حتى كدنا نتفانى وقد اصطلحنــا وتحاجزنا وقد رايت ان تدخل فيما دخل فيهِ الناس من الصلح وان تنطلق حتى نأخذ عليك مثل ما أُخذ علينا وعلى قومنا. فقال الهجرس. انا فاعل ولكن مثــلي لا يأتي قومه الّا بلأمته وفرسه . فحملهُ جســاس على فرس وأعطاه لأمة ودرعًا . فخرجا حتى أتيا جماعة من قومهما فقصَّ عليهم جساس ما كانوا فيهِ من البلاء وما صاروا اليهِ من العافية ثم قال: وهذا الفتى ابن اختي قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيهِ ويعقد فيما عقدتم . فلما قرّبوا الدم وقاموا الى العقد اخذ الهجرس بوسط رمحه ثم قال: وفرسي واذنيهِ ورمحي ونصليهِ وسيفي وغراريهِ لا يترك الرجل قاتل أبيهِ وهو ينظر اليهِ. ثم طعن جساساً فقتلهُ ثم لحق بقومهِ. فكان آخر قتيل في بكر بن وائل

يوم أوارة (*)

كان من حديث يوم اوارة ان عمرو بن المنــذر بن ماء السماء (١) كان عاقد هذا الحي من طيء على ان لا ينازعوا ولا يفاخروا ولا يغزوا . وانّ عمرو بن هند غزا اليمامة فرجع مُنفِضًا فمرّ بطيءٍ. فقال لهُ زُرارَة بن عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارم الحنظلي: أبيت اللعن أصبْ من هذا الحي شيئاً . قال لهُ : ويلك ان لهم عقدًا. قال: وان كان. فلم يزل بهِ حتى أصاب نسوة واذوادًا. فقال في ذلك الطائي وهو قيس بن جروة أحد الاحيّين (٢) . قال:

ألا حيّ قبل البين من انت عاشقه	ومن انت مشتاق اليهِ وشائقهْ
ومن لا تواتي داره غير قينــة	ومن أنت تبكي كل يوم تفارقهْ
وتعدو بصحراء الثوية نــاقتي	كعدو النحوص قد امخّت نواهقهْ
الى الملك الخير ابن هند تزوره	وليس من الفوت الذي هو سابقهْ
وأنّ نساءهنّ ما قال قــائل	غنيّة سوء بينهنّ مهــارقهْ
ولو نيل في عهد لنا لحم ارنب	رددنا وهذا العهد انت معالقهْ
فهبك ابن هندٍ لم تعقْك أمانة	وما المرء الا عقده ومواثقــهْ
وكنا اناساً خافضين بنعمة	يسيل بنا تلع الملا وأبارقــهْ
فأقسمت لا احتلّ الّا بصهوة	حرام عليَّ رمله وشقــائقهْ
وأقسم جهدًا بالمنازل من منًى	وما خبّ في بطحائهنّ درادقهْ

(*) اوارة اسم ماء او جبل لبني تميم بناحية البحرين

(١) وهو عمرو بن هند يُعرف باسم امهِ هند بنت الحرث الملك المنصور بن حجر آكل المرار الكندي وهو الذي يقال لهُ مُضرط الحجارة (٢) ويروى الاحيّين

لئن لم تغيّر بعض ما قد فعلتمُ   لانتحينَّ العظم ذو أنت عارقهْ

فسُمي عارقًا بهذا البيت . فبلغ هذا الشعر عمرو بن هند . فقال لهُ زرارة ابن عدس : أبيت اللعن انهُ يستوعدك . فقال عمرو بن هند لترملة بن شعاث الطائي وهو ابن عم عارق : أيهجوني ابن عمك ويتوعّدني . قال : والله ما هجاك ولكنهُ قد قال :

والله لو كان ابن جفنة جاركم   ما ان كساكم غصَّة وهوانا
وسلاسلًا يبرقنَ في أعناقكم   واذًا لقطَّع تلكمُ الاقرانا
ولكان غارتهُ على جيرانه   ذهبًا وريطًا رادعًا (١) وجفانا

وانما أراد ترملة أن يذهب سخيمته . فقال : والله لاقتلنَّهُ . فبلغ ذلك عارقًا فأنشأ يقول :

من مبلغ عمرو بن هندٍ رسالةً   اذا استحقبتها العيس تَنضى على البعدِ
أيوعدني والرمل بيني وبينهُ   تبين رويدًا ما امامة من هندِ
ومما اجادوني رعان كانها   قبائل خيل من كميت ومن وردِ
غدرت بامرٍ أنت كنت احتذيتنا   عليهِ وشرُّ الشيمة الغدرُ بالعهدِ
فقد يترك الغدرَ الفتى وطعامهُ   اذا هو أمسى حلبة من دم الفصدِ

فبلغ عمرو بن هند شعره هذا فغزا طيئًا فأسر اسرى من طيءٍ بن أخزم وهم رهط حاتم بن عبد الله فيهم رجل من الاحيين يقال لهُ قيس بن جحدر وهو جد الطرمّاح بن حكيم وهو ابن خالة حاتم . فوفد حاتم فيهم الى عمرو بن هند وكذلك كان يصنع فَسأَله اياهم فوهبهم لهُ الَّا قيس بن جحدر لانهُ كان من الاحيين من رهط عارق . فقال حاتم :

(١) (قالوا) الرادع المصبوغ بالزعفران

فككت عديا كلها من اسارها   فأنعمْ وشفّعني بقيس بن جحدرِ
أبوه أبي والامهات امهاتنا   فأنعم فدتك اليوم نفسي ومعشري

فأطلقهُ (قال) وبلغنا ان المنذر بن ماء السماء وضع ابنًا لهُ صغيرًا ويقال بل كان أخًا لهُ صغيرًا يُقال لهُ مالك عند زرارة . وانهُ خرج ذات يوم يتصيَّد فأخفق ولم يُصب شيئًا . فرجع فمرَّ بإبل لرجل من بني عبد الله بن دارم يُقال لهُ سويد بن ربيعة بن زيد بن عبدالله بن دارم . وكانت عند سويد ابنة زرارة بن عدس فولدت لهُ سبعة غلمة . فأمر مالك بن المنذر بناقة سمينة منها فنحرها ثم اشتوى وسويد نائم . فلما انتبه شدّ على مالك بعصًا فضربهُ بها فأمّه ومات الغلام . وخرج سويد هاربًا حتى لحق بمكة . وعلم انهُ لا يأمن فحالف بني نوفل بن عبد مناة واختط بمكة (١) . وكانت طيءٌ تطلب عثرات زرارة وبني أبيهِ حتى بلغهم ما صنعوا باخي الملك فأنشأ عمرو بن ثعلبة بن ملقط الطائي يقول :

من مبلغ عمرًا بان المرء   م لم يخلق صبارهْ
وحوادث الايام لا   تبقى لها الَّا الحجارهْ
انَّ ابن عجزة (٢) امه   بالسفح أسفل من أوارهْ
تسفي الرياح خلالهُ   سحيًا (٣) وقد سلبوا ازارهْ
فاقتل زرارة لا أرى   في القوم أفضل من زرارهْ

فلما بلغ هذ الشعر عمرو بن هند بكى حتى فاضت عيناه . وبلغ الخبر

(١) فمن ولده اهاب من عزير بن قيس بن سويد
(٢) قال هشام : اول ولد المرأة يقال لهُ زكمة والآخر عجزة
(٣) ويروى : تسفي الرياح خلال كشحيهِ

زرارة فهرب. وركب عمرو بن هند في طلبه فلم يقدر عليهِ. فأخذ امرأتهُ وهي حبلى فقال أذكرٌ في بطنكِ ام انثى. قالت: لا علم لي بذلك. قال: ما فعل زرارة الغادر الفاجر. قالت: ان كان ما علمت الطيب العرق. السمين المرق. ويا كل ما وجد. ولا يسال عمَّا فقد. لا ينام ليلة يخاف. ولا يشبع ليلة يضاف. فبقر بطنها. فقال قوم زرارة لزرارة: والله ما قتلتَ أخاه فائتِ الملك فاصدقهُ الخبر. فاتاه زرارة فأخبره الخبر. فقال: جئني بسويد. فقال: قد لحق بمكة. قال: فعليَّ ببنيهِ السبعة وأمهم بنت زرارة غلمةٌ بعضهم فوق بعض. فأمر بقتلهم. فتناولوا احدهم فضربوا عنقهُ. وتعلق بزرارة الآخرون فتناولوهم. فقال زرارة: يا بعضي ضغ بعضًا فذهبتْ مثلًا. وقُتلوا. وآلى عمرو بن هند بأليَّة ليحرقنَّ من بني حنظلة مائة رجل. فخرج يريدهم وبعث على مقدمتهِ الطائي عمرو بن ثعلبة بن عتاب بن ملقط. فوجدوا القوم قد نذروا. فأخذوا منهم ثمانية وتسعين رجلًا بأسفل أُوارة من ناحية البحرين فحبسهم. ولحقهُ عمرو بن هند حتى انتهى الى اوارة فضربت قبته. فأمر لهم بأُخدود فحفر لهم ثم أضرمهُ نارًا. فلما احتدمت وتلظَّت قذف بهم فيها فاحترقوا (١). واقبل راكب من البراجم (٢) وهم بطن من بني حنظلة عند المساء ولا يدري بشيء مما كان يوضع لهُ بعيره. فاناخ. فقال لهُ عمرو بن هند: ما جاء بك. قال: حبّ الطعام

---

(١) ولذا سمَّت العرب عمرو بن هند محرّقًا

(٢) البراجم خمسة رجال من بني تميم قيس وعمرو وغالب وكُلفة والصليم بنو حنظلة بن مالك بن زيدمناة بن تميم اجتمعوا وقالوا: نحن كبراجم الكف فغلب عليهم. والبراجم لغة رؤُوس السلاميَات من ظهر الكف اذا قبض الشخص كفهُ نشزت وارتفعت. الواحدة بُرجُمة

قد أقويتُ ثلاثًا لم اذق طعامًا. فلما سطع الدخان ظننتهُ دخان طعام. فقال لهُ عمرو بن هند: ممن انت. قال: من البراجم. قال عمرو: ان الشقيّ وافدُ البراجم فذهبت مثلًا. ورمى بهِ في النار فهجت العرب تميمًا بذلك. فقال ابن الصعق العامري قولهُ:

الا أبلغ لديك بني تميم   باية ما يحبُّون الطعاما

وأقام عمرو بن هند لا يرى احدًا. فقيل لهُ: أبيت اللعن لو تحللت بامرأة منهم فقد أحرقت تسعة وتسعين رجلًا. فدعا بامرأة من بني حنظلة فقال لها: من أنتِ. قالت: أنا الحمراء بنت ضَمْرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم. فقال: اني لاظنكِ أعجمية. فقالت: ما أنا باعجمية ولا ولدتني العجم

اني لبنت ضمرة بن جابرِ   ساد معدًّا كابر عن كابرِ
اني لاخت ضمرة بن ضمرةِ   اذا البلاد لفعت بجمرةِ

قال عمرو: أما والله لولا مخافة أن تلدي مثلك لصرفتك عن النار. قالت: أما والذي أسالهُ أن يضع وسادك. ويخفض عمادك. ويسلبك ملكك ما قتلت الّا نساء. ذوات ميسم ودين. قال: اقذفوها في النار. فالتفتت فقالت: ألا فتًى يكون مكان عجوز. فلما أبطأُوا عليها قالت: كانَّ الفتيان حمًّى فذهبت مثلًا. فأُحرقت. وكان زوجها يقال لهُ حوذة بن جرول بن نهشل بن دارم. فقال لقيط بن زرارة يعيّر بني مالك بن حنظلة في أخذ مَن أخذ منهم الملك وقتلهِ اياهم وتزولهم معه:

لمن دمنة أقفرت بالجنابْ   الى السفح بين الملا بالهضابْ
بكيت لعرفان آياتها   وهاج لك الشوق نعب الغرابْ
فأبلغ لديك بني مالك   مغلغلة وسراة الربابْ

فـانّ امرءًا أنتم حولـهُ تحفون قينتـهُ بالقبـابْ
يهين سراتـكمُ عـامدًا ونقتلكم مثل قتل الكلابْ
فلو كنتمُ إبـلًا أُملحت لقد كرعت للميـاه العذابْ
ولكنكـم غنم تصطفى ويترك سـائرها للذبـابْ
لعمر أبيك الى الخير ما أردت بقتلهم من صوابْ
ولا نعمـة انّ خير الملوك م أفضلهم نعمـة في الرقابْ

وفيها يقول الطرمّاح بن حكيم ويذكر هذا :

واسأل زرارة والمأمون ما فعلت قتلى أُوارة من رعلان واللددِ
ودارمًا قد قتلنا منهمُ مائـة في جاحم النار اذ يلقون بالخددِ
ينزون بالمشتوي منها ويوقدها عمرو ولولا شحوم القوم لم تقدِ

فلما حضر زرارة الموت جمع بنيهِ وأهل بيته ثم قـال : انهُ لم يبقَ لي عند أَحد من العرب وترٌ الّا وقد أدركته غير تحضيض الطائي ملقط الملك علينا حتى صنع ما صنع . فأيكم يضمن لي طلب ذلك من طيّئ . قال عمرو بن عمرو ابن عدس بن زيد : أنا لك بذلك يا عمّ . ومات زرارة . فغزا عمرو بن عمرو جديلة بن طيّئ ففاتوهم . وأصاب ناسًا من بني طريف بن مالك وطريف بن عمرو بن ثمامة وقال في ذلك شعرًا

لقيط بن زرارة

كان زرارة بن عدس بن زيد رجلًا شريفًا . فنظر ذات يوم الى ابنه لقيط رأى منهُ خيلاء ونشاطًا وجعل يضرب غلمانهُ وهو يومئذٍ شاب . فقال

لهُ زرارة : لقد اصبحت تصنع صنيعًا كأنما جئتني بمائة من هجان ابن المنذر بن ماء السماء أو تزوجت بنت ذي الجدَّين بن قيس بن خالد . قال لقيط : للهِ عليّ أن لا يمسّ رأسي غسل ولا آكل لحمًا ولا اشرب خمرًا حتى أجمعهما جميعًا أو أموت . فخرج لقيط ومعهُ ابن خال لهُ يقال لهُ القراد بن اهاب . وكلاهما كان شاعرًا شريفًا . فسارا حتى أتيا بني شيبـان فسلّما على ناديهم . ثم قال لقيط : أفيكم قيس بن خالد ذي الجدَّين وكان سيد ربيعة يومئذٍ . قالوا : نعم . قال : فأيُّكم هو . قال قيس : أنا قيس فما حاجتك . قال : جئتك خاطب ابنتك . وكانت على قيس يمين ان لا يخطب اليه أحد ابنته علانية الا أصابهُ بشرّ وسمع بهِ . فقال لهُ قيس : ومن أنت . قال : أنا لقيط بن زرارة بن عدس بن زيد . قال قيس : عجبًا منك يا ذا القصة هلاّ كان هذا بيني وبينك . قال : لمَ يا عمّ فوالله انك لرغبة وما بي من نضاة (١) ولئن ناجيتك لا أخدعك . ولئن عالنتك لا افضحك . فأعجب قيسًا كلامهُ وقـال : كفوءٌ كريم . اني قد زوّجتك ومهرتك مائة ناقة ليس فيها مصابرة ولا ناب ولا كزوم . ولا تبيت عندنا عزبًا ولا محرومًا . ثم أرسل الى امّ الجارية : اني قد زوّجت لقيط بن زرارة ابنتي القدور فاصنعيها واضربي لها ذلك البَلَق فانّ لقيط بن زرارة لا يبيت فينا عزبًا . وجلس لقيط يتحدَّث معهم . فذكروا الغزوَ . فقال لقيط : أمّا الغزو فارداها للعيال وأهزلها للجمال . واما المقام فأسمنها للجمال وأحبها للعيال . فأعجب ذلك قيسًا . وامر لقيطًا فذهب الى البلق فجلس فيهِ . وبعثت اليهِ امّ الجارية بمجمرة وبخور وقالت للجارية : اذهبي بها اليهِ فوالله لئن ردّها ما فيهِ خير . فلما جاءَته الجارية بالمجمرة بخر شعره ولحيته ثم ردّها عليها . فلما رجعت الجارية اليها

---

(١) اي ما بي عار

خبرتها بما صنع . فقالت : انهُ لخليق للخير . فلما أمسى لقيط أُهديت الجارية اليهِ . فمازحها بكلام اشمأزّت منهُ فلماً نام وطرح عليهِ طرف خميصة انسلّت فرجعت الى امها . فانتبه لقيط فلم يرها . فخرج حتى اتى ابن خاله قرادًا وهو في أسفل الوادي . فقال : ارحل بعيرك واياك أن يُسمع رغاؤها . فتوجها الى المنذر بن ماء السماء . وأصبح قيس ففقد لقيطاً . فسكت ولم يدرِ ما الذي ذهب بهِ . ومضى لقيط حتى أتى المنذر فأخبره ما كان من قول أبيهِ وقوله . فاعطاه مائة من هجائنهِ . فبعث بها مع قراد الى أبيهِ زرارة . ثم مضى الى كسرى فكساه وأعطاه جوهرًا . ثم انصرف لقيط من عند كسرى فاتى اباه فاخبره خبره وأقام يسيرًا . ثم خرج هو وقراد حتى جاء محلة بني شيبان فوجداهم قد انتجعوا . فخرجا في طلبهم حتى وقعا في الرمل فقال لقيط :

انظر قراد وهاتا نظرة جزعاً   عرضِ الشقائق هل بينت اظعانا
فيهنّ أُترجة نضخ العبير بها   تكسى ترائبها شذرًا ومرجانا

فخرجا حتى اتيا قيس بن خالد فجهزها أبوها . فلما أرادت الرحيل قال لها : يا بنية كوني لزوجك امة يكن لك عبداً . وليكن أكثر طيبك الماء فانك انما يذهب بك الى الاعداء . واراكِ ان ولدتِ فستلدين لنا غيظاً طويلاً . واعلمي انّ زوجك فارس مضر وانهُ يوشك ان يقتل أو يموت فلا تخمشي عليهِ وجهاً ولا تحلقي شعرًا . قالت لهُ : اما والله لقد ربيتني صغيرة وأقصيتني كبيرة . وزوّدتني عند الفراق شرّ زاد . وارتحل بها لقيط فجعلت لا تمرّ بحيّ من العرب الّا قالت : يا لقيط أهؤلاء قومُك . فيقول : لا حتى طلعت على محلة بني عبد الله ابن دارم فرأت القباب والخيل العراب قالت : يا لقيط أهؤلاء قومك . قال : نعم . فاقام اياماً يطعم وينحر . فاقامت عنده حتى قُتل يوم جَبَلَة . فبعث اليها

أبوها أخًا لها فحُملت . فلما ركبت اقبلت حتى وقفت على نادي بني عبدالله بن دارم فقالت : يا بني دارم أوصيكم بالغرائب خيرًا . فوالله ما رايتُ مثل لقيط لم تخمش عليهِ امرأة وجهاً ولم تحلق عليهِ شعرًا . فلولا اني غريبة لخمشت وحلقت . فحبب الله بين نسائكم . وعادى بين رعائكم . فاثنوا عليها خيرًا . ثم مضت حتى قدمت على ابيها فزوّجها من قومهِ . فجعل زوجها يسمعها تذكر لقيطاً وتحزن عليهِ . فقال لها : اي شيءٍ رايتِ من لقيط احسن في عينك . قالت : خرج في يوم دجن وقد تطيب وشرب . فطرد البقر فصرع منها ثم اتاني وبهِ نضح دماء . فلم ارَ منظرًا كان احسن من لقيط . فمكث عنها حتى كان يوم دجن شرب وتطيّب . ثم ركب فطرد البقر . ثم اتاها وبهِ نضح دم الطيب وريح الشراب فقال لها : كيف ترين أأنا أحسن أم لقيط . فقالت : ماء ولا كصدّاء ومرعى ولا كالسعدان فذهبت مثلاً (١)

تحاكم تغلب وبكر عند عمرو بن هند

ذكر ابن الكلبي عن أبيهِ انّ الصلح كان بين بكر وتغلب عند المنذر بن ماء السماء . وكان قد شرط ايّ رجل وُجد قتيلًا في دار قوم فهم ضامنون لدمه . وان وجد بين محلّتين قِيسَ ما بينهما فينظر اقربهما اليهِ فتضمن ذلك القتيل . وكان الذي ولي ذلك واحتمى لبني تغلب قيس بن شراحيل بن مرّة ابن همام . ثم ان المنذر أخذ من الحيين اشرافهم وأعلامهم فبعث بهم الى مكة . فشرط بعضهم على بعض وتوافقوا على ان لا يُبقي واحد منهم لصاحبه غائلة ولا يطلبهُ بشيء مما كان من الآخر من الدماء . وبعث المنذر معهم رجلًا من

(١) صداء ركية ليس في الارض ركية أطيب منها

بني تميم يقال لهُ العلاق . وفي ذلك يقول الحرث بن حلزة :

فهلاً سعيت لصلح الصديق   كصلح ابن مارية الاقصم (١)
وقيس تدارك بكر العراق   وتغلب من شرها الاعظم
وبيت شراحيل في وائل   مكان الثريا من الانجم
فأصلح ما أفسدوا بينهم   كذلك فعل الفتى الاكرم

فلبثوا كذلك ما شاء الله وقد أخذ المنذر من الفريقين رهنًا باحداثهم فمتى التوى احد منهم بحق صاحبه أقاد من الرهن . فسرّح النعمان بن المنذر ركبًا من بني تغلب الى جبل طيّ في أمر من أمره . فنزلوا بالطرفة وهي لبني شيبان وتيم اللات . فذكروا أنهم أجلوهم عن الماء وحملوهم على المفازة فمات القوم عطشًا . فلما بلغ ذلك بني تغلب غضبوا وأتوا عمرو بن هند فاستعدوه على بكر وقالوا: غدرتم ونقضتم العهد وانتهكتم الحرمة وسفكتم الدماء . وقالت بكر: أنتم الذين فعلتم ذلك قذفتمونا بالعضيهة وسمّعتم الناس بها وهتكتم الحجاب والستر بادّعائكم الباطل علينا . قد سقيناهم اذ وردوا وحملناهم على الطريق اذ خرجوا . فهل علينا اذ حار القوم وضلّوا . ويصدّق ذلك قول الحرث بن حلزة :

لم يغرّوكم غرورًا ولكن   يرفع الآلُ جرمهم والضَّحاء

قال ابو عمرو الشيباني: أنّ عمرو بن هند الملك وكان جبارًا عظيم الشأن والملك لما جمع بكرًا وتغلب بني وائل وأصلح بينهم أخذ من الحيّين رهنًا من كل حيّ مائة غلام ليكفّ بعضهم عن بعض . فكان أولئك الرهن يكونون معهُ في مسيره ويغزون معهُ . فاصابتهم سَموم في بعض مسيرهم فهلك عامّة التغلبيّين

(١) ابن مارية هو قيس بن شراحيل . ومارية امهُ بنت الصباح بن شيبان من بني هند



وسلم البكريّون . فقالت تغلب لبكر: أعطونا ديات أبنائنا فان ذلك لكم لازم . فأبت بكر بن وائل . فاجتمعت تغلب الى عمرو بن كلثوم وأخبروه بالقصة . فقال عمرو: أرى والله الامر سينجلي عن أحمر أصلع أصمّ من بني يشكر . فجاءت بكر بالنعمان بن هرم أحد بني ثعلبة بن غنم بن يشكر . وجاءت تغلب بعمرو بن كلثوم . فلما اجتمعوا عند الملك قال عمرو بن كلثوم للنعمان بن هرم: يا أصم جاءت بك أولاد ثعلبة تناضل عنهم وهم يفخرون عليك . فقال النعمان: وعلى مَن أظلت السماء كلّها يفخرون ثم لا ينكر ذلك . فقال عمرو بن كلثوم لهُ: أما والله لو لطمتك لطمة ما أخذوا لك بها . فقال لهُ النعمان: والله لو فعلت ما أفلت بها قيس ابن ابيك . فغضب عمرو بن هند وكان يؤثر بني تغلب على بكر فقال: يا حارثة أعطهِ لحنًا بلسان انثى اي شبّهه بلسانك . فقال: ايها الملك أعطِ ذلك أحبَّ أهلك اليك . فقال: يا نعمان أيسرّك اني أبوك . قال: لا ولكن وددت انك امي . فغضب عمرو بن هند غضبًا شديدًا حتى همَّ بالنعمان . وقام الحرث بن حِلِزة فارتجل قصيدته المشهورة ارتجالًا توكأ على قوسه وأنشدها واقتطم كفهُ وهو لا يشعر من الغضب حتى فرغ منها . (قال ابن الكلبي) أنشد الحرث عمرو بن هند هذه القصيدة وكان بهِ وضح . فقيل لعمرو بن هند: انّ بهِ وضحًا . فأمر أن يجعل بينه وبينه ستر . فلما تكلّم أعجب بمنطقهِ . فلم يزل عمرو يقول: أدنوه أدنوه حتى أمر بطرح الستر وأقعده معهُ قريبًا منهُ لاعجابه بهِ (١)

(١) وذكر الاصمعي نحوًا من ذلك وقال: أخذ منهم ثمانين غلامًا من كل حيّ وأصلح بينهم بذي المجاز. وذكر ان الغلمان من بني تغلب كانوا معهُ في حرب فأصيبوا. او قال في خبره: انّ الحرث بن حلزة لما ارتجل هذه القصيدة بين يدي عمرو قام عمرو بن كلثوم فارتجل قصيدته «قفي قبل التفرّق يا ظعينا». وغير الاصمعي ينكر ذلك وينكر انهُ السبب في قول عمرو بن كلثوم

مقتل عمرو بن هند

قال ابن الكلبي: حدّثني أبي وشرافيُّ بن القطامي وأخبرنا ابرهيم بن ايوب عن ابن قتيبة ان عمرو بن هند قال ذات يوم لندمائهِ: هل تعلمون احدًا من العرب تأنف امّه من خدمة أُمي. فقالوا: نعم امُّ عمرو بن كلثوم. قال: ولِمَ. قالوا: لانَّ أباها مهلهل بن ربيعة وعمها كليب بن وائل أعزّ العرب وبعلها كلثوم بن مالك أفرس العرب وابنها عمرو وهو سيد قومهِ. فأرسل عمرو بن هند الى عمرو ابن كلثوم يستزيره ويسألهُ ان يزير امَّهُ امَّهُ. فأقبل عمرو من الجزيرة الى الحيرة في جماعة بني تغلب. وأقبلت ليلى بنت مهلهل في ظعن من بني تغلب. وأمر عمرو بن هند برواقه فضرب فيما بين الحيرة والفرات. وأرسل الى وجوه أهل مملكتهِ فحضروا في وجوه بني تغلب. فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند في رواقه ودخلت ليلى وهند في قبة من جانب الرواق. وكانت هند عمة امرئ القيس بن حجر الشاعر. وكانت امّ ليلى بنت مهلهل بنت أخي فاطمة بنت ربيعة التي هي امّ امرئ القيس وبينهما هذا النسب. وقد كان عمرو بن هند أمر امَّهُ ان تنحي الخدم اذا دعا بالطُرف وتستخدم ليلى. فدعا عمرو بمائدة ثم دعا بالطرف. فقالت هند: ناوليني يا ليلى ذلك الطبق. فقالت ليلى: لتقمْ صاحبة الحاجة الى حاجتها فاعادت عليها وألحّت. فصاحت ليلى: وا ذلّاه يا لتغلب. فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه. ونظر اليهِ عمرو بن هند فعرف الشرّ في وجهه. فوثب عمرو بن كلثوم الى سيف لعمرو بن هند معلّق بالرواق ليس هناك سيف غيره فضرب بهِ رأس عمرو بن هند. ونادى في بني تغلب. فانتهبوا ما في الرواق وساقوا نجائبهُ وساروا نحو الجزيرة. ففي ذلك يقول عمرو

ابن كلثوم:

ألا هبّي بصحنك فاصبحينا   ولا تبقي خمور الاندرينا
مشعشعة كان الحصّ فيها   اذا ما الماء خالطها سخينا

وكان قام بها خطيبًا بسوق عكاظ وقام بها في موسم مكة وبني تغلب تعظمها جدًّا ويرويها صغارهم وكبارهم حتى هجوا بذلك. قال بعض شعراء بكر ابن وائل:

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة   قصيدةٌ قالها عمرو بن كلثومِ
يروونها أبدًا مذ كان اوّلهم   يا للرجال لشعرٍ غير مسؤومِ

وقال أفنون بن صريم التغلبي يفخر بفعل عمرو بن كلثوم في قصيدة لهُ:

لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعا   لتخدم امّي امهُ بموفّقِ
فقام بن كلثوم الى السيف مصلتًا   فأمسك من ندمانه بالمخنّقِ
وجلله عمرو على الرأس ضربة   بذي شطب صافي الحديدة رونقِ

(قال) وكان لعمرو أخ يقال لهُ مرّة بن كلثوم فقتل المنذر بن النعمان وأخاه. واياه عنى الاخطل بقولهِ لجرير:

أبني كليب انّ عمّيَّ اللذا   قتلا الملوك وفككا الاغلالا

وكان لعمرو بن كلثوم ابن يقال لهُ عباد وهو قاتل بشر بن عمرو بن عدس. ولعمرو بن كلثوم عقب باقٍ ومنهم كلثوم بن عمرو العتابي الشاعر صاحب الرسائل

اسر عمرو بن كلثوم

أخبر ابن الاعرابي قال : اغار عمرو بن كلثوم التغلبي على بني تميم . ثم مرَّ من غزوه ذلك على حيٍّ من بني قيس بن ثعلبة فملأَ يديهِ منهم وأصاب أسارى وسبايا . وكان فيمن أصاب أحمد بن جندل السعدي . ثم انتهى الى بني حنيفة باليمامة وفيهم أُناس من عجل . فسمع بها أهل حجر . فكان أوَّل من أتاه من بني حنيفة بنو سحيم عليهم يزيد بن عمرو بن شمر . فلما رآهم عمرو بن كلثوم ارتجز فقال :

من عاذ مني بعدها فلا اجتبرْ   ولا سقى الماء ولا أَرعى الشجرْ
بنو لجيم وجعاسيس مضرْ   بجانب الدوّ يُديهون العكرْ

فانتهى اليهِ يزيد بن عمرو فطعنهُ فصرعه عن فرسه وأَسره . وكان يزيد شديدًا جسيمًا فشدَّه في القدّ وقال لهُ : أنت الذي تقول :

متى تعقد قرينتنا بحبلٍ   نجذّ الحبل أو نقص القرينا

أَمَا اني ساقرنك الى ناقتي هذه فأَطردكما جميعًا . فنادى عمرو بن كلثوم : يا لربيعة أَمُثْلةٌ . (قال) فاجتمعت بنو لجيم فنهوه ولم يكن يريد ذلك بهِ . فسار بهِ حتى اتى قصرًا بحجر من قصورهم وضرب عليهِ قبَّة ونحر لهُ وكساه وحمله على نجيبهِ وسقاهُ الخمر . فلما اخذت برأسهِ تغنَّى :

أَأَجمع صحبتي السحر ارتحالا   ولم اشعر ببينٍ منك هالا
ولم ارَ مثل هالة في معدٍّ   اشبِّه حسنها الَّا الهلالا
ألا ابلغ بني جشم بن بكر   وتغلبَ كلما اتيا حلالا
بانَّ الماجد القرم بن عمرو   غداة نُطاع قد صدق القتالا

كتيبتهُ ململمة رداح   اذا يرمونها تفني النبالا
جزى الله الاغرّ يزيد خيرًا   ولقَّاه المسرَّة والجمالا
بمأخذه ابن كلثوم بن عمرو   يزيد الخير نازلهُ نزالا
بجمع من بني قرَّان صيد   يجيلون الطعان اذا اجالا
يزيد يقدّم السفراء حتى   يروّي صدرها الاسل النهالا

مقتل شاس بن زُهَيْر

قال ابو عبيدة : حدَّثني رجلٌ يُخيَّلُ اليَّ أنهُ ابو يحيى الغنويّ قال : ورد شاس وقد حباه الملك بجبوة فيها قطيفة حمراء ذات هدب وطيب . فورد منعجًا وعليهِ خباء ملقًى لرياح بن الأَسَكّ فيهِ اهله في الظهيرة . فألقى ثيابهُ بفنائهِ ثم قعد يهريق عليهِ الماء . فناداه الغنوي : استتر . فلم يحفل . (قال) فقال : استتر ويحك البيوت بين يديك . فلم يحفل . فقال رياح لامرأتهِ : انطيني قوسي . فمدّت اليهِ قوسهُ وسهمًا وانتزعت المرأة نصله لئلاَّ يقتلهُ . فأهوى عجلان اليهِ فوضع السهم في مستدقّ الصلب بين فقارتين ففصلها وخرَّ ساقطًا . وحفر لهُ حفرًا فهدمهُ عليهِ ونحر جمله واكله (١) وأولج متاعه بيته

(قال) ونشد زهير بن جذيمة الناس فانقطع ذكره على مَنعج وسط غنيّ . ثم أصابت الناس جائحة وجوع . فنحر زهير ناقته فاعطى امرأة شطَّها فقال : اشتري لي الهدب والطيب . فخرجت بذلك الشحم والسنام تبيعهُ حتى دفعت الى امرأة رياح فقالت : انَّ معي شحمًا ابيعهُ في الهدب والطيب . فاشترت المرأة منها .

(١) وقال عبد الحميد : اكل ركوبته

فأتت المرأة زهيرًا بذلك فعرف الهدب فأتى زهير غنيًا. فقالوا: نعم قتلهُ رياح ابن الاسك ونحن براء منهُ وقد لحق بخالهِ من بني الطماح وبني اسد بن خزيمة فكان يكون الليل عنده ويظهر في أبان اذا أحسَّ الصبح يرمي الاروى

فلما استبان لزهير بن جذيمة ان رياحًا ثأرهُ قال يرثي شاسًا :

بكيت لشاس حين خُبّرت انهُ ... بماء غنيّ آخر الليل يسلبُ
لقد كان مأتاهُ الرداء لحتفهِ ... وما كان لولا غرّة الليل يغلبُ
قتيل غنيّ ليس شكل كشكلهِ ... كذاك لعمري الحين للمرء يجلبُ
سأبكي عليهِ ان بكيت بعبرةٍ ... وحقّ لشاس عبرة حين تسكبُ
وحزن عليهِ ما حييت وعولة ... على مثل ضوء البدر أو هو أعجبُ
اذا سيم ضيمًا كان للضيم منكرًا ... وكان لدى الهيجاء يُخشى ويرهبُ
وان صوّت الداعي الى الخير مرّةً ... أجاب لما يدعو لهُ حين يكربُ
ففرّج عنهُ ثم كان وليّهُ ... فقلبي عليهِ لو بدا القلب ملهبُ

وقال زهير بن جذيمة حين قتل شاس: شاس وما شاس. والباس وما الباس. لولا مقتل شاس لم يكن بيننا باس. (قال) ثم انصرف الى قومهِ. فكان لا يقدر على غنويّ الّا قتلهُ. (قال) ثم غزت بنو عبس غنيًا قبل ان يطلبوا قودًا أو ديةً مع اخي شاس الحصين بن زهير بن جذيمة والحصين بن أسيد بن جذيمة ابن أخي زهير. فقيل ذلك لغنيّ. فقالت لرياح: انجُ لعلّنا نصالح على شيء او نرضيهم بدية وفداء. فخرج رياح رديفًا لرجل من بني كلاب (١). وكان معهما صحيفة فيها أدأب لحم لا يريان الّا انهما قد خالفا وجهة القوم. فأوجفا ايديهما في الصحيفة. فأخذ كلُّ واحدٍ منهما وضرة

(١) وزعم ابو حية النميري انهُ من بني جعد

ليأكلها مترادفين لا يقدران على النزول. (قال) فمرّ فوق رؤوسهما صرد فصرصر. فالقيا اللحم وأمسكا بايديهما وقالا: ما هذا. ثم عادا الى مثل ذلك فاخذ كل واحد منهما عظمًا. ومرّ الصرد فوق رؤوسهما فصرصر. فالقيا العظمين وأمسكا بايديهما وقالا: ما هذا. ثم عادا الثالثة. فاخذ كل واحد منهما قطعة. فمرّ الصرد فوق رؤوسهما فصرصر. فالقيا العظمين. حتى فعلا ذلك ثلاث مرّات. فاذا هما بالقوم أدنى ظلم وأدنى ظلام (١). وقد كانا يظنّان انهما قد خالفا وجهة القوم. فقال صاحبهُ لرياح: اذهب فاني آتي القوم فاشاغلهم عنك وأُحدّثهم حتى تعجزهم. ثم ماضٍ ان تركوني. فانحدر رياح عن عجز الجمل فأخذ ادراجهُ وعدا اثر الراحلة حتى أتى ضفّة فاحتفر تحتها مثل مكان الارنب فولج فيهِ. ثم أخذ نعليهِ فجعل احداهما على سرّتهِ والاخرى على ركبتيه ثم شدّ عليهما العمامة. ومضى صاحبهُ حتى لقي القوم. فسألوه فحدّثهم وقال: هذه غنيّ كاملة وقد دنوت منهم. فصدّقوه وخلّوا سربه. فلما ولّى رأوا مركب الرجل خلفهُ فقالوا: من الذي كان خلفك. فقال: لا مكذبة ذلك رياح في الاوّل من السمرات. فقال الحصينان لمن معهما: قفوا علينا حتى نعلم علمهُ فقد أمكننا الله من ثأرنا. ولم يريدا ان يشركهما فيهِ احدٌ. فمضيا ووقف القوم عنهما. (قالوا) قال رياح: فاذا هما ينقلان فرسيهما فما زالا يريغاني فابتدراني. فرميت الاوّل فبترت صلبهُ وطعنني الآخر قبل ان ارميه وأراد السرّة فاصاب الربلة. ومرّ الفرس يهوي بهِ. فاستدبرتهُ بسهم فرشقت بهِ صلبهُ فانفقر منحنى الاوصال وقد بترت صلبيهما. (قال) وندّ فرساهما فلحقتا بالقوم. (قال رياح) فاخذت رمحيهما فخرجت بهما حتى اتيت رملة فسندت فغرزت

(١) اي ادنى شيء

الرمحين فيها ثم انحدرت. (قال) وطلبهُ القوم حتى اذا رفع لهما الرمحان لم يقربوهما علم الله حتى وجدوا اثر رياح خارجًا قد فات. وانطلق رياح خارجًا حتى ورد ردهة عليها بيت اثار بن بغيض وفيهِ امرأة ولها ابنان قريبان منها وجمل لها راتع في الجبل وقد مات رياح عطشًا . فلما رأتهُ يستدمي طمعت فيهِ ورجت ان يأتيها ابناها. فقالت لهُ : استأثر . فقال لها: دعيني ويحك اشرب. فأبت . فاخذ حديدة اما سكينًا واما مشقصًا فجذم بهِ رواهشها فماتت . وعبَّ في الماء حتى نهل. ثم توجه الى قومهِ . فقال رياح فيها وفي الحصينَين:

قالت ليَ استأثر لتكفني ... حينًا ويعلو قولها قولي
ولأنت اجرأ من اسامة او ... مني غداة وقفت للخيل
اذا الحصين لدى الحصين(١) كما ... عدل الرجازة جانب الميلِ(٢)

مقتل زُهير بن جذيمة العبسيّ

قتلهُ خالد بن جعفر بن كلاب. قال ابو عبيدة: قال ابو حية النميري: كان بين انصراف حديث شاس وحديث قتل خالد بن جعفر زهير بن جذيمة ما بين العشرين سنة الى الثلاثين سنة. وهوازن بن منصور لا ترى زهير بن جذيمة الَّا ربًّا. (قال) وهوازن يومئذٍ لا خير فيها وانما هم رعاء

(١) يعني حُصَين بن زهير بن جذيمة وحصين بن أُسَيد بن جذيمة وهو ابن عمه

(٢) قال الاثرم : الرجازة شيء يكون مع المرأة في هودجها فاذا مال احد الجانبين وضعتهُ في الناحية الاخرى ليعتدل

الشاء في الجبال. (قال) وكان زهير يعزّهم وكان اذا كان ايام عكاظ أتاها زهير ويأتيها الناس من كل وجهٍ فتأتيهِ هوازن بالاتاوة التي كانت لهُ في أعناقهم فيأتونهُ بالسمن والاقِط والغنم وذلك بعد ما خلع ذلك من أبي الجنّاد أخي بني أسيد بن عمرو بن تميم. ثم اذا تفرّق الناس من عكاظ نزل زهير بالنفرات. فأتتهُ عجوز من هوازن بسمن في نِحْيٍ واعتذرت اليهِ وشكت السنين التي تتابعن على الناس. فذاقهُ فلم يرضَ طعمهُ. فدعَّها بقوس في يدهِ عطل في صدرها. فاستلقت لحلاوة القفا. فغضب من ذلك هوازن وأضمرت عليهِ الى ما كان في صدرها من الغيظ والدمن وأوحرها من الحسد. (قال) وتذامرت عامر بن صعصعة يومئذٍ فآلى خالد بن جعفر فقال: والله لاجعلنَّ ذراعي وراء عنقهِ حتى أُقتل أو يُقتل . (قال) وفي ذلك يقول خالد بن جعفر ابن كلاب

اديروني أداتكمُ فاني ... وحذفة كالشجا تحت الوريدِ
مقرَّبة أُسوّيها بجزءٍ ... وألحفها ردائي في الجليدِ
وأوصي الراعيين ليؤثراها ... لها لبن الخليَّة والصَعودِ
تراها في الغزاة وهنَّ شعثٌ ... كقلب العاج في الرسغ الجديدِ
يبيت رباطها بالليل كفي ... على عود الحشيش وغير عودِ
لعلَّ الله يفردني عليها ... جهارًا من زهيرٍ أو أسيدِ
فاما تثقفوني فاقتلوني ... فإن أثقفْ فليس الى خلودِ
وقيسٌ في المعارك غادرتهُ ... قناتي من فوارسَ كالاسودِ
ويربوع بن غيظٍ يوم ساقٍ ... تركناهم لجاريةٍ وبيدِ
تركت بها نساء بني عصيم ... أرامل ما تحنُّ الى وليدِ

يلذنَ بحرثٍ جزعًا عليـهِ   يقلـنَ لحرث لولا تسودِ
ومني بالطويلم قـارعاتٌ   تبيد الخزيات ولا تبيدِ
وحكّت بَرْكَها ببني جحاشٍ   وقد أَجروا اليهـا من بعيدِ
تركت بني جذيمة في مكرّ   ونصرًا قد تركت لها شهودي

(قال الاصمعي) فضرب الزمان ضربانهُ. فالتقى خالد بن جعفر بن كلاب وزهير بن جذيمة العبسي. فقال خالد لزهير: أَما ان لك ان تشتفي وتكفّ (قال الاصمعي) يعني مما قتل بشاس. (قال) فاغلظ لهُ زهـير وحقرهُ.

(قال الاصمعي) وأخبرني طلحة بن محمد بن سعيد بن المسيَّب ان ذلك الكلام بينهما كان بعكاظ عند قريش. فلما حقرهُ زهير وسبهُ قال خالد: عسى ان كان يتهددهُ. ثم قال: اللهمَّ أمكن يدي هذه الشقراء القصيرة من عنق زهير بن جذيمة ثم أَعنّي عليهِ. فقال زهير: اللهمَّ أَمكن يدي هذه البيضاء الطويلة من عنق خالد ثم خلِّ بيننا. فقالت قريش: هلكتَ واللهِ يا زهير. فقال: انكم واللهِ الذين لاعلم لكم

قال ابو عبيدة: اخبرني سليمان بن المزاحم المازني عن أَبيـهِ قال: كانت بنو عامر بالجريئة وزهير بالنفراوات وكانت تماضر بنت عمرو السُلمي امرأَة زهير بن جذيمة وهي ام ولده. فمرّ بها اخوها الحرث بن عمرو. فقـال زهير لبنيهِ: ان هذا الحمار لطليعة عليكم فاوثقوه. فقالت اختهُ لبنيها: أَيزوركم خالكم فتوثقوه وتحرموه. فخلّوه. فقالت تماضر لاخيها الحرث: انهُ ليريبني ما قال زهير فانهُ رجل نذارة وعيد ان شنأُوه. (قال) ثم حلبوا لهُ وطبًا وأَخذوا منهُ يمينًا ان لايخبرعنهم ولاينذر بهم احدًا. وزعم ابو حبّة انهُ لما اتوه بقراهم أَراهم انهُ يشربهُ في الظلمة وجعل يهوي بهِ الى جيبهِ فيصبّهُ بين سربالهِ وصدرهِ أَسفًا وغيظًا.

(قال) وكان الذي حلب الوطب وقراه الحرث بن زهير وبهِ سُمي. (قال) فخرج يطـير حتى أَتى عامر عند ناديهم فأَتى حاذة أَو شجرة غـيرها. فأَلقى الوطب تحتها والقوم ينظرون ثم قال: أَيتها الشجرة الذليـلة اشربي من هذا اللبن فانظري ما طعمهُ. فقال أَهل المجلس: هذا رجل مأخوذ عليـهِ وهو يخبركم خبرًا. فأَتوه فاذا هو الحرث بن عمرو. وذاقوا اللبن فاذا هو حاو لم يقرص بعد. فقالوا: انهُ ليخبرنا ان طلبنا قريب. فركب معهُ ستة فوارس (١) لينظروا ما الخبر. فاقتصوا أَثر السير حتى اذا رأَوا ابل بني جذيمة نزلوا عن الخيل. فقالت النساء: انَّا لنرى خرجة من عضاة او غابة رماح بمكان لم نكن نرى بهِ شيئًا. ثم راحت الرعاء فأَخبروا بمثل ما للنساء. (قال) وأَخبرت راعية أَسيد بن جذيمة اسيدًا بمثل ذلك. فأَتى اسيد اخاه زهيرًا فأَخبرهُ بما اخبرتهُ به الراعية وقال: انها رأَت خيل بني عامر ورماحها. فقال زهير: كل ازبَّ (٢) نفور فذهبت مثلًا. وأَين بنو عامر. اماَّ بنو كلاب فكالحيَّة ان تركتها تركتك وان وطئتها عضَّتك. واما بنو كعب فانهم يصيدون اللأى (٣). واما بنو نمير فانهم يرعون ابلهم في رؤوس الجبـال. واما بنو هلال فيبيعون العطر. (قال)

---

(١) هم خالد بن جعفر بن كلاب على حذفة وحُندُج بن البكّاء ومعاوية بن عُبادة ابن عقيل فارس الهرَّار وهو الاخيل جدّ ليلى الاخيلية. والاخيل هو معاوية (قال) وهو يومئذٍ غلام لهُ ذؤابتان وكان اصغر من ركبَ. وثلاثة فوارس من سائر بني عامر ليس على احدهم درع غير خالد كانت عليهِ درع اعاره اياها عمرو بن يربوع الغنوي وكانت درع ابن الاجلح المراري كان قتلهُ فأخذها منهُ وكان يقالـ لها ذات الازمة وانما سميت بذلك لانها كانت لها عري تعلق فضولها بها اذا اراد ان يشمرها

(٢) كان أُسيد كثير الشعر خناسًا

(٣) يريد الثور الوحشي

فتحمل عامّة بني رواحة وآلى زهير لا يبرح مكانهُ حتى يصبح . وتحمل من كان معهُ غير ابنيـهِ ورقاء والحرث . (قال) وكان لزهير ربيئة من الجنّ تحدّثهُ ببعض امرهم حتى اصبح . وكانت لهُ مظلّة دوح يربط فيها افراسهُ لا تريـمهُ حذرًا من الحوادث . (قال) فلما اصبح صهلت فرس منها حين أحسّت بالخيل وهي القعساء . فقال زهير: ما لها . فقال ربيئتهُ : أحسّت الخيل فصهلت اليهم . فلم تؤذنهم بهم الّا والخيل دواس محاضر بالقوم غدية . فقـال زهير وظنّ انهم اهل اليمن : يا اسيد ما هولاء . فقال : هولاء الذين تعنّى حديثهم منذ الليلة . (قال) وركب اسيد فمضى ناجيًا . (قال) ووثب زهير وكان شيخًا نبيلًا فتدثّر القعسـاء فرسهُ وهو يومئذٍ شيخ قد بدن وهو يومئذٍ عقوق متهم . واعرورى ورقاء والحرث ابناه فرسيهما . ثم خالفوا جهة مالهم ليُعمّوا على بني عامر مكان مالهم فلا ياخذوه . فهتف هاتف من بني عامر : يا ليحامر يريد يحامر وهو شعار لاهل اليمن لان يُعمّي على الجذيميّين من القوم . فقال زهير : هذه اليمن قد علمتُ انها اهل اليمن . وقال لابنهِ ورقـاء : انظر ياورقاء ما ترى . قال ورقاء : أرى فارسًا على شقراء يجهدهـا ويكدّها بالسوط قد ألحّ عليها يعني خالدًا . فقال زهير : شيئًا ما يريد السوط الى الشقراء فذهبت مثلًا . وقال في المرّة الثانية : شيئًا ما يطلب السوط الى الشقراء . وهي حذفة فرس خالد بن جعفر والفارس خالد بن جعفر . (قال) وكانت الشقراء من خيل غنيّ . (قال) وتمرّدت القعساء بزهير وجعل خالد يقول : لا نجوت ان نجا مجدّع يعني زهيرًا . فلما تمعطت القعساء بزهير ولم تتعلق بها حذفة قال خالد لمعاوية الاخيل بن عبادة وكان على الهرّار حصان عوج : ادرك معاوي . فادرك معاوية زهيرًا . وجعل ابناه ورقاء والحرث يوطشان عنهُ اي عن ابيهما .

(قال) فقال خالد : اطعن يا معاوية في نَسَاها . فطعن في احدى رجليهـا فانخذلت القعساء بعض الانخذال وهي في ذلك تمعط . فقـال زهير : اطعن الاخرى . يكيدهُ بذلك لكي تستوي رجلاها . فتحامل . فناداه خالد : يا معاوية أفذّ طعنتك (١) . فشعشع الرمح في رجلها فانخذلت . (قال) ولحقهُ خالد على حذفة فجعل يده وراء عنق زهير فاستخفّ بهِ عن الفرس حتى قلبهُ . وخرّ خالد فوقع فوقهُ ورفع المِغفر عن رأس زهير وقال : يا لعامر اقتلونا معًا . فعرفوا انهم بنو عامر . فقال ورقاء : وا انقطاع ظهراه انها لبنو عامر سائر اليوم . (قال) ولحق حندج بن البكاء (٢) وقد حسر خالد المغفر عن رأس زهير فقال : نحِّ راسك يا أبا جز . لم يجز يومك . (قال) فنحّى خالد راسهُ وضرب حندج رأس زهير وضرب ورقاء بن زهير راس خالد بالسيف وعليهِ درعان وكان اسجر العينـين ازبّ اقمر مثل الفالج . فلم يغنِ شيئًا . (قال) واجهض ابنا زهير القوم عن زهير فانتزعاه مرتثًا . فقال خالد حين استنقذ زهيرًا ابناه : وا لهفتاه قد كـنت اظنُّ ان هذا المخرج سينفعكم ولام حندجًا . فقال حندج وكان لجلالتهِ غصة اذا تكلم : السيف حديد والساعد شديد وقد ضربتهُ ورجلاي متمكنتـان في الركائب وسمعت السيف قال قبْ حين وقع براسهِ ورأيت على ظُبتهِ مثل ثمر المرار وذقتهُ فكان حلوًا . فقال خالد : قتلتَهُ بأبي انت . ونظر بنو زهير فاذا الضربة قد بلغت الدماغ . ونهى بنو زهير ان يسقوا اباهم الماء . فاستسقـاهم فمنعوه حتى نُهك عطشًا . (قال وذلك ان المأموم يخاف عليهِ الماء) . حتى بلغهُ العطش فجعل يهتف : أميّة انا عطش وينادي : ياورقاء (قال أبو حيّة : فجعل ينادي : يا شاس) . فلما رأوا ذلك سقوه فمات لثالثة . فقال ورقاء بن زهير :

(١) اي اطعن مكانًا واحدًا (٢) وفي نسخةٍ : جندح

رأيت زهيرًا تحت كلكل خالدٍ   فأقبلت أسعى كالعجول أُبادرُ
الى بطلين ينهضان كلاهما   يريغان نصل السيف والسيف نادرُ
فشلّت يميني اذ ضربت ابن جعفر   واحرزهُ مني الحديد المظاهرُ
فيا ليتني من قبل ايام خالد   ويوم زهير لم تلدني تماضرُ
لعمري لقد بشرت بي اذ ولدتني   فماذا الذي ردّت عليك البشائرُ

وقال خالد بن جعفر يمنّ على هوازن بقتله زهيرًا ويصدّق الحديث :

بل كيف تكفرني هوازن بعدما   اعتقتهم فتوالدوا احرارا
وقتلت ربّهمُ زهيرًا بعد ما   جدع الانوف واكثر الاوزارا
وجعلت حزن جبالهم وبلادهم   أرضًا فضاءً سهلةً وعشارا
وجعلت مهر بناتهم ودمائهم   عقل الملوك هجائنًا ابكارا

وقال ورقاء بن زهير :

أمّا كلاب فاننا لا نسالها   حتى يسالم ذئب الثلّة الراعي
بنو جذيمة حاموا حول سيدهم   الّا اسيدًا نجا اذ ثوّب الداعي

مقتل خالد بن جعفر

قتلهُ الحرث بن ظالم المرّي. قال أبو عبيدة: كان الذي هاج الامر بين الحرث بن ظالم وخالد بن جعفر انّ خالد بن جعفر أغار على رهط الحرث بن ظالم من بني يربوع بن غَيظ بن مرّة وهم في وادٍ يقال لهُ حُراض فقتل الرجال حتى أسرع والحرث يومئذٍ غلام وبقيت النساء. وزعموا ان ظالمًا هلك في

تلك الواقعة من جراحة اصابتهُ يومئذٍ. وكانت نساء بني ذبيان لا يحلبن النعم. فلما بقينَ بغير رجال طفقنَ يدعون الحرث فيشدّ عصاب الناقة ثم يحلبنها ويبكين رجالهنّ ويبكي الحرث معهنّ. فنشأ على بغض. وأردف ذلك قتل خالدٍ زهير بن جذيمة فاستحقّ العداوة في غطفان

(قال أبو عبيدة) فمكث خالد بن جعفر برهة من دهرهِ حتى اذا كان من أمرهِ وأمر زهير بن جذيمة ما كان وخالد يومئذٍ رأس هوازن فلما استحق عداوة عبس وذبيان أتى النعمان بن المنذر ملك الحيرة لينظر ما قدرهُ عندهُ وأتاه بفرس فألفى عنده الحرث بن ظالم قد اهدى لهُ فرسًا فقال: أبيت اللعن نعم صباحك واهلي فداؤك هذا فرس من خيل بني قرّة فلن نؤتى بفرس يشقّ غباره ان لم تنسبهُ انتسب كنت ارتبطهُ لغزو بني عامر بن صعصعة. فلما أكرمتَ خالدًا اهديته اليك. وقام الربيع بن زياد العبسي فقال: أبيت اللعن نعم صباحك واهلي فداؤك هذا فرس من خيل بني عامر ارتبطت أباهُ عشرين سنة لم يخفق في غزوة ولم يعتلك في سفر وفضلهُ على هذين الفرسين كفضل بني عامر على غيرهم. (قال) فغضب النعمان عند ذلك وقال : يامعشر قيس أيّ خيلكم اشباهنا. أين اللواتي كانّ أذنابها شقاق أعلام وكانّ مناخرها وجار الضباع. رقاق المستطعم تعالك اللجم في اشداقها تدور على مذاودها كأنما يقضمن حصًى. قال خالد: زعم الحرث أبيت اللعن انّ تلك الخيل خيلهُ وخيل آبائهِ. فغضب النعمان عند ذلك على الحرث بن ظالم. فلما أمسوا اجتمعوا يشربون فقال خالد لقينةٍ تغنّي :

دار لهندٍ والرباب وفرتني   ولبئس قول حوادث الايام

وهنّ خالات الحرث بن ظالم. فغضب الحرث بن ظالم حتى امتلأ غيظًا وغضبًا

وقال: ما تزال تتبع أُولى بآخرة. (قال أبو عبيدة) ثم ان النعمان بن المنذر دعاهم بعد ذلك وقدَّم لهم تمرًا. فطفق خالد بن جعفر ياكل ويلقي نوى ما ياكل من التمر بين يدي الحرث. فلما فرغ القوم قال خالد بن جعفر: أَبيت اللعن انظر الى ما بين يدي الحرث بن ظالم من النوى فما ترك لنا تمرًا الّا اكلهُ. فقال الحرث: أَمّا انا فأَكلت التمر وأَلقيت النوى. وأَما أَنت يا خالد فأَكلتهُ بنواه. فغضب خالد وكان لا يُنازَع. فقال: أَتنازعني يا حارث وقد قتلت حاضرتك وتركتك يتيمًا في حجور النساء. فقال الحرث: ذلك يوم لم أَشهدهُ وأَنا مغنٍ اليوم بمكاني. فقال خالد: فهلاَّ تشكر لي اذ قتلت زهير ابن جذيمة وجعلتك سيّد غطفان. قال: بلى اشكرك على ذلك. فخرج الحرث بن ظالم الى بنت عَفْزَر فشرب عندها وقال لها تغنّي:

تعلمْ أَبيت اللعن أَنيَ فاتكٌ ... من اليوم او من بعدهِ بابن جعفرِ
أَخالد قد نبَّهتني غير نائم ... فلا تأْمننْ فتكي مدى الدهر واحذرِ
أَعيَّرتني ان نلت منّا فوارسًا ... غداة حُراضٍ مثل جنات عبقرِ
أَصابهمُ الدهر الختور بخترهِ ... ومن لا يقي الله الحوادث يعثرِ
فعلّك يومًا ان تنوء بضربةٍ ... بكفّ فتًى من قومهِ غير جيدرِ
يعضُّ بها عليا هوازن والمنى ... لقاء أَبي جزءٍ بابيض مبترِ

(قال) فبلغ خالد بن جعفر قولهُ فلم يحفل بهِ. فقال عبد الله بن جعدة وهو ابن اخت خالد وكان رجل قيس رأْيًا لابنهِ: يابنيَّ ائت أَبا جزءٍ فاخبرهُ أَن الحرث ابن ظالم سفيه موتور فأَخفِ مبيتك الليلة فانهُ قد غلبهُ الشراب. فان أَبيتَ فاجعل بينك وبينهُ رجلًا ليحرسك. فوضعوا رجلًا بازائهِ. ونام ابن جعدة دون الرجل وخالد من خلف الرجل. وعرف ان عروة وابن جعدة يحرسان خالدًا.

فأَقبل الحرث فانتهى الى ابن جعدة فتعدَّاه ومضى الى الرجل وهو يحسبهُ خالدًا فعجنهُ بكلكلهِ حتى كسرهُ وجعل يكلّمهُ لا يعقل. فخلّى عنهُ والرجل تحتهُ ومضى الى خالد وهو نائم فضربهُ بالسيف حتى قتلهُ. فقال لعروة: أَخبر الناس اني قتلت خالدًا. وقال في ذلك:

أَلا سائل النعمان ان كنت سائلًا ... وحيَّ كلاب هل فتكتُ بخالدِ
عشوت اليهِ وابن جعدة دونهُ ... وعروة يكلا عمَّهُ غير راقدِ
وقد نصبا رجلًا فباشرت جوزهُ ... بكلكل مخشيّ العداوة حاردِ
فاضربهُ بالسيف يافوخَ راسهِ ... وصمم حتى نال نيط القلائدِ
وأَفلت عبد الله مني بذعرهِ ... وعروة من بعد ابن جعدة شاهدي

فلما أَبت غطفان ان تجيرهُ غضبت لذلك بنو عبس. وبعث اليهِ قيس بن زهير ابن جذيمة بهذه الابيات:

جزاك الله خيرًا من خليلٍ ... شفى من ذي تبولتهِ الخليلا
ازحت بها جوًى ودخيل حزنٍ ... تمخّ اعظمي زمنًا طويلا
كسوت الجعفريَّ ابا جزيءٍ ... ولم تحفل بهِ سيفًا صقيلا
أَبأْت بهِ زهير بني بغيضٍ ... وكنت لمثلها ولها حمولا
كشفت لهُ القناع وكنت ممّن ... يجلّي العار والامر الجليلا

فاجابهُ الحرث بن ظالم:

أَتاني عن قبيس بني زهير ... مقالة كاذب ذكر التبولا
فلو كنتم كما قلتم لكنتم ... لقاتل ثاركم حرزًا أَصيلا
ولكن قلتمُ جاورْ سوانا ... فقد جللتنا حدثًا جليلا
ولو كانوا همُ قتلوا اخاكم ... لما طردوا الذي قتل القتيلا

(قال أبو عبيدة) فلما منعتـــهُ غطفان لحق بحاجب بن زرارة فأجارهُ ووعدهُ أن يمنعهُ من بني عامر . وبلغ بني عامر مكانهُ في بني تميم فساروا في عليـــاء هوازن . فلما كانوا قريباً من القوم في أوّل وادي من أوديتهم خرج رجل من بني غنيّ يبعض البوادي فاذا هو بامرأة من بني تميم ثم من بني حنظلة تجتني الكمأة . فأخذها فسألها عن الخبر فأخبرتهُ بمكان الحرث بن ظالم عند حاجب بن زرارة وما وعدهُ من نصرتهِ ومنعه . فانطلق بها الغنويّ الى رحلهِ فانسلّت في وسط من الليل . فأتى الغنوي الاحوص بن جعفر فأخبرهُ ان المرأة قد ذهبت وقال : هي منذرة عليك . وتبع المرأة عمرو بن مالك يقصّ اثرها حتى انتهى الى بني زرارة والمرأة عند حاجب وهو يقول لها : اخبريني أيّ قوم أخذوكِ . قالت : أخذني قوم يقبلون بوجوه الظبـــاء ويدبرون باعجاز النساء . قال : اولئك بنو عامر . قال : فحدّثيني ما في القوم . قالت : رأيتهم يغدون على شيخ كبير لا ينظر بمأقيهِ حتى يرفعوا لهُ من حاجبيـــهِ . قال : ذلك الاحوص بن جعفر . قالت : ورأيت شابًا شديد الخلق كأنّ شعر ساعديهِ حلق الدرع يعذم القوم بلسانهِ عذم الفرس العضوض . قال : ذلك عُتبة بن بشير بن خالد . قالت : ورأيت كهـــلًا اذا أقبل معهُ فَتَيان يشرف القوم اليهِ فاذا نطق أنصتوا . قال : ذلك عمرو بن خويلد والفتيان ابناه زرعة ويزيد . قالت : ورأيت شابًا طويلًا حسنًا اذا تكلم بكلمة أنصتوا لها ثم يؤولون اليهِ كما تؤول الشَول الى الفحل . قال : ذلك عامر ابن مالك . (قال أبو عبيدة) فدعا حاجب الحرث بن ظالم فأخبرهُ برأيهِ وخبر القوم وقال : يا ابن ظالم هؤلاء بنو عامر قد أتوك فما أنت صانع . قـــال الحرث : ذلك اليك فان شئت أقمت فقاتلت القوم وان شئت تنحّيت . قال حاجب : تنحَّ عني غير ملوم . فغضب الحرث من ذلك وقال :

لعمري لقد جاورت في حيّ وائلٍ   ومن وائل جاورت في حيّ تغلبِ
فأصبحت في حيّ الاراقم لم يقـل   لِيَ القوم يا حارِ بن ظالمٍ اذهبِ
وقد كان ظنّي اذ عدلت اليكمُ   بني عدس ظنّي باصحاب يثربِ
غداة أتاهم تُبّـعٌ في جنودهِ   فلم يُسلموا المرءَين من حيّ يحصبِ
فان تكُ في عليا هوازن شوكـة   تخاف ففيكم حدّ نابٍ ومخلبِ
وان يسلم المرء الزراريّ جارهُ   فأعجب بها من حاجبٍ ثم أعجبِ

فغضب حاجب وقال :

لعمر أبيك الخير يا حار انني   لأمنع جارًا من كليب بن وائلِ
وقد علم الحيّ المعديّ اننـا   على ذاك كنّا في الخطوب الاوائلِ
وأنّا اذا ما خاف جارٌ ظلامةً   لبسنـا لهُ ثوبَي وفـاء ونائلِ
وأنّ تميمًا لم تحارب قبيـلةً   من الناس الّا أولعت بالكواهلِ
ولو حار بتنا عامرٌ يا ابن ظالمٍ   لعضّت علينـا عامرٌ بالانامل
ولاستيقنتْ عليا هوازن اننا   سنوطئها في دارها بالقبائلِ
ولكنّني لا ابعث الحرب ظالمًا   ولو هجتُها لم ألفَ شحمة آكلِ

(قال) فتنحّى الحرث بن ظالم عن بني زرارة فلحق بعروض اليمامة . ودعا حاجب معبدًا ولقيطًا ابني زرارة فقال : سيرا في الظعن فموعدكما رحرحان فانّا مقيمون في حامية الخيل حتى تأتينا بنو عامر . وخرج عامر بن مالك الى قومهِ بالخبر . فقالوا : ما ترى . قال : أن ندعهم بمكانهم ونسبقهم الى الظعن . (قال) فلقوها برحرحان . فاقتتلوا قتالًا شديدًا فاصابوها وأُسر معبد وجُرح لقيط . فبعثوا بمعبد الى رجل بالطائف كان يعذّب الاسرى . فقطعهُ اربا اربا حتى قتلهُ . وقال عمرو بن مالك يردّ على حاجب قولهُ :

أأكنى الى الزراريّ حاجب   رئيس تميم في الخطوب الاوائل
وفارسها في كل يوم كريهة   وخير تميم بين حافٍ وناعل
لعمري لقد دافعت عن حيّ مالك   سبائب من حرب تلقح حائل
على كل جرداء السُراء طمرة   وأجرد خوّار العنان مناقل
نصحت لهُ اذ قلت ان كنت لاحقًا   بقوم فلا تعدل بابناء وائل
ولو ألجأتهُ عصبة تغلبيّة   لسرنا اليهم بالقنا والقنابل
ولو رمتم أن تمنعوهُ رأيتم   هناك امورًا غبّها غير طائل
لشاب وليد الحيّ قبل مشيبهِ   وعضّت تميمٌ كلها بالانامل
وقامت رجال منكمُ خندفيّة   ينادون جهرًا ليتنا لم نقاتل

فلما قتل الحرث بن ظالم خالد بن جعفر في جوار الملك خرج هاربًا حتى اتى صديقًا لهُ من كندة يحلّ شعبي. فلما ألحّ الاسود في طلب الحرث قال لهُ الكنديُّ: ما أرى لك نجاة الّا ان أُلحقك بحضرموت ببلاد اليمن فلا يوصل اليك. فسار معهُ يومًا وليلة فلما غرّبه قال: انني انقطع ببلاد اليمن فاغترب بها وقد برئت منك خفارتي. فرجع حتى اتى ارض بكر بن وائل فلجأ الى بني عجل ابن لجين. فنزل على زبان. فأجارهُ وضرب عليهِ قبّة. وفي ذلك يقول العجليّ:

ونحن منعنا بالرماح ابن ظالم   فظلّ يغني آمنًا في خبائنا

(قال أبوعبيدة) فجاءته بنو ذهل بن ثعلبة وبنو عمرو بن شيبان فقالوا: أخرج هذا المشئوم من بين اظهرنا لا يغرّنا بشرّ فاننا لا طاقة لنا بالمجا (١). فأبت عجل ان تخفرهُ. فقاتلوه فامتنعت بنو عجل. فقال الحرث بن ظالم في الكنديّ وفيهم:

(١) المجا كتيبة الاسود

يكلفني الكنديُّ سير تنوفة   أُكابد فيها كل ذي ضبّة (١) مثري
واقبل دوني جمع ذهل كأنني   خلاة لذهل والزعانف من عمرو
ودوني ركب من لجيم مصمّمٌ   وزبان جاري والخفير على بكر
لعمري لا أخشى ظلامة ظالم   وسعد بن عجل مجمعون على نصري

(قال أبوعبيدة) ثم قال لهم الحرث: اني قد شهر امري فيكم ومكاني وأنا راحل عنكم. فارتحل فلحق بطيء. فقال الحرث في ذلك:

لعمري لقد حلّت بي اليوم ناقتي   الى ناصر من طيء غير خاذل
فأصبحت جارًا للمجرّة منهمُ   على باذخ يعلو على المتطاول

(قال أبوعبيدة) وحدّثني ابو حيّة انّ الاسود حين قتل الحرث خالدًا سأل عن أمر يبلغ منهُ. فقال لهُ عروة بن عتبة: انّ لهُ جارات من بلى بن عمرو ولا أراك تنال منهُ شيئًا أغيظ له من اخذهنّ وأخذ أموالهنّ. فبلغ ذلك الحرث فخرج في الحين فانساب في غُمار الناس حتى عرف موضع جاراتهِ ومرعى البهنّ. فأتى الابل فوجد حالبَين يحلبان ناقة لهنّ يقال لها اللفاع وكانت لبونًا كاغزر الابل اذا حلبت اجترّت ودمعت عيناها وأصغت برأسها وتفاجّت وهجمت في المحلب هجمًا حتى تسنّمهُ وتجاوبت احاليلها (٢) بالشخب هشا وهشيمًا حتى تُصفّ بين ثلاثة محالب. فصاح الحرث بهما ورجز فقال:

اذا سمعتِ حنّة اللفاع   فادعي أبا ليلى ولا تراعي
ذلك راعيكِ فنعم الراعي   يُجبك رحب الباع والذراع
منطقًا بصارم قطاع

(١) الضبّة قطعة من الغنم او بقية منها (٢) الاحاليل مخرج اللبن من الثدي

خليا عنها . فعرفاه فصرخ البائن (١) . ثم عمد الحرث الى اموال جاراته والى جاراته فجمعهنّ وردّ اموالهنّ وسار معهنّ حتى اشتلاهنّ (٢) ولحق الحرث ببلاد قومه مختفيًا . وكانت اختهُ سلمى بنت ظالم عند سنـان بن أبي حارثة المرّي . (قال ابو عبيدة) وكان الاسود بن المنذر قد تبنّى سنان بن أبي حارثة المرّي ابنهُ شرحبيل . فكانت سلمى امرأة سنان بن أبي حارثة المرّي ترضعهُ وهي أم هرم . وكان هرم غنيًا يقدر على ما يعطي سائليهِ . فجاء الحرث وكان قد اندسّ في بلاد غطفان فاستعار سرج سنان ولا يعلم سنان وهم نزول بالشَربّة . فأتى بهِ سلمى بنت ظالم فقـال : يقول لكِ بعلك ابعثي بابن الملك مع الحرث حتى استأمن لهُ ويتخفر بهِ . وهذا سرجهُ آية اليكِ . فزيّنتهُ ثم دفعتهُ الى الحرث . فأتى بالغلام ناحية من الشربة فقتلهُ ثم أنشأ يقول :

قفا فاسمعا أخبركما اذ سألتما ... محارب مولاهُ وثكلان نادمُ (٣)
أ نعلي حمار بات يكدم نجمـةً ... أ تؤكل جاراتي وجارك سـالمُ
تمنيتهُ جهرًا على غير ريبـةٍ ... أحارث ظلمًا انما انتَ حالمُ
فان تكُ أذواد أُصبنَ ونسوةٌ ... فهذا ابن سلمى رأسهُ متفاقمُ
علوت بذي الحيّات مفرق رأسهِ ... وكان سلاحي تحتويهِ الجماجمُ
فتكت بهِ كما فتكت بخـالد ... ولا يركب المكروه الّا الا كارمُ

(١) قال الاثرم : البائن الحالب الايمن . والمستعلي الحالب الايسر
(٢) اي انقذهنّ
(٣) «ثكلان نادم» يعني الاسود لانهُ قتل ابنهُ شرحبيل . «محارب مولاه» يعني الحرث نفسهُ . «مولاه» يعني سنان

بدأت بتلك واثنيت بهـذهِ ... وثالثة تبيضُّ منها المقادمُ (١)
شفيت عليك الصدر منهُ بضربة ... كذلك يأبى المغضبون القماقمُ

(قال أبو عبيدة) وهرب الحرث . فغزا الاسود بني ذبيان اذ نقضوا العهد وبني اسد بشطّ أريك (٢) لدفع الاسدية سلمى ابنهُ الى الحرث . فقتل فيهم قتلًا ذريعًا وسبى واستاق أموالهم . وفي ذلك يقول :

وشموخ صرعى بشطّي أريك ... ونسـاء كأنهنّ السعالي
من نواصي دودان اذ نقضوا العهد ... م وذبيان والهجان الغوالي
ربّ وفد هرقتهُ ذلك اليوم ... م وأسرى من معشر أقتـالِ
هؤلا ثم هؤلا كلًّا أحذيت ... م نعـالًا محذوة بمثـال
وأرى من عصاك اصبح مخذولًا ... م وكعب الذي يطيعك عالي

(قال) ووجد نعل شرحبيل عند أضاخ وهو من الشربة في بني محارب بن حفصة بن قيس عيلان . (قال) فأحمى لهم الاسود الصفا التي بصحراء اضاخ وقال لهم : اني أحذيكم نعالًا . فامشاهم على الصفا المحمى . فتساقط لحم

(١) ففي ذلك يقول عقيل بن علفة في الاسلام (وهو من بني يربوع بن غيظ ابن مرّة) لما هاجى شبيب بن البرصاء وابوهُ يزيد وهو من بني نشبة بن غليظ بن مرّة ابن عمّ سنان بن ابي حارثة . فيعيرهُ بقتل الحرث بن ظالم شرحبيل لانهُ ربيب بني حارثة فعيرهُ نشبة بن غيظ رهط شبيب ففي ذلك يقول عقيل :
قتلنـا شرحبيلًا ربيب ابيكمُ ... بناحية المغلوب ضاحيـة غضبا
فلا تنكروا ان يغمز القوم جاركم ... باحدى الدواهي ثم لم تطلعوا نقبا
(٢) هما اريكان الاسود والابيض . ولا يدرى بايّهما كانت الوقعة

أقدامهم (١)

(قال ابوعبيدة) وأخذ الاسود سنان بن أبي حارثة . فأتاهُ الحرث بن سفيان أحد بني الصادر وهو الحرث بن سفيان بن مرّة أخو سيار بن عمرو بن جابر الفزاريّ لأمّهِ فاعتذر الى الاسود ان يكون سنان بن أبي حارثة علم او اطّلع . ولقد كان اطرد الحرث من بلاد غطفان وقال : عليّ دية ابنك الف بعير دية الملوك . فحمّلها اياه وخلّى عن سنان . فأدّى الى الاسود منها ثمانمائة بعير . ثم مات . فقال سيار بن عمرو اخوه لأمّهِ : انا اقوم بما بقي مقام الحرث بن

---

(١) فلما كان الاسلام قتل جوشن الكنديّ رجلًا من بني محارب فأُقيد بهِ جوشن بالمدينة . وكان الكندي من رهط عباس بن يزيد الكندي فهجا بني محارب فعيرهم بتحريق الاسود اقدامهم فقال :

على عهد كسرى نعّلتكم ملوكنا ... صفا من أضاخ حامياً يتلهّبُ

(قال ابو عبيدة) وصار ذلك مثلًا يتوعد بهِ الشعراء من هجوه ويحذرونهم مثل ذلك . ومن ذلك ان ابن عتاب الكلبيّ ورد على بني النوس من جديلة طيّ . فسرقوا سهاماً لهُ . فقال يحذرهم :

بني النوس ردّوا أسهمي ان اسهمي ... كنعل شرحبيل الذي في محاربِ

وقال في الجاهلية ابن ام كهف الطائي في مدحهِ لمالك بن حماد الشمخي فذكر نعل شرحبيل فقال :

ومولاك الذي قتل ابن سلمى ... علانيةً شرحبيل بن نعلِ

لانهُ لولا النعل لم يُعرف وانما عرف بما صنع ابوه ببني محارب من اجل نعله التي وُجدت في بني محارب

سفيان . فلم يرضَ بهِ الاسود . فرهنهُ سيار قوسهُ . فأدّى البقيّة (١)

(قال ابوعبيدة) فلما قتل الحرث شرحبيل لحق ببني دارم فلجأ الى بني ضمرة . (قال) وبنو عبد الله بن دارم يقولون : بل جاور معبد بن زرارة فأجارهُ . فجرّ جواره يومَ رحرحان وجرّ يومُ رحرحان يومَ جبلة . وطلبهُ الاسود بن المنذر بخفرتهِ . فلما بلغهُ نزولهُ ببني دارم ارسل فيهِ اليهم أن يسلموه . فأبوا . فقال يمنّ على بني قطن بن نهشل بن دارم بما كان من النعمان بن المنذر في أمر بني

---

(١) فلما مدح قراد بن حبش الصادري بني فزارة جعل الحمالة كلها لسيار ابن عمرو فقال :

ونحن رهنّا القوس ثمت فُوديت ... بألف على ظهر الفزاريّ أقرعا
بعشر ملوك للملوك سفالها ... ليوفي سيار بن عمرو فاسرعا
رمينا صفاهُ بالمئين فاصبحت ... ثناياهُ للساعين في المجد مهيعا

(قال) ويُقال بل قالها ربيع بن قعنب . فردّ عليهِ قراد فقال :

ما كان ثعلب ذي عاج ليحملها ... ولا الفزاريّ جوفان بن جوفانِ
لكن تضمّنها ألفاً فأخرجها ... على تكاليفها حارِ بن سفيانِ

وقال عويف القوافي بن عيينة في الاسلام يفخر على ابي منظور الوبري حين هاجاه أحد بني وبر بن كلاب :

فهل وجدتم حاملًا كحاملي ... اذ رهن القوس بألف كاملِ
بديّة ابن الملك الحلاحلِ ... فافتكّها من قبل عام قابلِ
سيار الموفي بها ذو السائلِ

رشية وهي رميلة (١) حين طلبهم من لقيط بن زرارة حتى استنقذهم. فقال الاسود بن المنذر في ذلك :

كأيّن لنا من نعمةٍ في رقابكم … بني قطن فضلًا عليكم وأنعُما
وكم منّةٍ كانت لنا في بيوتكم … وقتل كريمٍ لم تعدُّوه مغرمـا
فانكمُ لا تمنعون ابن ظالمٍ … ولم يمسِ بالايدي الوشيج المقوّما

فاجابهُ ضمرة بن ضمرة فقال :

سنمنع جارًا عائذًا في بيوتكم … باسيافنا حتى يؤوب مسلما
اذا ما دعونا دارمـًا حال دونهُ … عوابس يعلكن الشكيم المجما
ولو كنت حوّامًا وردت طويلعًا … ولا حومة الّا خميسًا عرمرما
تركت بني مـاء السماء وفعلهم … وأشبهت تيسًا بالحجاز مزنّمـا
ولن اذكر النعمان الّا بصالحٍ … فانّ لهُ فضلًا علينـا وأنعُما

(قال) وبلـغ ذلك بني عامر فخرج الاحوص غازيًا لبني دارم طالبًا بدم أخيـهِ خالد بن جعفر حـين انطووا على الحرث وقاموا دونهُ. فغزاهم فالتقوا

---

(١) رشية امة كانت لزرارة بن عديّ بن زيد المشاجعي. فتزوج بها رجل من بني نهشل. فولدت لهُ الاشهب بن رميلة والرباب بن رميلـة وغيرهما. وكان زرارة يأتي بني نهشل يطلب الغلمة التي ولدت. فكانوا يُسمعونهُ ما يكره فيرجع الى ولده فيقول : اسمعني بنو عمّي خـيرًا. وقالوا : سنبعث بهم اليك عاجلًا. حتى مات زرارة فقام لقيط ابنهُ بامرهم. فلما آتاهم أسمعوه ما كره ووقع بينهم شرّ. فذهب النهشليُّ الى الملك فقال : ابيت اللعن لا تصاني وتصل قومي بافضل من طلبتك الى لقيط الغلمة لتكفّ عني. فدعاه فشرب معهُ ثم استوهبهم منـهُ فوهبهم لهُ. فقال الاسود بن المنذر في ذلك ما قال

برحرحان فهزمت بنو دارم وأُسر معبـد بن زرارة فانطلقوا بهِ حتى مات في أيديهم. وحديثـهُ في يوم رحرحان يأتي بعد. ثم أسر بنو هزان الحرث ابن ظالم

يوم رحرحان (*)

قال ابو سعيد الحسن بن الحسين السكري عن محمد بن الحبيب عن أبي عبيدة قال : كان من خبر رحرحان الثاني ان الحرث بن ظالم المرّي لما قتل خالد ابن جعفر بن كلاب غدرًا عند النعمان بن المنذر بالحـيرة هرب فأتى زرارة بن عدس فكان عندهُ. وكان قوم الحرث قد تشاءموا بهِ فلاموه وكره ان يكون لقومهِ زعم عليـهِ (١) فلم يزل في بني تميم عند زرارة حتى لحق بقريش. وكان يقـال ان مرّة بن عوف من لؤيّ بن غالب. وهو قول الحرث بن ظالم ينتمي الى قريش :

رفعت السيف اذ قالوا قريش … وبيّنت الشمائل والعتـابا
فما قومي بثعلبـة بن سعدٍ … ولا بفزارة الشعر الرقابا

وأتاهم لذلك النسب. فكان عند عبد الله بن جدعان. فخرجت بنو عامر الى الحرث بن ظالم حيث لجأ الى زرارة وعليهم الاحوص بن جعفر والتقوا برحرحان واسر يومئذٍ معبد بن زرارة اسرهُ عامر بن مالك واشترك في اسرهِ طفيل

(*) رحرحان اسم جبل قريب عكاظ خلف عرفات. قيل هو لغطفان. وكان فيهِ يومان للعرب اشهرهما الثاني

(١) الزعم المنّة

ابن مالك ورجل من غني يقال لهُ أبو عميلة وهو عصمة بن وهب وكان أخا
طفيل بن مالك من الرضاعة . وكان معبد بن زرارة أغار على عامر بن مالك
في الشهر الحرام وهو رجب وكانت مضر تدعوه الاصمّ لانهم كانوا لا يتنادون
فيهِ : يا لفلان ويا لفلان ولا يتغازون ولا يتنادون فيهِ بالثارات . وهو ايضاً مُنصِل
الألّ (والألّ الاسنَّة . كانوا اذا دخل رجب انصلوا الاسنة من الرماح حتى يخرج
الشهر) . وسأل لقيط عامراً أن يطلق أخاه . فقال : امّا حصّتي فقد وهبتها لك
ولكن أرضِ أخي وحليفي اللذين اشتركا فيهِ . فجعل لقيط لكلّ واحد مائة
من الابل . فرضيا وأتيا عامراً فاخبراه . فقال عامر للقيط : دونك أخاك فاطلق
عنهُ . فلما أُطلق فكر لقيط في نفسه فقال : اعطيتهم مائتي بعير ثم تكون لهم
النعمة عليَّ بعد ذلك . لا والله لا أَفعل ذلك . ورجع الى عامر فقال : انَّ أَبي
زرارة نهاني ان أَزيد على مائة دية مُضَر . فان أَنتم رضيتم اعطيتكم مائة من
الابل . فقالوا : لا حاجة لنا في ذلك . فانصرف لقيط . فقال لهُ معبد : مالي يخرجني
من أَيديهم . فأَبى ذلك عليهِ . فقال : اذا يقتسم العرب بني زرارة . فقال معبد
لعامر بن مالك : ياعامر أَنشدك الله لما خلَّيت سبيلي فانما يريد ابن الحمراء ان
يأكل كل مالي . ولم تكن امّهُ ام لقيط . فقال لهُ عامر : أَبعدك الله ان لم يشفق
عليك اخوك فانا أَحقُّ ان لا اشفق عليك . فعمدوا الى معبد فشدّوا عليهِ
القدّ وبعثوا بهِ الى الطائف . فلم يزل بهِ حتى مات . فذلك قول شريح بن
الاحوص :

لقيط وانت امرؤٌ ماجد ... ولكنَّ حلمك لا يهتدي
أَلمَّا امنت وساغ الشراب م ... واحتلَّ بيتك في ثهمدِ
رفعت برجليك فوق الفراش م ... تهدي القصائد في معبدِ

واسلمتهُ عند جدّ القتال ... وتبخل بالمال ان يفتدي

وقال في ذلك عوف بن عطيَّة بن الجزع التيمي يعيّر لقيط بن زرارة :

هلاّ فوارس رحرحان هجرتهم ... عشرًا تناوح في سرارة وادِ
لا تا كل الابل الغراث نباتهُ ... ما ان يقوم عمادهُ بعمادِ
هلاّ كررت على اخيك معبد ... والعامري يقودهُ بصفادِ
وذكرت من لبن المحلَّق شربةً ... والخيل تعدو بالصفاح بدادِ (١)
لو كنت اذ لا يستطيع فديتهُ ... بهجان آدم طارف وتلادِ
لكن تركتهُ في عميق قعرها ... جزرًا لخامعةٍ وطير عوادِ
لو كنت مستحيًا لعرضك مرَّةً ... قاتلتَ او لفديت بالازوادِ

وفيها يقول نابغة بني جعدة :

هلاّ سألت بيومَي رحرحان وقد ... ظنَّت هوازن انَّ القرّ قد زالا

وفيها يقول مقدام اخو عدس بن يزيد في الاسلام وقتلت بنو طهية ابناً
للقعقاع بن معبد فتنادوا فاجابت بنو طهية منهم الفضل :

وأنتم بني ماء السماء رغمتمُ ... ومات أبوكم يا بني معبد هزلا

وقال المخبل السعدي يذكر معبداً :

فان تكُ نالتنا كليب بقرَّةٍ ... فيومك فيهم بالمصيفة أبردُ
همُ قتلوا يوم المصيفة مالكًا ... وشاط بايديهم لقيطٌ ومعبدُ

وفيهما يقول عياض بن مرثد بن أسيد بن قريط بن لبيد في الاسلام :

(١) بداد متفرقة . والصفاح موضع . والمحلق موسومة بحلق على وجوهها . يقول
ذكرت لبنها يعني ابلهُ

ونحن أسرنا معبدًا يوم معبدٍ — فما افتكَّ حتى مات من شدّة الاسرِ
ونحن قتلنا بالصفا بعد معبدٍ — أخاهُ باطراف الردينيّة السمرِ

هرب الحرث بن ظالم ومقتله

قال ابوعبيدة : خرج الحرث من عند بني دارم فجعل يطوف في البلاد حتى سقط في ناحية من بلاد ربيعة ووضع سلاحهُ وهو في فلاة ليس فيها أثر ونام . فمرّ بهِ نفرٌ من بني قيس بن ثعلبة ومعهم قوم من بني هزان من عنزة وهو نائم . فاخذوا فرسهُ وسلاحهُ . ثم أوثقوه . فانتبه وقد شدّوه ولم يملك من نفسهِ شيئًا . فسألوه : من أنت . فلم يخبرهم وطوى عنهم الخبر . فضربوهُ ليقتلوه على ان يخبرهم من هو . فلم يفعل . فاشتراه القيسيّون من الهزانيين بزقّ خمر وشاة(١) . ثم انطلقوا بهِ الى بلادهم فقالوا لهُ : من أنت وما حالك . فلم يخبرهم . فضربوه ليموت . فأبى . (قال) وهو قريب من اليمامة . (قال) فبينما هم على تلك الحال وهم يريعونهُ ضربًا مرّةً وتهددًا اخرى ولينًا مرّة ان يخبرهم بحالهِ وهو يأبى حتى ملّوه فتركوه في قيده حتى انفلت ليلًا فتوجّه نحو اليمامة وهو قريب منهُ . فلقي غلمة يلعبون . فنظر الى غلام منهم اخلقهم للخير عنده فقال : من أنت . قال : أنا بجير بن أبجر العجليّ . ولهُ ذؤابة يومئذٍ وأُمّهُ امرأة قُتادة بن مسلمة الحنفيّ . فأتاه وأخذ بحقويهِ والتزمهُ وقال : انا لك جار . فيقال انّ عجلًا اجارتهُ في هذا اليوم لا في اليوم الاوّل الذي ذكرناه في اوّل الحديث . فأتى الغلام

(١) ويقال اشتراهُ رجل من بني سعد باغلاق بكرة وعشرين من الشاء

اباه فأخبرهُ واجاره وقال : ائت عمّك قتادة بن مسلمة الحنفيّ فاخبره . فأتى قيادة فاخبرهُ فاجارهُ

(قال ابوعبيدة) وأما فراش فزعم انهُ أفلت من بني قيس فاقبل شدًّا حتى اتى اليمامة . وتبعوهُ حتى انتهى الى نادي بني حنيفة وفيهِ قتادة بن مسلمة . فلما رأوهُ يهوي نحوهم قال : انّ هذا لخائف . وبصر القومَ من خلفهِ فصاح بهِ : الحصنَ الحصن . فاقبل حتى ولج الحصن . وجاءت بنو قيس . فحال دونهُ وقال : لو اخذتموه قبل دخولهِ الحصن لا اسلمتهُ اليكم . فاما اذ تحرّم بي فلا سبيل اليهِ . (قال) فقالوا : اسيرنا اشتريناه باموالنا وما هو لك بجار ولا تعرفهُ وانما أتاك هاربًا من أيدينا ونحن قومك وجيرتك . قال : امّا ان اسلمهُ ابدًا فلا يكون ذلك ولكن اختاروا مني ان شئتم فانظروا ما اشتريتموه بهِ فخذوه مني . وان شئتم اعطيتهُ سلاحًا كاملًا وحملتهُ على فرس ودعوه حتى يقطع الوادي بيني وبينهُ ثم دونكموه . فقالوا : رضينا . فقال ذلك للحرث . فقال : نعم . فالبسهُ سلاحًا كاملًا وحملهُ على فرسهِ وقال لهُ : ان افلتهم فردّ اليَّ الفرس والسلاحُ لك . (قال) فخرج وتركوهُ حتى جاز الوادي ثم اتبعوه ليأخذوه . فلم يزل يقاتلهم ويطاردهم حتى ورد بلاد بني قشير وهو قريب من اليمامة أيضًا بينهما أقلّ من يوم . فلما صار الى بلاد بني قشير يئسوا منهُ فرجعوا عنهُ . وعرفهُ بنو قشير فانطوا عليهِ وأكرموه وورد الى قتادة بن مسلمة فرسه وارسل اليهِ مائة من الابل لا أدري أأعطاه اياها بنو قشير من أموالهم ليكافئ بها قتادة أم كانت لهُ . لم يفسر ابوعبيدة أمرها ولا سالتهُ عنها . فقال الحرث بن ظالم في ابني حلاكة (١) وهما من الذين باعوهُ من القيسيين . وفيما كان من امره :

(١) قال ابو عبيدة : ويُقال اسرهُ راعيان من بني هزان يقال لهما ابنا حلاكة

أبلغ لديك بني قيس مغلغلة   اني اقسم في هزّان ارباعا
ابنا حلاكة باعاني بلا ثمن   وباع ذو آل هزّان بما باعا
يا ابني حلا نة لمّا تأخذا ثمني   حتى اقسم افراساً وادراعا
قتادة الخير نالتني حذيتـهُ   وكان قدماً الى الخيرات طلّاعا

وقال في ذلك ايضاً :

همّت عكابة ان تضيم لجيماً   فأبت لجيم ما تقول عكابهْ
فاسقي بجيراً من رحيق مدامة   واسقي الخفير وطهّري اثوابهْ
جاءت حنيفة قبل جيئة يشكر   كلّاً وجدنا أربيـاء ذؤابهْ

وزعم ابو عبيدة ان الحرث لمـا هزمت بنو تميم يوم رحرحان مرّ برجل من بني أسد بن خزيمة . فقال : يا حارِ انك مشئوم وقد فعلت ما فعلت فانظر اذا كنت بمكان كذا وكذا من برقة رحرحان فان لي بهِ جملاً أحمر فلا تتعرض لهُ . وانما يعرّض لهُ ويكره ان يصرّح فيبلغ الاسودَ فياخذهُ . فلما كان الحرث بذلك المكان اخذ الجمل فنجا عليهِ . واذا لا يساير من امامهِ ولا يسبق من وراه . فبلغ ذلك الاسودَ فاخذ الاسودُ الاسديَّ وناساً من قومهِ وبلغ ذلك الحرث ابن ظالم فقال كأنهُ يهجوهم لئلّا يتهمهم الاسودُ :

أراني الله بالنعم المبدّى   ببرقة رحرحان وقد أراني
لحيّ الانكدين وحيّ عبس   وحيّ نعامة وبني غدان

(قال) فلما بلغ قولهُ الاسود خلّى عنهم ولحق الحرث بمكة وانتمى الى قريش . وذلك قولهُ :

وما قومي بثعلبة بن سعد   ولا بفزارة الشعر الرقابا
وقومي ان سألتَ بنو لؤيٍّ   بمكّة علّموا مضر الضرابا

(قال) فزوّدهُ وحملهُ رواحة الجمحي على ناقة . فذلك قولهُ :

وهشّ(١) رواحة الجمحيّ رحلي   بناجيـة ولم يطلـب ثوابا
كأنّ الرحل والأنسـاع فيها   ومبترتي كُسـينَ أقبّ جابا

(قال) فلحق الحرث بالشام بملك من ملوك غسان يقال النعمان ويقال بل هو يزيد بن عمرو الغساني فأجارهُ . وكانت للملك ناقة محماة في عنقها مدية وزناد وصرّة ملح . وانما يختبر بذلك رعيتهُ هل يجترئ عليـهِ أحد منهم . ومع الحرث امرأتان . فوحمت احدى امرأتيه . (قال ابو عبيدة) واصابت الناس سنة شديدة . فطلبت الشحم اليـهِ . قال: وأنّى لي بالشحم . فألحّت عليه . فعمد الى الناقة فادخلها الى بطن وادٍ فلبّ في سَبَلتها (٢) . فأكلت امرأتهُ ورفعت ما بقي من الشحم في عُكّتها . (قال) وفقدت الناقة فوجدت نحيراً لم يؤخذ منها الّا السنام . فأعلموا ذلك الملك وخفي عليهم مَن فعلهُ . فارسل الى الخِمس التغلبيّ وكان كاهناً فقال : من نحر الناقة . فذكر ان الحرث نحرها . فتذمّم الملك وكذّب عنهُ . فقال : ان اردتَ تعلم علم ذلك فدسّ امرأة تطلب الى امرأتهِ شحماً . ففعل . فدخل الحرث وقد أخرجت امرأتهُ اليها شحمـاً فعرف الرأي فقتلهـا ودفنها في بيتهِ . فلما فقدت المرأة قال الخمس : غالها ما غال الناقة فان كره الملك ان يفتشهُ عن ذلك فليأمر بالرحيل فاذا ارتحل بحث بيتهُ . ففعل واستأثر الخمس مكان بيتهِ . فوثب عليهِ الحرث فقتلهُ . فأُخذ الحرث فحبس . فاستسقى ماء فأتاه رجل بماء فقال : أتشرب . فانشأ الحرث يقول :

لقد قال لي عند الجاهد صاحبي   وقد حيل دون العيش هل أنت شاربُ

---

(١) يروى حشّ وهشّ وهما لغتان . وحشّ سوّى   (٢) اي طعن

وددت باطراف البنان لو انني   بذي أرونا ترمي ورائي الثعالبُ (١)

(قال) فأمر الملك بقتلهِ . فقال: انك قد اجرتني فلا تغدرني . فقال: لا ضير ان غدرت بك مرَّة فقد غدرت بي مرار . فأمر مالك بن الخمس التغلبيّ ان يقتلهُ بابيهِ . فقال: يا ابن شرّ الاظماء أنت تقتلني . فقتلهُ . وقال ابن الكلبيّ: لما قام ابن الخمس الى الحرث ليقتلهُ . قال: من أنت . قال: ابن الخمس . قال: أنت ابن شرّ الاظماء . قال: وانت ابن شرّ الاسماء . فقتلهُ .

واخذ ابن الخمس سيف الحرث بن ظالم المعلوب فأتى بهِ سوق عكاظ في الحرم . فجعل يعرضهُ على البيع ويقول: هذا سيف الحرث بن ظالم . فاشتراه قيس بن زهير بن جذيمة . فاراه اياه . فعلاه بهِ حتى قتلهُ في الحرم . فقال قيس بن زحك يرثي الحرث بن ظالم :

ما قصرت من حاضن ستر بيتها   أبرّ وأوفى منك حار بن ظالمِ
أعزّ وأحمى عند جار وذمةٍ   وأضرب في كأب من النقع قاتمِ

هذه رواية أبي عبيدة والبصريّين . وأما الكوفيون فانهم يذكرون ان النعمان بن المنذر هو الذي قتلهُ

اخبرني بذلك علي بن سليمان الاخفش قال: حدَّثنا أبو سعيد عن محمد بن حبيب عن ابن الاعرابي عن المفضل قال: لما هرب الحرث الى مكة أسف النعمان بن المنذر على فوتهِ اياه . فلطف لهُ وراسلهُ واعطاه الامان واشهد على نفسهِ وجوه العرب من ربيعة ومضر واليمن انهُ لا يطلبهُ بذَحْل ولا يسوءهُ في حال . وارسل بهِ مع جماعة ليسكن الحرث اليهم . وأمرهم ان يتكافلوا لهُ

(١) الثعالب من مرَّة وهم رماة . أرونا مكان . وقال مرَّة اخرى : الثعالب بنو ثعلبة . يقول كانوا يرمون عني ويقومون بامري

بالوفاء ويضمنوا لهُ عنهُ انهُ لا يهيجهُ . ففعلوا ذلك . وسكن اليهِ الحرث فأتى النعمان وهو في قصر بني مقاتل فقال للحاجب: استأذن لي . والناس يومئذٍ عند النعمان متوافرون . فاستأذن لهُ . فقال النعمان: ائذن لهُ وخذ سيفهُ . فقال لهُ: ضع سيفك وادخل . فقال الحرث: ولِمَ اضعهُ . قال: ضعهُ فلا بأس عليك . فلما ألحّ عليهِ وضعهُ ودخل ومعهُ الامان . فلما دخل قال: أنعم صباحاً أبيت اللعن . قال: لا أنعم الله صباحك . فقال الحرث: هذا كتابك . قال النعمان: كتابي والله ما انكرهُ انا كتبتهُ لك وقد غدرتَ وفتكت مرارًا . فلا ضير ان غدرتُ بك مرَّة . ثم نادى: من يقتل هذا . فقام ابن الخمس التغلبيّ وكان الحرث فتك بابيهِ . فقال: أنا أقتلهُ . وذكر باقي الخبر في قصتهِ مع ابن الخمس ما ذكر أبو عبيدة

خبر الحرث بن ظالم وعمرو بن الاطنابة

وانما ذكر ههنا لاتصالهِ بمقتل خالد بن جعفر ولانَّ فيما تناقضا من الاشعار اغاني صالح ذكرها في هذا الموضع . (قال أبو عبيدة) كان عمرو بن الاطنابة الخزرجيّ ملك الحجاز . ولما بلغهُ قتل الحرث بن ظالم خالد بن جعفر وكان خالد مصافيًا لهُ غضب لذلك غضبًا شديدًا وقال: والله لو لقي الحرث خالدًا وهو يقظان لما نظر اليهِ ولكنهُ قتلهُ نائمًا . ولو أتاني لعرف قدره . ثم دعا بشرابهِ ووضع التاج على رأسهِ ودعا بقيانهِ فتغنين لهُ :

عللاني وعللا صاحبيًا   واسقياني من المروّق ريًا
وفتى يضرب الكتيبة بالسيف   م اذا كانت السيوف عصيًا

انا لا نسر في غير نجدٍ　　ان فينا بها فتًى خزرجيًا
يدفع الضيم والظلامة عنها　　فتجافي عنهُ لنا يامنيًا
أبلغ الحرث بن ظالم الرعديد م　　والناذر النذور عليًا
انما يقتل النيام ولا يقتل م　　يقظانَ ذا سلاح كميًا
ومعي مشتكي معابل كالجمر م　　وأعددت صارمًا مشرفيًا
لوهبطت البلاد أنسيتك القتل م　　كما ينسى النسيُ النسيًا

(قال) فلما بلغ الحرث شعره هذا ازداد حنقًا وغيظًا . فسار حتى ديار بني الخزرج ثم دنا من قبّة عمرو بن الاطنابة ثم نادى : أيها الملك أغثني فاني جار مكثور وخذ سلاحك . فاجابهُ وخرج معهُ حتى اذا برز لهُ عطف عليهِ الحرث وقال : انا أبو ليلى . فاعتركا مليًا من الليل . وخشي عمرو ان يقتلهُ الحرث فقال لهُ ياحارِ اني شيخ كبير واني تعتريني سِنة . فهل لك في تاخير هذا الامر الى غد . فقال : هيهات ومَن لي بهِ في غد . فتجاولا ساعة . ثم القى عمرو الرمح من يدهِ وقال : ياحار ألم أُخبرك ان النعاس يغلبني . قد سقط رمحي فاكفف . فكفّ . قال : أنظرني الى غد . قال : لا افعل . قال : فدعني آخذ رمحي . قال : خذه . قال : اخشى ان تعجلني عنهُ او تفتك بي اذا اردت أخذه . قال : وذمة ظالم لا أعجلتك ولا قاتلتك ولا فتكت بك حتى تأخذهُ . قال : وذمة الاطنابة لا آخذهُ ولا أُقاتلك . فانصرف الحرث الى قومهِ وقال مجيبًا لهُ :

اعزفا لي بلذّة قينتيا　　قبل ان يبكر المنون عليًا
قبل ان يبكر العواذل اني　　كنت قدمًا لامرهنّ عصيًا
ما أُبالي اذا اصطبحت ثلاثًا　　أرشيدًا حسبتني أم غويًا
بعد ان لا اصرّ لله اثمًا　　في حياتي ولا أخون صفيًا



من سلاف كأنها دمُ ظبيٍ　　في زجاج تخالهُ رازقيًا
بلغتنا مقالة المرء عمرو　　فأنفنا وكان ذاك بديًا
قد هممنا بقتلهِ اذ برزنا　　ولقيناهُ ذا سلاح كميًا
غير ما نائم تعلّل بالحلم م　　معدًا بكفهِ مشرفيًا
فمننّا عليه بعد علوّ　　بوفاء وكنت قدمًا وفيًا
ورجعنا بالصفح عنهُ وكان م　　المنُّ منّا عليهِ بعد تليًا

يوم شِعْب جَبَلَة (*)

(قال ابو عبيدة) وأمّا يوم جبلة وكان من عظام ايام العرب . وكان عظام ايام العرب ثلاثة يوم كلاب ربيعة ويوم جبلة ويوم ذي قار . وكان الذي هاج يوم جبلة انّ بني عبس بن بغيض حيث خرجوا هاربين من بني ذبيان بن بغيض وحاربوا قومهم خرجوا متلذذين . فقال الربيع بن زياد العبسي أما والله لارمينّ العرب بحجرها . اقصدوا بني عامر . فخرج حتى نزل مضيقًا من وادي بني عامر . ثم قال : امكثوا . فخرج ربيع وعامر ابنا زياد والحرث بن خلف

(*) جبلة هضبة حمراء بنجد بين الشُرَيف والشرَف . والشريف ماءٌ لبني نُمَيْر والشرف لبني كلاب . وجَبَلَة جبل عظيم واسع لهُ شعب طويل لا يرقى الجبل الّا من قبل الشعب . والشعب متقارب وداخلهُ متّسع وبهِ عرَينة بطن من بجيلة . وقال ابو زياد . جبلة هضبة طولها مسيرة يوم وعرضها مسيرة نصف يوم وليس فيها طريق الّا طريقان فطريق من قبل مطلع الشمس وهو اسفل الوادي الذي يجيء من جبلة وبهِ ماءة لعرينة يقال لها سلعة . وعرينة حيّ من بجيلة حلفاء في بني كلاب . وطريق آخر من قبل مغرب الشمس يسمّى الخليف . وليس الى جبلة طريق غير هذين

حتى نزلوا على ربيعة بن شكل بن كعب بن الحرث . وكان العقد من بني عامر الى كعب بن ربيعة . فقال ربيعة بن شكل : يا بني عبس شأنكم جليل وذحلكم الذي يطلب منكم عظيم وأنا اعلم والله ان هذه الحرب أعزّ حرب ما حاربتها العرب قط ولا والله ما بدّ من بني كلاب فأمهلوني حتى استطلع طلع قومي . فخرج في قوم من بني كعب حتى جازوا بني كلاب . فلقيهم عوف بن الاحوص فقال : ياقوم أطيعوني في هذا الطرف من غطفان فاقطعوهم واغنموهم لا تفلح غطفان بعده ابداً . ووالله ان تزيدون على ان تسمنوهم وتمنعوهم ثم يصيروا لقومكم اعداء . فأبوا عليهِ وانقلبوا حتى نزلوا على الاحوص ابن جعفر فذكروا لهُ من امرهم . فقال لربيعة بن شكل : أظللتهم ظلك وأطعمتهم طعامك . قال : نعم . قال : قد والله أجزت القوم فانزلوا القوم وسطهم بجبوحة دارهم

وذكر بشر بن عبد الله بن حيان الكلابي ان عبساً لما حاربت قومها أتوا بني عامر وارادوا عبد الله بن جعدة وابن الحريش ليصيروا حلفاءهم دون كلاب . فأتى قيس بن زهير وأقبل نحو بني جعفر هو والربيع بن زياد حتى انتهيا الى الاحوص قد لم ينتهِ . فقال قيس للربيع : انهُ لا حلف ولا ثقة دون ان انتمي الى هذا الشيخ . فتقدم اليهِ قيس فاخذ بمجامع ثوبهِ من وراء فقال : هذا مقام العائذ بك قتلتم أبي فما اخذت لهُ عقلًا ولا قتلت بهِ احداً وقد تجيرنا . فقال الاحوص : نعم انا لك جار مما أُجير منهُ نفسي . وعوف بن الاحوص عن ذلك غائب . فلما سمع عوف بذلك أتى الاحوص وعنده بنو جعفر فقال : يا معشر بني جعفر أطيعوني اليوم وأعصوني أبداً وان كنت والله فيكم معصياً انهم والله لو لقوا بني ذبيان لولّوكم اطراف الاسنّة اذا نكهوا في أفواههم

بكلام فابدأوا بهم فاقتلوهم واجعلوهم مثل البرغوث دماغهُ دمهُ . فأبوا عليهِ وحالفوهم . فقال رجل : لا أدخل في هذا الحلف (قال) وسمعت بهم حيث قرّ قرارهم بنو ذبيان فحشدوا واستعدّوا وخرجوا وعليهم حصن بن حذيفة ومعهُ الحليفان أسد وذبيان يطلبون دم حذيفة . وأقبل معهم شرحبيل بن أخضر بن الجون (١) في جمع من كندة . وأقبلت بنو حنظلة بن مالك والرباب عليهم يطلبون بدم معبد بن زرارة ويثربي بن عدس . وأقبل معهم كيسان بن عمرو ابن الجون في جمع عظيم من كندة وغيرهم . فاقبلوا عليهِ بوضائع كانت تكون بالحيرة مع الملوك وهم الرابطة . وكان في الرباب رجل من اشرافهم يقال لهُ النعمان بن قهوس التيمي . وكان معهُ لواء من سار الى جبلة . وكان من فرسان العرب . ولهُ تقول دختنوس بنت لقيط بن زرارة يومئذٍ :

فرّ ابن قهوس الشجاع م   بكفهِ رمح متلُّ
يعدو بهِ خاظي البضيع م   كأنهُ سمع أزلُّ (٢)
أنك من تيم فدع   غطفان ان ساروا وحلّوا
لا منك عدّهم ولا   آباك ان هلكوا وذلّوا
فخر البغي بحدج ربتها م   اذا الناس استقلّوا
لا حدجها ركبت ولا   لرغاء فيها مستظلُّ

---

(١) الجون هو معاوية سمّي بذلك لشدّة سوادهِ ابن آكل المرار الكندي

(٢) متلّ مستقيم يتلّ بهِ كل شيء . الخاظي الشيء المكتنز . والسمع ولد الضبع والعسبار ولد الذئب من الكلبة

ولقد رأيت أباك وسط م القوم يبزو أو يجلُّ (١)
متقلدًا ربق الفرار (٢) م كأنهُ في الجيد غلُّ

(قال) وكان معهم روساء بني تميم حاجب بن زرارة ولقيط بن زرارة وعمرو بن عمرو بن عيينة والحرث بن شهاب وتبعهم غثاء من غثاء الناس يريدون الغنيمة. فجمعوا جمعًا لم يكن في الجاهلية قطّ مثلهُ أكثر كثرة. فلم تشكَّ العرب في هلاك بني عامر. حتى مرّوا ببني سعد بن زيد مناة فقالوا لهم: سيروا معنا الى بني عامر. فقالت لهم بنو سعد: ما كنَّا لنسير معكم ونحن نزعم ان عامر بن صعصعة بن سعد. فقالوا: اما اذا ابيتم ان تسيروا معنا فاكتموا علينا. فقالوا: أمَّا هذا فنعم. فلما سمعت بنو عامر مسيرهم اجتمعوا الى الاحوص ابن جعفر وهو يومئذٍ شيخ كبير قد وقع حاجباه على عينيهِ وقد ترك الغزو. غير انهُ يدبّر أمر الناس وكان مجرّبًا حازمًا ميمون النقيبة. فاخبروه الخبر. فقال لهم الاحوص: قد كبرت فما استطيع ان اجيء بالحزم وقد ذهب الرأي مني. ولكني اذا سمعت عرفت فاجمعوا آراءكم ثم بيتوا ليلتكم هذه ثم اغدوا عليَّ فاعرضوا عليَّ أراءكم. ففعلوا. فلما اصبحوا غدوا عليهِ. فوُضعت لهُ عباءة بفنائهِ فجلس عليها ورفع حاجبيهِ عن عينيهِ بعصابة ثم قال: هاتوا ما عندكم. فقال قيس بن زهير العبسي: بات في كنانتي الليلة مائة رأي. فقال لهُ الاحوص: يكفينا منها رأي واحد حازم صليب مصيب هات فانثر كنانتك. فجعل يعرض كل رأي رآه حتى انفد. فقال لهُ الاحوص: ما أرى بات في كنانتك الليلة رأي واحد. وعرض الناس اراءهم حتى انفدوا. فقال: ما أسمع شيئًا

(١) يجلّ يلقط البعر
(٢) الفرار اولاد الغنم واحدها فرارة

وقد صرتم اليَّ. اجمعوا اثقالكم وضعفاءكم. ففعلوا. ثم قال: حملوا ظعنكم فحملوها. ثم قال: اركبوا. فركبوا وجعلوه في محفَّة. وقال: انطلقوا حتى تعلوا في اليمين فان ادرككم أحد كررتم عليهِ وان أعجزتموهم مضيتم. فسار الناس حتى أتوا وادي نجار ضحوة. فاذا الناس يرجع بعضهم على بعض. فقال الاحوص: ما هذا. قيل: هذا عمرو بن عبد الله بن جعدة قدم في فتيان من بني عامر يعدون بن أجاز بهم ويقطعون بالنساء حواياهنَّ. فقال الاحوص: قدّموني. فقدموه حتى وقف عليهم فقال: ما هذا الذي تصنعون. قال عمرو: أردتَ ان تفضحنا وتخرجنا هاربين من بلادنا ونحن أعزّ العرب وأكثر عددًا وجلدًا وأحدّ شوكة. تريد ان تجعلنا موالي في العرب اذ خرجت بنا هاربًا. قال: فكيف افعل وقد جاءنا ما لا طاقة لنا بهِ فما الرأي. قال: نرجع الى شِعب جبلة فنحرز النساء والضعفة والذراري والاموال في راسهِ ونكون في وسطهِ ففيهِ تمتّل (١). فان أقام من جاءك أسفل أقاموا على غير ماء ولا مقام لهم. وان صعدوا عليك قاتلتهم من فوق رؤوسهم بالحجارة فكنت في حرز وكانوا في غير حرز وكنت على قتالهم اقوى منهم على قتالك. قال: هذا والله الرأي. فأين كان هذا حين استشرتُ الناس. قال: انما جاءني الآن. قال الاحوص للناس: ارجعوا. فرجعوا. ففي ذلك يقول نابغة بني جعدة:

ونحن حبسنا الحيَّ عبسًا وعامرًا   لحسّان وابن الجون اذ قيلَ أقبلا
وقد صعدت وادي نجار نساؤهم   لاصعاد سير لا يرومون منزلا
عطفنا لهم عطف الضروس (٢) فصادفوا   من الهضبة الحمراء عزًّا ومفضلا

(١) اي خصب وماء   (٢) الضروس الناقة العضوض

فدخلوا شعب جبلة . ودخلت بنو عامر شعباً منهُ يقال لهُ مسلخ فحصنوا النساء والذراري والاموال في رأس الجبل وحلأوا الابل عن الماء واقتسموا الشعب بالقداح والقرع بين القبائل في شكاياه . فخرجت بنو تميم ومعهم بارق (١) حيّ من الازد حلفاء يومئذٍ لبني نمير . فولجوا الخليف (٢) . وفيهِ يقول معقر ابن اوس بن حماد البارقي :

ونحن الايمنون بنو نمير   يسير بنا امامهم الخليفُ

(قال) وكان معقر يومئذٍ شيخاً كبيراً أعمى ومعهُ ابنة لهُ تقود بهِ جملهُ من أسفل من الناس فتخبرهُ وتقول : هولاء بنو فلان وهولاء بنو فلان . حتى اذا تناهى الناس قال : اهبطي لا يزال هذا الشعب منيعاً سائر هذا اليوم وهبط . وكانت كبشة بنت عروة الرحّال بن عتبة بن جعفر بن كلاب يومئذٍ حاملاً بعامر بن الطفيل . فقالت : ويلكم يا بني عامر ارفعوني فوالله ان في بطني لعزّ بني عامر . فصفّوا القسيّ على عواتقهم ثم حملوها حتى اثووها بالقنّة (٣) . فزعموا انها ولدت عامراً يوم فزع الناس من القتال . فشهدت بنو عامر كلّها جبلة الّا هلال بن عامر وعامر بن ربيعة بن عامر . وشهدها مع بني عامر من العرب بنو عبس بن رفاعة بن الحرث بن بهثة بن سليم . وكان لهم باس وحزم وعليهم مرداس بن أبي عامر وهو أبو العباس بن مرداس . وكانت بنو عبس بن رفاعة حلفاء بني عمرو بن كلاب . وزعم بعض بني عامر انّ مرداساً

(١) بارق هو سعد بن عديّ بن حارثة بن عمرو بن مزيقياء بن عامر بن ماء السماء . وسُمّي مزيقياء لانهُ كان يمزّق عليهِ كل يوم حُلّة

(٢) الخليف الطريق بين الشعبين شبه الزقاق

(٣) يقال قنة او قنان

كان مع اخوالهِ وامه فاطمة بنت جلهمة الغنوية . وشهدتها غني وباهلة ناس من بني سعد بن بكر . وقبائل بجيلة كلها الّا قشيراً الحرب كانت بين قيس وقومها . فارتحلت بجيلة فتفرّقت في بطون بني عامر . فكانت عادية من عامر ابن قراد بن بجيلة في بني عامر بن ربيعة . وكانت شحمة من بجيلة في بني جعفر بن كلاب ويقال عمرو بن كلاب . وكانت عرينة من بجيلة في عمرو بن كلاب . وكانت بنو قيس كبة (لفرس يقال لها كبة) من بجيلة في بني عامر بن ربيعة . وكانت قينان في بني عامر بن ربيعة . وبنو قطيفة من بجيلة في بني أبي بكر بن كلاب . ونصيب بن عبد الله بن بجيلة في بني عامر بن ربيعة . وبنو عمرو بن معاوية بن زيد من بجيلة في بني أبي بكر بن كلاب معهم يومئذٍ نفير من عكل . فبلغ جمعهم ثلاثين الفاً . وعمي على بني عامر الخبر فجعلوا لا يدرون ما قرب القوم من بعدهم . وأقبلت تميم وأسد وذبيان ولفهم نحو جبلة . فلقوا كرب بن صفوان فقالوا لهُ : أين تذهب أتريد تنذر بنا بني عامر . قال : لا . قالوا : فأعطنا عهداً وموثقاً لا تفعل . فأعطاهم فخلّوا سبيلهُ . فمضى مسرعاً على فرس لهُ عُريٍ حتى اذا نظر الى مجلس بني عامر وفيهم الاحوص نزل تحت شجرة حيث يرونهُ . فارسلوا اليهِ يدعونهُ . قال : لست فاعلاً ولكن اذا رحلت فانتوا منزلي فان الخبر فيهِ . فلما جاءوا منزلهُ اذا فيهِ تراب في صرّة وشوك قد كسر رؤوسهُ وفرق جهته واذا حنظلة موضوعة واذا وطب معلّق فيهِ لبن . فقال الاحوص : هذا رجل قد أخذ عليهِ المواثيق ان لا يتكلم وهو يخبركم ان القوم مثل التراب كثرة وان شوكتهم كليلة وجاءتكم بنو حنظلة . انظروا ما في الوطب . فاصطبوه فاذا فيهِ لبن جبن قارص . فقال : القوم منكم على قدر حلاب اللبن الى ان يخزر . فقال رجل من بني يربوع . ويقال قالتهُ دختنوس بنت لقيط بن زرارة :

كرب بن صفوان بن شجنة لم يدع   من دارم احداً ولا من نهشلِ
أجعلت يربوعاً كقورة دائرٍ   ولتحلفنّ بالله ان لم تفعلِ

وذلك قول عامر بن الطفيل بعد جبلة بحين :

ألا أبلغ لديك جموع تيم   فبيتوا لن نهيجكم نياما
نصحتم بالمغيب ولن تغيبوا   علينا انكم كنتم كراما
ولو كنتم مع ابن الجون كنتم   كمن أودى وأصبح قد ألاما

فلما استثبت بنو عامر باقبالهم صعدوا الشعب وأمر الاحوص بالابل التي ظمئت قبل ذلك فقال اعقلوها كل بعير بعقالين يديهِ جميعاً . وأصبح لقيط والناس تزول بهِ وكانت مشورتهم الى لقيط . فاستقبلهم جمل عوّد أجرب أحذّ اعصل كاشر عن انيابهِ . فقال الحزارة (١) من بني اسد أعقروه . فقال لقيط : والله لا يعقر حتى يكون محل أبي غداً . وكان البعير من عصافير (٢) المنذر التي أخذها قرّة بن زهير بن عامر بن سلمة بن قشير . ثم استقبلهم معاوية بن عبادة بن عقيل وكان أعسر فقال :

أنا الغلام الاعسرُ   الخير فيّ والشرُّ   والضرُّ فيّ اكثرُ

فتشاءمت بنو اسد وقالوا : ارجعوا عنهم واطيعونا . فرجعت بنو أسد فلم تشهد جبلة مع لقيط الّا نفيراً يسيراً منهم شاس بن أبي ليلى أبو عمرو بن شاس الشاعر ومعقل بن عامر بن موالكة المالكي . وقال الناس للقيط : ما ترى . فقال : أرى ان تصعدوا اليهم . فقال شاس : لا تدخلوا على بني عامر . فاني أعلم الناس بهم . قد قاتلتهم وقاتلوني وهزمتهم وهزموني فما رأيت قوماً

(١) الحازر الفائف
(٢) العصافير ابل كانت للملوك نجائب

قط أقلق بمنزل من بني عامر . والله ما وجدت لهم مثلاً الّا الشجاع فانهُ لا يقرّ في جحرهِ قلقاً وسيخرجون اليكم . والله لئن نمتم هذه الليلة لا تشعرون بهم الّا وهم منحدرون عليكم . فقال لقيط : والله لندخلنّ عليهم . فأتوهم وقد اخذوا حذرهم . وجعل الاحوص ابنهُ شريحاً على تعبية الناس . فأقبل لقيط وأصحابهُ مدلين فاسندوا الى الجبل حتى ذرّت الشمس . فصعد لقيط في الناس واخذ بحافتي الشّجن . فقالت بنو عامر للاحوص : قد أتوك . فقال : دعوهم حتى اذا انصفوا الجبل وانتشروا فيهِ قال الاحوص : حلّوا عقل الابل ثم أحدروها واتبعوا آثارها وليتبع كل رجل منكم بعيرهُ حجرين او ثلاثة . ففعلوا ثم صاحوا بها . فلم يفجأ الناس الّا الابل تريد الماء والمرعى . وجعلوا يرمونهم بالحجارة والنبل . وأقبلت الابل تحطم كل شيء مرّت بهِ . وجعل البعير يدهدي بصدرهِ كذا وكذا حجراً . وقد كان لقيط واصحابه سخروا منهم حين صنعوا بالابل ما صنعوا . فقال رجل من بني أسد :

زعمت انّ العير لا تقاتلُ   بلى اذا ما قعقع الرحائلُ
واختلف الهنديّ والذوابلُ   وقالت الابطال من ينازلُ
بلى وفيها حسب ونائلُ

فانحطّ الناس منهزمين في الجبل حتى السهل . فلما بلغ الناسُ السهلَ لم يكن لاحد همّة الّا ان يذهب على وجهه . فجعلت بنو عامر يقتلونهم ويصرعونهم بالسيوف في آثارهم . فانهزموا شرّ الهزيمة . فجعل رجل من بني عامر يومئذٍ يرتجز ويقول :

لم أرَ يوماً مثل يوم جبلهْ   يوم أتتنا أسد وحنظلهْ
وغطفان والملوك أزفلهْ   نضربهم بقضب منتخلهْ

لم تعد ان أفرش عنها الصقلهْ   حتى حذوناهم حذاء الزفلهْ

وجعل معقل بني عامر يرتجز ويقول :

نحن سماة الخيل يوم جبلـهْ   بكل عضب صارم ومعبلة (١)

وهيكل نهدمهُ وهيكلهْ

وخرجت بنو تميم من الخليف على الخيل فكركروا الناس (٢) . وانقطع شريح ابن الاحوص في فرسان حتى أخذ الجرف فقاتل الناس قتالاً شديداً هناك . وجعل لقيط يومئذٍ وهو على برذون لهُ مجفف بديبـاج أعطاه اياه كسرى وكان أوّل عربيّ جفف يقول :

عرفتكم والدمع بالعين يكفْ   لفـارس اتلفتموهُ ما خلفْ

ان النشيل والشواء والزغفْ   والقينة الحسناء واكاس الانفْ

وصفوة القدر وتعجيـل اللففْ   للطاعنين الخيل والخيل جففْ

وجعل لا يمرّ بهِ احد من الجيش الّا قال : أنت والله قتلتنا وشاءمتنـا .

فجعل يقول :

ياقوم قد أحرقتمـوني باللومْ   ولم اقاتل عامراً قبل اليـومْ

فاليوم اذ قاتـلتهم فلا لومْ   تقدّموا وقدّموني للقـومْ

وقال شاس بن أبي ليلى يجيبهُ :

لكن انا قاتلتهـا قبل اليومْ   اذ كنت لاتعصي اموري في القومْ

وجعل لقيط يقول : من كرّ فلهُ خمسون ناقة وجعل يقول :

---

(١) المعبلة السهم اذا كان نصلهُ عريضاً فهو معبلة والرقيق القطبة

(٢) يعني ردّوهم

أكلكم يزجركم رحب هلا   ولن تروه الدهر الّا مقبلا

يحمل زغفاً وربيباً جحفلا   وسائلاً في اهلهِ ما فعلا

وجعل يقول ايضاً :

أشقر ان لم تتقدم تنحرِ   وان تأخر عن هياج تعقرِ

ثم عاد يقول :

ان الشواء والنشيل والزغف

فأجابهُ شريح بن الاحوص :

ان كنت ذا صدق فاقحمهُ الجرفْ   وقرّب الاشقر حتى تعـترفْ

وجوهنا انّا بنو البيض العطف

وبينهُ وبينـهُ جرف منكر . فضرب لقيط فرسهُ وأقحمهُ عليهِ الجرف . فطعنهُ شريح . وقد اختلفوا في ذلك . فذكروا ان الذي طعنهُ جزء بن خالد بن جعفر . وبنو عقيل تزعم ان عوف بن المنتفق العقيلي قتلهُ يومئذٍ وأنشـأ يقول :

ظلت تلوم لما بها عرسي   جهلاً وأنتِ حليمة أمسِ

ان تقتلوا بكري وصاحبه   فلقد شفيت بسيفي نفسي

فقتلتهُ في الشعب وافرسي   في الشرق قبل ترحل الشمسِ

فزعموا ان عوفاً هذا قتل يومئذٍ ستة نفر وقُتل ابن لهُ وابن أخ لهُ . وأما العلماء فلا يشكون ان شريحاً قتلهُ وارتُثّ (١) وبهِ طعنات . فبقي يوماً ثم مات .

فجعل لقيط يقول عند موتهِ :

---

(١) الارتثاث ان يُحمل وهو مجروح . فان حمل ميتاً فليس بمرتث

ياليت شعري عنكِ دختنوسُ(١) اذا أتاكِ الخبر المرسوسُ
أتحلق القرون ام تميسُ لا بل تميس انها عروسُ

وجعلت بنو عامر يضربونهُ وهو ميت . فقالت دختنوس :

ألا يا لها الويلات ويلة من بكى لضرب بني عبس لقيطاً وقد قضى(٢)

وقتل يومئذٍ قريظ بن معبد بن زرارة وزيد بن عمرو بن عدس قتلهُ الحرث ابن الابرص

(قال) وحمل معاوية بن يزيد الفزاريّ فأخذ كبشة بنت الحجاج بن معاوية وكانت عند مالك بن خفاجة . فحمل معاوية بن خفاجة أبي مالك على معاوية بن يزيد فقتلهُ واستنقذ كبشة . وقال : يا بني عامر انهم يموتون . وقد كان قيل لهم انهم لا يموتون . ونزل حسّان بن عامر بن الجون وصاح : يا آل كندة . فحمل عليهِ شريح بن الاحوص . فاعترض دون ابن الجون رجل من كندة يقال لهُ حوشب . فضربهُ شريح بن الاحوص في رأسهِ فانكسر السيف فيهِ . فخرج يعدو بنصف السيف وكان مما رغب الناس مكانهُ . وشدّ طفيل بن مالك بن جعفر فأسر حسّان بن الجون . وشدّ عوف بن الاحوص على معاوية ابن الجون فأسرهُ وجزّ ناصيتهُ واعتقهُ على الثواب . فلقيتهُ بنو عبس فأخذهُ قيس بن زهير فقتلهُ . فأتاهم عوف فقال : قتلتم طليقي . فاحيوه أو ائتوني بملك مثلهُ . فتخوّفت بنو عبس شرّهُ وكان مهيباً فقالوا : أمهلنا . فانطلقوا حتى أتوا أبا براء عامر بن مالك بن جعفر يستغيثونهُ على عوف . فقال : دونكم سلمى

(١) دختنوس بنت لقيط بن زرارة وكانت امرأة عمرو بن عمرو بن عدس
(٢) اطلب هذه القصيدة وغيرها من رثاء دختنوس لاخيها في الصفحة ١٢٩ من ديوان الخنساء المطبوع حديثاً

ابن مالك فانهُ نديمهُ وصديقهُ . وكانا مشتبهين أحويين أشعرين ضخمة انوفهما . وكان في سلمى حياء فقال : سأُكلم لكم طفيلاً حتى ياخذ اخاهُ فانهُ لا ينجيكم من عوف الّا ذاك . وأيم الله ليأتينّ شحيحاً . فانطلقوا اليهِ فقال طفيل : قد أتوني بك ما اعرفني بما جئتم لهُ . اتيتموني تريدون مني ابن الجون تقيدون بهِ من عوف . خذوه . فاعطاهم اياه . فأتوه . فجزّ ناصيتهُ واعتقهُ . فسمي الجزّاز . فذلك قول نافع بن الخنجرة في الاسلام :

قضينا الجون عن عبس وكانت صنيعة معبدٍ فينا هزالا

(قال) وشهدها لبيد بن ربيعة وهو ابن تسع سنين . يُقال انهُ كان ابن بضع عشرة سنة . وعامر بن مالك يقول لهُ : اليوم يتمت من ابيك ان قتل اعمامك . وقتل يومئذٍ زهير بن عمرو بن معاوية وُجد مقتولاً بين ظهراني صفوف بني عامر حيث لم يبلغ القتال هو ومعاوية الضباب بن كلاب

ذكروا ان الطفيل بن مالك لما رأى القتال يوم جبلة قال : ويلكم وأين نعم هولاء . فأغار على نعم عمرو واخوتهُ وهم من بني عبد الله بن غطفان . ثم من بني الثرماء فاستاق الف بعير . فلقيهُ عبيدة بن مالك فاستجداه . فاعطاه مائة بعير وقال : كأني بك قد لقيت ظبيان بن مرّة بن خالد فقال لك اعطاك من الفهِ مائة فجئت مغضباً . فلقي عبيدة ظبيان . فقال لهُ : كم أعطاك . قال : مائة . فقال : أمائة من الف . فغضب عبيدة . (قال) وذكر ان عبيدة تسرّع يومئذٍ الى القتال . فنهاه اخواه عامر وطفيل ان يفعل حتى يرى مقاتلاً . فعصاهما وتقدّم . فطعنهُ رجل منهم في كتفهِ حتى خرج السنان من فوق ثديهِ . فاستمسك فيهِ السنان . فأتى طفيلاً فقال لهُ : دونك السنان فانزعهُ . فأبى ان يفعل ذلك غضباً . فأتى عامراً . فلم ينزعهُ منهُ غضباً . فاتى سالم بن

مالك . فانتزعهُ . وأُلقي جريحًا مع النساء حتى فرغ القوم من القتال . وقتلت بنو عامر يومئذٍ من تميم ثلاثين غلامًا أعزل . وخرج حاجب بن زرارة منهزمًا . وتبعهُ الزَهدَمان زهدم وقيس ابنا حزن بن وهب العبسيَّان . فجعلا يطردان حاجبًا ويقولان لهُ : استأسر وقد قدرا عليهِ . فيقول : من انتما . فيقولان : الزهدمان . فيقول : لا استاسر اليوم لمولَيَين . فبينما هم كذلك اذ أدركهم مالك ذو الرُقَيبة . فقال لحاجب : استأسر . قال : ومن أنت . قال : أنا مالك ذو الرقيبة . فقال : افعلُ فلعمري ما ادركتني حتى كدتُ ان اكون عبدًا . فالقى اليهِ رمحهُ . واعتنقهُ زهدم فالقاه عن فرسه . فصاح حاجب : يا غوثاه . وجعل زهدم يراوغ قائم السيف . فنزل بهِ مالك واقتلع زهدمًا عن حاجب . فمشى زهدم واخوه حتى أتيا قيس بن زهير بن جذيمة فقالا : اخذ مالك اسيرنا من ايدينا . قال : ومن اسيركما . قالا : حاجب بن زرارة . فخرج قيس يتمثّل قول حنظلة ابن الشرقيّ القيني أبي الطمحان رافعًا صوتهُ يقول :

أَجِدَّ بني الشرقيّ أُولع انني ... متى أَستجر جارًا وان عزَّ يغدرِ
اذا قلت أوفى ادركتهُ دروكة ... فيا موزع الجيران بالغيّ اقصرِ

حتى وقف على بني عامر فقال : ان صاحبكم اخذ اسيرنا . قالوا : من صاحبنا . قال : مالك ذو الرقيبة اخذ حاجبًا من الزهدمين . فجاءهم مالك فقال : لم آخذهُ منهما ولكنهُ استأسر لي وتركهما . فلم يبرحوا حتى حكّموا حاجبًا في بيت ذي الرقيبة . فقالوا : من اسرك يا حاجب . فقال : اما من ردَّني عن قصدي ومنعني ان انحر ورأى مني عورة فتركها فالزهدمان . واماَّ الذي استاسرت لهُ فمالك . فحكموني في نفسي . قال لهُ القوم : قد جعلنا اليك الحكم في نفسك . فقال : اماَّ مالك فلهُ الف ناقة . وللزهدمين مائة . فكان بين قيس

ابن زهير وبين الزهدمين مغاضبة . فقال قيس :

جزاني الزهدمان جزاء سوء ... وكنت المرء يجزي بالكرامهْ
وقد دافعت قد علمت معدٌّ ... بني قرط وعمهمُ قدامهْ
ركبت بهم طريق الحقّ حتى ... أتيتهمُ بها مائة ظلامهْ

وزعم علماؤنا انهم لما انهزم الناس خرجت بنو عامر وحلفاؤهم في آثارهم يقتلون ويأسرون ويسلبون . فلحق قيس بن المنتفق عمرو بن عمرو فاسرهُ . فاقبل الحرث ابن الابرص في سرعان الخيل . فرآه عمرو مقبلًا فقال لقيس . ان ادركني الحرث قتلني وفاتك ما تلتمس عندي . فهل انت محسن اليّ والى نفسك تجزّ ناصيتي فتجعلها في كنانتك ولك العهد لافينَّ لك . ففعل . وأدركهما الحرث وهو ينادي قيسًا ويقول : اقتل اقتل . فلحق عمرو بقومهِ . فلما كان في الشهر الحرام خرج قيس الى عمرو يستثيبهُ . وتبعهُ الحرث بن الابرص حتى قدما على عمرو بن عمرو . فأمر عمرو بن عمرو ابنة اخيهِ آمنة فقال : اضربي على قيس الذي انعم على عمك هذه القبة . وقد كان الحرث قتل اباها يوم جبلة . فجاءت بالقبة فرأت الحرث احياهما واجملهما فظنتهُ قيسًا فضربت القبة وهي تقول : هذا والله رجل لم يطلع الدهر عليهِ بما اطلع بهِ عليّ . فلما رجعت الى عمها عمرو قال : يا ابنة اخي على من ضربتِ القبة . فنعتت نعت الحرث . فقال : ضربتها والله على رجل قتل اباكِ وامر بقتل عمك . فجزعت مما قال لها عمها . فقال الحرث بن الابرص :

أما تدرين يا ابنة آل زيدٍ ... امين بما أَجنّ اليوم صدري
فكم من فارس لم ترزئيهِ ... فتى الفتيان في عيص وقصرِ
رأيت مكانهُ فصددت عنهُ ... فاعيا امرهُ وشددت ازري

أمرت بهِ لتخمش حنتاهُ (١)　　فضيّع امرهُ قيس وامري

ثم ان عمرًا قال . ياحارِ ما الذي جاء بك فوالله ما الك عندي نعمة ولقد كنت سيّء الرأي فيّ وقتلتَ اخي وأمرت بقتلي . فقال : بل كففت ولو شئت اذ ادركتك لقتلتك . قال : ما لك عندي من يدٍ . ثم تذمّم منهُ فاعطاه مائة من الابل . ثم انطلق . فذهب الحرث فلما جاء عمرًا قيسٌ اعطاه ابلًا كثيرة . فخرج قيس بها حتى اذا دنا من اهلــهِ سمع بهِ الحرث بن الابرص فخرج في فوارس من بني ابيهِ حتى عرض لقيس فاخذ ما كان معهُ . فلما أتى قيس بني ابيــهِ بني المنتفق اجتمعوا اليهِ وأرادوا الخروج . فقال : مهلًا لا تقاتلوا اخوتكم فانهُ يوشك ان يرجع وان يؤول الى الحق فانهُ رجل حسود . فلما رأى الحرث ان قيسًا قد كفّ عنهُ ردَّ اليهِ ما اخذ منهُ . واما عتيبة بن الحرث بن شهاب فانهُ اسر يومئذٍ فقيد في القدّ وكان يبول على قدَمهِ حتى عفن . فلما دخل الشهر الحرام هرب فافلت منهم بغيــر فداء . وغنم مرداس بن أبي غاز غنائم وأخذ رحلًا ومائة ناقة . فانتزعها منــهُ بنو أبي بكر بن كلاب . فخرج مرداس الى يزيد بن الصعق وكان لهُ خليلًا فانتهى اليهِ مرداس وهو يقول :

لعمرك ما ترجو معدّ ربيعها　　رجائي يزيدًا بل رجائي اكثرُ
يزيد بن عمرو خير من شدّ ناقةً　　او اقتادها اذا الرياح تصرصرُ
تداعت بنو بكــر عليّ كانما　　تداعت عليّ بالاخــيرة بربرُ
تداعت عليّ ان رأوني بخلوة　　وأنتم باحراد الفوارس ابصرُ

فركب يزيد حتى اخذ الابل من بني أبي بكر فردّها اليــهِ . فطرقهُ البكريّون

(١) الحنّة الزوجة يقال حنّتهُ وكنّتهُ

فسقوه حتى سكر . ثم سالوه الابل . فاعطاهم اياها . فلما أصبح ندم فخرج الى يزيد فوجد الخبر قد جاءهُ . فقال لهُ يزيد : أصاحٍ انت أم سكران . فانصرف فاطرد إبلًا من ابل بني جعفر فذهب بها

وانصرف يومئذٍ سنان بن ابي حارثة المرّي في بني ذبيان على حاميتهِ . فلحق بهم معاوية بن الصوت بن الكامل الكلابي وكان يُسمى الاسد المجدَّع ومعهُ حرملة العكلي ونفر من الناس . فلحق سنــان بن أبي حارثة ومالك بن حمار الفزاريّ في سبعين فارسًا من بني ذبيان . فقال سنان : يا مالك كرّ واحمنا ولك خولة بنت سنان ابنتي ازوّجكها . فكرّ مالك فقفل معاوية . ثم اتبعــهُ حرملة العكلي وهو يقول :

لأي يوم يخبأُ المرءُ السعهْ　　مودّع ولا يرى فيها الدعهْ

فكرّ عليهِ مالك فقتلهُ . ثم اتبعهُ رجل من بني كلاب فكرّ عليهِ مالك فقتلهُ . ثم اتبعهُ رجلان من قيس كبّة من بجيلة . فكرّ عليهما فقتلهما . ومضى مالك واصحابه . فقال مالك في ذلك :

ولقد صددت عن الغنيمة حرملًا　　ولقيتــهُ لدًا وخيلي تطردُ
أقبلتــهُ صدر الاغرّ وصارمًا　　ذكرًا فخرَّ على اليدين الابعدُ
وابن الصموت تركت حين لقيتهُ　　في صدر مارنهِ يقوم ويقعدُ
وابنا ربيعة في الغبار كلاهما　　وابنــا غنيّ عامر والاسودُ
حتى تنفس بعد نكظ (١) مجحرًا　　أذهبت عنهُ والفرائص ترعدُ
يعدو ببزٍ سابحٍ ذو ميعــة　　نهد المراكد ذو تليل اقودُ

فخطب اليــهِ مالك خولة فأبا ان يزوّجهُ . واما بنو جعفر فيزعمون ان عروة

(١) النكظ الجهد

الرحال بن عتبة بن جعفر وجد سنان بن أبي حارثة وابنيه هرماً ويزيد على غدير قد كاد العطش ان يهلكهم فجزَّ نواصيهم واعتقهم . ثم ان عروة أتى سنانًا بعد ذلك يستثيبهُ ثوابًا يرضاه . فقال عروة في ذلك :

ألا من مبلغ عني سنانًا ألوكًا لا اريد بها عتابا
أفي الخضراء تقسم هجمتيكم وعروة لم يشب الّا الترابا
فلو كان الجعافر طاوعوني غداة الشعب لم يذق الشرابا
أتجزي القين نعمتها عليكم ولا تجزي بنعمتها كلابا

لَبِيد والنّعمان والرَّبيع بن زياد

أخبر محمد بن حبيب عن ابن الاعرابي قال : وفد ابو براء ملاعب الاسنَّة وهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب واخوتهُ طفيل ومعاوية وعبيدة ومعهم لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر وهو غلام على النعمان بن المنذر . فوجدوا عندهُ الربيع بن زياد العبسي . وكان الربيع ينادم النعمان مع رجل من اهل الشأم تاجر يقال لهُ زرجون بن نوفل وكان حريفاً للنعمان يعني زرجون يبايعهُ . وكان اديبًا حسن الحديث والمنادمة . فاستخفهُ النعمان وكان اذا أراد ان يخلو على شرابهِ بعث اليهِ والى النطاسي متطبب كان لهُ والى الربيع بن زياد

وكان يُدعى الكامل (١) . فلما قدم الجعفريّون كانوا يحضرون النعمان لحاجتهم . فاذا خلا الربيع بالنعمان طعن فيهم وذكر معايبهم . ففعل ذلك بهم مرارًا . وكانت بنو جعفر لهُ اعداء فصدَّهُ عنهم . فدخلوا عليهِ يومًا فرأوا منهُ تغيُّرًا وجفاء وقد كان يكرمهم قبل ذلك ويقرب مجلسهم . فخرجوا من عنده غضابًا ولبيد في رحالهم يحفظ أمتعتهم ويغدو بابلهم كل صباح فيرعاها فاذا أمسى انصرف بابلهم . فاتاهم ذات ليلة فالفاهم يتذاكرون أمر الربيع وما يلقون منهُ . فسألهم فكتموه . فقال لهم : والله لا احفظ لكم متاعًا ولا اسرح لكم بعيرًا أو تخبروني . وكانت ام لبيد امرأة من بني عبس وكانت يتيمة في حجر الربيع . فقالوا : خالك قد غلبنا على الملك محيص وصدَّ عنّا وجههُ . فقال لهم لبيد : هل تقدرون على ان تجمعوا بينهم وبيني فازجرهُ عنكم بقول ممضٍ ثم لا يلتفت النعمان اليهِ بعده ابدًا . فقالوا : وهل عندك من ذلك شيء . قال : نعم . قالوا : فانّا نبلوك بشتم هذه البقلة لبقلة قدّامهم دقيقة القضبان قليلة الورق لاصقة

---

(١) ام الربيع بن زياد فاطمة بنت الخرشب وهي احدى المنجبات . كان يقال لبنيها الكملة وهم الربيع ويُقال لهُ الكامل . وعمارة وهو الوهاب . وانس وهو انس الفوارس وهو الواقعة . وقيس وهو البرد . والحرث وهو الحرون . ومالك وهو لاحق . وعمرو وهو الدراك

حدثوا ان عبد الله بن جدعان لقي فاطمة بنت الخرشب وهي تطوف بالكعبة فقال لها : نشدتك برب هذه البنيَّة اي بنيك افضل . قالت : الربيع لا بل عمارة لا بل انس . ثكلتهم ان كنت ادري ايهم افضل . ولما سال معاوية علماء العرب عن البيوتات والمنجبات . وحظر عليهم ان يتجاوزوا في البيوتات ثلاثاً عدُّوا فاطمة فيمن عدّوا . وقبلها حبيَّة بنت رياح الغنوية ام الاحوص وخالد ومالك وربيعة بني جعفر بن كلاب . وماوية بنت عبد مناة وهي ام لقيط وحاجب وعلقمة بني زرارة ابن عُدس

فروعها بالارض تدعى التَرِبَة . فقال : هذه التربة التي لا تذكي نارًا . ولا تؤهل دارًا ولا تسرّ جارًا . عودها ضئيل . وفرعها كليل . وخيرها قليل . بلدها شاسع ونبتها خاشع . وآكلها جائع . والمقيم عليها ضائع . اقصر البقول فرعًا . وأخبثها مرعىً . وأشدّها قلعًا . فتعسًا لها وجدعًا . القوا بي أخا بني عبس . أُرجعهُ عنكم بتعس ونكس . وأتركهُ من امرهِ في لبس . فقالوا : نصبح فنرى فيك رأينا . فقال لهم عامر : انظروا غلامكم فان رأيتموه نائمًا فليس امرهُ بشيءٍ وانما يتكلم بما جاء على لسانهِ ويهذي بما يهجس في خاطره . واذا رأيتموه ساهرًا فهو صاحبكم . فرمقوه بابصارهم فوجدوه قد ركب رحلًا فهو يكدم باوسطهِ حتى أصبح . فلما اصبحوا قالوا : أنت والله صاحبنا . فحلقوا رأسهُ وتركوا ذؤابتين وألبسوه حلّة . ثم غدوا بهِ معهم على النعمان فوجدوه يتغدّى ومعهُ الربيع وهما يأكلان ليس معهُ غيرهُ والدار والمجالس مملوءَة من الوفود . فلما فرغ من الغداء اذن للجعفريين . فدخلوا عليهِ وقد كان تقارب أمرهم فذكروا للنعمان الذي قدموا لهُ من حاجتهم . فاعترض الربيع في كلامهم . فقام لبيد يرتجز ويقول :

يا رب هيجا هي خير من دعهْ	أكل يوم هامتي مقزّعهْ
نحن بنو ام البنين الاربعهْ	ومن خيار عامر بن صعصعهْ
المطعمون الجفنة المدعدعهْ	والضاربون الهام تحت الخيضعهْ
ياواهب الخير الكثير من سعهْ	اليك جاوزنا بلادًا مسبعهْ
مخبر عن هذا خبيرًا فاسمعهْ	مهلًا أبيت اللعن لا تأكل معهْ

ثم اخذ في هجاء الربيع . فلما فرغ من انشادهِ التفت النعمان الى الربيع شذرًا يرمقهُ فقال : أكذا أنت . قال : لا والله لقد كذب عليَّ ابن الحمق اللئيم .

فقال النعمان : أفّ لهذا الغلام لقد خبَّث عليَّ طعامي . فأمر النعمان ببني جعفر فأُخرجوا . وقام الربيع فانصرف الى منزلهِ . فبعث اليهِ النعمان بضعف ما كان يحبوه بهِ وأمرهُ بالانصراف الى أهلهِ . وكتب اليهِ الربيع : اني قد تخوّفت ان يكون قد وقر في صدرك ما قالهُ لبيد ولست برائم حتى تبعث من يفحص عن امري فيعلم من حضرك من الناس اني لست كما قال . فارسل اليهِ : انك لست صانعًا بانتفائك مما قال لبيد شيئًا ولا قادرًا على ما زلّت بهِ الالسن فالحق باهلك . فقال الربيع :

لئن رحلت جمالي انّ لي سعةً	ما مثلها سعةٌ عرضًا ولا طولا
بحيث لو وزنت لخم باجمعها	لم يعدلوا ريشة من ريش شمويلا
ترعى الروائم احرار البقول بها	لا مثل رعيكم ملحًا وغسويلا
فابرق بارضك يا نعمان متكئًا	مع النطاسيّ يومًا وابن توفيلا

فكتب اليهِ النعمان :

شرّد برحلك عنّي حيث شئت ولا	تكثر عليَّ ودع عنك الاباطيلا
فقد ذكرت بهِ والركب حاملهُ	وردًا يعلل اهل الشأم والنيلا
فما انتفاؤك منهُ بعد ما خرعت	هوج المطيّ بهِ ابراق شمليلا
قد قيل ذلك ان حقًا وان كذبًا	فما اعتذارك من شيءٍ اذا قيلا
فالحق بحيث رأيت الارض واسعةً	وانشر بها الطرف ان عرضًا وان طولا

يوم الصفقة (*)

انَّ كسرى ابرويز كان قد توَّج هَوْذة بن عليّ الحنفيّ وضمَّ اليهِ جيشًا من الاساورة فاوقع ببني تميم يوم الصفقة . وذلك قول الشاعر (١) :

اشرب هنيئًا عليك التاج مرتفعًا ... بالشاذياخ ودع غمدان لليمنِ
فانت اولى بتاج الملك تلبسهُ ... من هوذة بن عليٍّ وابن ذي يزنِ

كان من حديث يوم الصفقة . انَّ باذان عامل كسرى باليمن بعث الى كسرى عيرًا تحمل ثيابًا من ثياب اليمن ومسكًا وعنبرًا وخرجَين فيهما مناطق محلّاة . وخفراء تلك العير فيما يزعم بعض الناس بنو الجعيد المراديون . فساروا من اليمن لا يعرض لهم احد حتى اذا كان بمَحْضَى من بلاد بني حنظلة بن يربوع وغيرهم أغاروا عليها وقتلوا مَن فيها من بني جعيد والاساورة واقتسموها . وكان فيمن فعل ذلك النطف بن جبير وأسيد بن جنادة . فبلغ ذلك الاساورة الذين بهجر مع كزارجر المُكَعْبِر . فساروا الى بني حنظلة ابن يربوع . فصادفوهم على حوض . فقاتلوهم قتالًا شديدًا . فهزمت الاساورة

(*) ويُقال لهُ ايضًا يوم المشقَّر والمشقَّر حصن بالبحرين عظيم يلي حصنًا اخر يقال لهُ الصفا قبل مدينة هَجَر

(١) هو ابن عبّاد الرازي . قال ابو الفرج الاصبهاني : ان احمد بن سعيد بن قادم المعروف بالمالكي كان احد القواد مع طاهر بن عبد الله . فكان معهُ بالريّ . وكان مع محلهِ من خدمة السلطان مغنيًا حسن الغناء ولهُ صنعة . فحضر مجلس طاهر ابن عبد الله بقصرهِ بالشاذياخ فغنّى هذا الصوت :

اشرب هنيئًا عليك التاج مرتفعًا ... في رأس غمدان دارًا منك محلالا

فقال ابن عبّاد الرازي في وقتهِ من الشعر مثل ذلك المعنى وصنع فيهِ وغنى فيهِ احمد بن سعيد لحنًا

وقتلوا قتالًا شديدًا ذريعًا . ويومئذٍ اخذ النطَف الخرجين اللذين يضرب بهما المثل . فلما بلغ ذلك كسرى استشاط غضبًا

وأما ما وجد عن ابن الكلبي في كتاب حماد الراوية : ان كسرى بعث الى عامله باليمن بعير وكان باذان على الجيش الذي بعثهُ كسرى الى اليمن . وكانت العير تحمل نبعًا فكانت تبذرق من المدائن حتى تُدفع الى النعمان ويبذرقها النعمان بخفراء من بني ربيعة ومضر حتى يدفعها الى هوذة بن عليّ الحنفي فيبذرقها حتى يخرجها من ارض بني حنيفة . ثم تُدفع الى سعد وتجعل لهم جعالة فتسير فيها فيدفعونها الى عُمّال باذان باليمن . فلما بعث كسرى بهذه العير قال هوذة للاساورة : انظروا الذي تجعلونهُ لبني تميم فاعطونيه فانا اكفيكم أمرهم واسير فيها معكم حتى تبلغوا مأمنكم . فخرج هوذة والاساورة والعير معهم من هجر حتى اذا كانوا بنطاع بلغ بني سعد ما صنع هوذة فساروا اليهم وأخذوا ما كان معهم واقتسموه وقتلوا عامة الاساورة وسلبوهم وأسروا هوذة بن عليّ . فاشترى هوذة نفسهُ بثلثمائة بعير . فساروا معهُ الى هجر فاخذوا منهُ فداه . ففي ذلك يقول شاعر بني كلاب :

ومنّا رئيس القوم ليلة ادلجوا ... بهوذة مقرون اليدين الى النحرِ
وردنا بهِ نخل اليمامة عانيًا ... عليهِ وثاق القدّ والحلق السمرِ

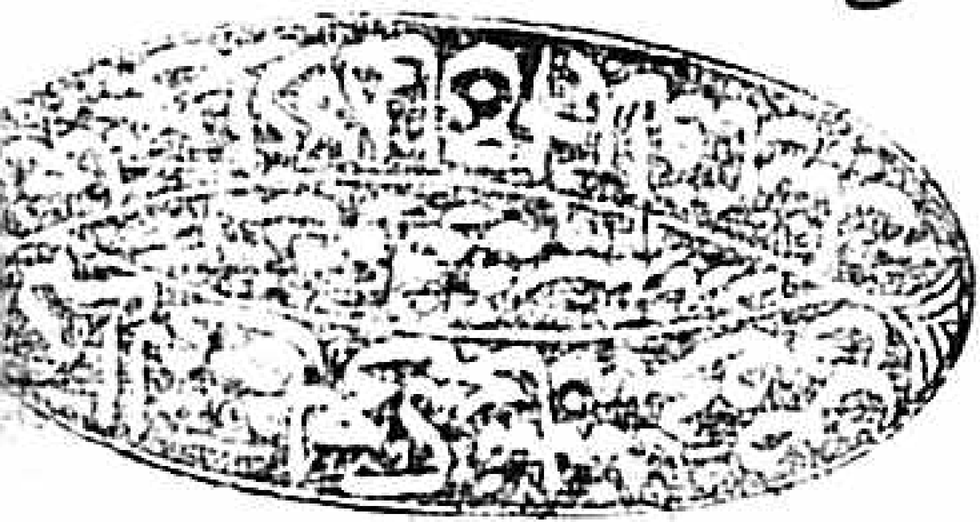
فعمد هوذة عند ذلك الى الاساورة الذين أطلقهم بنو سعد وكانوا قد سُلبوا فكساهم وحملهم . ثم انطلق معهم الى كسرى . وكان هوذة رجلًا جميلًا شجاعًا لبيبًا . فدخل عليهِ فقصَّ أمر بني تميم وما صنعوا . فدعا كسرى بكاس من ذهب فسقاه فيها وأعطاه اياها وكساهُ قباء ديباج منسوجًا بالذهب واللؤلؤ وقلنسوة قيمتها ثلاثون الف درهم . وهو قول الاعشى :

لهُ اكاليل بالياقوت فصَّلها   صُوَّاغها لا ترى عيباً ولا طبعا

وذكر ان كسرى سأل هوذة عن مالهِ ومعيشتـهِ . فاخبرهُ انهُ في عيش رغد وانهُ يغزو المغازي فيُصيب . فقال لهُ كسرى في ذلك : كم ولدك . قال : عشرة . قال : فأيهم أحبّ اليك . قال : غائبهم حتى يحضر وصغيرهم حتى يكبر ومريضهم حتى يبرأ . قال كسرى : الذي أخرج منك هذا العقل حملك على ان طلبت مني الوسيلة . وقال كسرى لهوذة : رأيت هولاء الذين قتلوا أساورتي وأخذوا مالي أبينك وبينهم صلح . قال هوذة : أيها الملك بيني وبينهم حساء الموت وهم قتلوا أبي . فقال كسرى : قد أدركتَ ثأرك فكيف لي بهم . قال هوذة : ان ارضهم لا تطيقها اساورتك وهم يمتنعون بها ولكن احبس عنهم الميرة فاذا فعلت ذلك بهم سنة ارسلت معي جنداً من أساورتك فأُقيم لهم السوق فانهم يأتونها فتصيبهم عند ذلك خيلك . ففعل كسرى ذلك وحبس عنهم الاسواق في سنة مجدبة . ثم سرّح الى هوذة فأتاه . فقال : ائتِ هولاء فاشفني منهم واشتفِ . وسرّح معهُ جواربودار ورجلاً من اردشير خُرّه . فقال لهوذة : سِر مع رسولي هذا . فسار في ألف اسوار حتى تراوا المشقر من ارض البحرين وهو حصن هجر . وبعث هوذة الى بني حنيفة فأتوهُ فدنوا من حيطان المشقر . ثم نودي : ان كسرى قد بلغهُ الذي اصابكم في هذه السنة وقد أمر لكم بميرة فتعالوا فامتاروا . فانصبَّ عليهم الناس . وكان اعظم من اتاهم بنو سعد (١)

(١) ذكر ابن الاعرابي ان المكعبر تقدَّم في اتخاذ طعام على ظهر الحصن بحطب رطب . فارتفع منهُ دخان عظيم . وبعث اليهم يعرض الطعام . فاغترّوا وجاءوا فدخلوا الحصن . فأُصفق الباب عليهم (ولذا سُمي يوم الصفقة) . فغبروا هناك يُستعمَلون في مهن البناء . فسار فيهم المثل فقيل في من قُتل منهم : ليس باوَّل من قتلهُ الدخان . وأَجشع من اسرى الدخان . وأَجشع من الوافدين على الدخان . واجشع

فنادى منادي الاساورة : لا يدخلها عربيّ بسلاح . فأُقيم بوّابون على باب المشقر فاذا جاء الرجل ليدخل قالوا : ضع سلاحك وامترْ واخرج من الباب الآخر . فيُذهب بهِ الى رأس الاساورة فيقتلهُ . فاذا مرَّ رجل من بني سعد بينهُ وبين هوذة إخاء او رجل يرجوه قال للمكعبر : هذا من قومي . فيخليهِ لهُ . فنظر خيبري ابن عبادة الى قومهِ يدخلون ولا يخرجون وتؤخذ اسلحتهم وجاء ليمتار فلما رأى ما رأى قال : ويلكم أين عقولكم فوالله ما بعد السلب الَّا القتل . وتناول سيفاً من رجل من بني سعد يُقال لهُ مصاد (١) وعلى باب المشقر سلسلة ورجل من الاساورة قابض عليها . فضربها فقطعهـا ويد الاسوار . فانفتح الباب فاذا الناس يُقتلون فثارت بنو تميم . فلما علم هوذة ان القوم قد نذروا بهِ أمر المكعبر فأطلق منهم مائة من خيارهم وخرج هارباً من الباب الاوَّل هو والاساورة . فتبعتهم بنو سعد والرباب فقتل بعضهم وأفلتَ من أفلت



يوم كُلاب الثاني

كان من حديث يوم كلاب الثاني فيمَ ذكر أبو عبيدة قال : لما أوقع كسرى ببني

من وفد تميم . وقال الشاعر في ذلك :

اذا ما مات ميتٌ من تميمٍ   فسرَّك ان يعيش فجئ بزادِ
بخبزٍ او بسمنٍ او بتمرٍ   او الشيْ الملفف في البجادِ
تراهُ يطوف في الآفاق حرصاً   ليأكل رأس لقمان بن عادِ

وقال الميداني : ان الشيْ الملفَّف في البجاد هو الوطب من اللبن

(١) يُقال ان الذي فعل هذا رجل من بني عبس يقال لهُ عبيد بن وهب

تميم يوم الصفا بالمشقر فقتل المقاتلة وبقيت الاموال والذراري بلغ ذلك مذحجًا فمشى بعضهم الى بعض وقالوا : اغتنموا بني تميم . ثم بعثوا الرسل الى قبائل اليمن وأحلافها من قضاعة . فقالت مذحج للمأمور الحارثي وهو كاهن : ما ترى . فقال لهم : لا تغزوا بني تميم فانهم يسيرون اعقابًا . ويردون مياهًا جبابًا . فتكون غنيمتكم ترابًا . قال أبو عبيدة : فذكر انهُ اجتمع من مذحج ولفها اثنا عشر الفًا . وكان رئيس مذحج عبد يغوث بن صلاءة . ورئيس همدان يقال لهُ مسرح . ورئيس كندة البراء بن قيس بن الحرث . فأقبلوا الى تميم . فبلغ ذلك سعدًا والرباب فانطلق ناس من أشرافهم الى اكثم بن صيفيّ وهو قاضي العرب يومئذٍ فاستشاروه . فقال لهم : أقلّوا الخلاف على امرائكم واعلموا ان كثرة الصياح من الفشل والمرء يعجز لا محالة . ياقوم تثبتوا فان احزم الفريقين الركين . وربَّ عجلة تهب ريثًا . واتزروا للحرب . وادّرعوا الليل فانهُ اخفى للويل . ولا جماعة لمن اختلف . فلما انصرفوا من عند اكثم تهيأُوا واستعدّوا للحرب . وأقبل اهل اليمن من بني الحرث من اشرافهم حتى اذا كانوا بتيمن نزلوا قريبًا من الكلاب . ورجل من بني زيد بن رياح بن يربوع يقال لهُ مشمت بن زنباع في ابل لهُ عند خال لهُ من بني سعد يُقال لهُ زهير بن بو . فلما أبصرهم المشمت قال لزهير : دونك الابل وتنحَّ عن طريقهم حتى آتي الحيّ فانذرهم . (قال) فركب المشمت ناقة ثم سار حتى اتى سعدًا والرباب وهم على الكلاب فانذرهم . فأعدّوا للقوم وصبحوهم فأغاروا على النعم فطردوها . وجعل رجل يرتجز ويقول :

في كل عامٍ نعمٌ تنتابهُ   على الكلاب غيبًا أربابهُ

(قال) فأجابهُ غلام من بني سعد في النعم على فرس لهُ فقال :

عمًّا قليل سترى اربابهُ   صلب القناة حازمًا شبابهُ
على جيادٍ ضمَّرٍ عيابهُ

(قال) فأقبلت سعد والرباب . ورئيس الرباب النعمان بن جساس . ورئيس بني سعد قيس بن عاصم المنقري . فقال صبي حين دنا من القوم :

في كل عامٍ نعمٍ تحوونهُ   يلحقهُ قوم وتنتجونهُ
أربابهُ نوكى فلا يحمونهُ   ولا يلاقون طعامًا دونهُ
انعم الابناء تحسبونهُ   هيهات هيهات لما ترجونهُ

فقال ضمرة بن اسد الحارثي : انظروا اذا استقتم النعم فان اتتكم الخيل عصبًا عصبًا وثبتت الاولى للاخرى حتى يلحق فانَّ أمر القوم هيّن . وان لحق بكم القوم فلم ينظروا اليكم حتى يردوا وجوه النعم ولا ينتظر بعضهم بعضًا فان أمر القوم شديدًا . وتقدّمت سعد والرباب فالتقوا في اوائل الناس فلم يلتفتوا اليهم واستقبلوا النعم من قبل وجوهها فجعلوا يضربونها بارماحهم . واختلط القوم فاقتتلوا قتالًا شديدًا يومهم حتى اذا كان من آخر النهار قُتل النعمان بن جساس قتلهُ رجل من اهل اليمن كانت امهُ من بني حنظلة يقال لهُ عبد الله ابن كعب وهو الذي رماه . فقال للنعمان حين رماه : خذها وأنا ابن الحنظليَّة . فقال النعمان : ثكلتك امك ربَّ حنظلية قد غاظتني فذهبت مثلًا . وظنَّ أهل اليمن ان بني تميم سيهزمهم قتل النعمان . فلم يزدهم ذلك الَّا جراءة عليهم . فاقتتلوا حتى حجز بينهم الليل فباتوا يحرس بعضهم بعضًا . فلما أصبحوا على القتال . فنادى قيس بن عاصم : يال سعد . ونادى عبد يغوث : يال سعد قيس بن عاصم يدعو سعد بن زيد بن مناة بن تميم . وعبد يغوث يدعو سعد العشيرة . فلما سمع ذلك قيس نادى : يال كعب . فنادى عبد يغوث : يال كعب .

قيس يدعو كعب بن سعد. وعبد يغوث يدعو كعب بن عمرو. فلما رأى ذلك قيس من صنيع عبد يغوث قال: ما لهم اخزاهم الله ما ندعو بشعار الّا دعوا بمثلهِ. فنادى قيس: يال مقاعس يعني بني الحرث بن عمرو بن كعب وكان يلقب مقاعساً. فلما سمع وعلة بن عبد الله الجرمي الصوت وكان صاحب اللواء يومئذٍ طرحهُ. وكان اوّل من انهزم من اليمن. وحملت عليهم بنو سعد والرباب فهزموهم افظع هزيمة. وجعل رجل منهم يقول:

يا قوم لا يفلتكم اليزيدانْ   مخرّمـًا اعني بهِ والديانْ

وجعل قيس بن عاصم ينـادي: يال تميم لا تقتلوا الّا فارساً فان الرجّالة لكم. وجعل يرتجز ويقول:

لما تولوا عصبًا سواربا   اقسمتُ لا اطعن الّا راكبا
اني وجدت الطعن فيهم صائبا

وجعل يأخذ الاسارى فاذا أخذ اسيرًا قال لهُ: ممن أنت. فيقول: من بني رعبل (١) وهم انذال. فكان الاسارى يريدون بذلك رخص الفداء. فجعل قيس اذا أخذ اسيرًا منهم دفعهُ الى من يليهِ من بني تميم ويقول: امسك حتى اصطاد لك رعبلة اخرى فذهبت مثلًا. فما زالوا في آثارهم يقتلون ويأسرون حتى أسر عبد يغوث أسرهُ فتًى من بني عمير بن عبد شمس. وقتل يومئذٍ علقمة ابن سياح القريعي وهو فارس هبود (٢). وأسر الاهتم واسمهُ سنان بن سمي ويومئذٍ سمي الاهتم. ورئيس كندة البراء بن قيس. وقتلت التيم الادبر الحارثي وآخر من بني الحرث يقال لهُ معاوية قتلهما النعمان بن جساس. وقُتل يومئذٍ

(١) هو رعبل بن كعب اخو الحرث بن كعب
(٢) هبود فرس عمرو بن الجعيد المرادي

من اشرافهم خمسة. وقتلت بنو ضرة ابن لبيد الحماسيّ الكاهن قتلهُ قبيصة ابن ضِرار. واما يغوث فانطلق بهِ العبشميّ الى أهله وكان العبشميّ أهوج. فقالت لهُ امهُ ورأت عبد يغوث عظيمًا جميلًا: من انت. قال: انا سيد القوم. فضحكت وقالت: قبحك الله من سيد قوم حين أسرك هذا الاهوج. فقال عبد يغوث:

وتضحك مني شيخة عبشمية   كان لم ترا قبلي اسيرًا يمانيا

ثم قال لها: ايتهـا الحرّة هل لك الى خير. قالت: وما ذاك. قال: اعطي ابنك مائـة من الابل وينطلق بي الى الاهتم فاني اتخوّف ان تنـتزعني سعد والرباب منـهُ. فضمن لهُ مائـة من الابل وأرسل الى بني الحرث فوجهوا بها اليهِ. فقبضها العبشميّ فانطلق بهِ الى الاهتم. وأنشأ عبد يغوث يقول:

أأهـتم يا خـير البرية والدًا   ورهطًا اذا ما الناس عدّوا المساعيا
تدارك اسيرًا عانيًا في بلادكم   ولا تثقفنّي التيم الق الدواهيـا

فمشت سعد والرباب فيهِ. فقـالت الرباب: يابني سعد قُتل فارسنا ولم يقتل لكم فارس مذكور. فدفعهُ الاهتم اليهم. فأخذهُ عصمة بن أبير التيمي فانطلق بهِ الى منزله. فقال عبد يغوث: يابني تيم اقتلوني قتلة كريمة. فقال لهُ عصمة: وما تلك القتلة. قال: اسقوني الخمر ودعوني أنُحْ على نفسي. فقال لهُ عصمة: نعم. فسقاه الخمر ثم قطع لهُ عرقًا يقال لهُ الاكحل وتركهُ ينزف ومضى عنهُ عصمة وترك معهُ ابنين لهُ. فقالا: جمعتَ أهل اليمن وجئت لتصطلمنا فكيف رأيت الله صنع بك. فقال عبد يغوث في ذلك:

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا   فما لكما في اللوم نفع ولا ليا

أَلم تعلما انَّ الملامة نفعها ... قليل وما لومي اخي من شماليا

فيا راكبًا إمّا عرضت فبلّغن ... نداماي من نجران أَلّا تلاقيا

أَبا كرب والايهمين كليهما ... وقيسًا بأعلى حضرموت اليمانيا

جزى الله قومي بالكلاب ملامةً ... صريحهمُ والايهمين المواليا

ولو شئت نجّتني من الخيل مهرةٌ ... ترى خلفها الحوّ الجياد تواليا

ولكنني أحمي ذمار أبيكمُ ... وكان الرماح تختطفن المحاميا

وتضحك مني شيخةٌ عبشميةٌ ... كأن لم ترا قبلي اسيرًا يمانيا

وقد علمت عرسي مليكة انني ... أنا الليث معدوًّا عليهِ وعاديا

أَقول وقد شدّوا لساني بنسعةٍ ... أَمعشر تيمٍ أَطلقوا لي لسانيا

أَمعشر تيمٍ قد ملكتم فاسجحوا ... فانَّ اساري لم يكن من توانيا

فان تقتلوني تقتلوني سيدًا ... وان تطلقوني تحربوني بماليا

أَحقًّا عباد الله ان لست سامعًا ... نشيد الرعاء المعزبين المتاليا

وقد كنتُ نحّار الجزور ومعمل م ... المطي وامضي حيث لاحيّ ماضيا

وأَنحر للشرب الكرام مطيتي ... وأَصدع بين القينتين ردائيا

وعادية سوم الجراد وزعتها ... بكفي وقد أَنحوا اليَّ العواليا

كأَني لم اركب جوادًا ولم أَقل ... لخيلي كرّي نفسي عن رجاليا

ولم أَسبإِ الزق الرويّ ولم أَقل ... لايسار صدقٍ أَعظموا ضوء ناريا

(قال). فضحكت العبشمية. وهم أَسروه وذلك انهُ لما أُسر شدّوا لسانهُ بنسعة لئلاَّ يهجوهم وأَبوا الَّا قتلهُ. فقتلوه بالنعمان بن جساس. فقالت صفيَّة بنت الخرع ترثي النعمان:

نطاقهُ هندوانيٌّ وجنّتهُ ... فضفاضة كأَضاة النهي موضونهْ

لقد أَخذنا شفاءَ النفس لو شُفيت ... وما قتلنا بهِ الا امرءًا دونه

وقال علقمة بن سباع لعمرو بن الجعيد:

لما رأَيت الامر مخلوجة ... أَكرهت فيهِ ذابلًا مارنا

قلت لهُ خذها فاني امرؤٌ ... يعرف رمحي الرجل الكاهنا

قولهُ «يعرف رمحي الرجل الكاهنا» يريد ان عمرو بن الجعيد كان كاهنًا وهو احد بني عامر بن الديل بن شنّ بن افصى بن عبد القيس ولم يزل ذلك في ولدهِ. ومنهم الرباب بن البراء كان يتكهَّن ثم طلب خلاف اهل الجاهلية فصار على دين المسيح عليهِ السلام

عديّ بن زيد

هو عدي بن زيد بن حمّار بن زيد بن ايوب بن مجروف بن عامر بن عصية بن امرئ القيس بن زيد مناة. هو قرويّ وقد أَخذوا عليهِ في اشياء عيب فيها. وكان الاصمعي وأَبو عبيدة يقولان: عديّ بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري معها مجراها. وكذلك عندهم أُميَّة بن أَبي الصلت. ومثلهُ كان عندهم من الاسلاميّين الكميت والطرماح. قال العجاج: كانا يسأَلاني عن الغريب فأَخبرهما بهِ ثم أَراه في شعرهما وقد وضعاه في غير مواضعهِ. فقيل لهُ: ولِمَ ذاك. قال: لانهما قرويان يصفان ما لم يريا فيضعانه في غير موضعهِ. وأَنا بدويّ أَصف ما رأَيت فأَضعهُ في مواضعهِ. وكذلك عندهم عديّ وأُميَّة. قال ابن الاعرابي فيما أَخبرني بهِ عليّ بن سليمان الاخفش قال:

سبب نزول آل عديّ بن زيد الحيرة أنَّ جدّهُ أيوب بن مجروف (١) كان منزلهُ اليمامة في بني امرئ القيس بن زيد مناة . فأصاب دماً في قومهِ فهرب فلحق بأوس بن قلّام أحد بني الحرث بن كعب بالحيرة . وكان بين أيوب بن مجروف وبين أوس بن قلام هذا نسب من قبل النساء . فلما قدم عليهِ أيوب ابن مجروف أكرمهُ وأنزلهُ في دارهِ . فمكث معهُ ما شاء الله أن يمكث . ثم انَّ أوساً قال لهُ : يا ابن خال أتريد المقام عندي وفي داري . فقال لهُ أيوب : نعم فقد علمت اني ان أتيت قومي وقد أصبت فيهم دماً لم أسلم وما لي دار الَّا دارك آخر الدهر . قال أوس : اني قد كبرت وأنا خائف ان أموت فلا يعرف ولدي لك من الحقّ مثل ما أعرف وأخشى ان يقع بينك وبينهم أمر يقطعون فيهِ الرحم . فانظرْ أحبّ مكان في الحيرة اليك فاعلمني بهِ لاقطعكهُ أو ابتاعهُ لك . (قال) وكان لايوب صديق في الجانب الشرقيّ من الحيرة وكان منزل أوس في الجانب الغربيّ . فقال لهُ : قد أحببت ان يكون المنزل الذي تسكننيهِ عند منزل عصام بن عبدة أحد بني الحرث بن كعب : فابتاع لهُ موضع داره بثلثمائة أوقية من ذهب وأنفق عليها مائتي أوقية ذهباً وأعطاه مائتين من الابل برعائها وفرساً وقينة . فمكث في منزل أوس حتى هلك . ثم تحوّل الى دارهِ التي في شرقيّ الحيرة فهلك بها . وقد كان ايوب قبل مهلكهِ اتّصل بالملوك الذين كانوا بالحيرة وعرفوا حقهُ وحقّ ابنهِ زيد بن ايوب . فلم يكن منهم ملك يملك الَّا ولولد ايوب منهُ جوائز وحملات . ثم ان زيد بن ايوب نكح

(١) ويروى محروف . كان أيوب هذا فيما زعم ابن الاعرابي أوّل من سمي من العرب أيوب شاعرًا فصيحًا من شعراء الجاهلية وكان نصرانيًا وكذلك كان ابوهُ وامهُ واهلهُ وليس ممّن يعد من الفحول

امرأة من آل قلام فولدت لهُ حماراً . فخرج زيد بن ايوب يوماً من الايام يريد الصيد في ناس من اهل الحيرة وهم منتدون بحفير المكان الذي يذكرهُ عديّ بن زيد في شعرهِ . فانفرد في الصيد وتباعد من اصحابهِ . فلقيه رجل من بني امرئ القيس الذين كان لهم الثار قبل ابيهِ . فقال لهُ وقد عرف فيهِ شبه ايوب : ممن الرجل . قال : من بني تميم . قال : من أيّهم . قال : مرّيّ . قال لهُ الاعرابي : وأين منزلك . قال : الحيرة . قال : أمن بني ايوب انت . قال : نعم ومن اين تعرف بني ايوب . واستوحش من الاعرابي وذكر الثأر الذي هرب ابوهُ منهُ . فقال لهُ : سمعتُ بهم . ولم يعلمهُ انهُ قد عرفهُ . فقال لهُ زيد بن ايوب : فمن ايّ العرب أنت . قال : أنا امرؤ من طيّئ . فأمنهُ زيد وسكت عنهُ . ثم ان الاعرابي اغتفل زيد بن ايوب فرماه بسهم فوضعهُ بين كتفيهِ ففلق قلبهُ . فلم يرم حافر دابتهِ حتى مات . فلبث اصحاب زيد حتى اذا كان الليل طلبوه وقد افتقدوه وظنوا انهُ قد امعن في طلب الصيد فباتوا يطلبونهُ حتى يئسوا منهُ . ثم غدوا في طلبهِ فاقتفوا اثرهُ حتى وقفوا عليهِ ورأوا معهُ أثر راكب يسايرهُ . فاتبعوا الاثر حتى وجدوهُ قتيلاً . فعرفوا ان صاحب الراحلة قتلهُ فاتبعوهُ وأغذوا السير فأدركوهُ مساء الليلة الثانية . فصاحوا بهِ . وكان من أرمى الناس فامتنع منهم بالنبل حتى حال الليل بينهم وبينهُ وقد اصاب رجلاً منهم في مرجع كتفيهِ بسهم . فلما اجنّهُ الليل مات وأفلت الرامي . فرجعوا وقد قتل زيد بن ايوب ورجلاً آخر معهُ من بني الحرث بن كعب . فمكث حمار في اخوالهِ حتى أيفع ولحق بالوصفاء . فخرج يوماً من الايام يلعب مع غلمان بني لحيان . فلطم اللحياني عين حمار . فشجهُ حمار . فخرج أبو اللحياني فضرب حماراً . فأتى حمار امهُ يبكي . فقالت لهُ : ما شأنك . فقال : ضربني فلان لانَّ

ابنهُ لطمني فشججتـهُ . فجزعت من ذلك وحوَّلتـهُ الى دار زيد بن أيوب وعلَّمتهُ الكتـابة في دار ابيهِ . فكان حمار أوَّل من كتب من بني ايوب . فخرج من اكتب الناس وطلب حتى صار كاتب ملك النعمان الاكبر فلبث كاتبًا لهُ حتى ولد لهُ ابن من امرأة تزوجها من طيٍّ فسماهُ زيدًا باسم ابيهِ . وكان لحمار صديق من الدهاقين العظماء يقـال لهُ فروّخ ماهان وكان محسنًا الى حمار . فلما حضرت حمار الوفاة أوصى بابنـهِ زيد الى الدهقان وكان من المرازبة . فأخذهُ الدهقان اليـه فكان عندهُ مع ولده . وكان زيد قد حذق الكتابة والعربيـة قبل ان يأخذهُ الدهقان . فعلمهُ لما اخذهُ الفارسيَّـة فلقفها وكان لبيبًا . فأشار الدهقان على كسرى (انوشروان) أن يجعلهُ على البريد في حوائجهِ . ولم يكن كسرى يفعل ذلك الّا باولاد المرازبة . فمكث يتولّى ذلك لكسرى زمانًا . ثم ان النعمان النصري اللخميّ هلك . فاختلف أهل الحيرة فيمن يملكونهُ الى ان يعقد كسرى الامر لرجل ينصبهُ . فأشار عليهم المرزبان بزيد ابن حمار . فكان على الحيرة الى ان ملّك كسرى المنذر بن ماء السماء . ونكح زيد ابن حمار نعمة بنت ثعلبة العدويّة فولدت لهُ عديًا . وملك المنذر وكان لا يعصيهِ في شيء . وولد للمرزبان ابن فسماهُ شاهان مرد . فلما تحرَّك عديّ بن زيد وأيفع طرحهُ أبوهُ في الكتاب حتى اذا حذق أرسلهُ المرزبان مع ابنـه شاهان مرد الى كتاب الفارسية . فكان يختلف مع ابنهِ ويتعلم الكتابة والكلام بالفارسية حتى خرج من أفهم الناس بهما وأفصحهم بالعربية وقال الشعر وتعلَّم الرمي بالنشـاب . فخرج من الاساورة الرماة وتعلم لعب العجم على الخيـل بالصولجة وغيرها . ثم ان المرزبان وفد على كسرى ومعهُ ابنـه شاهان مرد . فبينما هما واقفان بين يديهِ اذ سقط طائران على السور . فقال كسرى للمرزبان

وابنه : ليرمِ كل واحدٍ منكما احدًا من هذين الطائرين فان قتلتماها ادخلتكما بيت المال وملأت افواهكما بالجوهر . ومن اخطأ منكما عاقبتهُ . فاعتمد كل واحد منهما طائرًا منهما ورميا فقتلاهما جميعًا . فبعثهما الى بيت المال فملئت افواههما جوهرًا وأثبت شاهان مرد وسائر اولاد المرزبان في صحابتهِ . فقال فروخ ماهان عند ذلك للملك : ان عندي غلامًا من العرب مات أبوه وخلفهُ في حجري فربيتهُ فهو أفصح الناس وأفهم بالعربية والفارسيـة والملك محتاج الى مثلهِ فان رأى ان يثبته في ولدي فعل . فقال : ادعه . فارسل الى عديّ ابن زيد وكان جميل الوجه فائق الحسن وكانت الفرس تتبرَّك بالجميل الوجه فلما كلمهُ وجدهُ اظرف الناس وأحضرهم جوابًا . فرغب فيهِ وأثبتـهُ مع ولد المرزبان . فكان عدي اوَّل من كتب بالعربية في ديوان كسرى (١) . فرغب أهل الحيرة الى عدي ورهبوه . فلم يزل بالمدائن في ديوان كسرى يؤذن لهُ عليهِ في الخاصَّة وهو معجب بهِ قريب منهُ وأبوه زيد بن حمّار يومئذٍ حيّ الّا ان ذكر عدي قد ارتفع وخمل ذكر ابيهِ . فكان عدي اذا دخل على المنذر قام جميع من عندهُ حتى يقعد عديّ . فعلا لهُ بذاك صيت عظيم . فكان اذا أراد المقام بالحيرة في منزلهِ ومع أبيهِ وأهلهِ استـأذن كسرى فأقام فيهم الشهرَ والشهرين واكثر وأقلّ . ثم ان كسرى (٢) ارسل عدي بن زيد الى ملك الروم (٣) بهدية من طُرَف ما عندهُ . فلما أتاه عدي بها أكرمه وحمله الى أعماله على البريد ليريهُ سعة ارضهِ وعظيم ملكـهِ . وكذلك كانوا يصنعون فمن ثم وقع عديّ بدمشق وقال فيها الشعر . فكان مما قالهُ بالشأم وهي أوَّل شعر قاله فيما ذكر :

(١) انوشروان (٢) هرمز بن كسرى انوشروان (٣) طيباريوس

رب دار بأسفل الجزع من دومة م أشهى اليَّ من جيرونِ
وندامى لا يفرحون بما نالوا م ولا يرهبون صرف المنون
قد سقيت الشمول في دار بشرٍ قهوةً مرَّةً بماء سخين

ثم كان اوَّل ما قاله بعدها قولهُ :

لمن الدار تعفَّت بخيمْ أصبحت غيَّرها طول القدمْ
ما تبين العين من آياتها غير نؤيٍ مثل خطٍّ بالقلمْ
صالحًا قد لفها فاستوثقت لفَّ بازيٍّ حمامًا في سلمْ

(قال) وفسد امر الحيرة وعدي بدمشق حتى اصلح ابوه بينهم . لان اهل الحيرة حين كان عليهم المنذر أرادوا قتله لانهُ كان لا يعدل فيهم وكان يأخذ من اموالهم ما يعجبه . فلما تيقن ان اهل الحيرة قد اجمعوا على قتلهِ بعث الى زيد بن حمَّار بن زيد بن ايوب وكان قبلهُ على الحيرة فقال لهُ : يا زيد انت خليفة أبي وقد بلغني ما أجمع عليهِ اهل الحيرة فلا حاجة لي في ملككم دونكموه ملكوه من شئتم . فقال لهُ زيد : ان الامر ليس اليَّ ولكني أسبر لك هذا الامر ولا آلوكَ نصحًا . فلما اصبح غدا اليهِ الناس فحيّوه تحية الملك وقالوا لهُ : ألا تبعث الى عبدك الظالم يعنون المنذر فتريح منهُ رعيتك . فقال لهم : او لا خير من ذلك . قالوا : أشرْ علينا . قال تدعونه على حالهِ فانَّهُ من اهل بيت ملك وأنا آتيه فاخبرهُ ان اهل الحيرة قد اختاروا رجلًا يكون امر الحيرة اليهِ الَّا ان يكون غزو او قتال : فلك اسم الملك وليس اليك سوى ذلك من الامور . قالوا : رأيك افضل . فأتى المنذر فأخبرهُ بما قالوا . وقبل ذلك وفرح وقال : انَّ لك يا زيد عليَّ نعمة لا أكفرها ما عرفت حقَّ سبد (١)

(١) سبد صنم كان لاهل الحيرة

فولَّى اهل الحيرة زيدًا على كل شيء سوى اسم الملك فانهم اقرّوه للمنذر وفي ذلك يقول عدي :

نحن كنَّا قد علمتم قبلكم عمد البيت وأوتاد الاصارْ

(قال) ثم هلك زيد وابنهُ عدي يومئذٍ بالشأم . وكانت لزيد الف ناقة للحمالات كان أهل الحيرة اعطوه اياها حين ولّوه ما ولّوه . فلما هلك ارادوا اخذها . فبلغ ذلك المنذر فقال : لا واللات والعزَّى لا يؤخذ ممَّا كان في يد زيد تُفروق وأنا اسمع الصوت . ففي ذلك يقول عدي بن زيد لابنهِ النعمان ابن المنذر

وأبوك المرء لم يشنأ بهِ يوم سيم الخسف منَّا ذو الخسارْ

(قال) ثم ان عديًا قدم المدائن على كسرى بهديَّة قيصر فصادف أباه والمرزبان الذي ربَّاه قد هلكا جميعًا . فاستأذن كسرى في الالمام بالحيرة . فأذن لهُ . فتوجه اليها . وبلغ المنذر خبره فخرج فتلقاهُ الناس ورجع معهُ وعديٌّ أنبل أهل الحيرة في انفسهم ولو أراد ان يملكوه لملكوه ولكنهُ كان يؤثر الصيد واللهو واللعب على الملك . فمكث سنين يبدو في فصلي السنة فيقيم في جفير ويشتو بالحيرة ويأتي المدائن في خلال ذلك فيخدم كسرى . فمكث كذلك سنين وكان لا يؤثر على بلاد بني يربوع مبدى من مبادي العرب ولا ينزل في حيّ من أحياء بني تميم غيرهم . وكان اخلاؤه من العرب كلهم بني جعفر . وكانت ابلهُ في بلاد بني ضبة وبلاد بني سعد وكذلك كان أبوه يفعل لا يجاوز هذين الحيَّين بابلهِ . ولم يزل على حالهِ تلك حتى تزوَّج هندًا بنت النعمان بن المنذر وهي يومئذٍ جارية حين بلغت أو كادت

وذكر هشام بن الكلبي قال : كان لعدي بن زيد اخوان احدهما اسمهُ عمَّار

ولقبهُ أُبَيّ والآخر اسمهُ عمرو ولقبهُ سُمَيّ . وكان لهم اخ من امهم يقال لهُ عدي ابن حنظلة من طيء . وكان أُبَيّ يكون عند كسرى وكانوا أهل بيت نصارى يكونون مع الاكاسرة ولهم معهم اكل وناحية يقطعونهم القطائع ويجزلون صلاتهم . وكان المنذر لما ملك جعل ابنهُ النعمان بن المنذر في حجر عدي بن زيد . فهم الذين ارضعوه وربوه . وكان للمنذر ابن آخر يقال لهُ الاسود امهُ مارية بنت الحرث . فارضعه ورباه قوم من اهل الحيرة يقال لهم بنو مرينا ينتسبون الى لخم وكانوا أشرافًا . وكان للمنذر سوى هذين من الولد عشرة . وكان ولده يقال لهم الاشاهب من جمالهم . فذلك قول اعشى بن قيس بن ثعلبة :

وبنو المنذر الاشاهب في الحيرة م يمشون غدوةً كالسيوفِ

وكان النعمان من بينهم أحمر أبرش قصيرًا وأمهُ سلمى بنت وائل بن عطيَّة الصائغ من أهل فَدَك . فلما احتُضر المنذر وخلف اولاده العشرة (١) أوصى بهم الى قبيصة الطائي وملكهُ على الحيرة الى أن يرى كسرى رأيه . فمكث مملكًا عليها اشهرًا وكسرى (٢) في طلب رجل يملكهُ عليهم . فلم يجد احدًا يرضاه . فضجر وقال : لأبعثنَّ الى الحيرة اثني عشر ألفًا من الاساورة ولاملكنّ عليهم رجلًا من الفرس ولآمرنَّهم ان ينزلوا على العرب في دورهم ويملكوا عليهم اموالهم ونساءهم . وكان عدي بن زيد واقفًا بين يديه . فأقبل عليه وقال : ويحك ياعدي من بقي من آل المنذر وهل فيهم احد فيهِ خير . فقال : نعم ايها الملك السعيد ان في ولد المنذر لبقيّة فيهم كلهم خير . فقال : ابعث اليهم فأحضرهم . فبعث اليهم فاحضرهم وانزلهم جميعًا عندهُ . ويقال بل شخص عدي بن زيد الى الحيرة حتى خاطبهم بما أرادوا واوصاهم ثم قدم بهم الى كسرى . (قال) فلما نزلوا على عدي بن

(١) وقيل بل كانوا ثلاثة عشر (٢) هو هرمز بن كسرى انوشروان

زيد أرسل الى النعمان : لست املك غيرك . فلا يوحشنَّك ما أُفضّل بهِ اخوتك عليك من الكرامة فاني انما اغترّهم بذلك . ثم كان يفضل اخوته جميعًا عليهِ في النزل والاكرام والملازمة ويريهم تنقصًا للنعمان وانهُ غير طامع في تمام امر على يدهِ وجعل يخلو بهم رجلًا رجلًا فيقول : اذا أدخلتكم على الملك فالبسوا أفخر ثيابكم وأجملها . واذا دعا لكم بالطعام لتاكلوا فتباطأوا في الاكل وصغروا اللقم ونزروا ما تاكلون . فاذا قال لكم : اتكفوني العرب . فقولوا : نعم . فاذا قال لكم : فان شذّ احدكم عن الطاعة وأفسد أتكفونيه . فقولوا : لا انَّ بعضنا لا يقدر على بعض . ليهابكم ولا يطمع في تفرقكم ويعلم ان للعرب منعة وباسًا . فقبلوا منهُ . وخلا بالنعمان فقال لهُ : البس ثياب السفر وادخل متقلدًا بسيفك . واذا جلست للاكل فعظِّم اللقم وأسرع المضغ والبلع وزد في الاكل وتجوَّع قبل ذلك فان كسرى يعجبهُ كثرة الاكل من العرب خاصّة ويرى انهُ لا خير في العربي اذا لم يكن أكولًا شرهًا ولا سيما اذا رأى غير طعامهِ وما لا عهد لهُ بمثلهِ . واذا سألك : هل تكفيني العرب . فقل : نعم . فاذا قال لك : فمن لي باخوتك . فقل لهُ : ان عجزت عنهم فاني عن غيرهم لأعجز . (قال) وخلا ابن مرينا بالاسود فسألهُ عمّا اوصاه بهِ عديّ . فأخبرهُ . فقال : غشك والصليب والمعمودية وما نصحك وان اطعتني لتخالفنَّ كل ما أمرك بهِ ولتملكنَّ وان عصيتني ليملكنَّ النعمان . ولا يغرنّك ما أراكهُ من الاكرام والتفضيل على النعمان فان ذلك دهاء فيهِ ومكر وان هذه المعدّيّة لا تخلو من مكر وحيلة . فقال لهُ : ان عديًا لم يألني نصحًا وهو اعلم بكسرى منك وان خالفتهُ اوحشته وأفسد عليّ . وهو جاء بنا ووصفنا والى قولهِ يرجع كسرى . فلما ايس ابن مرينا من قبوله منهُ قال : ستعلم . ودعا بهم كسرى

فلما دخلوا عليهِ اعجبهُ جمالهم وكمالهم ورأى رجالًا قلّما رأى مثلهم. فدعا لهم بالطعام ففعلوا ما أمرهم بهِ عدي. فجعل ينظر الى النعمان من بينهم ويتأمل أكلهُ فقال لعدي بالفارسية: ان يكن في أحد منهم خير ففي هذا. فلما غسلوا أيديهم جعل يدعيهم رجلًا رجلًا فيقول لهُ: اتكفيني العرب. فيقول: نعم أكفيكها كلّها الّا اخوتي. حتى انتهى الى النعمان آخرهم فقال: أتكفيني العرب. قال: نعم. قال: كلّها. قال: نعم. قال: فكيف لي باخوتك. قال: ان عجزت عنهم فانا عن غيرهم اعجز. فملكهُ وخلع عليهِ والبسهُ تاجًا قيمتهُ ستون الف درهم فيهِ اللؤلؤ والذهب. فلما خرج وقد ملك قال ابن مرينا للاسود: دونك عقبى خلافك لي. ثم ان عديًا صنع طعامًا في بيعة وأرسل الى ابن مرينا ان: ائتني بمن احببت فان لي حاجة. فأتى في ناس فتغدّوا في البيعة. فقال عدي بن زيد لابن مرينا: يا عدي انّ أحق من عرف الحق ثم لم يلم عليهِ من كان مثلك. واني قد عرفت ان صاحبك الاسود بن المنذر كان أحبّ اليك ان يملك من صاحبي النعمان. فلا تلمني على شيءٍ كنت على مثلهِ. وأنا احبّ ان لا تحقد عليّ شيئًا لو قدرتَ ركبتهُ. وانا أحب ان تعطيني من نفسك ما اعطيك من نفسي فان نصيبي في هذا الامر ليس باوفر من نصيبك. وقام الى البيعة فحلف ان لا يهجوه ابدًا ولا يبغيهِ غائلة ابدًا ولا يزوي عنهُ خيرًا ابدًا. فلما فرغ عدي بن زيد قام عدي بن مرينا فحلف مثل يمينهِ ان لا يزال يهجوهُ ابدًا ويبغيهِ الغوائل ما بقي. وخرج النعمان حتى نزل منزل ابيهِ بالحيرة. فقال عدي بن مرينا لعدي بن زيد:

ألا أبلغ عديًا عن عديٍ … فلا تجزع وان رثّت قواكا
هياكلنا تبرّ لغير فقرٍ … لتحمد او يتمّ بهِ غناكا

فان تظفر فلم تظفر حميدًا … وان تعطب فلا يبعد سواكا
ندمت ندامة الكسعيّ لما … رأت عيناك ما صنعت يداكا

(قال) ثم قال عدي بن مرينا للاسود: امّا اذا لم تظفر فلا تعجزنّ ان تطلب بثأرك من هذا المعدّي الذي فعل بك ما فعل فقد كنت اخبرك ان معدًّا لا ينام كيدها ومكرها وأمرتك ان تعصيهِ فخالفتني. قال: فما تريد. قال: اريد ان لا ياتيك فائدة من مالك وأرضك الّا عرضتها عليّ. ففعل. وكان ابن مرينا كثير المال والضيعة. فلم يكن في الدهر يوم ياتي الّا على باب النعمان هدية من ابن مرينا. فصار من اكرم الناس عليهِ حتى كان لا يقضي في ملكهِ شيئًا الّا بامر ابن مرينا. وكان اذا ذكر عدي بن زيد عند النعمان أحسنَ الثناء عليهِ وشيع ذلك بان يقول: ان عدي بن زيد فيهِ مكر وخديعة. والمعدّي لا يصلح الّا هكذا. فلما رأى من يطيف بالنعمان منزلة ابن مرينا عنده لزموه وتابعوه. فجعل يقول لمن يثق بهِ من اصحابهِ: اذا رأيتموني اذكر عديًا عند الملك بخير فقولوا: انهُ لكذلك ولكنهُ لا يسلم عليهِ احد وانهُ ليقول ان الملك يعني النعمان عاملهُ وانهُ هو ولّاه ما ولّاه. فلم يزالوا بذلك حتى أضغنوه عليهِ فكتبوا كتابًا على لسانهِ الى قهرمان لهُ ثم دسّوا اليهِ حتى اخذوا الكتاب منهُ واتوا بهِ النعمان. فقرأهُ فاشتدّ غضبهُ فأرسل الى عدي بن زيد: عزمت عليك الّا زرتني فاني قد اشتقت الى رؤيتك. وعدي يومئذٍ عند كسرى. فاستأذن كسرى. فاذن لهُ. فلما أتاه لم ينظر اليهِ حتى حبسهُ في محبس لا يدخل عليهِ فيهِ أحد. فجعل عدي يقول الشعر وهو في الحبس

هذه رواية الكلبيّ في قصائد كثيرة كان يقولها فيهِ ويكتب بها اليهِ فلا

تغني عندهُ شيئًا . واما المفضل الضبي فانهُ ذكر ان عدي بن زيد لما قدم على النعمان صادفهُ لا مال عندهُ ولا اثاث ولا ما يصلح للملك وكان آدم اخوتهُ منظرًا وكلّهم اكثر مالًا منهُ . فقال لهُ عدي : كيف اصنع بك ولا مال عندك . فقال لهُ النعمان : ما أعرف لك حيلةً الّا ما تعرفهُ أنت . فقال لهُ : قم بنا نمضِ الى ابن قردس رجل من اهل الحيرة من دومة . فاتياه ليقترضا منهُ مالًا . فأبى ان يقرضهما وقال : ما عندي شيء . فأتيا جابر بن شمعون وهو الاسقف احد بني الاوس بن قلّام . فاستقرضا منهُ مالًا . فانزلهما عنده ثلاثة ايام يذبح لهم ويسقيهم الخمر . فلما كان في اليوم الرابع قال لهما : ما تريدان . فقال لهُ عدي : تقرضنا اربعين الف درهم يستعين بها النعمان على أمرهِ عند كسرى . فقال : لكما عندي ثمانون الفًا . ثم اعطاهما اياها . فقال النعمان لجابر : لا جرم لا جرى لي درهم الّا على يديك ان انا ملكت . وجابر هو صاحب القصر الابيض بالحيرة . ثم ذكر من قصة النعمان واخوته وعدي وابن مرينا مثل ما ذكرهُ ابن الكلبي . وقال المفضل خاصة : ان سبب حبس النعمان عدي بن زيد ان عديًا صنع ذات يوم طعامًا للنعمان وسألهُ ان يركب اليهِ ويتغدّى عندهُ هو وأصحابهُ . فركب النعمان اليهِ . فاعترضهُ عدي بن مرينا فاحتبسهُ حتى تغدّى عندهُ هو واصحابهُ وشربوا حتى ثملوا . ثم ركب الى عدي ولا فضل فيهِ فاحفظهُ ذلك . ورأى في وجه عدي الكراهة فقام وركب ورجع الى منزلهِ . فقال عدي بن زيد في ذلك من فعل النعمان :

أحسبت مجلسنا وحسن م حديثنا يودي بمالك
فالمال والاهلون مصرعةٌ م لامرك او نكالك
ما تامرنْ فينا فأمرك م في يمينك او شمالك

(قال) وأرسل النعمان ذات يوم الى عدي بن زيد فأبى ان يأتيه . ثم اعاد رسولهُ . فأبى ان يأتيهُ . وقد كان شرب . فغضب وأمر بهِ فسحب من منزلهِ حتى انتهي بهِ اليهِ فحبسهُ في الصنّين ولجَّ في حبسهِ وعدي يرسل اليهِ بالشعر .

وقالوا جميعًا : فلما سجن عدي بن زيد كتب الى أخيهِ أُبيّ وهو مع كسرى بهذا الشعر :

أبلغْ أُبيًّا على نأيهِ وهل ينفع المرء ما قد علمْ
بأنَّ أخاك شقيق الفؤاد م كنت بهِ واثقًا ما سلمْ
لدى ملكٍ موثقٌ في الحديد م امّا بحقٍّ واما ظالمْ
فلا أعرفنك كدأب الغلام م ما لم يجد عارمًا يعترمْ
فأرضك أرضك ان تأتنا تنمْ ليلة ليس فيها حلمْ

قال فكتب اليهِ اخوه أُبيّ :

ان يكن خانك الزمان فلا م عاجز باغٍ ولا اليف ضعيفُ
ويمين الاله لو انّ جأواء م طحونًا فيها تضيء السيوفُ
ذات رزءٍ مجتابة غمرة الموت م صحيح سربالها مكفوفُ
كنت في حميها لجئتك أسعى فاعلمنْ لو سمعت اذ تستضيفُ
أو بمال سألت دونك لم يمنع م تلاد لحاجة أو طريفُ
أو بأرض أسطيع آتيك فيها لم يهلني بعدٌ بها أو مخوفُ
ان يعني والله الف فجوع لا يعنّيك ما يصوب الخريفُ
في الاعادي وانت مني بعيد عزَّ هذا الزمان والتعنيفُ
ولعمري لئن جزعت عليهِ لجزوعٌ على الصديق اسوفُ

ولعمري لئن ملكت عزائي لقليلٌ شرواك فيما اطوفُ

قالوا جميعًا: فلما قرأ أُبي كتاب عدي قام الى كسرى فكلّمهُ في أمره وعرّفهُ خبرهُ. فكتب الى النعمان يأمره باطلاقهِ وبعث معهُ رجلًا. وكتب خليفة النعمان اليهِ: انهُ قد كتب اليك في امرهِ. فأتى النعمان اعداء عدي من بني بقيلة وهم من غسان فقالوا لهُ: اقتلهُ الساعة. فأبى عليهم. وجاء الرسول. وكان أخو عدي تقدم اليهِ ورشاه وأمرهُ أن يبدأ بعدي فيدخل اليهِ وهو محبوس بالصنّين. فقال لهُ: ادخل عليهِ فانظر ما يأمرك بهِ فامتثلهُ. فدخل الرسول على عديّ فقال لهُ: اني قد جئت بارسالك فما عندك. قال: عندي الذي تحبّ. ووعده بعدة سنيّة وقال لهُ: لا تخرجنّ من عندي واعطني الكتاب حتى ارسلهُ اليهِ. فانك والله ان خرجت من عندي لأُقتلنَّ. فقال: لا أستطيع الّا ان آتي الملك بالكتاب فأُوصلهُ اليهِ. فانطلق بعض من كان هناك من أعدائهِ فاخبر النعمان ان رسول كسرى دخل على عدي وهو ذاهب بهِ وانْ فعل والله لم يستبقِ منّا أحدًا أنت ولا غيرك. فبعث اليهِ النعمان اعداءه فغموه حتى مات ثم دفنوه. ودخل الرسول الى النعمان فأوصل الكتاب اليهِ. فقال: نعم وكرامة وأمر لهُ بأربعة آلاف مثقال ذهبًا وجارية حسناء وقال لهُ: اذا أصبحت فادخل أنت بنفسك فأخرجهُ. فلما أصبح ركب فدخل السجن. فأعلمهُ الحرس انهُ قد مات منذ أيام ولم نجترئ على اخبار الملك خوفًا منهُ وقد عرفنا كراهتهُ لموته. فرجع الى النعمان وقال لهُ: اني كنت أمس دخلت على عدي وهو حيّ وجئت اليوم فجحدني السجان وبهتني وذكر أنّهُ قد مات منذ أيام. فقال لهُ النعمان: أيبعث بك الملك اليّ فتدخل اليهِ قبلي. كذبت. ولكنك أردت الرشوة والخبث. فتهدده ثم زاده جائزة وأكرمهُ وتوثّق

منهُ ان لا يخبر كسرى الّا أنهُ قد مات قبل ان يقدم عليهِ. فرجع الرسول الى كسرى وقال: اني وجدت عديًا قد مات قبل أن أدخل عليهِ. وندم النعمان على قتل عديّ وعرف أنهُ احتيل عليهِ في أمرهِ واجترأ أعداؤه عليهِ وهابهم هيبة شديدة. ثم انهُ خرج الى صيده ذات يوم فلقي ابنًا لعدي يُقال لهُ زيد. فلما رآه عرف شبههُ. فقال لهُ: من أنت. فقال: أنا زيد بن عدي بن زيد. فكلّمهُ فاذا غلام ظريف. ففرح بهِ فرحًا شديدًا وقرّبهُ وأعطاه ووصلهُ وأعتذر اليهِ من امر أبيهِ وجهّزه. ثم كتب الى كسرى. ان عديًّا كان ممّن اعين بهِ الملك في نصحهِ ولبهِ فاصابهُ ما لا بدّ منهُ وانقطعت مدتهُ وانقضى أجلهُ ولم يُصَب بهِ احد اشدّ من مصيبتي واما الملك فلم يكن ليفقد رجلًا الّا جعل الله لهُ منهُ خلفًا لما عظم الله من ملكهِ وشأنهِ. وقد بلغ ابن لهُ ليس بدونه رأيتهُ يصلح لخدمة الملك فسرّحتهُ اليهِ فان رأى الملك ان يجعلهُ مكان أبيهِ فليفعل وليصرف عمّهُ عن ذلك الى عمل آخر. وكان هو الذي يلي المكاتبة عن الملك الى ملوك العرب في امورها وفي خواصّ امور الملك. وكانت لهُ من العرب وظيفة موظفة في كل سنة مهران أشقران يجعلان لهُ هلامًا والكمأة الرطبة في حينها واليابسة والأقِط والادم وسائر تجارات العرب. فكان زيد بن عديّ يلي ذلك لهُ وكان هذا عمل عدي. فلما وقع زيد بن عدي عند الملك هذا الموقع سألهُ كسرى عن النعمان. فاحسن الثناء عليهِ. ومكث على ذلك سنوات على الامر الذي كان أبوه عليهِ. وأُعجب بهِ كسرى. فكان يكثر الدخول عليهِ والخدمة لهُ. وكانت لملوك العجم صفة من النساء مكتوبة عندهم فكانوا يبعثون في تلك الارضين بتلك الصفة فاذا وُجدت حُملت الى الملك. غير انهم لم يكونوا يطلبونها في ارض العرب ولا يظنونها عندهم. ثم انهُ بدأ للملك في

طلب تلك الصفة وأمر فكتب بها الى النواحي . ودخل اليهِ زيد بن عدي وهو في ذلك القول فخاطبهُ فيما دخل اليهِ فيهِ ثم قال : اني رأيت الملك قد كتب في نسوة يُطلبنَ لهُ وقرأتُ الصفة . وقد كنت بآل المنذر عارفًا . وعند عبدك النعمان من بناتهِ واخواتهِ وبنات عمهِ وأهلهِ اكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة . قال : فاكتب فيهنَّ . قال : أيها الملك ان شرّ شيء في العرب وفي النعمان خاصةً انهم يتكرّمون زعموا في انفسهم عن العجم . فانا اكره ان يغيّبهنَّ عمن تبعث اليهِ أو يعرض عليه غيرهنَّ . وان قدمت أنا عليهِ لم يقدر على ذلك . فابعثني وابعث معي رجلًا من ثقاتك يفهم بالعربية حتى أبلغ ما تحبُّهُ . فبعث معهُ رجلًا جلدًا فهمًا . فخرج بهِ زيد فجعل يكرم الرجل ويلطفهُ حتى بلغ الحيرة . فلما دخل عليهِ أعظم الملك وقال : انهُ قد احتاج الى نساء لنفسهِ وولدهِ وأهل بيتهِ واراد كرامتك بصهرهِ فبعث اليك . فقال : ما هؤلاء النسوة . فقال : هذه صفتهنَّ قد جئنا بها . فقرأ زيد الصفة على النعمان . فشقَّت عليهِ وقال لزيد والرسول يسمع : أما في مها السواد وعين فارس ما يبلغ بهِ كسرى حاجتهِ . فقال الرسول لزيد بالفارسية : ما المها والعين . فقال لهُ بالفارسية : كاوان أي البقر . فامسك الرسول . وقال زيد للنعمان : انما أراد كرامتك ولو علم ان هذا يشقُّ عليك لم يكتب اليك بهِ . فانزلهما يومين عنده . ثم كتب الى كسرى . ان الذي طلب الملك ليس عندي . وقال لزيد : اعذرني عند الملك . فلما رجعا الى كسرى قال زيد للرسول الذي قدم معهُ : أصدق الملك عمَّا سمعت فاني ساحدثهُ بمثل حديثك ولا أُخالفك فيهِ . فلما دخلا كسرى قال زيد : هذا كتابهُ اليك . فقرأه عليهِ . فقال لهُ كسرى : وأين الذي كنت خبرتني بهِ . قال : قد كنت خبرتك بضنتهم بنسائهم على غيرهم وان ذلك

من شقائهم واختيارهم الجوع والعرى على الشبع والرياش وايثارهم السموم والرياح على طيب أرضك هذه حتى انهم ليسمّونها السجن . فسلْ هذا الرسول الذي كان معي عمَّا قال فاني أُكرم الملك عن مشافهتهِ بما قال واجاب بهِ . قال للرسول : وما قال . فقال لهُ الرسول : أيها الملك انهُ قال : أما كان في بقر السواد وفارس ما يكفيهِ حتى يطلب ما عندنا . فعُرف الغضب في وجههِ ووقع في قلبهِ منهُ ما وقع لكنهُ لم يزد على ان قال : ربَّ عبدٍ قد أراد ما هو أشد من هذا ثم صار امره الى التباب . وشاع هذا الكلام حتى بلغ النعمان . وسكت كسرى أشهرًا على ذلك . وجعل النعمان يستعدّ ويتوقَّع حتى أتاه كتابهُ ان : أقبل فان للملك حاجة اليك . فانطلق حين أتاه كتابهُ فحمل سلاحهُ وما قوي عليهِ ثم لحق بجبلَي طيءٍ . وكانت فَرْعة بنت سعد بن حارثة بن لام عنده وقد ولدت لهُ رجلًا وامرأة وكانت ايضًا عنده زينب بنت أوس بن حارثة . فاراد النعمان طيئًا على ان يدخلوه الجبلين ويمنعوه . فأبوا ذلك عليهِ وقالوا لهُ : لولا صهرك لقتلناك . فانهُ لا حاجة لنا الى معاداة كسرى ولا طاقة لنا بهِ . وأقبل يطوف على قبائل العرب ليس احد منهم يقبلهُ غير ان بني رواحة ابن قطيعة بن عبس قالوا : ان شئت قاتلنا معك . لمنّةٍ كانت لهُ عندهم في أمر مروان القَرَظ . قال : ما أُحب أن أهلككم فانهُ لا طاقة لكم بكسرى . فأقبل حتى نزل بذي قار في بني شيبان سرًّا . فلقي هانئ بن قبيصة وقيل بل هانئ ابن مسعود وكان سيدًا منيعًا والبيت يومئذٍ من ربيعة في آل ذي الجدَّين لقيس بن مسعود بن قيس بن خلد ذي الجدَّين . وكان كسرى قد أطعم قيس ابن مسعود الابلَّة . فكره النعمان ان يدفع اليهِ أهلهُ لذلك وعلم ان هانئًا يمنعهُ مما يمنع نفسهُ منهُ

وقال حماد الراوية في خبره : انهُ انما استجار بهانئ كما استجار بغيرهِ فأجارهُ وقال لهُ : قد لزمني ذمامك وأنا مانعك مما امنع نفسي وأهلي وولدي منهُ ما بقي من عشيرتي الادنين رجل . وان ذلك غير نافعك لانهُ مهلكي ومهلكك . وعندي رأي لك لست اشير بهِ عليك لادفعك عمّا تريدهُ من مجاورتي ولكنه الصواب . فقال : هاته . فقال : ان كل أمرٍ يجمل بالرجل ان يكون عليهِ الّا ان يكون بعد الملك سوقة . والموت نازل بكل أحد . ولأن تموت كريمًا خير من أن تتجرع الذلّ أو تبقى سوقة بعد الملك . هذا ان بقيت . فامضِ الى صاحبك واحمل اليهِ هدايا ومالًا وألقِ نفسك بين يديه . فاما ان صفح عنك فعدت ملكًا عزيزًا . واما ان أصابك فالموت خير من ان يتلعّب بك صعاليك العرب ويتخطفك ذئابها وتأكل مالك وتعيش فقيرًا مجاورًا أو تقتل مقهورًا . فقال : كيف بحرمي . قال : هنّ في ذمتي لايخلص اليهنّ حتى يخلص الى بناتي . فقال : هذا وأبيك الرأي الصحيح ولن اجاوزهُ . ثم اختار خيلًا وحللًا من عصب اليمن وجوهرًا وطُرَفًا كانت عندهُ ووجه بها الى كسرى وكتب اليهِ يعتذر ويعلمه انهُ صائر اليهِ ووجّه بها مع رسولهِ . فقبلها كسرى وأمره بالقدوم . فعاد اليهِ الرسول فأخبرهُ بذلك وأنهُ لم يرَ له عند كسرى سوءًا . فمضى اليه حتى اذا وصل الى المدائن لقيه زيد بن عدي على قنطرة ساباط فقال لهُ : انجُ نُعَيم ان استطعت النجاء . فقال لهُ : أفعلتها يا زيد أما والله لئن عشتُ لك لاقتلنك قتلة لم يقتلها عربيّ قطّ ولالحقنك بابيك . فقال لهُ زيد : امضِ لشأنك نعيم فقد والله آخيت لك آخيّةً لا يقطعها المهر الأرن . فلما بلغ كسرى انهُ بالباب بعث اليهِ فقيّدهُ وبعث بهِ الى سجن كان لهُ بخانقين . فلم يزل فيهِ حتى وقع الطاعون هناك فمات فيهِ . وقال حماد الراوية والكوفيون :

بل مات بساباط في حبسهِ . وقال ابن الكلبي : ألقاهُ تحت أرجل الفيلة فوطئتهُ حتى مات . واحتجوا بقول الاعشى :

فذاك وما أنجى من الموت ربه بساباط حتى مات وهو محزرقُ (١)

وأنكر هذا من زعم انهُ مات بخانقين وقالوا : لم يزل محبوسًا مدة طويلة وانهُ انما مات بعد ذلك بحين قُبيل الاسلام وغضبت لهُ العرب حينئذٍ . وكان قتلهُ سبب وقعة ذي قار

وقعة ذي قار (*)

كان من حديث ذي قار ان كسرى ابرويز لما غضب على النعمان بن

---

(١) المخزرق المضيّق عليهِ

(*) قال ياقوت الحموي : ذو قار ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط . وحنو ذي قار على ليلة منهُ . وقال البكري في كتاب معجم ما استعجم : ذو قار وادٍ على ثلاث من منًى والدليل على انهُ وادٍ ينهار فيهِ الماء قول اوس ابن حجر :

يآل تميم وذو قارٍ لهُ حدبٌ من الربيع وفي شعبان مسجورُ

واذا كان في شعبان مسجورًا فماؤُهُ لاينقطع لانهُ عندهم من شهور القيظ . وقال ابو عبيدة : ذوقار متاخم لسواد العراق . (قال) واصابت بكر بن وائل سنة فخرجت حتى نزلت بذي قار واَقبل حنظلة بن سيَّار العجليّ حتَّى ضرب قبَّتهُ بين ذي قار وصيد . وكان يقال لهُ حنظلة القباب كانت لهُ قبّة حمراء اذا رفعها انضمّ اليهِ قومه . وقال : لاتفرّوا حتَّى تفرّ هذه القبَّة . فاتاهم عامل كسرى على السواد ليخرجهم منهُ . فأبوا . فقاتلهم فهزموه . فهو يوم ذي قار الاوّل ويوم القبّة ويوم عين صيد . فاما يوم ذي قار الثاني فهو اليوم الذي هزمت فيهِ بكر جموع الاعاجم وجيوش فارس ويُسمّى ايضاً يوم حِنوِ قراقرَ ويوم الجُبابات ويوم العُجرم ويوم الغذَوان وهو ماءٌ. قال ابو عبيدة:

المنذر أتى النعمان هانئ بن مسعود فاستودعهُ مالهُ واهلهُ وولدهُ وألف شكة (١) ووضع ودائع عند احياء من العرب. ثم هرب وأتى طيئًا لصهره فيهم. كانت عنده فرعة بنت سعيد بن حارثة بن لام وزينب بنت أوس بن حارثة. فأبوا ان يدخلوه جبالهم. وأتته بنو رَوَاحة بن ربيعة بن عبس فقالوا لهُ: أبيت اللعن اقمْ عندنا فانّا مانعوك مما نمنع منهُ انفسنا. فقال: ما احبُّ ان تهلكوا بسببي. وجزاهم خيرًا. ثم خرج حتى وضع يدهُ في يد كسرى فحبسهُ بساباط (٢). (قالوا) فلما هلك النعمان جعلت بكر بن وائل تغير في السواد. فوفد قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجدَّين الى كسرى فسألهُ ان يجعل لهُ أكلًا وطعمة على ان يضمن لهُ بكر بن وائل ان لا يدخلوا السواد ولا يفسدوا فيهِ. فأقطعهُ الأُبُلَّة (٣) وما والاها وقال: هي تكفيك وتكفي اعراب قومك. فكانت لهُ حجرة فيها مائة من الابل للاضياف اذا نحرت ناقة أُقيدت أُخرى. واياه عنى الشماخ بقولهِ:

ارفع بالبانها عنكم كما رفعت ... عنهم لقاح بني قيس بن مسعودِ

(قال) فكان يأتيهِ من أتاه منهم فيعطيه جلة تمر وكرباسة. حتى قدم الحرث

وكانتا حول ذي قار. ورئيس جماعة بكر يومئذ هانئ بن قُبَيصة بن هانئ بن مسعود ومن قال انهُ جدُّهُ هانئ بن مسعود فقد خطأ لانهُ لم يدرك يوم ذي قار

(١) ويقال اربعة آلاف شكة. قال ابن الاعرابي: والشكة السلاح كلهُ

(٢) ويقال بخانقين

(٣) الابلَّة بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل الى مدينة البصرة وهي اقدم من البصرة لانَّ البصرة مُصّرت في ايام عمر بن الخطاب وكانت الابلّة حينئذ مدينة فيها مسالحُ من قبل كسرى وقائدٌ. كان خالد بن صفوان يقول: ما رأيت ارضاً مثل الابلة مسافة ولا اغذى نُطفة ولا اوطأ مطيّة ولا اربح لتاجر

ابن وعلة بن الجالد والمكسّر بن حنظلة فأعطاهما جلتَي تمر وكرباستين. فغضبا وأبيا ان يقبلا ذلك منهُ. فخرجا واستغويا ناسًا من بكر بن وائل ثم أغارا على السواد. فاغار الحرث على اسافل رومستان وهي من جرد. وأغار المكسر على الانبار. فلقيه رجل من العباد من اهل الحيرة قد نتجت بعض نوقهم فحملوا الحوار على ناقة رصروا الابل. فقال العبادي: لقد صبح الانبار شرّ جمل يحمل جملًا وجمل بُرتهُ عود. فجعلوا يضحكون من جهلهِ بالابل. (قال) وأغار بُجير بن عائذ بن سويد العجليّ ومعهُ مفروق بن عمرو الشيباني على القادسيّة وطيزناباذ (١) وما والاهما. وكلاهم ملأ يديه غنيمة. فاما مفروق وأصحابهُ فوقع فيهم الطاعون فمات منهم خمسة نفر مع من مات من اصحابهم. فدفنوا بالدُّجيل وهو دوحة من العذَيب يسيرة. فقال مفروق:

أتاني بانباط السواد يسوقهم ... اليَّ وأودت رجلتي وفوارسي

فلمَّا بلغ ذلك كسرى اشتدَّ حنقهُ على بكر بن وائل. وبلغهُ ان حلقة النعمان وولده وأهلهُ عندهم. فأرسل كسرى الى قيس بن مسعود وهو بالابلّة فقال: غررتني من قومك وزعمت انك تكفينيهم. وأمر بهِ فحبس بساباط. وأخذ كسرى في تعبية الجيوش اليهم. فقال قيس بن مسعود وهو محبوس:

ألا ابلغ بني ذهل رسولاً ... فمن هذا يكون لكم مكاني

ولا اصفى لعائذ. وقال الاصمعي: جنان الدنيا ثلاث غوطة دمشق ونهر بلخ ونهر الابلة. واما نهر الابلة الضارب الى البصرة فحفرهُ زياد (معجم البلدان)

(١) طيزناباذ ومعناه عمارة الضَيزَن موضع بين الكوفة والقادسيّة على حافة الطريق على جادّة الحاج وبينها وبين القادسية ميل. (معجم البلدان)

أيأكلها ابن وعلة في ظليفٍ ويامن هيثم وابنا سنانِ (١)
ويامن فيكم الذهليّ بعدي وقد وسموكمُ سمة البيان
ألا مَن مبلغ قومي ومن ذا يُبلّغ عن اسير في الاوانِ
تطاول ليلهُ وأصاب حزنًا ولا يرجو الفكاك من المنان

وقال قيس ينذر قومهُ :

ألا ليتني أرشو سلاحي وبلغتي فيخبر قومي اليوم ما أنا قائلُ
فانّا ثوينا في شعوب وانّهم غزتهم جنود جمة وقبائلُ
وان جنود العجم بيني وبينكم فما فلجي ياقوم ان لم تقاتلوا

(قال) فلما وضح لكسرى واستبان ان مال النعمان وحلقتهُ (٢) وولده عند ابن مسعود بعث اليهِ كسرى رجلًا يخبرهُ انهُ قال لهُ : ان النعمان انما كان عاملي وقد استودعك مالهُ واهلهُ والحلقة فابعث بها اليّ ولا تكلفني ان ابعث اليك ولا الى قومك بالجنود تقتل المقاتلة وتسبي الذريّة . فبعث اليهِ هانئ : ان الذي بلغك باطل . وما عندي قليل ولا كثير . وان يكن الامر كما قيل فانما انا أحد رجلين إما رجل أُستودع أَمانة فهو حقيق ان يردّها على من أَودعهُ اياها ولن يسلم الحرّ امانتهُ . أَو رجل مكذوب عليهِ فليس ينبغي ان تاخذهُ بقول عدوّ أَو حاسد . (قال) وكانت الاعاجم قومًا لهم حلم قد سمعوا ببعض علم العرب وعرفوا ان هذا الامر كائن فيهم . فلما ورد عليهِ كتاب هانئ

---

(١) يعني الهيثم وابني سنان الهيثم بن جرير بن يساف بن ثعلبة بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة وأبو علباء بن الهيثم

(٢) الحلقة السلاح والدروع

حملتهُ الشفقة ان يكون ذلك قد اقترب فأقبل حتى قطع الفرات فنزل غمر (١) بني مقاتل وقد احنقهُ ما صنعت بكر بن وائل في السواد ومنع هانئ اياه ما منعهُ

(قال) ودعا كسرى اياس بن قبيصة الطائي وكان عاملهُ على عين التمر وما والاها الى الحيرة وكان كسرى قد اطعمهُ ثلاثين قرية على شاطئ الفرات . فأتاه في صنائعهِ من العرب الذين كانوا في الحيرة . فاستشارهُ في الغارة على بكر ابن وائل وقال : ماذا ترى وكم ترى ان تغزيهم من الناس . فقال لهُ اياس : ان الملك لا يصلح ان يعصيه احد من رعيتهِ وان تطعني لم تعلم احدًا لايّ شيء عبرت وقطعت الفرات فيروا ان شيئًا من العرب قد كربك . ولكن ترجع وتضرب عنهم وتبعث عليهم العيون حتى ترى غرّة منهم ثم ترسل حلبة من العجم فيها بعض القبائل التي تليهم فيوقعون بهم وقعة الدهر ويأتونك بطلبتك . فقال لهُ كسرى : انت رجل من العرب وبكر بن وائل اخوالك (٢) فأنت تتعصّب لهم ولا تألوهم نصحًا . فقال اياس : رأي الملك افضل . فقام اليهِ عمرو ابن عدي بن زيد العبادي وكان كاتبهُ وترجمانهُ بالعربية وفي امور العرب فقال لهُ : أَقم ايها الملك وابعث اليهم بالجنود يكفوك . فقام اليهِ النعمان بن زُرعة من ولد السفّاح التغلبي فقال : ايها الملك ان هذا الحيّ من بكر بن وائل اذا أَحاطوا بذي قار تهافتوا تهافت الجراد في النار . فعقد للنعمان ابن زُرعة على تغلب والنمر . وعقد لخالد بن يزيد البهراني على قُضاعة واياد .

---

(١) وفي نسخة : غمر

(٢) كانت أُم اياس أُمامة بنت مسعود اخت هانئ بن مسعود

وعقد لاياس بن قبيصة على جميع العرب ومعهُ كتيبتـاه الشهباء والدَّوْسر . فكانت العرب ثلاثة آلاف . وعقد للهامَرْز على الف من الاساورة . وعقد لخنابرين على الف . وبعث معهم باللطيمة وهي عيركانت تخرج من العراق فيها البزّ والعطر والالطـاف توصل الى باذان عاملـه باليمن . وقال : اذا فرغتم من عدوكم فسيروا بها الى اليمن . وأمر عمرو بن عدي ان يسير بها . وكانت العرب تخفرهم وتجيرهم حتى تبلغ اللطيـمة اليمن . وعهد كسرى اليهم اذا شارفوا بلاد بكر بن وائل ودنوا منها أن يبعثوا النعمان بن زُرعة . فان أتوكم بالحلقـة ومائة غلام منهم يكونون رهنًا بما أحدث سفهاؤهم فاقبلوا منهم والَّا فقاتلوهم . وكان كسرى قد أوقع قبل ذلك ببني تميم يوم الصفقة فالعرب وجلة خائفة منهُ . وكانت حُرَقة بنت حسان بن النعمان يومئذٍ في بني سنان . هكذا في هذه الرواية . وقال ابن الكلبي : حرقة بنت النعمان وهي هند . والحرقة لقب وهذا هو الصحيح . فقالت تنذرهم وتقول :

ألا أبلغ بني بكرٍ رسولًا ... فقد جدَّ النفـير بعنفقيرِ
فليت الجيش كلهمُ فداكم ... ونفسي والسريرُ وذا السريرِ
كأني حين جدَّ بهم اليكم ... معلقـة الذوائب بالعبورِ
فلو اني اطقت لذاك دفعًا ... اذًا لدفعتهُ بدمي وزيري

فلما بلغ بكر بن وائل الخبر سار هانئ بن مسعود حتى انتهى الى ذي قار فنزل بهِ . وأقبل النعمان بن زرعة (١) حتى نزل على ابن اختهِ مرَّة بن عمرو فحمد الله النعمان وأثنى عليـهِ ثم قال : انكم اخوالي وأحد طرفيَّ وان الرائد

(١) كانت امهُ قاطف بنت النعمان بن معدي كرب التغلبي وامها الشقيقة بنت الحرث بن الوصاف العجلي

لا يكذب اهلهُ . وقد اتاكم ما لا قبل لكم بهِ من أحرار فارس وفرسان العرب والكتيبتان الشهباء والدوسر . وان في الشرّ خيارًا . ولأن يفتدي بعضكم بعضًا خير من ان تصطلموا . انظروا هذه الحلقة فادفعوها وادفعوا رهنًا من ابنائكم بما احدث سفهاؤكم . فقال لهُ القوم : ننظر في أمرنا . وبعثوا الى من يليهم من بكر بن وائل وبرزوا ببطحاء ذي قار بين الجلهتين (١) . (قال) وكان مرداس السلميّ (٢) مجاورًا فيهم يومئذٍ . فلما رأى الجيوش قد اقبلت اليهم حمل عيالهُ فخرج عنهم وأنشأ يقول يحرّضهم بقولهِ :

أبلغ سراة بني بكرٍ مغلغلة ... اني اخاف عليهم سربة الواري
اني أرى الملك الهامرز منصلتًا ... يزجي جيادًا وركبًا غير أعيارِ
لا تلقـط البعر الحوليّ نسوتهم ... للجائزين على اعطـان ذي قارِ
فان أبيتـم فاني رافع ظعني ... ومنشب في جبال اللوب اظفاري
وجاعلٌ بيننـا وردًا غواربـهُ ... ترمي اذا ما ربا الوادي بتيَّارِ (٣)

وجعلت بكر بن وائل حين بعثوا الى من حولهم من قبائل بكر لا ترفع لهم جماعة الَّا قالوا : سيدنا في هذه . فرفعت لهم جماعة فقالوا : سيدنا في هذه . فلما دنوا اذا هم بعبد عمرو بن بشر بن مرثد . فقالوا : لا . ثم رفعت لهم أخرى

(١) قال الاثرم : جلهة الوادي ما استقبلك منهُ واتسع لك . وقال ابن الاعرابي : جلهة الوادي مقدّمه مثل جلهة الرأس اذا ذهب شعرهُ يقال رأس اجله

(٢) قال صاحب الاغاني : « هذه الحكاية في امر مرداس بن ابي عامر عندي خطأ لان وقعة ذي قار كانت بعد الهجرة وكانت بين بدر وأُحد . ومرداس بن ابي عامر وحرب بن أُميَّة ابو ابي سفيان ماتا في وقت واحد . واظن ان هذه الابيات لعباس بن مرداس بن ابي عامر »

(٣) « ربا » ارتفع وطال . وقولهُ : « وردًا غواربهُ » اراد البحر

فقالوا: في هذه سيدنا. فاذا هو جبلة بن باعث بن صريم اليشكري . فقالوا: لا. فرفعت اخرى فقالوا: في هذه سيدنا. فاذا هو الحرث بن وعلة بن المجالد الذهلي. فقالوا: لا. ثم رفعت لهم اخرى فقالوا: في هذه سيدنا. فاذا فيها الحرث ابن ربيعة بن عثمان التيمي في تيم الله. فقالوا: لا. ثم رفعت لهم اخرى اكبر مما كان يجيء فقالوا: لقد جاء سيدنا. فاذا رجل اصلع الشعر عظيم البطن مشرب حمرة . فاذا هو حنظلة بن ثعلبة بن سيار بن حي بن حاطبة بن الاسعد بن جذيمة بن سعد بن عجل. فقالوا: يا أبا مَعْدان قد طال انتظارنا وقد كرهنا ان نقطع امرًا دونك وهذا ابن اختك النعمان بن زُرعة قد جاءنا والرائد لا يكذب اهلهُ. قال: فما الذي أجمع عليهِ رأيكم واتفق عليهِ ملؤكم. قالوا: ان اللخي اهون من الوهي وان في الشرّ خيارًا ولان يفتدي بعضكم بعضًا خير من ان تصطلموا جميعًا. قال حنظلة: فقبح الله هذا رأيًا لا تجرّ أحرار فارس ارجلها ببطحاء ذي قار وانا اسمع الصوت. ثم امر بقبتهِ فضربت بوادي ذي قار. ثم نزل ونزل الناس فاطافوا بهِ. ثم قال لهاني بن مسعود: يا ابا امامة ان ذمّتكم ذمّتنا عامّة وانهُ لن يوصل اليك حتى تفنى ارواحنا. فأخرج هذه الحلقة ففرّقها بين قومك. فان تظفر فستردّ عليك وان تهلك فاهون مفقود. فامر بها فأخرجت ففرّقها بينهم. ثم قال حنظلة للنعمان: لولا انك رسول لما أبتَ الى قومك سالمًا. فرجع النعمان الى اصحابهِ فاخبرهم بما ردّ عليهِ القوم. فباتوا ليلتهم مستعدّين للقتال. وبكر بن وائل يتأهّبون للحرب

فلما اصبحوا اقبلت الاعاجم نحوهم. وامر حنظلة بالظعن جميعًا فوقفها خلف الناس. ثم قال: يا معشر بكر بن وائل قاتلوا عن ظعنكم او دعوا. فاقبلت الاعاجم يسيرون على تعبية. فلما رأتهم بنو قيس بن ثعلبة انصرفوا

فلحقوا بالحيّ فاستخفوا فيهِ. فسمّي حيّ بني قيس بن ثعلبة. (قال) وهو على موضع خفيّ. فلم يشهدوا ذلك اليوم. وكان ربيعة بن غزالة السكوني ثم التجيبي يومئذٍ هو وقومهُ نزولًا في بني شيبان. فقال: يا بني شيبان أما لو اني كنت منكم لأشرت عليكم برأي مثل عروة العلم. فقالوا: فانت والله من اوسطنا فأشر علينا. فقال: لا تستهدفوا لهذه الاعاجم فتهلككم بنشابها ولكن تكردسوا كراديس فيشدّ عليهم كردوس فاذا اقبلوا عليهِ شدّ الآخر. فقالوا: فانك قد رأيت رأيًا. ففعلوا. فلما التقى الزحفان وتقارب القوم قام حنظلة ابن ثعلبة فقال: يا معشر بكر بن وائل ان النشاب الذي مع الاعاجم يغرقكم فاذا ارسلوه لم يخطئكم. فعاجلوهم اللقاء وابدؤوهم بالشدّة. ثم قام هاني بن مسعود فقال: يا قوم مهلك مقدور. خير من نجاء معرور. وان الحذر لا يدفع القدر. وان الصبر من اسباب الظفر. المنية ولا الدنية. واستقبال الموت خير من استدبارهِ. والطعن في الثغر. اكرم من الطعن في الدبر. يا قوم جدّوا فما من الموت بدّ. فتح لو كان لهُ رجال. أسمعُ صوتًا ولا ارى قومًا. ويا آل بكر شدّوا واستعدّوا والّا تشدوا تُردّوا. ثم قام شريك بن عمرو بن شراحيل بن مرّة بن همّام فقال: يا قوم انما تهابونهم انكم ترونهم عند الحفاظ اكثر منكم وكذلك انتم في اعينهم. فعليكم بالصبر فان الاسنة تردي الاعنة. يا آل بكر قدمًا قدمًا. ثم قام عمرو بن جبلة بن باعث بن صريم اليشكري فقال:

يا قوم لا تغررْكم هذي الخرقْ   ولا وميض البيض في الشمس برقْ
من لم يقاتل منكمُ هذا العنقْ   فجنّبوهُ الراح واسقوهُ المرقْ

ثم قام حنظلة بن ثعلبة الى وضين راحلة امرأتهِ فقطعهُ. ثم تتبّع الظعن يقطع

وُضُهنَّ . فسمي يومئذٍ مقطع الوضين (١) . (قالوا) وكانت بنو عجل في الميمنة بازاء خنابرين . وكانت بنو شيبان في الميسرة بازاء كتيبة الهامرز . وكانت افنـاء بكر بن وائل في القلب . فخرج أسوار من الاعاجم مسوّر في اذنيهِ درّتان من كتيبة الهامرز يتحرّى الناس للبراز فنادى في بني شيبان . فلم يبرز اليهِ احد . حتى اذا دنا من بني يشكر برز لهُ يزيد بن حارثة أخو بني ثعلبة بن عمرو فشدَّ عليهِ بالرمح فطعنهُ فدقّ صلبهُ واخذ حليتهُ وسلاحهُ . فذلك قول سويد بن ابي كاهل يفتخر :

ومنّا يزيد اذ تحرّى جموعكم   فلم تقربوهُ المرزبان المشهرُ
وبارزهُ منـا غلامٌ بصارمٍ   حسام اذا لاقى الضريبة يبترُ

ثم ان القوم اقتتلوا صدر نهارهم أشد قتال رآه الناس الى ان زالت الشمس . فشدَّ الحوفزان واسمهُ الحرث بن شريك على الهامرز فقتلـهُ . وقتلت بنو عجل خنابرين . وضرب الله وجوه الفرس فانهزموا : وتبعتهم بكر بن وائل . فلحق مرثد بن الحرث النعمانَ بن زُرعة فاهوى لهُ طعنًا . فسبقهُ النعمان بصدر فرسهِ فأفلتهُ . فقال مرثد في ذلك :

وخيل تباري للطعان شهدتها   فاغرقت فيها الرمح والجمع محجمُ
وأفلتني النعمان فوت رماحنا   وفوق قطـاة المهر أزرق لهزمُ

(قال) ولحق اسود بن بجير بن عائذ بن شريك العجلي النعمانَ بن زُرعة فقال لهُ : يا نعمان هلمَّ اليَّ فانا خير لك من اسد انا خير لك من الكعبين . قال : ومن انت . قال : الاسود بن بجير . فوضع يدهُ في يدهِ فجزَّ ناصيتهُ وخلَّى سبيلهُ وحملهُ الاسود على فرس لهُ وقال لهُ : انجُ على هذه فانها اجود من فرسك .

(١) الوضين بطان الناقة . ويقال مُقطّع البُطُن والبطن حزم الاقتاب

وجاء اسود بن بجير العجليّ على فرس النعمان بن زرعة . وقُتل خالد بن يزيد البهراني قتلهُ الاسود بن شريك بن عمرو . وقُتل يومئذٍ عمرو بن عدي بن زيد العبادي الشاعر . فقالت امهُ ترثيهِ :

ويح عمرو بن عدي من رجلْ   خان يومًا بعد ما قيل كملْ
كان لا يعقل حتى مـا اذا   جاء يومًا يا كل الناس عقلْ
أبهم دلّاك عمرو للردى   وقديمًا حين للمرء الاجلْ
ليت نعمان علينـا ملكًا   وبنيّ لي حيٌّ لم يزلْ
قد تنظرنا لغـاد أوبة   كان لو يغني عن المرء الاملْ
بان معـهُ عضد مع ساعد   بؤسا للدهر وبؤسا للرجلْ

(قال) وأفلت اياس بن قبيصة على فرس لهُ كانت عند رجل من بني تيم الله يُقال لهُ ابو ثور . فلما أراد اياس ان يغزيهم ارسل اليه ابو ثور بها . فنهاه اصحابهُ ان يفعل . فقال : والله ما في فرس اياس ما يعزّ رجلًا ولا يذلهُ وما كنت لأقطع رحمهُ فيها . فقال اياس :

غزاها ابو ثور فلما رأيتهـا   دخيس دواء لا اضيع غزاها
فأعددتها كفوءًا لكل كريهةٍ   اذا اقبلت بكر تجرُّ رشاها

(قال) واتبعتهم بكر بن وائل يقتلونهم بقية يومهم وليلتهم حتى اصبحوا من الغد وقد شارفوا السواد ودخلوه . فذكروا ان مائة من بكر بن وائل وسبعين من عجل وثلاثين من افناء بكر بن وائل أصبحوا وقد دخلوا السواد في طلب القوم . فلم يفلت منهم كبير احد . وأقبلت بكر بن وائل على الغنائم فقسموها بينهم وقسموا تلك اللطائم بين نسائهم . فذلك قول الدهان ابن جندل :

ان كنت ساقيــة يومًا على كرمٍ   فاسقي فوارس من ذهل بن شيبانا
واسقي فوارس حاموا عن ديارهمِ   واعلي مفارقهم مسـكًا وريحـانا

(قال) فكان اوّل من انصرف الى كسرى بالهزيمة اياس بن قبيصة. وكان لا يأتيهِ احد بهزيمة جيش الّا نزع كتفيهِ. فلما اتاه اياس سألهُ عن الخبر. فقال: هزمنا بكر بن وائل فأتيناك بنسائهم. فاعجب ذلك كسرى وأمر لهُ بكسوة. وان اياسًا استأذنهُ عند ذلك فقال: ان اخي مريض بعين التمر فأردت ان آتيه. وانما أراد ان يتنحّى عنهُ. فأذن لهُ كسرى. فترك فرسهُ الحمامة وهي التي كانت عند أبي ثور بالحيرة وركب نجيبتهُ فلحق باخيهِ. ثم اتى كسرى رجل من اهل الحيرة وهو بالخورنق. فسألهُ هل دخل على الملك احد. فقال: نعم اياس. فقال: ثكلت اياسًا امُّهُ. وظنّ انهُ قد حدّثهُ بالخبر. فدخل عليهِ فحدّثهُ بهزيمة القوم وقتلهم. فامر بهِ فنزعت كتفاه. وقال ابو كلبة التيمي يفخر بيوم ذي قار:

لولا فوارس لا ميلٌ ولا عزل   من اللهازم ما نطتم بذي قارِ
ما زلت مفترسًا اجساد افتية   تثير اعطافها منها بآثارِ
ان الفوارس من عجل هم أنفوا   من ان يخلوا لكسرى عرصة الدارِ
لاقوا فوارس من عجل بشكّتها   ليسوا اذا قلصت حرب باغمارِ
قد أحسنت ذهل شيبان وما عدلت   في يوم ذي قار فرسان ابن سيّارِ
هم الذين أتوهم عن شمائلهم   كما تلبس ورّاد بصدّارِ

فاجابهُ الاعشى فقال:

أبلغ ابا كلبة التيمي مألكة   فانت من معشر والله اشرارِ
شيبان تدفع عنك الحرب آونة   وانت تنبح نبح الكلب في الغارِ

(قال) ولم يزل قيس بن مسعود في سجن كسرى بساباط حتى مات قيس

حرب داحس

كان من حديث داحس ان امهُ فرس كانت لقرواش بن عوف يقال لها جلوى وكان ابوهُ يسمى ذا العقال وكان لحوط بن ابي جابر. فنتج قرواش فرسهُ مهرًا من ذي العقال فسماهُ داحسًا وخرج كأنهُ ابوهُ ذو العقال. وفيهِ يقول جرير:

ان الجياد يبتن حول خبائنا   من آل اعوج (١) او لذي العقالِ

فلما تحرّك المهر سام مع امهِ وهو فلو يتبعها وبنو ثعلبة سائرون. فرآه حوط فاخذهُ. فقالت بنو ثعلبة: يابني رياح الم تفعلوا فيهِ اوّل مرّة ما فعلتم (٢) ثم هذا الآن. فقالوا: هو فرسنا ولن نترككم او نقاتلكم عنهُ او تدفعوهُ الينا. فلما رأى ذلك بنو ثعلبة قالوا: اذًا لا نقاتلكم عنهُ انتم اعزّ علينا هو فداؤكم ودفعوه اليهم. فلما رأى ذلك بنو رياح قالوا: والله لقد ظلمنا اخوتنا مرّتين ولقد حلموا وكرموا. فارسلوا بهِ اليهم مع لقوحين. فمكث عند قرواش ما شاء الله وخرج اجود خيول العرب

ثم ان قيس بن زهير بن جذيمة العبسيّ أغار على بني يربوع فلم يُصب احدًا غير ابنتي قرواش بن عوف ومائة من الابل لقرواش وأصاب الحيّ وهم خلوف ولم يشهد من رجالهم غير غلامين من بني ازنم بن عبيد بن ثعلبة

---

(١) اعوج فرس لبني هلال   (٢) تلميح الى قصّةٍ لحوط لمّا انْ حاول منع نتاج جلوى

ابن يربوع . فجالا في متن الفرس مرندفيه وهو مقيَّد بقيد من حديد . فأعجلهما القوم عن حلّ قيده واتبعهما القوم . فضبر بالغلامين ضبرًا حتى نجوا بهِ . ونادتهما احدى الجاريتين : ان مفتاح القيد مدفون في مذود الفرس . بمكان كذا وكذا اي بجنب مذود وهو مكان اي لا ينزلا الّا في ذلك المكان . فسبقا اليهِ حتى اطلقاه . ثم كرّا راجعين . فلما رأى ذلك قيس بن زهير رغب في الفرس فقال لهما : لكما حكمكما وادفعا اليَّ الفرس . فقالا : او فاعلٌ انت . قال : نعم . فاستوثقا منهُ على ان يردّ ما اصاب من قليل وكثير ثم يرجع عوده على بدئهِ ويُطلق الفتاتين ويخلّي عن الابل وينصرف عنهم راجعًا . ففعل ذلك قيس . فدفعا اليهِ الفرس . فلما رأى ذلك اصحاب قيس قالوا : لا نصالحك ابدًا . اصبنا مائة من الابل وامرأتين فعمدت الى غنيمتنا فجعلتها في فرس لك تذهب بهِ دوننا . فعظم في ذلك الشرّ حتى اشترى منهم غنيمتهم بمائة من الابل

فلما جاء قرواش قال للغلامين الازغيين : اين فرسي . فأخبراه . فأبى ان يرضى الّا ان يدفع اليهِ فرسهُ . فعظم في ذلك الشرّ حتى تنافروا فيهِ . فقضي بينهم ان تُردّ الفتاتان والابل الى قيس بن زهير ويردّ عليهِ الفرس . فلما رأى ذلك قرواش رضي بعد شرّ . وانصرف قيس بن زهير ومعهُ داحس . فمكث ما شاء الله

وزعم بعضهم ان الرهان انما هاجهُ بين قيس بن زهير وحذيفة بن بدر انّ قيسًا دخل على بعض الملوك وعندهُ قينة لحُذَيفة بن بدر تغنيهِ بقول امرئ القيس :

دار لهند والرباب وفرتنا   وليس قبل حوادث الايامِ

وهنّ فيما يذكر نسوة من بني عبس . فغضب قيس بن زهير وشقّ رداءها

وشتمها . فغضب حذيفة . فبلغ ذلك قيسًا فاتاه يسترضيه فوقف عليهِ فجعل يكلمهُ وهو لا يعرفهُ من الغضب وعنده افراس لهُ فعابها وقال : ما يرتبط مثلك مثل هذه يا أبا مسهر . فقال حذيفة : أتعيبها . قال : نعم . فتجاريا حتى تراهنا

وقال بعض الرواة : ان الذي هاج الرهان ان رجلًا من بني عبد الله بن غطفان ثم احد بني جوشن وهم اهل بيت شؤم أتاه الورد العبسيّ أبو عروة ابن الورد وأتى حذيفة زائرًا فعرض عليهِ حذيفة خيلهُ . فقال : ما أرى فيها جوادًا مبرًّا (١) فقال لهُ حذيفة : فعند من الجواد المبرّ . فقال : عند قيس بن زهير . فقال لهُ : هل لك ان تراهنني عنهُ . قال : نعم قد فعلت . فراهنهُ على ذَكَر من خيله وانثى . ثم ان العبسي اتى قيس بن زهير وقال : اني قد راهنت حذيفة على فرسين من خيلك ذكر وانثى واوجبت الرهان . فقال قيس : ما أُبالي من راهنت غير حذيفة . فقال : ما راهنت غيرهُ . فقال قيس : انك ما علمت لانكد . ثم ركب قيس فاتى حذيفة حتى وقف عليهِ . فقال لهُ : ما غدا بك . قال غدوت لأُواضعك الرهان . قال : بل غدوت لتغلقهُ . قال : ما اردت ذلك . فابى حذيفة الّا الرهان . فقال قيس : أُخيّرك ثلاث خلال فان بدأتَ فاخترتَ قبلي فلي خلتان ولك الاولى . وان بدأتُ فاخترتُ قبلك فلك خلتان ولي الاولى . قال حذيفة : فابدأ . قال قيس : الغاية من مائة غلوة (٢) . قال حذيفة : فالمضمار أربعون ليلة والمجرى من ذات الاصاد . ففعلا ووضعا السبق على يدي غلاق

---

(١) المبرّ الغالب . قال ذو الرمّة :

أَبرُّ على الخصوم فليس خصم   ولا خصمان يغلبهُ جدالا

(٢) الغلوة الرمية بالنشابة

او ابن غلاق احد بني ثعلبة . فاما بنو عبس فزعموا انهُ اجرى الخطار والحنفاء .
وزعمت بنو فزارة انهُ اجرى قرزلًا والحنفاء . واجرى قيس داحسًا والغبراء

ويزعم بعضهم ان الذي هاج الرهان ان رجلًا من بني المعتمر بن قطيعة ابن عبس يُقال لهُ سراقة راهن شابًّا من بني بدر وقيس غائب على اربع جزائر من خمسين غلوة . فلما جاء قيس كره ذلك وقال لهُ : لم ينتهِ رهان قط الَّا الى شرّ . ثم أتى بني بدر فسألهم المواضعة . فقالوا : لا حتى نعرف سبقنا فان اخذنا فحقّنا وان تركنا فحقّنا . فغضب قيس ومحك وقال : اما اذا فعلتم فاعظموا الخطر وأبعدوا الغاية . قالوا : فذلك لك . فجعلوا الغاية من واردات الى ذات الاصاد . وذلك مائة غلوة . والثنيَّة فيما بينهما . وجعلوا القضيــة في يدي رجل من بني ثعلبة بن سعد يقال لهُ حصين وملأوا البركة ماء وجعلوا السابق اوّل الخيل يكرع فيها . ثم ان حذيفة بن بدر وقيس بن زهير أتيا المدى الذي أُرسلنَ منهُ ينظران الى الخيل كيف خروجها منهُ . فلما أُرسلت عارضاها . فقال حذيفــة : خدعتك يا قيس . قال : ترك الخداع من اجرى من مائة . فارسلها مثلًا . ثم ركضا ساعة فجعلت خيل حذيفة تبرّ وخيل زهير تقصر . فقال حذيفة : سبقتك يا قيس . فقال : جريُ المذكيات غلاب (١) فأرسلها مثلًا . ثم ركضا ساعة . فقال حذيفة : انك لا تركض مركضًا . فارسلها مثلًا . وقال : سبقت خيلك يا قيس . فقال قيس : رويدًا تعاون الجدد . فارسلها مثلًا . (قال) وقد جعلت بنو فزارة كمينًا بالثنية . فاستقبلوا داحسًا فعرفوه فامسكوه وهو السابق . ولم يعرفوا الغبراء وهي خلفهُ مصلّية . حتى مضت الخيل واستهلّت من الثنية ثم ارسلوه فتمطر في

(١) وفي نسخة : غلاء . وكلتا الروايتين صحيحة

آثارها (١) فجعل يبدرها فرسًا فرسا حتى سبقها الى الغاية مصليًا وقد طرح الخيل غير الغبراء ولو تباعدت الغاية لسبقها . فاستقبلها بنو فزارة فلطموها (٢) ثم حلأوها عن البركة . ثم لطموا داحسًا وقد جاءا متواليين . فجاء قيس وحذيفة في آخر الناس وقد دفعتهم بنو فزارة عن سبقهم ولطموا افراسهم ولم تطقهم بنو عبس يقاتلونهم وانما كان من شهد ذلك من بني عبس ابياتًا غير كثيرة . فقال قيس بن زهير : يا قوم انهُ لا يأتي قوم الى قومهم شرًّا من الظلم فاعطونا حقنا . فأبت بنو فزارة ان يعطوهم شيئًا . وكان الخطر عشرين من الابل . فقالت بنو عبس : اعطونا بعض سبقنا . فأبوا . فقالوا : اعطونا جزورًا نحرها نطعمها اهل الماء فانا نكره القالة في العرب . فقال رجل من بني فزارة : مائة جزور وجزور واحد سواء . والله ما كنا لنقرّ لكم بالسبق علينا ولم نُسبق . فقام رجل من بني مازن بن فزارة فقال : يا قوم ان قيسًا كان كارهًا لاوّل هذا الرهان وقد احسن في اخرهِ وان الظلم لا ينتهي الَّا الى الشرّ . فاعطوه جزورًا من نعمكم . فأبوا . فقام الى جزور من ابلهِ فعقلها ليعطيها قيسًا ويرضيه . فقام ابنهُ فقال : انك لكثير الخطاءِ اتريد ان تخالف قومك وتلحق بهم خزاية بما ليس عليهم . فأطلق الغلام عقالها فلحقت بالنعم . فلما رأى ذلك قيس بن زهير احتمل عنهم هو ومن معهُ من بني عبس . فأتى على ذلك ما شاء الله . ثم ان قيسًا اغار عليهم فلقي عوف بن بدر فقتلهُ واخذ ابلهُ . فبلغ ذلك بني فزارة فهمّوا بالقتال وغضبوا . فحمل الربيع بن زياد احد بني عوذ بن غالب

(١) اي اسرع (٢) كان الذي لطم الفرس عمير بن نضلة فجسأت يده فسُمي جاسئًا

ابن قطيعة بن عبس دية عوف بن بدر مائة عشراء متلية (١) . واصطلح الناس فمكثوا ما شاء الله . ثم ان مالك بن زهير أتى امرأتهُ باللقاطة قريباً من الحاجر فبلغ ذلك حذيفة بن بدر فدسّ لهُ فرساناً على افراس من مسانّ خيله وقال : لا تنتظروا مالكاً ان وجدتموه ان تقتلوه . والربيع بن زياد مجاور حذيفة بن بدر . وكانت امرأة الربيع بن زياد معاذة ابنة بدر . فانطلق القوم فلقوا مالكاً فقتلوه ثم انصرفوا عنهُ وجاءوا عشيّة وقد جهدوا افراسهم فوقفوا على حذيفة ومعهُ الربيع بن زياد . فقال حذيفة : أقدرتم على حماركم . قالوا : نعم وعقرناه . فقال الربيع : ما رأيت كاليوم قط أهلكت افراسك من اجل حمار . فقال حذيفة لمّا أكثر عليه من الملامة وهو يحسب ان الذي اصابوا حماراً : انّا لم نقتل حماراً ولكنا قتلنا مالك بن زهير بعوف بن بدر . فقال الربيع : بئس لعمر الله القتل . فقلت : اما والله اني لاظنهُ سيبلغ ما يكره . فتراجعا شيئاً من كلام ثم تفرّقا . فقام الربيع يطأ الارض وطئاً شديداً . واخذ يومئذٍ حمل بن بدر ذا النون سيف مالك بن زهير

قال ابو عبيدة : فزعموا ان حذيفة لما قام الربيع بن زياد ارسل اليه بمولدة لهُ فقال لها : اذهبي الى معاذة (بنت بدر امرأة الربيع) فانظري ما ترين الربيع يصنع . فانطلقت الجارية حتى دخلت البيت فاندسّت بين الكفاء والنضد (٢) . فجاء الربيع فنفذ البيت حتى أتى فرسهُ فقبض بمعرفته

(١) العشراء التي اتى عليها من حملها عشرة اشهر من ملقحها . والمتالي التي نتج بعضها والباقي يتلوها في النتاج

(٢) الكفاء شقة في اخر البيت . والنضد متاع يجعل على حمار من خشب

ثم مسح متنه حتى قبض بعكوة ذنبه (١) ثم رجع الى البيت ورمحهُ مركوز بفنائه فهزّهُ هزًّا شديداً ثم ركزهُ كما كان . ثم قال لامرأته : اطرحي لي شيئاً فطرحت لهُ شيئاً فاضطجع عليه وقال : قد حدث أمر . ثم تغنّى وقال :

نام الخليُّ ولم أُغمِّض حارِ … من سيّئ النبإ الجليل الساري
من مثله تمسي النساء حواسراً … وتقوم معولةً مع الاسحارِ
من كان مسروراً بمقتل مالكٍ … فليأتِ نسوتنا بوجه نهارِ
يجد النساء حواسراً يندبنهُ … يبكينَ قبل تبلّج الاسحارِ
قد كنّ يخبأنَ الوجوه تستّراً … فاليوم حين بدونَ للنظّارِ
يخمشنَ حرّاتِ الوجوه على امرئٍ … سهل الخليقة طيب الاخبار
افبعدَ مقتل مالك بن زهيرٍ … ترجو النساءُ عواقب الاطهار
ما ان ارى في قتلهِ لذوي الحجى … الّا المطيَّ تشدّ بالاكوارِ
ومجنبات ما يذقنَ عذوفةً (٢) … يقذفنَ بالمهرات والامهارِ
ومساعراً صدأ الحديد عليهم … فكأنما طلي الوجوه بقارِ
يا رُبَّ مسرور بمقتل مالك … ولسوف نصرفهُ بشرِّ محارِ

فرجعت المرأة فاخبرت حذيفة الخبر . فقال : هذا حين اجتمع امر اخوتكم . ووقعت الحرب . وقال الربيع لحذيفة وهو يومئذٍ جارهُ : سيّرني فاني جاركم مسيرة ثلاث ليالٍ . ومع الربيع فضلة من خمر . فلما سار الربيع دسّ حذيفة في اثره فوارس فقال : اتبعوه فاذا مضت ثلاث ليال فانّ معهُ فضلة خمر فان وجدتموه قد اهراقها فهو جادّ وقد مضى فانصرفوا . وان لم تجدوه قد أراقها

(١) العكوة اصل الذنب

(٢) العذوف والعدوف واحد وهو ما اكلتهُ

فاتبعوه فانكم تجدوه قد مال لادنى منزل فرتع وشرب فاقتلوه . فتبعوه فوجدوه قد مال لادنى منزل وشقّ الزقّ ومضى . فانصرفوا . فلما أتى الربيع قومهُ وقد كان بينهُ وبين قيس بن زهير شحناء وذلك انّ الربيع ساوم قيس بن زهير في درع كانت عندهُ . فلما نظر اليها وهو راكب وضعها بين يديه ثم ركض بها فلم يردّها على قيس . فعرض قيس لفاطمة ابنة الخرشب الانمارية من انمار ابن بغيض وهي احدى منجبات قيس وهي ام الربيع وهي تسير في ظعائن من عبس فاقتاد جملها يريد ان يرتهنها بالدرع حتى يردّ عليهِ . فقالت : ما رأيت كاليوم فعل رجل . ايْ قيس ضلّ حلمك أترجو ان تصطلح انت وبنو زياد وقد اخذت امّهم فذهبتَ بها يمينًا وشمالًا فقال الناس في ذلك ما شاءوا وحسبك من شرّ سماعه . فارسلتها مثلًا . فعرف قيس بن زهير ما قالت لهُ فخلّى سبيلها واطرد ابلًا لبني زياد فقدم بها مكة فباعها من عبد الله بن جدعان القرشي . وقال في ذلك قيس بن زهير :

ألم يبلغكَ والانباء تنمى ... بما لاقت لبون بني زيادِ
ومحبسها على القرشيّ تشرى ... بادراعٍ واسيافٍ حدادِ
كما لاقيت من حمل بن بدرٍ ... واخوته على ذات الاصادِ
همُ فخروا عليَّ بغير فخرٍ ... وذادوا دون غايتهِ جوادي
وكنتُ اذا منيتُ بخصم سوءٍ ... دلفتُ لهُ بداهيةٍ نآدِ
بداهيةٍ تدقّ الصلب منهُ ... فتقصم او تجوب على الفؤادِ
وكنت اذا اتاني الدهر ربقٌ (١) ... بداهية شددت لها نجادي

(١) الربق ما يتقلدهُ

ألم تعلم بنو الميقاب اني ... كريم غير منغلت الزنادِ (١)
اطوّف ما اطوف ثم آوي ... الى جار كجار ابي دوادِ (٢)
اليك ربيعة الخير بن قرط ... وهوبًا للطريف وللتلادِ
كفاني ما اخاف ابو هلال ... ربيعة فانتهت عني الاعادي
تظلّ جيادهُ يحذين حولي ... بذات الرمث كالحدإ الغوادي
كاني اذ أنخت الى ابن قرط ... عقلت الى يلملم او نصادِ

(قال) فكانت تلك الشحناء بين بني زياد وبين بني زهير فكان قيس يخاف خذلانهم اياه . فزعموا انّ قيسًا دسّ غلامًا لهُ مولدًا فقال : انطلق كانك تطلب ابلًا فانهم سيسألونك فاذكر مقتل مالك ثم احفظ ما يقولون . فأتاهم العبد فسمع الربيع يتغنّى بقولهِ : « افبعد مقتل مالك بن زهيرٍ » . فلما رجع العبد الى قيس فأخبرهُ بما سمع من الربيع بن زياد عرف قيس ان قد غضب . فاجتمعت بنو عبس على قتال بني فزارة فارسلوا اليهم ان : ردّوا علينا ابلنا التي ودينا بها عوفًا أخا حذيفة بن بدر لامّهِ . فقال : لا اعطيكم دية ابن امّي وانما قتل صاحبكم حمل بن بدر وهو ابن الاسديّة . وأنتم وهو أعلم . فزعم بعض الناس انهم

(١) الوقب الاحمق . والميقاب التي تلد الحمقى . والمنغلت الذي ليس بمنقى

(٢) جاره يعني ربيعة الخير بن قرط بن سلمة بن قشير . وجار ابي دواد يقال الحرث بن همام بن مرّة بن ذهل بن شيبان وكان ابو دواد في جواره فخرج صبيان الحيّ يلعبون في غدير فغمس الصبيان ابن ابي دواد فيهِ فقتلوه . فخرج الحرث فقال : لا يبقى صبي في الحي الّا غُرّق في الغدير او يرضى ابو دواد . فودي ابن ابي دواد عشر ديات فرضي . وهو قول ابي دواد :

ابلى الابل لا تحوّزها م ... الراعون مجّ الندى عليها المدام

قال ابو سعيد : حفظي « لا يحوزها الراعي ومج الندى »

كانوا ودوا عوف بن بدر بمائة من الابل متلية اي قد دنا نتاجها وانهُ قد أتى على تلك الابل اربع سنين وانّ حذيفة بن بدر أراد ان يردّها باعيانها. فقال لهُ سنان بن خارجة المرّي: أتريد ان تلحق بنا خزاية فنعطيهم اكثر مما اعطونا فتسبّنا العرب بذلك. فأمسكها حذيفة. وأبى بنو عبس أن يقبلوا الّا ابلهم بعينها. فمكث القوم ما شاء الله ان يمكثوا. ثم ان مالك بن بدر خرج يطلب ابلًا لهُ فمرّ على بني رواحة فرماهُ جندب أحد بني رواحة بسهم فقتلهُ. فقالت ابنة مالك بن بدر في ذلك :

لله عينا من رأى مثل مالكٍ — عقيرة قوم ان جرى فرسانِ
فليتهما لم يشربا قط قطرةً — وليتهما لم يُرسلا لرهانِ
أَحلّ بهِ أَمس الجنيدب نذرهُ — فأيّ قتيل كان في غطفانِ
اذا سجعت بالرقتين حمامةٌ — او الرسّ فابكي فارس الكتعانِ (١)

ثم ان الاسلع بن عبد الله مشى في الصلح ورهنَ بني ذبيان ثلاثة من بنيهِ واربعة من بني اخيهِ حتى يصطلحوا جعلهم على يدي سبيع بن عمرو فمات سبيع وهم عندهُ. فلما حضرتهُ الوفاة قال لابنهِ مالك بن سبيع: ان عندك مكرمة لا تبيد ان انت احتفظت بهؤلاء الاغيلمة. وكأني بك لو قد متُّ قد اتاك حذيفة خالك (وكانت ام مالك هذا ابنة بدر) فعصر عينيهِ وقال: هلك سيدنا. ثم خدعك عنهم حتى تدفعهم اليهِ فيقتلهم. فلا شرف بعدها. فان خفتَ ذلك فاذهب بهم الى قومهم. فلما ثقل جعل حذيفة يبكي ويقول: هلك سيدنا. فوقع ذلك لهُ في قلب مالك. فلما هلك سبيع اطاف بابنهِ مالك فاعظمهُ. ثم قال لهُ: يا مالك اني خالك واني أسنَّ منك فادفع

(١) فرس لهُ كانت تسمّى الكتعان . ويروى الكتفان

اليَّ هولاء الصبيان ليكونوا عندي الى ان ننظر في أمرنا. ولم يزل بهِ حتى دفعهم الى حذيفة باليعمرية (١) فلما دفع مالك الى حذيفة الرهن جعل كل يوم يبرز غلامًا فينصبهُ غرضًا ويرمي بالنبل. ثم يقول: نادِ أباك. فينادي اباهُ حتى يمزقهُ النبل. ويقول لواقد بن جندب: نادِ أباك. فجعل ينادي: ياعماه. خلافًا عليهم ويكره ان يأبس (٢) أباه بذلك. وقال لابن جنيدب بن عمرو بن عبد الاسلع: نادِ جنيبة. وكان جنيبة لقب ابيهِ. فجعل ينادي: يا عمراه باسم ابيهِ حتى قتل. وقتل عتبة بن شهاب بن قيس بن زهير. ثم ان بني فزارة اجتمعوا هم وبنو ثعلبة وبنو مرّة فالتقوا هم وبنو عبس فقتلوا منهم مالك بن عمرو بن سبيع الثعلبي قتلهُ مروان بن زنباع العبسي وعبد العزّى بن حذار الثعلبي والحرث بن بدر الفزاري وهرم بن ضمضم المرّي قتلهُ ورد بن حابس العبسي. ولم يشهد ذلك اليوم حذيفة بن بدر. فقالت ناجية اخت هرم بن ضمضم المرّي :

يا لهف نفسي لهفة الموجوعِ — ان لا ارى هرمًا على مودوعِ (٣)
من اجل سيدنا ومصرع جنبهِ — علق الفواد بحنظل مجدوعِ

ثم ان حذيفة بن بدر جمع وتأهب. واجتمع معهُ بنو ذبيان بن بغيض. فبلغ بني عبس انهم قد ساروا اليهم فقال قيس: أطيعوني فوالله لئن لا تفعلوا لاتكئنَّ على سيفي حتى يخرج من ظهري. قالوا: فانّا نطيعك. فأمرهم فسرّحوا السوام والضعاف بليلٍ وهم يريدون ان يظعنوا من منزلهم ذلك.

(١) اليعمرية ماء بواد من بطن نخل من الشربّة لبني ثعلبة
(٢) الابس القهر والحمل على المكروه
(٣) مودوع فرسه

ثم ارتحلوا في الصبح واظهروا على ظهر العقبة وقد مضى سوامهم وضعفاؤهم . فلما اصبحوا طلعت عليهم الخيل من الثنايا . فقال قيس : خذوا غير طريق المال فانهُ لا حاجة للقوم ان يقعوا في شوكتكم ولا يريدون بكم في انفسكم شرًّا من ذهاب اموالكم . فأخذوا غير طريق المال . فلما ادرك حذيفة الاثر ورآه قال : أبعدهم الله وما خيرهم بعد ذهاب اموالهم . فاتبع المال . وسارت ظعن بني عبس والمقاتلة من ورائهم . وتبع حذيفة وبنو ذبيان المال . فلما ادركوه ردّوا اولهُ على آخرهِ . ولم يفلت منهم شيءٌ . وجعل الرجل يطرد ما قدر عليهِ من الابل فيذهب بها . وتفرّقوا واشتد الحرّ . فقال قيس بن زهير : يا قوم ان القوم قد فرّق بينهم المغنم فاعطفوا الخيل في آثارهم . فلم تشعر بنو ذبيان الّا والخيل دوائس . فلم يقاتلهم كبير احد . وجعل بنو ذبيان انما همّة الرجل في غنيمتهِ ان يحوزها ويمضي بها . فوضعت بنو عبس فيهم السلاح حتى ناشدتهم بنو ذبيان البقية . ولم يكن لهم غير حذيفة فارسلوا خيلهم مجتهدين في اثرهِ . وارسلوا خيلًا تقصّ الناس ويسألونهم حتى سقط خبر حذيفة من الجانب الايسر على شدّاد بن معاوية العبسي وعمرو بن ذهل بن مرّة العبسي وعمرو بن الاسلع والحرث بن زهير وقرواش بن هنيّ وجنيدب . وكان حذيفة قد استرخى حزام فرسهِ . فنزل عنهُ فوضع رجلهُ على حجر مخافة ان يقتصّ اثرهُ ثم شدّ الحزام . فوقع صدر قدمهِ على الارض فعرفوه وعرفوا حنف (١) فرسهِ . فاتبعوه . ومضى حتى استغاث بجفر الهباءة وقد اشتدّ الحرّ فرمى بنفسهِ ومعهُ حمل بن بدر وحنش بن عمرو وورقاء بن بلال واخوه وهما من بني عدي بن فزارة

(١) الحنف ان تقبل احدى اليدين على الاخرى . وفي الناس ان تقبل احدى الرجلين على الاخرى وان يطأ الرجل وحشيها . وجمع الحنف حنف

وقد نزعوا سروجهم وطرحوا سلاحهم ووقعوا في الماء وتمعّكت دوابهم وقد بعثوا ربيئة . فجعل يطالع فينظر فاذا لم يرَ شيئًا رجع . فنظر نظرة فقال : اني قد رأيت شخصًا كالنعامة او كالطائر فوق القتادة من قبل مجيئنا . فقال حذيفة : هنا وهنا هذا شدّاد على جروة

فبينا هم يتكلمون اذا هم بشدّاد بن معاوية واقفًا عليهم . فحال بينهم وبين الخيل . ثم جاء عمرو بن الاسلع ثم جاء قرواش حتى تتامّوا خمسة . فحمل جنيدب على خيلهم فاطردها . وحمل عمرو بن الاسلع فاقتحم هو وشداد عليهم في الجفر . فقال حذيفة : يابني عبس فأين العقول والاحلام . فضربهُ اخوه حمل بن بدر بين كتفيهِ وقال : اتق مأثور القوم بعد اليوم . فأرسلها مثلًا . وقتل قرواش بن هني حذيفة وقتل الحرث بن زهير حمل بن بدر وأخذ منهُ ذا النون سيف مالك بن زهير وكان حمل اخذهُ من مالك بن زهير يوم قتلهُ . فقال الحرث بن زهير في ذلك :

تركت على الهباءة غير فخرٍ ... حذيفة حولهُ قصد العوالي
سيخبر عنهم حنش بن عمرو ... اذا لاقاهمُ وابنا بلالِ
ويخبرهم مكان النون مني ... وما اعطيتهُ عرق الخلالِ (١)

فأجابهُ حنش بن عمرو :

سيخبرك الحديث بهِ خبير ... يجاهرك العداوة غير آلي

(١) العرق المكافاة . والخلال المودة . يقول : لم يعطوني السيف عن مكافاة ومودّة ولكني قبلت واخذت

بداءتها لقرواش بن عمرو وأنت يجول جوبك في الشمالِ (١)

حروب الفجار وحروب عكاظ

كانت هذه الحرب بين قريش وقيس عيلان في اربعة اعوام متواليات ولم يكن لقريش في اوّلها مدخل ثم تحققت بها (فاما الفجار الاوّل) فكانت الحرب فيهِ ثلاثة ايام ولم تسمَّ باسم تشهر بها. (وأما الفجار الثاني) فكان أعظمهما لانهم استحلّوا فيهِ الحرم وكانت ايامهُ يوم نخلة. وكان الرؤساء فيهِ حرب بن أُمية في القلب وعبد الله بن جدعان وهشام بن المُغيرة في المجنبتَين. ثم يوم سمطة ثم يوم العبلاء ثم يوم عكاظ ثم يوم الحرَّة

قال أبو عبيدة: كان أمر الفجار ان بدر بن مَعشَر الغفاري أحد بني غِفار ابن مالك كان رجلًا منيعًا مستطيلًا بمنعتهِ على من ورد عكاظ. فاتخذ مجلسًا بسوق عكاظ وقعد فيهِ وجعل يبرح على الناس ويقول:

نحن بني مُدركة بن خِندِفِ ... من يطعنوا في عينهِ لا يطرفِ
ومن يكونوا قومَـهُ يغطرفِ ... كأنهم لجة بحر مسرفِ (٢)

وبدر بن معشر باسط رجليـهِ يقول: أنا أعزّ العرب فمن زعم انهُ أعزّ مني فليضرب هامتي بالسيف فهو اعزّ مني. فوثب رجل من بني نصر بن معاوية

(١) الجوب الترس. يقول: بداءة الامر لقرواش وعمرو بن الاسلع وهما اقتحما الجفر وقتلا من قتلا. وانت ترسك في يدك يجول لم تغنِ شيئًا. ويُقال: لك البداءة ولفلان العودة (٢) وفي نسخة: مسدف

يقال لهُ الاحمر بن مازن بن أوس فضربهُ بالسيف على ركبتهِ فاندرها. ثم قال: خذها اليك ايها المخندف وهو ماسك سيفهُ. وقام ايضًا رجل من هوازن فقال:

انا ابن همدان ذو التغطرفِ ... بحر بحور زاخر لم ينزفِ
نحن ضربنا ركبة المخندفِ ... اذ مدَّها في اشهر المعرفِ

وفي هذه الضربة اشعار كثيرة لا معنى لذكرها

ثم كان اليوم الثاني من ايام الفجار الاوّل وكان السبب في ذلك ان شبابًا من قريش وبني كنانة هزأُوا بامرأة من بني عامر بسوق عكاظ. فنادت: يا آل عامر: فثاروا وحملوا السلاح. وحماتهُ كنانة واقتتلوا قتالًا شديدًا ووقعت بينهم دماء. فتوسط حَرب بن أُميَّة واحتمل دماء القوم وأرضى بني عامر من مثلة صاحبتهم

ثم كان اليوم الثالث من الفجار الاوَّل. وكان سببهُ انهُ كان لرجل من بني جُشَم بن بكر بن هوازن دين على رجل من بني كنانة. فلواه بهِ وطال اقتضاؤهُ اياه فلم يعطهِ شيئًا. فلما اعياه وافاه الجشمي في سوق عكاظ بقرد ثم جعل ينادي: من يبيعني مثل هذا الرباح بمالي على فلان بن فلان الكنانيّ. من يعطيني مثل هذا بمالي على فلان بن فلان الكناني. رافعًا صوتهُ بذلك. فلما طال نداؤهُ بذلك وتعييره بهِ كنانة مرَّ رجل منهم فضرب القرد بسيفهِ فقتلهُ. فهتف بهِ الجشمي: يا آل هوازن. وهتف الكناني: يا آل كنانة. فتجمع الحيَّان حتى تحاجزوا ولم يكن بينهم قتلى. ثم كفوا وقالوا: أفي رباح تريقون دماءكم وتقتلون انفسكم. وحمل ابن جدعان ذلك في مالهِ بين الفريقين

(قال) ثم يوم الفجار الثاني وأوَّل يوم حروبهِ يوم نخلة. قال أبو عبيدة: كان

الذي هاج هذه الحرب يوم الفجار الآخر ان البرّاض بن قيس بن رافع أحد بني ضَمْرة ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة كان سكيرًا فاسقًا خلعهُ قومهُ وتبرؤوا منهُ. فشرب في بني الدِّيل (١) فخلعوه. فأتى مكة وأتى قريشًا. فنزل على حرب ابن أُمية فحالفهُ فأحسن حرب جواره. وشرب بمكة حتى همَّ حرب ان يخلعهُ. فقال لحرب: انهُ لم يبقَ احد ممن يعرفني الّا خلعني سواك. وانك ان خلعتني لم ينظر اليَّ أحد بعدك. فدعني على حلفك وأنا خارج عنك. فتركهُ وخرج فلحق بالنعمان بن المنذر (٢) بالحيرة. وكان النعمان يبعث الى سوق عكاظ في وقتها بلطيمة يجيزها لهُ سيّد مضر فتُباع وتشتري لهُ بثمنها الادم والحرير والوكاء والحذاء والبرود من العصب والوشي والمسيَّر والعدنيّ. وكانت سوق عكاظ في أوَّل ذي القعدة فلا تزال قائمة يباع فيها ويشترى الى حضور الحجّ. وكان قيامها فيما بين النخلة والطائف عشرة اميال وبها نخل واموال لثقيف. فجهّز النعمان لطيمة لهُ وقال: من يجيزها. فقال البرّاض: أنا اجيزها على بني كنانة (٣). فقال النعمان: انما أُريد رجلًا يجيزها على اهل نجد. فقال عروة الرحّال وهو يومئذٍ رجل من هوازن: أنا أُجيزها أبيت اللعن. فقال لهُ البرّاض: من بني كنانة تجيزها يا عروة. قال: نعم وعلى الناس جميعًا. أفكلب خليع يجيزها. ثم شخص بها وشخص البرّاض وعروة يرى مكانهُ ولا يخشاه على ما صنع. حتى اذا كان بين ظهرَي غطفان الى جانب فَدَك بارض يقال لها أُوارة قريب من الوادي الذي يُقال لهُ تيمَن نام عروة في

(١) ديل هو اخو ضمرة
(٢) هو النعمان ابو قابوس
(٣) اي على اهل الحجاز

ظلّ شجرة. ووجد البرّاض غفلتهُ فقتلهُ وهرب في غضاريط الركاب فاستاق الركاب. وقال البرّاض في ذلك:

وداهية يهال الناس منها	شددت لها بني بكر ضلوعي
هتكت بها بيوت بني كلاب	وأرضعت الموالي بالضروعِ
جمعت لها يديَّ بنصل سيف	أفلّ فخرَّ كالجذع الصريعِ

وقال ايضًا:

نقمت على المرء الكلابي فخرهُ	وكنت قديمًا لا أُقرُّ فخارا
علوت بجدّ السيف مفرق رأسهِ	فأسمع اهل الواديَين خوارا

فقال لبيد بن ربيعة يحضّ على الطلب بدمهِ:

أبلغ ان عرضت بني نمير	وأخوال القتيل بني هلالِ
بأن الوافد الرحال اضحى	صريعًا عند تيمن ذي الطلالِ (١)

قال أبو عمرو: لقي البرّاض بشر بن ابي حازم فقال لهُ: هذه القلائص لك على ان تأتي حرب بن أُمية وعبد الله بن جدعان وهشامًا والوليد ابني المغيرة فتخبرهم ان البرّاض قتل عروة. فاني اخاف إن يسبق الخبر الى قيس أن يكتموه حتى يقتلوا بهِ رجلًا من قومك عظيمًا. فقال لهُ: وما يؤمنك ان تكون أنت ذلك القتيل. قال: ان هوازن لا ترضى ان تقتل بسيدها رجلًا خليعًا طريدًا من بني ضمرة. (قال) ومرَّ بهما الجليس (٢) بن يزيد أحد بني الحرث وهو يومئذٍ سيد الاحابيش من بني كنانة والاحابيش من بني الحرث. فقال لهم الجليس: ما لي أراكم نجيًا. فأخبروه الخبر ثم ارتحلوا وكتموا

(١) ويروى: مقيمًا عند تيمن ذي ظلالِ (٢) ويروى: الحليس

الخبر على اتفاق منهم . (قال) وكانت العرب اذا قدمت عكاظ دفعت أسلحتها الى ابن جدعان حتى يفرغوا من اسواقهم وحجهم . ثم يردّوها عليهم اذا ظعنوا . وكان سيدًا حكيمًا مثريًا من المال . فجاءهُ القوم فأخبروه خبر البرّاض وقتلهُ عروة وأخبروا حرب بن أُمية وهشامًا والوليد ابني المغيرة . فجاء حرب الى عبد الله بن جدعان فقال لهُ : احتبس قبلك سلاح هوازن . فقال لهُ ابن جدعان : أبالغدر تأمرني يا حرب . والله لو اعلم انهُ لا يبقى منها سيف الّا ضُربت بهِ ولا رمح الّا طُعنت بهِ ما امسكت منها شيئًا . ولكن لكم مائة درع ومائة رمح ومائة سيف في مالي تستعينون بها . ثم صاح ابن جدعان في الناس : من كان لهُ قبلي سلاح فليأتِ وليأخذهُ . فاخذ الناس اسلحتهم . وبعث ابن جدعان وحرب بن أُمية وهشام والوليد الى ابي براء : انهُ قد كان بعد خروجنا حرب وقد خفنا تفاقم الامر فلا تنكروا خروجنا . وساروا راجعين الى مكة . فلما كان آخر النهار بلغ ابا براء قتل البرّاض عروة فقال : خدعني حرب وابن جدعان . وركب فيمن حضر عكاظ من هوازن في اثر القوم فادركوهم بنخلة فاقتتلوا حتى دخلت قريش الحرَم وجنّ عليهم الليل فكفُّوا . ونادى الادرَم ابن شعيب أحد بني عامر بن صعصعة : يا معشر قريش ميعاد ما بيننا هذه الليلة من العام المقبل بعكاظ . وكان يومئذٍ رؤساء قريش حرب بن امية في القلب وابن جدعان في احدى المجنبتين وهشام بن المغيرة في الاخرى . وكان رؤساء قيس عامر بن مالك ملاعب الاسنَّة على بني عامر . وكدام ابن عمير على فهم . وعدوان ومسعود بن سهم على ثقيف . وسُبيع بن ربيعة النصريّ على بني نصر بن معاوية . والصمّة بن الحرث وهو أبو دريد بن الصمّة على بني جُشَم . وكانت الراية مع حرب بن امية وهي راية قصيّ

التي يُقال لها العقاب . فقال في ذلك خداش بن زهير :

يا شدّةً ما شددنا غير كاذبة   على سخينة (١) لولا الليل والحرمُ
اذ يتقينا هشام بالوليد ولو   انا ثقفنا هشامًا شالت الخدمُ
بين الاراك وبين المرج تبطحهم   زرق الاسنة فى اطرافها السهمُ
فان سمعتم بجيش سالك شرفًا   وبطن مرّ فاخفوا الجرْس واكتتموا

(قال) وقدم البرّاض باللطيمة مكة وكان يأكلها . وكان عامر بن يزيد بن الملوّح بن يعمر الكناني نازلًا في اخوالهِ من بني نمير بن عامر وكان ناكحًا فيهم . فهمّت بنو كلاب بقتلهِ . فمنعتهُ بنو نمير . ثم شخصوا بهِ حتى نزل في قومهِ . واستغوث كنانة بني أسد وبني نمير واستغاث بهم فلم تغثهم . ولم يشهد الفجار أحد من هذين الحيَّين

ثم كان اليوم الثاني من الفجار الثاني وهو يوم سمطة . فتجمعت قريش وكنانة باسرها وبنو عبد مناة والاحابيش وأعطت قريش رؤوس القبائل اسلحة تامّة وأداة وجمعت هوازن وخرجت فلم تخرج معهم كلاب ولا كعب ولا شهد هذان البطنان من ايام الفجار الّا يوم نخلة مع أبي براء عامر بن مالك . وكان القوم جميعًا متساندين على كل قبيلة سيّدهم

(قال) فسبقت هوازن قريشًا فنزلت سمطة من عكاظ وظنوا ان كنانة لم توافهم . وأقبلت قريش فنزلت من دون المسيل . وجعل حرب بني كنانة في بطن الوادي وقال لهم : لا تبرحوا مكانكم ولو أُبيحت قريش .

(١) زعموا إن عبد الملك بن مروان استنشد رجلًا من قيس هذه الكلمة فجعل يحيد عن قولهِ سخينة . فقال عبد الملك : انّا قوم لم يزل يعجبنا السخن فهات . فلما فرغ قال : يا اخا قيس ما أرى صاحبك زاد على التمني والاستنشاء

فكانت هوازن من وراء المسيل. قال أبو عبيدة: فحدّثني أبو عمرو بن العلاء قال. كان ابن جدعان في احدى المجنبتين وفي الاخرى هشام بن المغيرة وحرب في القلب. وكانت الدائرة في أوّل النهار لكنانة. فلما كان آخر النهار تداعت هوازن وصبروا واستحرّ القتل في قريش. فلما رأى ذلك بنو الحرث بن كنانة وهم في بطن الوادي مالوا الى قريش وتركوا مكانهم. فلما استحرّ القتل بهم قال ابو مساحق بلعاء بن قيس لقومهِ: الحقوا برخم وهو جبل. ففعلوا وانهزم الناس. وفي ذلك يقول خداش بن زهير في كلمة لهُ:

ابلغ ان عرضت بنا هشامًا   وعبد الله ابلغ والوليدا
اولئك ان يكن في الناس خيرٌ   فان لديهم حسبًا وجودا
هم خير المعاشر من قريش   وأوراها اذا قدحت زنودا
بأنّا يوم سمطة قد اقمنا   عمود المجد انّ لهُ عمودا
جلبنا الخيل ساهمة اليهم   عوابس يدّرعن النقع قودا
فبتنا نعقد السيما (١) وباتوا   وقلنا صبّحوا الانس الجديدا
فجاءوا عارضًا بردًا وجئنا   كما اضرمت في الغاب الوقودا
ونادوا يا لعمرو لا تفرّوا   فقلنا لا فرار ولا صدودا
فعاركنا الكماة وعاركونا   عراك النمر عاركت الاسودا
فولوا نضرب الهامات منهم   بما انتهكوا المحارم والحدودا
تركنا بطن سمطة من علاء   كأنّ خلالها معزًا صديدا
ولم ارَ مثلهم هزموا وفلّوا   ولا كزيادنا عنقًا مدودا

ثم كان اليوم الثالث من ايام الفجار وهو يوم العبلاء. فجمع القوم بعضهم

(١) قولهُ: « نعقد السيما » اي العلامات

لبعض والتقوا على قرن الحول بالعبلاء. وهو موضع قريب من عكاظ. ورؤساؤهم يومئذٍ على ما كانوا عليهِ يوم سمطة وكذلك من كان على المجنبتين. فاقتتلوا قتالًا شديدًا. فانهزمت كنانة. فقال خداش بن زهير في ذلك:

ألم يبلغك بالعبلاء انّا   ضربنا خندفًا حتى استقادوا
نبنّي بالمنازل عزّ قيس   وودّوا لو تسيخ بنا البلادُ

وقال ايضًا:

ألم يبلغك ما قالت قريش   وحيّ بني كنانة اذ اثيروا
دهمناهم بارعن مكفهرٍ   فظلّ لنا بعقوتهم زئيرُ
نقوّم مارن الخطّيّ فيهم   يجيء على أسنتنا الجزيرُ

ثم كان اليوم الرابع من ايامهم يوم عكاظ فالتقوا في هذه المواضع على رأس الحول وقد جمع بعضهم لبعض واحتشدوا والرؤساء بحالهم. وحمل عبد الله بن جدعان يومئذٍ الف رجل من بني كنانة على الف بعير وخشيت قريش أن يجري عليها ما جرى يوم العبلاء. فقيّد حرب وسفيان وأبو سفين بنو امية بن عبد شمس انفسهم (١) وقالوا: لا نبرح حتى نموت مكاننا. وعلى أبي سفيان يومئذٍ درعان قد ظاهر بينهما. فسمي هؤلاء الثلاثة يومئذٍ العنابس وهي الأسد. فاقتتل الناس يومئذٍ قتالًا شديدًا وثبت الفريقان حتى همّت بنو بكر بن عبد مناة وسائر بطون كنانة بالهرب. وكانت بنو مخزوم تلي كنانة فحافظت حفاظًا شديدًا. وكان اشدّهم يومئذٍ بنو المغيرة فانهم صبروا

(١) زعم ابو عمرو بن العلاء ان ابا سفيان بن امية خاصة قيّد نفسهُ

وأبلوا بلاءً حسنًا . فلما رأت ذلك بنو عبد مناة من كنانة تذامروا فرجعوا . وحمل بلعاء بن قيس يومئذٍ وهو يقول :

ان عكاظ مأوانا فخلُّوهُ   وذا المجاز بعد ان تحلُّوهُ

وخرج الجليس بن يزيد أحد بني الحرث بن عبد مناة بن كنانة وهو رئيس الاحابيش يومئذٍ فدعا الى المبارزة . فبرز اليهِ الحدثان بن سعد النصريّ فطعنهُ الحدثان فدقّ عضدهُ . وتحاجزوا واقتتل القوم قتالًا شديدًا . وحملت قريش وكنانة على قيس من كل وجه . فانهزمت قيس كلها الّا بني نصر فانهم صبروا ثم هربت بنو نصر وثبتَ دُهمان فلم يغنوا شيئًا فانهزموا وكان عليهم سبيع بن ابي ربيعة أحد بني دهمان فعقل نفسهُ ونادى : يا آل هوازن يا آل هوازن يا آل نصر . فلم يعرج اليهِ احد وأجفلوا منهزمين فكرّ بنو أُمية خاصة في بني دهمان ومعهم الخنيسق وقشعة الجشميَّان فقاتلوا ولم يغنوا شيئًا فانهزموا . وكان مسعود بن معتب الثقفي قد ضرب على امرأتهِ سبيعة بنت عبد شمس ابن عبد مناة خباءً وقال لها : من دخلهُ من قريش فهو آمن . فجعلت توصل في خبائها ليتّسع . فقال لها : لا يتجاوزني خباؤكِ فاني لا أُمضي الّا من أحاط بهِ الخباء . فاحفظها . فقالت : أما والله اني لأظنُّ انك ستودّ ان لو زدت في توسعتهِ . فلما انهزمت قيس دخلوا خباءَها مستجيرين بها . فأجار لها حرب بن امية جيرانها وقال لها : يا عمّة من تمسك باطناب خبائك او دار حولهُ فهو آمن . فنادت بذلك . فاستدارت قيس بخبائها حتى كثروا جدًا فلم يبقَ أحد لا نجاة عنده الّا دار بخبائها . فقيل لذلك الموضع مدار قيس وكان يضرب بهِ المثل فتغضب قيس منهُ . وكان زوجها مسعود بن معتب قد أخرج معهُ يومئذٍ بنيه من سبيعة وهم عروة ولوحة ونويرة والاسود فكانوا يدورون وهم

غلمان في قيس يأخذون بايديهم الى خباء امهم ليجيروهم فيسودوا بذلك امرتهم أُمّهم ان يفعلوا . (قال) وقال ضرار بن الخطاب الفهري قولهُ :

ألم تسأل الناس عن شأننا   ولم يثبت الامر كالخابرِ
غداة عكاظ اذا استكملت   هوازن في كفها الحاضرِ
وجاءت سُلَيم تهزُّ القنا   على كل سلهبة ضامرِ
وجئنا اليهم على المضمرات   بأرعن ذي نجب ذاخرِ
فلما التقينا اذقناهمُ   طعانًا بسمر القنا العائرِ
ففرّت سُلَيم ولم يصبروا   وطارت شعاعًا بنو عامرِ
وفرّت ثقيف الى لاتها   بمنقلب الخائب الخاسرِ
وقاتلت العنس شطر النهار م   ثم تولّت مع الصادرِ
على انّ دهمانها حافظت   أخيرًا لدى دارة الدائرِ

وقال خداش بن زهير :

أتتنا قريش حافلين بجمعهم   عليهم من الرحمن واقٍ وناصرُ
فلما دنونا للقباب وأهلها   أُتيح لنا ريب مع الليل ناجرُ
أُتيحت لنا بكر وحول لوائها   كتائب يخشاها العزيز المكاثرُ
جثت دونهم بكر فلم تستطعهمُ   كأنهمُ بالمشرفيَّة سامرُ
وما برحت خيل تثور وتدّعي   ويلحق منهم اوّلون وآخرُ
لدن غدوة حتى أتى وانجلى لنا   عمايةُ يوم شرّهُ متظاهرُ
وما زال هذا الدأب حتى تخاذلت   هوازن وارفضّت سليم وعامرُ
وكانت قريش يفلق الصخر جدّها   اذا أوهن الناس الجدودُ العواثرُ

ثم كان اليوم الخامس وهو يوم الحُرَيرة وهي حرّة الى جانب عكاظ . والرؤساء

بحالهم الّا بلعاء بن قيس فانّهُ قد مات فصار اخوه مكانهُ على عشيرتهِ . فاقتتلوا فانهزمت كنانة وقُتل يومئذٍ أبو سفيان بن أُمية وثمانية رهط من بني كنانة قتلهم عثمان بن اسد من بني عمرو بن عامر وخمسة نفر . وقال خداش بن زهير قوله :

لقد بلوكم فأبلوكم بلاءهمُ ... يوم الحريرة ضربًا غير تكذيبِ
ان توعدوني فاني لابن عمكمُ ... وقد أصابوكمُ منهُ بشؤبوبِ
وان ورقاء قد أردى أبا كنف ... وابني اياس وعمرًا وابن ايوبِ
وان عثمان قد أردى ثمانيةً ... منكم وأنتم على خبر وتجريبِ

ثم كان الرجل منهم بعد ذلك يلقى الرجل والرجلان يلقيان الرجلين فيقتل بعضهم بعضًا . فلقي ابن محميَّة بن عبد الله الدَيلي زهير بن ربيعة أبا خداش . فقال زهير : اني حرام جئت معتمرًا . فقال لهُ : ما تلقى طوال الدهر الّا قلت انا معتمر . ثم قتلهُ . فقال الشويعر الليثي واسمهُ ربيعة بن علس :

تركنا ثاويًا يزقو صداهُ ... زهيرًا بالعوالي والصفاحِ
أُتيح لهُ ابن محمية ابن عبد ... فأعجلهُ التسوّم بالبطاحِ

ثم تداعوا الى الصلح على ان يدي من عليهِ فضلٌ في القتل الفضل الى اهلهِ . فأبى ذلك وهب بن مُعتّب وخالف قومه واندسَّ الى هوازن حتى أغارت على بني كنانة . فكان منهم بنو عمرو عليهم سلمة بن سعد البكائي وبنو هلال عليهم ربيعة بن أبي ظبيان الهلالي . وبنو نصر بن معاوية عليهم مالك بن عوف وهو يومئذٍ أمرد . فاغاروا على بني ليث بن بكر بصحراء الغميم . فكانت لبني ليث اوّل النهار فقتلوا عبيد بن عوف البكائي قتلهُ بنو مدلج وسبيع بن المؤمل الجسري حليف بني عامر . ثم كانت على بني ليث آخر

النهار فانهزموا واستحرَّ القتل في بني الملوّح بن يعمر بن ليث وأصابوا نعمًا ونساءً حينئذٍ . فكان من قتل في حروب الفجار من قريش العوّام بن خويلد قتلهُ مرّة بن معتب وقتل حزام بن خويلد وأُحيحة بن ابي احيحة ومعمر بن حبيب الجمحي . وجرح حرب بن امية . وقتل من قيس الصمَّة أبو دريد بن الصمَّة قتلهُ جعفر بن الاحنف . ثم تراضوا بان يعدّوا القتلى فيدوا من فضل . فكان الفضل لقيس على قريش وكنانة . فاجتمعت القبائل على الصلح وتعاقدوا ان لا يعرض بعضهم لبعض . فرهن حرب بن امية ابنهُ أبا سفيان بن حرب . ورهن الحرث بن كلدة العبدي ابنهُ النضر . ورهن سفيان بن عوف أحد بني الحرث بن عبد مناة ابنهُ الحرث حتى وديت الفضول . ويقال ان عتبة بن ربيعة تقدّم يومئذٍ فقال : يا معشر قريش هلموا الى صلة الارحام والصلح . قالوا : وما صلحكم هنا فانا موتورون . فقال : على ان ندي قتلاكم وتتصدّق عليكم بقتلانا . فرضوا بذلك . وسار عتبة يومئذٍ على ان : أقبلُ . (قال) فلما رأت هوازن رهائن قريش بأيديهم رغبوا في العفو فأطلقوهم . (قال) وكان الفضل عشرين قتيلًا من هوازن فوداهم حرب بن أمية فيما تروي قريش . وبنو كنانة تزعم ان القتلى الفاضلين قتلاهم وانهم هم ودوهم . قال أبو عبيدة : ولما انهزمت قيس خرج مسعود بن معتب لا يعرج على شيءٍ حتى أتى سبيعة بنت عبد شمس زوجتهُ وقال : أنا بالله وبك . فقالت : كلاّ زعمت انك ستملأ بيتي من اسرى قومي اجلس فانت آمن . وقالت أُمية بنت عبد شمس ترثي أخاها أبا سفيان بن امية ومن قُتل من قومها :

أبي ليلك لا يذهبُ (١) ... ونيط الطرف بالكوكبْ

(١) ويروى : ابى ليليَ ان يذهب

ونجم دونـهُ الاهوال م　　بـين الدلو والعقربْ
وهذا الصبح لا ياتي　　ولا يدنو ولا يقربْ
بعقر عشيرة منا　　كرام الخيم والمنصبْ
أجال عليهمُ دهرٌ　　حديد الناب والمخلبْ
فحلَّ بهم وقد أمنوا　　ولم يقصر ولم يشطبْ
وما عنهُ اذا ما حلّ　　من منجىً ولا مهربْ
ألا يا عين فابكيهم　　بدمع منك مستغربْ
فان أبكي فهم عزّي　　وهم ركني وهم منكبْ
وهم أصلي وهم فرعي　　وهم نسبي اذا أنسبْ
وهم مجدي وهم شرفي　　وهم حصني اذا أرهبْ
وهم رمحي وهم ترسي　　وهم سيفي اذا أغضبْ
فكم من قائل منهم　　اذا ما قال لم يكذبْ
وكم من ناطق فيهم　　خطيب مصقع معربْ
وكم من فارس فيهم　　كميّ معلم مجرَّبْ
وكم من مدرَه فيهم　　أريب حوَّل قلّبْ (١)
وكم من جحفل فيهم　　عظيم النار والموكبْ
وكم من خِضرِم فيهم　　نجيب ماجد منجبْ

---

(١) ويروى : حوله مغلب . وفي نسخة : حزمه يغلب

مقتل ربيعة بن مُكدَّم في يوم الكديد

ربيعة بن مكدَّم احد فرسان مضر المعدودين وشجعانهم المشهورين قتلهُ نُبَيْشة (١) بن حبيب السلميّ في يوم الكديد . قال ابو عمرو بن العلاء : وقع تزارٍ بين نفر من بني سليم بن منصور وبين نفر من بني فِراس بن مالك بن كنانة . فقتلت بنو فراس رجلين من بني سليم بن منصور . ثم انهم ردوهما . ثم ضرب الدهر ضربة . فخرج نبيشة بن حبيب السلمي غازيًا فلقي ظعنًا من بني كنانة بالكديد في ركب من قومهِ وظفر بهم نفر من بني فراس بن مالك فيهم عبد الله بن جِذل الطِعان بن فراس والحرث بن مكدَّم أبو الفُرَيْعة (٢) وأخوه ربيعة بن مكدم . (قال) وهو محدود يومئذٍ يُحمل في محفَّة . فلما رآهم أبو الفريعة قال : هؤلاء بنو سليم يطلبون دماءهم . فقال أخوه ربيعة بن مكدم : أنا أذهب حتى اعلم علم القوم فآتيكم بخبرهم . فتوجه نحوهم . فلما ولّى قال بعض الظعن : هرب ربيعة . فقالت اختـهُ عزَّة بنت مكدم : أين تنتهي ترة الفتى . فعطف وقد منع قول النساء فقال :

لقد علمن انني غير فرقْ　　لأطعننَّ طعنة واعتنقْ
أُصبحهم صاحي بمجمر الحدقْ　　عضبًا حسامًا وسنانًا يأتلقْ

ثم انطلق يعدو بهِ فرسهُ . فحمل عليهِ بعض القوم فاستطرد لهُ في طريق الظعن وانفرد بهِ رجل من القوم فقتلهُ وتبعهُ ثم رماه نبيشـة أو طعنهُ . فلحق

---

(١) ويروى : بيشة　　وفي نسخة : نَبْشة
(٢) وقال بعضهم ابو القرعة . ويُروى : ابو القارعة وابو الفرعة

بالظعن يستدمي حتى انتهى الى امهِ امّ سنان فقال: على يدي عصابة. وهو يرتجز ويقول:

شدي عليَّ العصب ام سيَّار　　فقد رزيت فارساً كالدينار
يطعن بالرمح امام الادبار

فقالت امهُ:

انا بنو ثعلبة بن مالك　　مرور أخبار لنا كذلك
من بين مقتول وبين هالك　　ولا يكون الرزء الّا ذلك

قال أبو عبيدة: وشدَّت امهُ عليهِ عصابة. فاستسقاها ماء. فقالت: ان شربت الماء متَّ فكرَّ على القوم. فكرَّ راجعاً يشتدّ على القوم وينزفهُ الدم حتى أُثخن فقال للظعن: اوضعن ركابكنَّ حتى ينتهين الى أدنى البيوت من الحيّ فاني لما بي وسوف اقف دونكنَّ لهم على العقبة فأعتمدُ على رمحي فلا يقدمون عليكنَّ لمكاني. ففعلنَ ذلك فنجونَ الى مأمنهنَّ. قال أبو عمرو بن العلاء: ولا نعلم قتيلًا ولا ميتاً حمى الاظعان غيرهُ. (قال) وانهُ يومئذٍ لغلام لهُ ذؤابة. فاعتمد على رمحهِ وهو واقف لهنَّ على متن فرسهِ حتى بلغنَ مأمنهنَّ وما يقدم القوم عليهِ. فقال نبيشة بن حبيب: انهُ لمائل العنق وما اظنّهُ الّا قد مات. فأمر رجلًا من خزاعة كان معهُ أن يرمي فرسهُ. فرماها فقمصت وزالت. فمال عنها ميتاً. (قال) ويقال بل الذي رمى فرسهُ نبيشة. (قال) فانصرفوا عنهُ وقد فاتهم الظعن. ولحقوا يومئذٍ ابا الفريعة الحرث بن مكدم فقتلوه وألقوا على ربيعة احجاراً. فمرَّ بهِ رجل من بني الحرث بن فهر فنفرت ناقتهُ من تلك الاحجار التي أُهيلت على ربيعة فقال يرثيهِ ويعتذر ان لا يكون عقر ناقتهُ على قبره وحضَّ على قتلتهِ وعيّر من فرَّ وأسلمهُ من قومهِ:

نفرت قلوصي من حجارة حرَّة　　بنيت على طلق اليدين وهوبِ
لا تنفري يا ناقَ منهُ فانهُ　　سبّاء خمر مسعرٌ لحروبِ
لولا السفار وبعد خرق مهمهٍ　　لتركتها تحبو على العرقوبِ
فرّ الفوارس من ربيعة بعد ما　　نجَّاهمُ من غمرة المكروبِ
يدعو علياً حين أسلم ظهرهُ　　فلقد دعوت هناك غير مجيبِ
لا يبعدنَّ ربيعة بن مكدم　　وسقى الغوادي قبرهُ بذنوبِ

فبلغ شعرهُ بني كنانة فقالوا: والله لو عقرها لسُقنا اليهِ الف ناقة سود الحدق

ربيعة بن مكدَّم ودريد بن الصِّمَّة يوم الاخرم

حدَّث أبو عبيدة قال: خرج دريد بن الصمَّة في فوارس بني جشم حتى اذا كانوا بوادٍ لبني كنانة يقال لهُ الاخرم وهو يريد الغارة على بني كنانة رفع لهُ رجل من ناحية الوادي معهُ ظعينة. فلما نظر اليهِ قال لفارس من اصحابهِ: صح بهِ ان: خلِّ عن الظعينة وانجُ بنفسك. وهو لا يعرفهُ. فانتهى اليهِ الرجل وألحَّ عليهِ. فلما أبى القى زمام الراحلة وقال للظعينة:

سيري على رسلك سير الآمنِ　　سير رداح ذات جأش ساكنِ
ان انثنائي دون قرني شائني　　وابلي بلائي واخبري وعايني

ثم حمل على الفارس فصرعهُ وأخذ فرسهُ فاعطاه الظعينة. فبعث دريد فارساً آخر لينظر ما صنع صاحبهُ. فرآهُ صريعاً. فصاح بهِ. فتصامَّ عنهُ. فظنَّ انهُ لم يسمع فغشيهُ. فالقى الزمام عليها ثم حمل على الفارس فصرعهُ وهو يقول:

خلِ سبيل الحرّة المنيعهْ   انك لاقٍ دونها ربيعهْ
في كفهِ خطيــة منيعهْ   أو لا فخذها طعنة سريعهْ
فالطعن مني في الوغى شريعهْ

فلما ابطأ على دريد بعث فارساً آخر لينظر ما صنعا. فانتهى اليهما فرآهما صريعين. ونظر اليهِ يقود ظعينتهُ ويجرّ رمحهُ. فقال لهُ الفارس: خلّ عن الظعينة. فقال لها ربيعة: اقصدي قصد البيوت. ثم اقبل عليهِ فقال:

ماذا تريد من شتيم عابسِ   ألم ترَ الفارس بعد الفارسِ
ارداهما عامل رمح يابسِ

ثم طعنهُ فصرعهُ. فانكسر رمحهُ. فارتاب دريد وظنّ انهم قد أخذوا الظعينة وقتلوا الرجل. فلحق بهم فوجد ربيعة لا رمح معهُ وقد دنا من الحيّ. ووجد القوم قد قُتلوا. فقال لهُ دريد: ايها الفارس ان مثلك لا يقتل وان الخيل ثائرة باصحابها ولا أرى معك رمحًا وأراك حديث السنّ. فدونك هذا الرمح فاني راجع الى اصحابي فمثبط عنك. فأتى دريد اصحابهُ فقال: ان فارس الظعينة قد حماها وقتل فوارسكم وانتزع رمحي ولا طمع لكم فيهِ. فانصرف القوم. وقال دريد:

ما ان رأيت ولا سمعت بمثلهِ   حامي الظعينة فارسًا لم يقتلِ
أردى فوارس لم يكونوا نهرة(١)   ثم استمرّ كأنهُ لم يفعلِ
متهلل تبدو أسرّة وجهــهِ   مثل الحسام جلتهُ أيدي الصيقل
يرجى ظعينتهُ ويسحب رمحهُ   متوجهًا يمنــاهُ نحو المنزلِ
وترى الفوارس من مخافة رمحهِ   مثل الشعاب خشين وقع الاجدلِ

(١) وفي نسخة: نهزة

ياليت شعري من ابوهُ وامهُ   يا صاح من يكُ مثلهُ لم يجهلِ

فقال ربيعة

ان كان ينفعك اليقين فسائل   عني الظعينة يوم وادي الأكرمِ
هل هي لأوّل من اتاها نهزة   لولا طعان ربيعة بن مكدّمِ
أو قال من أدنى الفوارس سبة   خلّ الظعينة طائعًا لا تندم
فصرفت راحلة الظعينة نحوهُ   عمدًا ليعلم بعض ما لم يعلمِ
وهتكت بالرمح الطويل اهابهُ   فهوى صريعًا لليدين وللفمِ
ونضحت آخر بعدهُ جياشة   فخلا فأهواهُ لشدق الاضجمِ
ولقد شفعتهمـا بآخر ثالث   وأبى الفرار لي الغداة تكرّمي

(قال) فلم يلبث بنو مالك بن كنانة رهط ربيعة بن مكدّم ان أغاروا على بني جشم رهط دريد. فقتلوا وأسروا وغنموا وأسروا دريد بن الصمة. فأخفى نسبهُ. فبينا هو عندهم اذ جاء نسوة يتهادين اليهِ. فصرخت امرأة منهنّ فقالت: هلكتم وأهلكتم. ماذا جرّ علينا قومنا. هذا والله الذي أعطى ربيعة رمحهُ يوم الظعينة. ثم القت عليهِ ثوبها وقالت: يا آل فراس أنا جارة لهُ منكم هذا صاحبنا يوم الوادي. فسألوهُ من هو. فقال: أنا دريد بن الصمة فما فعل ربيعة بن مكدّم. قالوا: قتلتهُ بنو سليم. قال: فمن الظعينة التي كانت معهُ. قالت المرأة ريطة بنت جذل الطعان: وأنا هي وأنا امرأتهُ. فحبسهُ القوم وآمروا أنفسهم وقالوا: لا ينبغي ان تكفر نعمة دريد عندنا. وقال بعضهم: والله لا يخرج من ايدينا الاّ برضا المخارق الذي أسرهُ. وانبعثت المرأة في الليل فقالت:

سنجزي دريدًا عن ربيعة نعمة   وكل فتى يُجزى بما كان قدّما

فان كان خيرًا كان خيرًا جزاؤهُ ... وان كان شرًّا كان شرًّا مذمَّما
سنجزيهِ نعمى لم تكن بصغيرة ... باعطائهِ الرمح السديد المقوَّما
فقد ادركت كفَّاهُ فينا جزاءهُ ... وأهل بان يجزى الذي كان أنعما
فلا تكفروهُ حيّ نعمان فيكمُ ... ولا تركبوا هلك الذي ملأ الفما
فان كان حيًّا لم يضق بثوائهِ ... ذراعًا غنيًّا كان او كان مُعدما
ففكُّوا دريدًا من اسار مخارقٍ ... ولا تجعلوا البؤسى الى الشرّ سُلَّما

فأصبح القوم فتعاونوا بينهم فاطلقوه . وكستهُ ريطة وجهزتهُ . ولحق بقومهِ . ولم يزل كافًّا عن غزو بنو فراس حتى هلك

شجاعة ربيعة بن مكدَّم

حدَّث قبيصة بن مهور الصادري قال : سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ عمرو بن معدي كرب الزبيدي : من أشجع من رأيت . فقال : والله يا امير المؤمنين لاخبرنك عن أحيل الناس وعن أشجع الناس وعن اجبن الناس . فقال لهُ عمر : هات . قال : خرجت كاحسن ما رأيت وكانت لي فرس شمقمقة طويلة سريعة الانفاذ تمطق بالعرق تمطق الشيخ بالمرق . فركبتها فلم ألبث لا ألقى أحدًا الّا قتلتهُ . فخرجت فاذا انا بفتًى بين عرصين فقلت لهُ : خذ حذرك فاني قاتلك . فقال : والله ما انصفتني يا أبا ثور أنا كما ترى أعزل اميل عوارة (١) . فانظرني حتى آخذ نبلي . فقلت : وما غناؤُها عنك . قال : امتنع بها . قلت : خذها . قال : لا والله أو تعطيني من العهود ما يثلجني انك لا تريعني حتى آخذها .

(١) العوارة التي لا ترى معهُ . (كذا في الاصل)

(قال) فاثلجتهُ . فقال : واله قريش لا آخذها ابدًا . فسلم والله مني . فهذا أحيل الناس . فمضيت حتى اشتمل عليَّ الليل . فوالله اني لاسير في قمر باهر كالنور الظاهر اذا بفتًى على فرس يقود ظعينة وهو يقول :

يا لدينا يا لدينا ... ليتنا يعدى علينا
ثم يبلى ما لدينا

ثم يُخرج حنظلة من مخلاته ثم يرمي بها في السماء فلا تبلغ الارض حتى ينظمها بمشقص من نبلهِ . فصحت بهِ : خذ حذرك ثكلتك امك فاني قاتلك . فمال عن فرسهِ فاذا هو بالارض . فقلت : ان هذا الاستخفاف . فدنوت منهُ وصحت بهِ : ويلك ما أجهلك . فما تخلخل ولا زال حتى شككت بالرمح في ابهامهِ . فاذا هو كانهُ قد مات منذ سنة . فمضيت وتركتهُ . فهذا أجبن الناس . ثم مضيت فأصبحت بين دكادك فنظرت الى أبيات فعدلت اليها فاذا فيها جوار ثلاثة كأنهنَّ نجوم الثريا . فبكين حين رأينني . فقلت : ما يبكيكنَّ . فقلن : لما ابتلينا بهِ منك . ومن ورائنا اخت لنا أجمل منا . فأشرفت من مرقد فاذا بشخص لم أرَ شيئًا قط أجمل من وجههِ واذا بغلام يخصف نعلهُ عليهِ ذؤَّابة يسحبها . فلما نظر اليَّ وثب على الفرس مبادرًا ثم ركض فسبقني الى البيوت فوجدهنَّ قد ارتعن . فسمعتهُ يقول لهنَّ :

مهلًا نسياتي اذًا لا ترتعنْ ... ان منع النوم نساء يُمنعنْ
أرخين اذيال المروط وارتعنْ

(قال) فلما دنوت منهُ قال : أتطرد لي او اطرد لك . قلت : بل اطرد لي . فركض وركضت في اثرهِ حتى أمكنت السنان من لفتتهِ (١) واتكأت عليهِ فاذا

(١) اللفتة اسفل الكتف

هو والله مع لبب فرسهِ . ثم استوى في سرجهِ . فقلت: اقلني . فقال: اطرد . حتى اذا ظننت ان السنان بين ناصيتهِ اعتمدت عليهِ . فاذا هو والله قائم على الارض والسنان زالج . فاستوى على فرسهِ . فقلت: اقلني . قال: اطرد . فطردتهُ حتى اذا امكنت السنان من متنهِ اتكأت عليهِ وانا اظنُّ اني قد فرغت منهُ فمال في سرجهِ حتى نظرت الى بدنهِ في الارض ومضى السنان زالجًا . ثم استوى على فرسهِ وقال: أبعدَ ثلاث تريد ماذا لي ثكلتك امك . فولَّيت وانا مرعوب منهُ . فلما غشيني وجدت حسَّ السنان فالتفت فاذا هو يطردني بالرمح بلا سنان . فكفَّ عني واستنزلني فنزلت ونزل والله وجزَّ ناصيتي وقال: انطلق فاني انفس بك عن القتل . فكان ذلك والله يا أمير المؤمنين عندي أشد من الموت . فذلك أشجع ما رأيت . وسألت عن الفتى فقيل ربيعة بن مكدم الفراسي من بني كنانة

وقد أخبرني احمد بن عبد العزيز الجوهري هذا الخبر وفيهِ خلاف للاوَّل قال: حدَّث سكين بن محمد قال: دخل عمرو بن معدي كرب على عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ . فقال لهُ: من اين أقبلت . قال: من عند سيد بني مخزوم وأعظمها قامة . وأمدها هامة . وأقلها ملامة . وافضلها حلمًا . واقدمها سلمًا مقدمًا . قال: ومن هو . قال: سيف الله وسيف رسولهِ . قال: واي شيء صنعت عنده . قال: اتيتهُ زائرًا فدعا لي بكعب وفرس وثور . فقال عمر: وأبيك ان في هذا لشبعًا . قال: لي او لك يا امير المؤمنين . قال: لي ولك . قال: بخ . فوالله اني لآكل الجذعة واشرب اللبن وصرفًا فلِمَ تقول هذا يا امير المؤمنين . فقال لهُ عمر: أي احياء قومك خير . قال: مذحج وكلٌّ قد كان فيهِ خير أهل الربا والرباح . قال عمر: فأين سعد العشيرة . قال: هم اشدنا شريسًا . واكثرنا خميسًا . واكرمنا رئيسًا . هم الاوفياء البررة . المساعير الفجرة . قال عمر: يا ابا ثور ألك علم

بالسلاح . قال: على الخبير سقطت . سل عمَّا بدا لك . قال: اخبرني عن النبل . قال: منايا تخطئ وتصيب . قال: فأخبرني عن الرمح . قال: اخوك وربما خانك . قال: أخبرني عن الترس . قال: ذاك مجنّ وعليهِ تدور الدوائر . قال: اخبرني عن الدرع . قال: مشغلة للفارس متعبة للراجل . قال: أخبرني عن السيف . قال: عنهُ قارعتك لأمك الهبل . فقال لهُ عمر: لا بل لأمك . قال لهُ عمرو: بل لأمك . فرفع عمر الدرة فضرب بها عمرًا وكان محتبيًا فانحلّت حبوتهُ . فاستوى قائمًا وانشأ يقول:

أتضربني كأنك ذو رُعَينٍ ... بخير معيشة او ذو نواسِ
فكم ملك كريم قد رأينا ... وغرّ ظاهر الجبروت قاسي
فاضحى اهلهُ بادوا واضحى ... ينقل من اناس في اناسِ

قال: صدقت يا ابا ثور وقد هدم ذلك كلهُ الاسلام اقسمت عليك الَّا جلست . فجلس . فقال لهُ عمر: هل كعكعت من فارس قط ممن لقيت . قال: اعلم يا امير المومنين اني لم استحلَّ الكذب في الجاهلية فكيف استحلهُ في الاسلام ولقد قلت لجبهة من خيلي خيل بني زبيد: اغيروا بنا على بني البكاء . فقالوا: ابعد علينا المغار . فقلت: فعلى بني مالك بن كنانة . (قال) فأتينا على قوم سراة . فقال عمر: وما علمك بانهم سراة . قال: رأيت مزاود خيل كثيرة وقدورًا وقباب أدم فعرفت ان القوم سراة فكففت خيلي حجزة وجلست في موضع اسمع كلامهم . واذا بجارية بينهم قد خرجت من خيمتها فجلست بين صواحب لها . ثم دعت وليدة من ولائدها فقالت: ادعي فلانًا . فدعت لها رجلًا من الحيّ . فقالت لهُ: ان نفسي تحدثني ان خيلًا تغير على الحيّ فكيف انت ان زوَّجتك نفسي . فقال: أفعل وأصنع . فجعل يصف نفسهُ فيفرط . فقالت لهُ:

انصرف حتى أرى رأيي . وأقبلت على صواحباتها فقالت : ما عندهُ خير . ادعي لي فلانًا . فدعت آخر . فخاطبتهُ فأجابها بمثل جوابهِ . فقالت لهُ : انصرف حتى أرى رأيي . وقالت لصواحباتها : وما عند هذا خير ايضًا . ثم قالت للوليدة : ادعي لي ربيعة بن مكدم . فدعتهُ . فقالت لهُ مثل قولها للرجلين . فقال لها : ان أعجز العجز وصف الرجل نفسهُ ولكني ان لقيت أعذرت وحسب المرء غَناء ان يعذر . فقالت لهُ : قد زوَّجتك نفسي فاحضر غدًا مجلس الحيّ ليعلموا ذلك . فانصرف من عندها . فانتظرتُ حتى ذهب الليل ولاح الفجر فخرجت من مكمني فركبت فرسي وقلت لخيلي : اغيري . فأغارت . فتركتها وقصدت قصد النسوة ومجلسهنَّ فكشفت عن خيمة المرأة فاذا بامرأة تامة الحسن . فلما ملأت عينها مني أهوت الى درعها فشقتهُ وقالت : وا ثكلاه والله ما ابكي على مال ولا على تلاد ولكن على اخت لي من وراء هذا الغور (وأهوتْ الى غور رمل الى جانبهم) تبقى بعدي في مثل هذا الحائط فتهلك ضيعة . فقلت: هذه غنيمة من وراء غنيمة . فدفعت فرسي حتى اوفيت على النقا . فاذا أنا برجل جلد أهلب يخصف نعله والى جانبهِ فرسه وسلاحه . فلما رآني رمى بنعلهِ ثم استوى على فرسهِ واخذ رمحهُ ومضى لايحفل بي فطفقت أشجرهُ بالرمح خفقًا وأقول لهُ : يا هذا استأسر . فمضى لايحفل بي حتى أشرف على الوادي . فلما رأى الخيل تجري بفمهِ استعبر باكيًا وأنشأ يقول :

قد علمت اذ منحتني فاها — اني سأجري اليوم من مجراها

يا ليت شعري اليوم من دهاها

فقلت :

عمرٌو على طول الوجى دهاها — بالخيل يحميها على وحاها

حتى اذا حلّ بها احتواها

فحمل عليَّ وهو يقول :

أهزُّ نضر العيش في دار قدمْ — أفيض دمعًا كلما فاض انسجمْ
أنا ابن عبد الله محمود الشيمْ — مؤتمن الغيب وموفٍ بالذممْ
أكرم من يمشي بساق وقدمْ — كالليث ان همَّ بتقضام قضمْ

فحملت عليهِ وأنا أقول :

أنا ابن ذي التقليد في الشهر الاصمْ — انا ابن ذي الاكال قتال البهمْ
من يلقني يودِ كما أودت ارمْ — أتركهُ لحمًا على ظهر وضمْ

فحمل عليَّ وهو يقول :

هذا حمى قد غاب عنهُ ذائدهْ — الموت وردٌ والانام واردهْ

وحمل عليَّ فضربني . فرُغتُ . واخطأني فوقع سيفهُ في قربوس السرج فقطعهُ وما تحتهُ حتى هجم على مسح الفرس . ثم ثنّى بضربة أُخرى . فرغت . واخطأني فوقع سيفهُ على مؤخر السرج فقطعهُ حتى وصل الى فخذ الفرس . وصرت راجلًا فقلت لهُ : ويحك من انت . فوالله ما ظننت احدًا من العرب يقدم عليَّ الَّا ثلاثة الحرث بن ظالم للعجب والخيلاء وعامر بن الطفيل للسنّ والتجربة وربيعة بن مكدَّم للحداثة والصرامة . فمن أنت ويلك . قال : بل الويل لك فمن انت ويلك . قلت : عمرو بن معدي كرب . قال : وأنا ربيعة بن مكدم . قلت : يا هذا اني قد صرت راجلًا فاختر مني احدى ثلاث ان شئت اجتلدنا بسيفينا حتى يموت الاعجز منّا . وان شئت اصطرعنا فأيُّنا صرع صاحبهُ حكم فيهِ . وان شئت سالمتك . قال : الصلح اذًا ان كان لقومك فيهِ حاجة وما بي ايضًا على قومي هوان . قلت : فذلك لك . وأخذت بيده حتى أتيت أصحابي وقد

حازوا نعمهُ . فقلت : هل تعلمون اني كنت عن فارس من الابطال قط اذا لقيتهُ . قالوا : نعيذك من ذلك . قلت : فانظروا هذا النعم الذي حزتموه فخذوه مني غدًا في بني زبيد فانهُ نعم هذا الفتى وانهُ لا يوصل مني اليهِ شيءٌ وأنا حيّ . فقالوا : لحاك الله من فارس قوم أنسأتنا حتى اذا هجمنا على الغنيمة الباردة فتلتنا عنها . فقلت : لا بدّ لكم من ذلكم وان تهبوها لي ولربيعة بن مكدّم . فقالوا : وانهُ لهو . فقلت : نعم . ورددتها وسالمتهُ . فأمن حربي وأمنت حربه حتى هلك

دُرَيْد بن الصِّمَّة

هو دريد بن الصمّة واسمهُ معاوية بن الحرث بن بكر بن علقة (١) .
ودريد بن الصمّة فارس شجاع شاعر فحل وجعلهُ محمد بن سلام اوّل شعراء الفرسان وقد كان اطول الفرسان الشعراء غزوًا وأبعدهم اثرًا واكثرهم ظفرًا وايمنهم نقيبةً عند العرب واشعرهم دريد بن الصمة . وقال ابو عبيدة : كان دريد بن الصمة سيد بني جشم وفارسهم وقائدهم وكان مظفرًا ميمون النقيبة . وغزا نحو مائة غزاة ما اخفق في واحدة منها . وأدرك الاسلام فلم يسلم . وخرج مع قومهِ يوم حنين مظاهرًا للمشركين ولا فضل فيهِ للحرب وانما اخرجوه تيمنًا وليقتبسوا من رأيهِ . فمنعهم مالك بن عوف من قبول مشورتهِ وخالفهُ لئلاّ يكون لهُ ذكر . فقتل دريد يومئذٍ على شركهِ . وخبرهُ ياتي بعد هذا . وكان لدريد اخوة وهم عبد الله الذي قتلتهُ غطفان . وعبد يغوث قتلهُ بنو

---

(١) وقيل علقمة

مرّة . وقيس قتلهُ بنو ابي بكر بن كلاب . وخالد قتلهُ بنو الحرث بن كعب . امهم جميعًا ريحانة بنت معدي كرب الزبيدي اخت عمرو بن معدي كرب كان الصمة سباها ثم تزوّجها فاولدها بنيهِ واياها يعني اخوها عمرو بقولهِ في شعره :

امن ريحانة الداعي السميعُ   يؤرقني وأصحابي هجوعُ
اذا لم تستطع شيئًا فدعهُ   وجاوزهُ الى ما تستطيعُ

وكان لدريد ابن يقال لهُ سلمة وكان شاعرًا وهو الذي رمى ابا عامر الاشعري بسهم فاصاب ركبته فقتلهُ وارتجز فقال :

ان تسألوا عني فاني سلمهْ   ابن سمادير لمن توسمهْ
اضرب بالسيف رؤوس المسلمهْ

وكانت لدريد ايضًا بنت يقال لها عمرة شاعرة ولها فيهِ مراثٍ كثيرة . قال ابو عبيدة : سمعت ابا عمرو بن العلاء يقول : احسن شعر قيل في الصبر على النوائب قول دريد بن الصمة :

لقتل عبد الله والهالك الذي   على الشرف الاعلى قتيل ابي بكرِ
وعبد يغوث او خليليَ خالدٍ   وعزّ مصابًا حثو قبر على قبرِ
ابى القتل الاّ آل صمة انهم   أبوا غيره والقدر يجري الى القدرِ
فاماً ترينا ما تزال دماؤنا   لدى واترٍ يشقى بها آخر الدهرِ
فانا للحم السيف غير نكيرة   ونلحمهُ حينًا وليس بذي نكرِ
يغار علينا واترين فيشتفى   بنا ان أُصبنا او نغير على وترِ
بذاك قسمنا الدهر شطرين قسمة   فما ينقضي الاّ ونحن على شطرِ

اخبر بخبر ابتداء هذه الحروب محمد بن العباس اليزيدي قال : قرأت على احمد

ابن يحيى عن ابن الاعرابي قال: اغارت بنو عامر بن صعصعة وبنو جشم بن معاوية على اسد وغطفان: وكان دريد بن الصمة وعمرو بن سفيان بن ذي اللحية متساندَين فدريد على بني جشم بن معاوية وعمرو بن معاوية على بني عامر. فقال عبد الله بن الصمة لاخيهِ: اني غير معطيك الرئاسة ولكنَّ لي في هذا اليوم شأنًا. ثم اشترك عبد الله وشراحيل بن سفيان. فلما اغار القوم اخذ عبد الله من نعم بني اسد ستين واصاب القوم ما شاءوا وادرك رجل من بني جذيمة عبد الله بن الصمة. فقال لهُ عبد الله بن الصمة. ارجع فاني كنت شاركت شراحيل بن سفيان. فان استطاع دريد فليأتهِ وليأخذ مالي منهُ. واقام دريد في اواخر الحيّ. فقال لهُ عمرو: ارتحل بالناس قبل ان ياتيك الصرخاء. فقال: اني انتظر اخي عبد الله. حتى اذا طال عليهِ قال لهُ: ان اخاك قد ادرك فوارس من الحليفيّين يسوقون بظعنهم فقتلوه. فانطلقوا حتى اذا كانوا بحيث يفترقون قال دريد لشراحيل: ان عبد الله انبأني ولم يكذبني قط انَّ لهُ شركة مع شراحيل فأدّوا الينا شركتهُ. فقالوا لهُ: ما شاركناه قط. فقال دريد: ما انا بتارككم حتى استحلفكم عند ذي الخلصة (١). فاجابوه الى ذلك وحلفوا لهُ. ثم جاء عبد الله بغنيمة عظيمة. فجاءوه ينشدونهُ الشرك. فقال لهم دريد: ألم احلفكم حين ظننتم ان عبد الله قد قتل. فقالوا: ما حلفنا. وجعلوا يناشدون عبد الله ان يعطيهم. فقال: لا حتى يرضى دريد. فأبى ان يرضى. فتوعدوه ان يسرقوا ابلهُ. فقال دريد في ذلك:

اوعدتمُ ابلي كلاَّ سيمنعها   بنو غزية لا ميل ولا صورُ

---

(١) الخلصة وثن من اوثانهم

مقتل عبد الله بن الصِّمَّة

انَّ السبب في مقتلهِ انهُ كان غزا غطفان ومعهُ بنو جشم وبنو نصر ابناء معاوية فظفر بهم وساق اموالهم في يوم يقال لهُ يوم اللوى ومضى بها ولما كان منهم غير بعيد قال: انزلوا بنا. فقال اخوهُ دريد: يا ابا فرعان (١) نشدتك الله ان لا تنزل فان غطفان ليست بغافلة عن اموالها. فأقسم لا يريم حتى يأخذ مرباعهُ وينقع نقيعهُ فيأكل ويطعم ويقسم البقيَّة بين اصحابهِ. فبينا هم في ذلك وقد سطعت الدواخن اذا بغبار قد ارتفع اشدّ من دخانهم واذا عبس وفزارة واشجع قد اقبلت. فقالوا لربيئتهم: انظر ماذا ترى. فقال: ارى قومًا جعادًا كان سرابيلهم قد غمست في الجادي. قال تلك اشجع ليست بشيءٍ. ثم نظر فقال: أرى قومًا كانهم الصبيان استنهم عند آذان خيلهم. قال: تلك فزارة. ثم نظر فقال: ارى قومًا ادمانًا كأنما يحملون الجبل بسوادهم يخدّون الارض باقدامهم خدًّا ويجرّون رماحهم جرًّا. قال: تلك عبس والموت معهم. فتلاحقوا بالمنعرج في رميلة اللوى فاقتتلوا فقَتل رجل من بني قارب وهم من بني عبس عبد الله بن الصمة. فتنادوا. قُتل ابو دفافة. فعطف دريد فذبَّ عنهُ فلم يُغنِ شيئًا. وجُرح دريد فسقط. فكفوا عنهُ وهم يرون انهُ قُتل. واستنقذوا المال ونجا مَن هرب. فمرّ الزهدمان (٢) وهما من بني عبس وهما زهدم وقيس

---

(١) كانت لعبد الله ثلاث كنًى ابو فرعان وابو دفافة وابو أوفى وكلُّها ذكرها دريد في شعرهِ

(٢) انما قيل لهما الزهدمان تغليبًا لاشهر الاسمين عليهما كما قيل العمران لابي بكر وعمر رضي الله عنهما والقمران للشمس والقمر

ابنا حزن بن وهب بن رواحة . قال دريد : فسمعت زهدمًا العبسيّ يقول لكردم الفزاري: اني لأحسب دريدًا حيًا فانزل فأجهز عليهِ . قال : قد مات . قال : انزل فانظر الى سبتهِ هل ترمز . قال دريد : فسددت من حتارها (١) . (قال) فنظر فقال: هيهات اي قد مات . فولّى عني . (قال) ومال بالزج في شرج دريد فطعنهُ فيهِ فسال دم كان احتقن في جوفهِ . قال دريد : فعرفت الخفة حينئذٍ . فامهلت حتى اذا كان الليل مشيت وانا ضعيف قد نزفني الدم حتى ما اكاد ابصر . فجزت بجماعة تسير فدخلت فيهم فوقعت بين عرقوبي بعير ظعينة . فنفر البعير . فنادت : نعوذ بالله منك . فانتسبت لها فأعلمت الحيّ بمكاني . فغُسل عني الدم وزُوّدت زادًا وسقاءً فنجوت . (قال) ثم حجّ كردم بعد ذلك في نفر من بني عبس . فلما قاربوا ديار دريد تنكروا خوفًا . ومر بهم دريد فانكرهم فجعل يمشي فيهم ويسالهم من هم . فقال لهُ كردم : عمن تسأل . فدفعهُ دريد وقال : اما عنك وعمن معك فلا اسأل ابدًا . وعانقهُ وأهدى اليهِ فرسًا وسلاحًا وقال لهُ : هذا بما فعلت بي يوم اللوى . وقال دريد يرثي اخاهُ عبد الله

امرتهمُ امري بمنعرج اللوى … فلم يستبينوا الرشد الّا ضحى الغدِ
فلما عصوني كنت منهم وقد ارى … غوايتهم او انني غير مهتدِ
وهل انا الّا من غزية ان غوت … غويت وان ترشد غزية أرشدِ
دعاني اخي والخيل بيني وبينهُ … فلما دعاني لم يجدني بقعددِ
تنادوا فقالوا اردتِ الخيل فارسًا … فقلت أعبد الله ذلكم الردي
فان يكُ عبد الله خلّى مكانهُ … فلم يك وقافًا ولا طائش اليدِ

(١) اي من شرجها

ولا برمًا اذا الرياح تناوحت … برطب العضاه والهشيم المعضدِ
نظرت اليهِ والرماح تنوشهُ … كوقع الصياصي في النسيج المدد
فطاعنت عنهُ الخيل حتى تبدّدت … وحتى علاني اشقر اللون مزبدِ
فما رمت حتى خرّقتني رماحهم … وغودرت اكبو في القنا المتقصدِ
قتال امرئٍ واسى اخاهُ بنفسهِ … وايقن ان المرء غير مخالدِ
صبور على وقع المصائب حافظ … من اليوم اعقاب الاحاديث في غدِ

يوم الغدير

اخبر ابو عبيدة قال : أغار دريد بن الصمّة بعد مقتل اخيهِ عبد الله على غطفان يطالبهم بدمهِ . فاستقراهم حيًا حيًا وقتل من بني عبس ساعدة بن مرّ وأسر ذؤاب بن اسماء اسره مرّة بن عوف الجشميّ . فقالت بنو جشم : لو فاديناه . فأبى ذلك دريد عليهم وقتلهُ باخيهِ عبد الله . وقتل من بني فزارة رجلًا يقال لهُ جذام واخوة لهُ واصاب جماعة من بني مرّة وبني ثعلبة بن سعد ومن احياء غطفان وذلك في يوم الغدير . وفي هذا اليوم ومن قتل فيهِ منهم يقول :

تأبد من اهلهِ معشرُ … فخرم سويقة فالاصفرُ
فجزع الحليف الى واسط … فذلك مبدًى وذا محضرُ
فابلغ سليمى والفافها … وقد يعطف النسب الاكبرُ
باني ثأرت باخوانكم … وكنت كأني بهم مخفرُ
صبّحنا فزارة سمر القنا … فمهلًا فزارة لا تضجروا

وابلغ لديك بني مازن — فكيف الوعيد ولم تقدروا
فان تقتلوا فئة افردوا — اصابهم للحين او تظفروا
فانّ حرامًا لدى معرك — واخوته حولهُ انسرُ
ويوم يزيد بني ناشب — وقبل يزيدكمُ الاكبرُ
اثرنا صريخ بني ناشب — ورهط لقيط فلا تفخروا
تجرُّ الضباع باوصالهم — ويلحمنَ فيهم ولم يقبروا

ويقول في ذلك ايضًا دريد بن الصمة في قصيدة لهُ اخرى:

جزينا بني عبس جزاءً موفرًا — بمقتل عبد الله يوم الذنائبِ
ولولا سواد الليل ادرك ركضنا — بذي الرمث والارطى عياض بن ناشبِ
قتلنا بعبد الله خير لداتهِ — ذؤاب بن اسماء بن زيد بن قاربِ

وقال دريد ايضًا في هذه الوقعة:

قتلنا بعبد الله خير لداتهِ — وخير شباب الناس لو ضمّ اجمعا
ذؤاب بن اسماء بن زيد بن قارب — منيتهُ اجرى اليها واوضعا
فتًى مثل نصف السيف يهتزُّ للندى — كعالية الرمح الردينيّ اروعا

وقال ابن الكلبي: قالت ريحانة بنت معدي كرب لدريد بن الصمة بعد حول من مقتل اخيهِ: يا بنيّ ان كنت عجزت عن طلب الثأر باخيك فاستعن بخالك وعشيرته من زبيد. فأنف من ذلك وحلف لا يكتحل ولا يدّهن ولا يمسّ طيبًا ولا يأكل لحمًا ولا يشرب خمرًا حتى يدرك ثأرهُ. وغزا هذه الغزاة وجاءها بذؤاب بن اسماء فقتلهُ بفنائها وقال: هل بلغت ما في نفسك. قالت: نعم متعت بك

مقتل قيس بن الصمّة

قتلهُ بنو ابي بكر بن كلاب. وكان السبب في ذلك فيما أخبرني بهِ هاشم ابن محمد انهُ غزا في قومهِ بني خزاعة من بني جشم. فأغاروا على ابل لبني كعب بن ابي بكر بن كلاب فانطلقوا بها. وخرج بنو ابي بكر بن كلاب في طلبها حتى اذا دنوا منها قال عمرو بن سفيان الكلابي وكان حازمًا عاقلًا: امكثوا. ومضى هو متنكرًا حتى اتى رجلًا من بني خزاعة فسلّم عليهِ واستسقاه. فسقاه. وانتسب لهُ هلاليًا. فسألهُ عن قومه واين مرعى ابلهم واعلمه انهُ جاءَ زائرًا لقومه يريد مجاورتهم. فخبره الرجل بكل ما اراد. ورجع الى قومه وقد عرف بغيته. فصبح القوم فظفرت بهم بنو كلاب وقتلوا قيس بن الصمة وذهبوا بإبل بني خزاعة وارتجعوا اموالهم. وكان يقال لعمرو بن سفيان ذو السيفين لانهُ كان يلقى الحرب ومعهُ سيفان خوفًا من ان يخونه احدهما. واياه عنى دريد بن الصمة بقوله:

ان امرءًا بات عمرو بين صرمته — عمرو بن سفيان ذو السيفين مغرورُ
يا آل سفيان ما بالي وبالكمُ — هل تنتهون وباقي القول مأثورُ
يا آل سفيان ما بالي وبالكمُ — انتم كبير وفي الاحلام عصفورُ
هلاّ نهيتم اخاكم عن سفاهته — اذ تشربون وغاوي الخمر مدحورُ
لا أعرفا لمّة سوداء داحية — تدعو كلابًا وفيها الرمح مكسورُ
لن تسبقوني ولو أمهلتكم شرفًا — عقبي اذا ابطأ الفجج المخاصيرُ

مقتل خالد بن الصمة

ان خالد بن الصمة قُتل في غارة اغارتها بنو الحرث بن كعب على بني نصر بن معاوية في يوم يقال لهُ يوم ثيل فاصابوا اناساً من بني نصر . وبلغ الخبر بني جشم فلحقوهم ورئيس بني جشم يومئذٍ مالك بن حزن فاستنقذوا ما كان في ايديهم من غنائم بني نصر. فاصابوا ذا القرن الحارثي أَسيرًا وفقؤُوا عين شهاب ابن ابان الحارثي بسهم. وقُتل يومئذٍ خالد بن الصمة وكان مع مالك بن حزن . واصابت بنو جشم منهم ناساً . وكان رئيس بني الحرث بن كعب يومئذٍ شهاب ابن ابان . ولم يشهد دريد بن الصمة ذلك اليوم . فلما رجعوا قتلوا ذا القرن بخالد بن الصمة . ولما قُدّم لتضرب عنقه صاح بأَوس بن الصمة وكان لهُ صديقًا . ولم يكن أَوس حاضرًا فلم ينفعه ذلك وقتل . فلما قدم أوس غضب وقال : أَقتلتم رجلًا استجار باسمي . فقال عوف بن معاوية في ذلك :

نبئت اوساً بكى ذا القرن اذ شربا   على عكاظ بكاءً غال مجهودي

اني حلفت بما جمعت من نشبٍ   وما ذبحت على انصابك السودِ

لتبكينَّ قتيلًا منك مقتربًا   اني رأيتكَ تبكي للاباعيدِ

مفاخرة بين حاتم وسعد بن حارثة

قال ابن الاعرابي ويعقوب بن السكيت وسائر من ذكرنا من الرواة : خرج الحكم بن ابي العاصي ومعهُ عطر يريد الحيرة . وكان بالحيرة سوق يجتمع اليهِ الناس كل سنة . وكان النعمان بن المنذر قد جعل لبني لام بن عمرو ربع

الطريق طعمة لهم وذلك لان بنت سعد بن حارثة بن لام كانت عند النعمان وكانوا اصهاره . فمرَّ الحكم بن ابي العاصي بحاتم بن عبد الله فسأَلهُ الجوار في ارض طيء حتى يصير الى الحيرة . فاجاره . ثم امر حاتم بجزور فنحرت وطبخت اعضاء فاكلوا ومع حاتم ملحان بن حارثة بن سعد بن الحشرج وهو ابن عمه . فلما فرغوا من الطعام طيبهم الحكم من طيبه ذلك . فمرَّ حاتم بسعد بن حارثة بن لام وليس مع حاتم من بني ابيهِ غير ملحان وحاتم على راحلته وفرسه تقاد . فاتاه بنو لام فوضع حاتم سفرته وقال . اطعموا حيّاكم الله . فقالوا : من هؤُلاء معك يا حاتم . قال : هؤُلاء جيراني . قال لهُ سعد : فأَنت تجير علينا في بلادنا . قال لهُ : انا ابن عمكم واحق من لم تخفروا ذمته . فقالوا : لست هُناك . وارادوا ان يفضحوه كما فُضح عامر بن جُوَين قبله . فوثبوا اليهِ فتناول سعد بن حارثة بن لام حاتمًا . فاهوى لهُ حاتم بالسيف فاطار ارنبة انفه ووقع الشرّ حتى تحاجزوا . فقال حاتم في ذلك :

وددتُ وبيت الله لو ان انفه   هواء فما متَّ المخاط عن العظمِ

ولكنما لاقاه سيف ابن عمه   فآب ومرَّ السيف منهُ على الخطمِ

فقالوا لحاتم : بيننا وبينك سوق الحيرة فنماجدك ونضع الرهن . ففعلوا ووضعوا تسعة افراس رهنًا على يد رجل من كلب يقال لهُ امرؤ القيس بن عدي ووضع حاتم فرسه . ثم خرجوا حتى انتهوا الى الحيرة . وسمع ذلك إياس بن قَبيصة الطائي فخاف ان يعينهم النعمان بن المنذر ويقويهم بماله وسلطانه للصهر الذي بينهم وبينه فجمع اياس رهطه من بني حيَّة وقال : يا بني حية ان هؤُلاء القوم قد ارادوا ان يفضحوا ابن عمكم في مجادهِ (١) . فقال رجل من

(١) اي ماجدته

بني حية : عندي مائة ناقة سوداء ومائة ناقة حمراء أدماء . وقام آخر فقال : عندي عشرة حصن على كل حصان منها فارس مدجج لا يرى منهُ الّا عيناه . وقال حسّان بن جبلة الخير . قد علمتم ان ابي قد مات وترك كلأً كثيرًا فعليَّ كل خمر أو لحم او طعام ما اقاموا في سوق الحيرة . ثم قام اياس فقال : عليَّ مثل جميع ما أَعطيتم كلكم . (قال) وحاتم لا يعلم بشيء مما فعلوا . وذهب حاتم الى مالك بن جبار ابن عمٍّ لهُ بالحيرة كان كثير المال فقال : يا ابن عمّ اعنّي على مخايلتي (١) . ثم انشد :

يا مالِ احدى خطوب الدهر قد طرقت ... يا مال ما انتمُ عنها بزحزاحِ
يا مالِ جاءت حياض الموت واردة ... من بين غمر فخضناه وضحضاحِ

فقال لهُ مالك : ما كنت لاحرب نفسي ولا عيالي وأُعطيك مالي . فانصرف عنهُ . وقال مالك في ذلك قوله :

انا بني عمكم ما ان نباعلكم ... ولا نجاوركم الّا على ناحِ
وقد بلوتك اذ نلت الثراء فلم ... أَلفك بالمال الّا غير مرتاحِ

ثم أَتى حاتم ابن عم لهُ يقال لهُ وَهْم بن عمرو وكان حاتم يومئذٍ مصارمًا لهُ لا يكلمه . فقالت لهُ امرأته : أَيْ وهم هذا والله ابو سفانة حاتم قد طلع . فقال : ما لنا ولحاتم اثبتي النظر . فقالت : ها هو . قال : ويحك هو لا يكلمني فما جاء بهِ اليَّ . فنزل حتى سلّم عليهِ . فردَّ سلامه وحيّاه ثم قال لهُ : ما جاء بك يا حاتم . قال : خاطرت على حسبك وحسبي . قال : في الرحب والسعة هذا مالي . (قال) وعدّتهُ يومئذٍ تسعمائة بعير . فخذها مائة مائة حتى تذهب الابل او تصيب ما تريد . فقالت امرأته : يا حاتم انت تخرجنا عن

(١) المخايلة المفاخرة

مالنا وتفضح صاحبنا تعني زوجها . فقال : اذهبي عنّي فوالله ما كان الذي غمّك ليردّني عما قبلي . وقال حاتم :

الا ابلغا وهمَ بن عمرو رسالة ... فانك انت المرء بالخير اجدرُ
رأَيتك ادنى الناس منا قرابة ... وغيرك منهم كنت احبو وانصرُ
اذا ما أَتى يومٌ يفرق بيننا ... بموت فكن يا وهم ذو يتأَخرُ (١)

(قالوا) ثم قال اياس بن قبيصة : احملوني الى الملك . وكان بهِ نقرس . فحمل حتى ادخل عليهِ . فقال : أَنعم صباحًا أَبيت اللعن . فقال النعمان : وحيّاك الهك . فقال اياس : أَتمدّ أَختانك بالمال والخيل وجعلت بني ثعل في قعر الكنانة . أَظنّ اختانك ان يصنعوا بحاتم كما صنعوا بعامر بن جوين ولم يشعروا ان بني حية بالبلد . فان شئت والله ناجزناك حتى يسفح الوادي دمًا . فليحضروا مجادهم غدًا بمجمع العرب . فعرف نعمان الغضب في وجههِ وكلامه فقال لهُ النعمان : يا احلمنا لا تغضب فاني سأَكفيك . وأَرسل النعمان الى سعد بن حارثة والى اصحابه : انظروا ابن عمكم حاتمًا فأَرضوه فوالله ما انا بالذي اعطيكم مالي تبذرونه وما أُطيق بني حية . فخرج بنو لام الى حاتم فقالوا لهُ : أَعرض عن هذا المجاد ندع أَرش انف ابن عمنا . قال : لا والله لا أَفعل حتى تتركوا افراسكم ويُغلب مجادكم . فتركوا ارش انف صاحبهم وافراسهم وقالوا : قبحها الله وابعدها فانما هي مقارف . فعمد اليها حاتم فعقرها وأَطعمها الناس وسقاهم الخمر . وقال حاتم في ذلك :

ابلغ بني لام بانّ خيولهم ... عقرى وان مجادهم لم يمجدِ
ها انما مطرت سماؤكم دمًا ... ورفعت رأسك مثل رأس الاصيدِ

(١) « ذو » في لغة طي : « الذي »

ليكون جيراني اكالًى بينكم ... بخلًا لكندي وسبي مزبدِ
وابن النجود اذا غدا متلاطمًا ... وابن العذوَّر ذي العجان الابردِ
ولثابت عيني جد متماوت ... وللغط أوسيّ عوى لمقلَّدِ
ابلغ بني ثعل باني لم اكن ... ابدًا لافعلها طوال المسندِ
لاجئتهم فلاًّ واترك صحبتي ... نهبًا ولم تغدر بقائمة يدي

زيد الخيل

كان زيد الخيل فارسًا مغوارًا مظفرًا شجاعًا بعيد الصوت في الجاهلية وادرك الاسلام ووفد الى النبي (صلعم) ولقيهُ وسُرَّ بهِ وقرَّظه وسماه زيد الخير. وهو شاعر مقلّ مخضرم معدود في الشعراء الفرسان. وانما كان يقول الشعر في غاراتهِ ومفاخراته ومغازيهِ. واياديه عند من مرّ عليهِ واحسن في قراه اليهِ. وانما سمي زيد الخيل لكثرة خيلهِ. وانهُ لم يكن لاحد من قومه ولا لكثير من العرب الّا الفرس والفرسان. وكانت لهُ خيل كثيرة منها المسماة المعروفة التي ذكرها في شعره وهي ستة وهي الهطال والكميت والوَرْد وكامل ودَؤُول ولاحق. وفي الهطال يقول :

اقرّب مربط الهطال اني ... ارى حربًا ستلقح عن حيالِ

وفي الورد يقول :

ابت عادة للورد ان يكره الفنا ... وحاجة نفسي في نمير وعامرِ

وفي دوول يقول :

فأقسم لا يفارقني دؤول ... اجول بهِ اذا كثر الضرابُ

هذا ما حضرني من تسمية خيله في شعره وقد ذكرها. وكان لزيد الخيل ثلثة بنين كلهم يقول الشعر وهم عروة وحريث ومهلهل. ومن الناس من ينكر ان يكون لهُ من الولد الّا عروة وحريث. وهذا الشعر الذي فيهِ الغناء يقولهُ في فرس من خيله ظلع في بعض غزواته بني اسد فلم يتبع الخيلَ ووقف فاخذتهُ بنو الصيداء فصلح عندهم واستقل. وقيل بل اغزى عليهِ بعضَ بني نبهان فنكس عنهُ وأُخذ. وقيل انهُ خلفه في بعض احياء العرب ظالعًا ليستقل فاغارت عليهم بنو اسد فاخذوا الفرس فيما استاقوه لهم. فقال في ذلك زيد الخيل :

يا بني الصيداء ردوا فرسي ... انما يفعل هذا بالذليلْ
لا تذيلوهُ فاني لم اكن ... يا بني الصيدا لمهري بالمذيلْ
عوّدوه كالذي عودتهُ (١) ... دلج الليل وايطاء القتيلْ
احمل الزقّ على منسجه ... فيظل الضيف نشوانًا عيلْ

قال ابو عمرو الشيباني: وكان زيد الخيل ملحًا على بني اسد بغاراتهِ ثم على بني الصيداء منهم. ففيهم يقول :

ضجت بنو الصيداء من حربنا ... والحرب من يحلل بها يضجرِ
بتنا ترجي نحوهم ضمرًا ... معروفة الانساب من منسرِ
حتى صبحناهم بها غدوة ... نقتلهم قسرًا على ضمر
يدعون بالويل وقد مسهم ... منا غداة الشعب ذي الهيشرِ (٢)

---

(١) حدث اضبط بن الملوح قال: اني انشد حبيب بن خالد بن نضلة الفقعسي قول زيد الخيل: «عودوا مهري الذي عودتهُ». فضحك ثم قال: قولوا لهُ ان عودناه ما عودتهُ دفعناه الى اول من يلقانا وهربنا

(٢) الهيشر شجر كثير الشوك تأكلهُ الابل

ضرب يزيل الهام ذو مصدق   يعلو على البيضة والمغفرِ

اخبر حماد الراوية عن ابن ابي ليلى قال: انشدتني ليلى بنت عروة بن زيد الخيل الطائي شعر ابيها في يوم مِحجَن :

بني عامر هل تعرفون اذا غدا   ابو مكنف قد شدّ عقد الدوائرِ
بجيش تضلّ البلق في حجراته   ترى الاكم فيه سجّدًا للحوافرِ
وجمع كمثل الليل مرتجز الوغى   كثير حواشيه سريع البوادرِ

قالت ليلى فقلت لابي : يا ابه اشهدت ذلك اليوم مع ابيك. قال: اي والله يا بنية لقد شهدتهُ . قلت: كم كانت خيل ابيك هذه التي وصفت. قال: ثلثة افراس

نسخت من كتاب عمرو بن ابي عمرو الشيباني بخطهِ عن ابيهِ انّ زيد الخيل بن مهلهل جمع طيئًا واخلاطًا لهم وجموعًا من شذاذ العرب فغزا بهم بني عامر ومن جاورهم من قبائل العرب من قيس وسار اليهم فصبحهم من طلوع الشمس. فنذروا بهِ وفزعوا الى الخيل وركبوها. وكان اوّل من نذر بهم فلقي جمعهم غني بن اعصر واخوتهم الحرث وهم الطفاوة واسمهُ مالك بن سعد بن قيس بن عيلان. فاقتتلوا قتالًا شديدًا ثم انهزمت بنو عامر فاستحرّ القتل بغنيّ وفيهم يومئذٍ فرسان وشعراء فملأت ايديهم طيّ من غنائم تميم واسر زيد الخيل يومئذ الحطيئة الشاعر فجزّ ناصيتهُ واطلقهُ. ثم ان غنيًّا تجمعت بعد ذلك مع لفّ من بني عامر فغزوا طيئًا في ارضهم فغنموا وقتلوا وادركوا ثأرهم منهم. وقد كان زيد الخيل قال في وقعتهِ لبني عامر قصيدتهُ التي يقول فيها:

وخيبة من تخيب على غنيّ   وباهلة بن أعصر والكلابِ

فلما ادركوا ثأرهم اجابهُ طفيل الغنوي فقال :

سمونا بالجياد الى أعادٍ   مغاورة بجدٍّ واعتصابِ
نؤمّهمُ على رعب وشحط   بقود يطّلعنَ من النقابِ

وهي طويلة يقول فيها :

اخذنا بالخطم من اتاهم   من السود المزنّمة الرعابِ
وقتلنا سراتهم جهارًا   وجئنا بالسبايا والنهابِ
سبايا طيئ أبرزنَ قسرًا   وأبدانَ القصور من الشعابِ
سبايا طيئ من كل حيّ   بمن في الفرع منها والنصابِ
وما كانت بناتهم سبيًا   ولا رغبًا بعدُ من الرغابِ
ولا كانت دماؤهم وفاء   لنا فيما يعدّ من العقابِ

اخبرني الحسن بن يحيى قال: حدّثنا حماد بن اسحق عن ابيهِ قال: كان لزيد الخيل ابن يقال لهُ عروة وكان فارسًا شاعرًا. فشهد القادسيّة فحسن فيها بلاؤهُ وقال في ذلك يذكر حسن بلائهِ :

برزت لاهل القادسيّة معلمًا   وما كل من يغشى الكريهة يعلمُ
ويوم باكناف النخيلة قبلها   شهدت فلم ابرح أدمي واكلمُ
واقعصت منهم فارسًا بعد فارس   وما كل من يلقى الفوارس يسلمُ
ونجّانيَ اللهُ الاجلُّ وجيرتي   وسيف لاطراف المرازب مخذمُ
وايقنت يوم الديلميّين انني   متى ينصرف وجهي عن القوم يهزموا
فما رمتُ حتى مزّقوا برماحهم   ثيابي وحتى بلّ اخمصيَ الدمُ
محافظة اني امرؤ ذو حفيظة   اذا لم أجد مستأخرًا اتقدّمُ

(قال) وشهد مع عليّ بن ابي طالب رضي الله عنهُ صفّينَ وعاش

الى امارة معاوية . فأَرادهُ على البراءة من عليّ عليهِ السلام فامتنع عليهِ وقال :

يحاولني معاوية بن حربٍ   وليس الى الذي يهوى سبيلُ
على جحدي ابا حسنٍ عليًّا   وحظي من ابي حسن جليلُ

(قال) ولهُ اشعار كثيرة

قال مؤرّج : خرج رجل من طيء يقال لهُ دوّاب بن عبد الله الى صهر لهُ من هوازن . فأُصيب الرجل وكان شريفًا ذا رئاسة في حيّهِ . فبلغ ذلك زيدًا فركب في نبهان ومن تبعهُ من ولد الغوث واغار على بني عامر وجعل كلما اخذ اسيرًا قال لهُ : أَلك علم بالطائي المقتول . فان قال نعم قتلهُ وان قال لا خلّى سبيلهُ ومنّ عليهِ . وكان رجل من اصحاب بني الوحيد والضباب وبني نفيل . ثم رجع زيد الى قومهِ فقالوا : ما صنعت . فقال : ما اصبت بثأر دوّاب ولا يبوء بهِ الّا عامر بن مالك ملاعب الاسنّة فامّا ابن الطفيل فلا يبوء بهِ وانشأ زيد يقول :

لا ارى انّ بالقتيل قتيلًا   عامريًّا يفي بقتل دوّابِ
ليس من لاعب الاسنة في النقع م   وسمّي ملاعبًا بأَرابِ
عامر ليس عامر بن طفيل   لكن العمر رأس حيّ كلابِ
ذاك ان القَهُ انال بهِ الوتر م   وقرّت بهِ عيون الصحابِ
او يفتني فقد سبقت بوتر   مذحجيّ وجدّ قومي كثابِ
قد تقنصت للضباب رجالًا   وتكرمت عن دماء الضبابِ
واصبنا من الوحيد رجالًا   ونفيل فما اساغوا شرابي

فبلغ عامر بن الطفيل قول زيد الخيل وشعرهُ فاغضبهُ وقال مجيبًا لهُ :

قل لزيد قد كنت تؤثر بالحلم م   اذا سفهت حلوم الرجالِ
ليس هذا القتيل من سلف الحي م   كلاع ويحصب وكلالِ
او بني آكل المرار ولا صيد م   بني جفنة الملوك الطوالِ
وابن ماء السماء قد علم الناس م   ولا خير في مقالة غالِ
انّ في قتل عامر بن طفيل   لبواءٌ لطيّء الاجبالِ
انني والذي يحجّ لهُ الناس م   قليل في عامر الامثالِ
يوم لا مال للمحارب في الحرب م   سوى نصل اسمر عسّالِ
ولجام في رأس اجود كالجذع م   طوال وابيض قصّالِ
ودلاص كالنهي ذات فضول   ذاك في حلبة الحوادث مالي
ولعمّي فضل الرئاسة والسنّ م   وجدّ على هوازن عالِ
غير اني اولى هوازن في الحرب م   بضرب المتوّج المختالِ
وبطعن الكمي في حمس النقع م   على متن هيكل جوّالِ

قال ابو عمرو الشيباني : لما بلغ زيد الخيل ما كان من الحرث بن ظالم وعمرو بن الاطنابة الخزرجي وهجائهِ اياه غضب زيد لذلك فأَغار على بني مرّة بن غطفان فأَسر الحرث بن ظالم وامرأَتهُ في غارتهِ ثم منّ عليهما . وقال يذكر ذلك :

أَلا هل اتى غوثًا ورومان اننا   صبحنا بني ذبيان احدى العظائمِ
وسقنا نساء الحي مرّة بالقنا   وبالخيل تردي قد حوينا ابن ظالمِ
جنيبًا لاعضاد النواجي يقدنهُ   على تعب بين النواجي الرواسمِ
يقول اقبلوا مني الفداء وانعموا   عليّ وجزوني مكان القوادمِ
وسائل بنا جار ابن عوف فقد رأى   حليلتَهُ جالت عليها مقاسمي

تلاعب وحدان العضاريط بعد ما   جلاها بسهميهِ لقيط بن حازمِ
اغرّك ان قيل ابن عوف ولا ارى   عزيك الّا واهيًا في العزائمِ
غداة سبينا من خفاجة سبيها   ومرّت لهم منّا نحوسُ الاشائمِ
فمن مبلغ عني الخوارج غارة   على حيّ عوف موجفًا غير نائمِ

وقال ابو عمرو: أغار زيد على بني فزارة وبني عبد الله بن غطفان ورئيسهم يومئذٍ ابو ضبّ ومع زيد الخيل من بني نبهان بطنان يقال لهما بنو نصر وبنو مالك. فأصاب وغنم وساقوا الغنيمة وانتهى الى العلم فاقتسموا النهاب. فقال لهم زيد: اعطوني حقّ الرئاسة. فأعطاه بنو نصر وأبى بنو مالك. فغضب زيد وانحدر الى بني نصر. فبينا بنو مالك يقتسمون اذ غشيتهم فزارة وغطفان وهم حلفاء فاستنقذوا ما بايديهم. فلما رأى زيد ذلك شدّ على القوم فقتل رئيسهم أبا ضبّ وأخذ ما في ايديهم فدفعهُ الى بني مالك وكانوا نادوه يومئذٍ: يا زيداه أغثنا. فكرّ على القوم حتى استنقذ ما في ايديهم وردّهُ. وقال يذكر ذلك:

كررت على ابطال سعد ومالك   ومن يدع الداعي اذا هو ندّدا
فلأيًا كررت الورد حتى رأيتهم   يكبون في الصحراء مثنًى وموحدا
وحتى نبذتم بالصعيد رماحكم   وقد ظهرت دعوى زنيم واسعدا
فما زلت ارميهم بغرّة وجههِ   وبالسيف حتى كلّ تحتي وبلّدا
اذا شكّ اطراف العوالي لبانهُ   اقدّمهُ حتى يرى الموت اسودا
علالتها بالامس ما قد علمتمُ   وعلى الجواري بيننا ان تُسهّدا
لقد علمت نبهان اني حميتها   واني منعت السبي ان يتبددا
عشية غادرت ابن ضبّ كانما   هوى عن عقاب من شماريخ صنددا

بذي شطب اغشى الكتيبة سلهب   اقبّ كسرحان الظلام معوّدا

قال ابو عمرو: وخرج زيد الخيل يطلب نعمًا لهُ من بني بدر وأغار عامر بن الطفيل على بني فزارة فأخذ امرأة يقال لها هند واستاق نعمًا لهم. فقالت بنو بدر لزيد: ما كنّا قط الى نعمك احوج منا اليوم. فتبعهُ زيد الخيل وقد مضى وعامر يقول: يا هند ما ظنّك بالقوم. فقالت: ظني بهم انهم سيطلبونك وليسوا نيامًا عنك. (قال) فأدركهُ زيد الخيل. فنظر الى عامر فانكرهُ لعظمهِ وجمالهِ. وغشيه زيد فبرز لهُ عامر. فقال: يا عامر: خلّ سبيل الظعينة والنعم. فقال عامر: من انت. قال: فزاري انا. قال عامر: والله ما انت من القُلح افواهًا. فقال زيد: خلّ عنها. قال: لا أو تخبرني من انت. قال: اسديّ. قال: لا والله ما انت من المتكوّرين على ظهور الخيل. قال: خلّ سبيلها. قال: لا والله أو تخبرني فأصدقني. قال: أنا زيد الخيل. قال: صدقت فما تريد من قتالي فوالله لئن قتلتني لتطلبنّك بنو عامر ولتذهبنّ بنو فزارة بالذكر. فقال لهُ زيد: خلّ عنها. قال: تخلّي عني وأدعك والظعينة والنعم. قال: فاستأسر. قال: أفعل. فجزّ ناصيتهُ وأخذ رمحهُ وأخذ هندًا والنعم فردّها الى بني بدر. وقال في ذلك:

انا لنكثر في قيس وقائعنا   وفي تميم وهذا الحيّ من اسدِ
وعامر بن طفيل قد نحوت لهُ   صدر القناة بماضي الحدّ مطردِ
لما أحس بانّ الورد مدركهُ   وصارمًا وربيط الجأش ذا لبدِ
نادى اليّ بسلم بعد ما أخذت   منهُ المنية بالحيزوم واللغدِ
ولو تصبر لي حتى اخالطهُ   اسعرتهُ طعنة كالنار بالزندِ

(قال) فانطلق عامر الى قومهِ مجزوزًا وأخبرهم الخبر. فغضبوا لذلك وقالوا:

لا ترأسنا ابدًا . وتجهزوا ليغيروا على طيءٍ ورأسوا عليهم علقمة بن علاثة . فخرجوا ومعهم الحطيئة وكعب بن زهير . فبعث عامر الى زيد الخيل دسيسًا ينذرهُ . فجمع قيس قومهُ فلقيهم بالمضيق فقاتلهم فأسر الحطيئة وكعب بن زهير وقومًا منهم فحبسهم . فلما طال عليهم الاسر قالوا : يا زيد فادِنا . قال : الامر الى عامر بن الطفيل . فأبوا ذلك عليهِ . فوهبهم لعامر الّا الحطيئة وكعبًا . فأعطاه كعب فرسهُ الكميت . وشكا الحطيئة الحاجة فمنَّ عليهِ . فقال زيد :

أقول لعبدي جرول اذ اسرتهُ   أثبني ولا يغررك انك شاعرُ
أنا الفارس الحامي الحقيقة والذي   لهُ المكرمات واللهى والمآثرُ
وقومي رؤوس الناس والرأس قائد   اذا الحرب شبتها الأكفُّ المساعرُ
فلست اذا ما الموت حوذر ورده   وأترع حوضاهُ وحمّج ناظرُ
بوقّافة يخشى الحتوف تهيبًا   يباعدني عنها من القبِّ ضامرُ
ولكنني أغشى الحتوف بصعدتي   مجاهرة ان الكريم يجاهرُ
وأروي سناني من دماء عزيزة   على اهلها اذ لا تُرجّى الاياصرُ

فقال الحطيئة لزيد :

ان لم يكن مالي بآتٍ فانني   سيأتي ثنائي زيدًا بن مهلهل
فأعطيت منا الودَّ يوم لقيتنا   ومن آل بدر شدَّة لم تهللِ
فما نلتنا غدرًا ولكن صبحتنا   غداة التقينا في المضيق باحبلِ
تفادى حماة الخيل من وقع رمحهِ   تفادي ضعاف الطير من وقع اجدلِ

وقال فيهِ الحطيئة ايضًا :

وقعت بعبس ثم انعمت فيهم   ومن آل بدر قد اصبت الاخايرا
فان يشكروا فالشكر ادنى الى التقى   وان يكفروا لا ألفَ يا زيد كافرا

تركت المياه من تميم بلاقعًا   بما قد ترى منهم حلولًا كراكرا
وحيّ سليم قد أثرت شريدهم   ولا تنس ما قتلت يا زيد عامرا

فرضي عنهُ زيد ومنَّ عليهِ لما قال هذا فيهِ وعدَّ ذلك ثوابًا من الحطيئة وقبلهُ . فلما رجع الحطيئة الى قومهِ قام فيهم حامدًا لزيد شاكرًا لنعمتهِ حتى اسرت طيءٌ بني بدر فطلبت فزارة وافناء قيس الى شعراء العرب ان يهجوا بني لام وزيدًا . فتحاماهم شعراء العرب وامتنعت من هجائهم . فصاروا الى الحطيئة . فأبى عليهم وقال : اطلبوا غيري فقد حقن دمي واطلقني بغير فداء فلست بكافر نعمته ابدًا . قالوا : فانّا نعطيك مائة ناقة . قال : والله لو جعلتموها الفًا ما فعلت ذلك . وقال الحطيئة :

كيف الهجاء وما تنفكُّ صالحة   من آل لام بظهر الغيب تأتينا
المنعمين اقام العزّ وسطهمُ   بيض الوجوه وفي الهيجا مطاعينا

وقد اخبرنا ابو خليفة عن محمد بن سلام قال : خرج بجير بن زهير والحطيئة ورجل من فزارة يتقنصون الوحش . فلقيهم زيد الخيل فأسرهم فافتدى بجير نفسهُ بفرس كان لكعب اخيهِ وكعب يومئذٍ مجاور في بني ملقط من طيءٍ وشكا اليهِ الحطيئة الفاقة فاطلقهُ . وقال ابو عمرو : غزت بنو نبهان فزارة وهم متساندون ومعهم زيد الخيل فاقتتلوا قتالًا شديدًا ثم انهزمت فزارة وساقت بنو نبهان الغنائم من النساء والصبيان . ثم ان فزارة حشدت واستعانت باحياء من قيس وفيهم رجل من سليم شديد البأس سيد يقال لهُ عباس بن انس الرعلي كانت بنو سليم قد ارادوا عقد التاج على رأسهِ في الجاهلية . فحسدهُ ابن عمّ لهُ فلطم عينهُ . فخرج عباس من اعمال بني سليم في عدَّة من اهل بيتهِ وقومهِ فنزل في بني فزارة وكان معهم يومئذٍ ولم يكن لزيد المرباع

حينئذٍ . وأدركت فزارة بني نبهان فاقتتلوا قتالًا شديدًا . فلما رأى زيد ما لقيت بنو نبهان نادى : يا بني نبهان أأحمل ولي المرباع . قالوا : نعم . فشدَّ على بني سليم فهزمهم واخذ امَّ الاسود امرأة عباس بن انس ثم شدَّ على فزارة والاخلاط فهزمهم وقال في ذلك :

ألا ودَّعت جيرانَها امُّ اسودا   وضنَّت على ذي حاجة ان يزوَّدا
وابغض اخلاق النساء اشدَّهُ   اليَّ فلا تولنَّ اهلي تشددا
وسائل بني نبهان عنّا وعندهم   بلاءٌ كحدِّ السيف اذ قطع اليدا
دعوا مالكًا ثم اتصلنا بمالك   فكان ذكا مصباحه فتوقدا
وبشر بن عمرو قد تركنا مجندلًا   ينوء بخطار هناك ومعبدا
تمطت بهِ قوداء ذات علالة   اذا الصلدم الخنذيذ اعيا وبلَّدا
لقيناهم تستنقذ الخيل كالقنا   ويستسبلون السمهريَّ المقصدا
فيا ربَّ قدر قد كفأنا وجفنة   بذي الرمث اذ يدعون مثنًى وموحدا
على انني اثوي سناني وصعدتي   بساقين زيدًا ان يبوء ومعبدا

وقال ابو عمرو : وقعت حرب بين اخلاط طيّ . فنهاهم زيد عن ذلك وكرههُ فلم ينتهوا . فاعتزل وجاور بني تميم ونزل على قيس بن عاصم . فغزت بنو تميم بكر بن وائل وعليهم قيس وزيد معهُ فاقتتلوا قتالًا شديدًا وزيد كافٌ . فلما رأى ما لقيت تميم ركب فرسهُ وحمل على القوم وجعل يدعو : يا لتميم . ويتكنى بكنية قيس اذا قتل رجلًا او اذراه عن فرسهِ أو هزم ناحية . حتى هزمت بكر وظفرت تميم فصارت فخرًا لهم في العرب . وافتخر بها قيس . فلما قدموا قال لهُ زيد : اقسم لي يا قيس نصيبي . فقال : وأيُّ نصيب فوالله ما ولي القتال غيري وغير اصحابي . فقال زيد :



ألا هل اتاها والاحاديث جمة   مغلغلة انباء جيش اللهازمِ
فلست بوقاف اذا الخيل احجمت   ولست بكذاب كقيس بن عاصمِ
تخبر من لاقيت ان قد هزمتهم   ولم تدر ما سيماهمُ والعمائمُ
بل الفارس الطائي فضَّ جموعهم   ومكة والبيت الذي عند هاشمِ
اذا ما دعوا عجلًا عجلنا عليهم   بمأثورة تشفي صداع الجماجمِ

فبلغ المكشر بن حنظلة العجلي أحد بني سنان قول زيد فخرج في ناس من عجل حتى أغار على بني نبهان فأخذ من نعمهم ما شاء . وبلغ ذلك زيد الخيل فخرج على فرسهِ في فوارس من نبهان حتى اعترض القوم فقال : ما لي ولك يا مكشر . فقال : قولك : « اذا ما دعوا عجلًا عجلنا عليهم » فقاتلهم زيد حتى استنقذ بعض ما كان في ايديهم . ورجع المكشر ببقية ما أصاب . فأغار زيد على بني تيم الله بن ثعلبة . فغنم وسبى . وقال في ذلك :

اذا عركت عجلٌ بنا ذنب غيرنا   عركنا بتيم اللات ذنب بني عجلِ

وقال أبو عمرو : كان حريث بن زيد الخيل شاعرًا فبعث عمر بن الخطاب رجلًا من قريش يقال لهُ ابو سفيان يستقرئ اهل البادية فمن لم يقرأ شيئًا من القرآن عاقبهُ . فأقبل حتى نزل بمحلَّة بني نبهان فاستقرأ ابن عمٍّ لزيد الخيل يقال لهُ اوس بن خالد بن زيد بن مهيب . فلم يقرأ شيئًا . فضربهُ فمات . فاقامت بنتهُ ام اوس تندبهُ . واقبل حريث بن زيد الخيل فأخبرتهُ . فأخذ الرمح فشدَّ على ابي سفيان فطعنهُ فقتلهُ وقتل ناسًا من اصحابهِ ثم هرب الى الشام . وقال في ذلك :

الا بكر الناعي باوس بن خالدٍ   اخي الشتوة الغبراء والزمن المحلِ
فلا تجزعي يا امَّ اوس فانهُ   يلاقي المنايا كل حافٍ وذي نعلِ

فان يقتلوا اوساً عزيزاً فانني   تركت ابا سفيان ملتزم الرحلِ
ولولا الأسى ماعشت في الناس بعده   ولكن اذا ما شئت جاوبني مثلي
أصبنا بهِ من خيرة القوم سبعة   كراماً ولم نأكل بهِ حَشَفَ النخلِ

السُّلَيك بن السُّلَكَة

هو السليك بن عمرو وقيل بن عمير بن يثربي أحد بني مقاعس وهو الحرث بن عمرو بن كعب بن سعد مناة بن تميم . والسلكة أُمّهُ وهي أمة سوداء . وهو احد صعاليك العرب العدَّائين الذين كانوا لا يُلحقون ولا تعلق بهم الخيل اذا عدوا وهم السليك بن السلكة والشنفرى وتأبَّط شرًّا وعمرو بن برَّاق ونفيل بن براقة

حدَّث المنتجع بن نبهان قال : كان السليك بن عمير السعدي اذا كان الشتاء استودع ببيض النعام ماءَ السماء ثم دفنهُ . فاذا كان الصيف وانقطعت اغارة الخيل اغار وكان ادلَّ من قطاة يجيء حتى يقف على البيضة وكان لا يغير على مُضر وانما يغير على اليمن فاذا لم يمكنهُ ذلك اغار على ربيعة . وقال المفضل في روايتهِ : وكان السليك من اشد رجال العرب وانكرهم واشعرهم وكانت العرب تدعوه سليك المقانب . وكان أَدلَّ الناس بالارض واعلمهم بمسالكها واشدهم عدواً على رجليهِ لا تعلق بهِ الخيل وكان يقول : اللهمَّ انك تهيّئ ما شئت لما شئت اذا شئت . اللهمَّ اني لو كنت ضعيفاً كنت عبداً ولو

كنت امرأة كنت أمة . اللهمَّ اني اعوذ بك من الخيبة فاما الهيبة فلا هيبة . فذكروا انهُ أملق حتى لم يبقَ لهُ شيء فخرج على رجليهِ رجاء ان يصيب غرَّة من بعض من يمرّ بهِ فيذهب بابلهِ حتى امسى في ليلة من ليالي الشتاء باردة مقمرة فاشتمل الصماء (١) ثم نام . فبينا هو نائم اذ جثم رجل فقعد على جنبهِ فقال : استأسر . فرفع السليك اليه رأسهُ وقال : الليل طويل وانت مقمر فارسلها مثلاً . فجعل الرجل يلهزهُ ويقول : يا خبيث استأسر . فلما اذاه بذلك اخرج السليك يدهُ فضمَّ الرجل اليهِ ضمة صرخ منها ثم قال : من انت . فقال : انا رجل افتقرت فقلت : لاخرجنَّ فلا ارجع الى اهلي حتى استغني فآتيهم وانا غني قال : انطلق معي . فانطلقا فوجدا رجلاً قصتهُ مثل قصتهما فاصطحبوا جميعاً حتى اتوا الجوف جوف مراد . فلما اشرفوا عليهِ اذا فيهِ نعم قد ملأَ كل شيء من كثرتهِ فهابوا ان يغيروا فيطردوا بعضها فيلحقهم الطلب . فقال لهما سليك : كونا قريباً مني حتى آتي الرعاء فاعلم لكما علم الحي أقريب ام بعيد فان كانوا قريباً رجعت اليكما وان كانوا بعيداً قلت لكما قولاً اومئ اليكما بهِ فأغيرا . فانطلق حتى اتى الرعاء فلم يزل يتسقطهم حتى اخبروه بمكان الحي . فاذا هم بعيد إن طُلبوا لم يُدركوا . فقال السليك للرعاء : ألا اغنيكم . فقالوا : بلى غنّنا . فرفع صوته وغنى :

يا صاحبيَّ ألا لاحيَّ بالوادي   سوى عبيد وآمٍ بين اذوادِ
اتنظران قريباً ريث غفلتهم   ام تعدوان فانَّ الريح للغادي

فلما سمعا ذلك اتيا السليك فاطردوا الابل فذهبوا بها . ولم يبلغ الصريخ الحي حتى فاتوهم بالابل . قال المفضل : وزعموا ان سليكاً خرج ومعهُ رجلان من بني

(١) اشتمال الصماء ان يردَّ فضلة ثوبهِ على عضده اليمنى ثم ينام عليها

الحرث بن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم يقال لهما عمرو وعاصم وهو يريد الغارة . فمرّ على حيّ بني شيبان في ربيع والناس مخصبون في عشية فيها ضباب ومطر . فاذا هو ببيت قد انفرد من البيوت وقد امسى . فقال لاصحابه : كونوا بمكان كذا حتى آتي اهل هذا البيت فعلي ان اصيب لكم خيرًا او آتيكم بطعام . قالوا : افعل . فانطلق وقد امسى وجنّ عليه الليل . فاذا البيت بيت رويم وهو جدّ حوشب بن يزيد بن رويم واذا الشيخ وامرأته بفناء البيت . فاتى السليك البيت من مؤخره فدخله . فلم يلبث ان راح ابنهُ بابله فلما اراحها غضب الشيخ وقال لابنه : هلاّ عشيتها ساعة من الليل . فقال لهُ ابنهُ : انها أبت العشاء . فقال : العاشية تهيج الآبية فأرسلها مثلًا . ثم غضب الشيخ ونفض ثوبهُ في وجهها فرجعت الى مراتعها ومعها الشيخ حتى مالت بادنى روضة فرتعت وجلس الشيخ عندها لتتعشى وغطى وجههُ بثوبه من البرد . وتبعهُ سليك . فلما وجد الشيخ مفترًا استلّهُ من ردائه فضربهُ فاطار رأسهُ وصاح بالابل فطردها . فلم يشعر صاحباه وقد ساء ظنهما وتخوّفا عليه حتى اذا هما بالسليك يطردها فطردها معهُ . وقال سليك في ذلك :

وعاشية راحت بطانًا ذعرتها ... بسوط قتيل وسطها يتسيفُ
كأن عليه لون برد محبّرِ ... اذا ما أتاهُ صارم يتلهفُ
فبات لهُ اهل خلاء فناؤهم ... ومرّت بهم طير فلم يتعيفوا
وباتوا يظنون الظنون وصحبتي ... اذا ما علوا نشزًا اهلوا واوجفوا
وما نلتها حتى تصعلكت حقبة ... وكدت لاسباب المنية اعرفُ
وحتى رأيت الجوع بالصيف ضرّني ... اذا قمت تغشاني ظلال فأسدفُ

وقال الاثرم في روايته عن ابي عبيدة : خرج سليك في الشهر الحرام

حتى اتى عكاظ . فلما اجتمع الناس القى ثيابهُ ثم خرج متفضلًا مترجلًا فجعل يطوف بين الناس ويقول : من يصف لي منازل قومه واصف لهُ منازل قومي . فلقيهُ قيس بن مكشوح المرادي فقال : انا اصف لك منازل قومي وصف لي منازل قومك . فتواقفا وتعاهدا ان لا يتكاذبا . فقال قيس بن المكشوح : خُذ بين مهبّ الجنوب والصبا ثم سِرْ حتى لا تدري اين ظلّ الشجرة . فاذا انقطعت المياه فسرْ اربعًا حتى تبدو لك رملة وقفٌ بينها الطريق فانك ترد على قومي مراد وخثعم . فقال السليك : خذ بين مطلع سهيل ويد الجوزاء اليسرى العاقد لها من افق السماء . فثمّ منازل قومي بني سعد بن زيد مناة . فانطلق قيس الى قومه فاخبرهم الخبر . فقال ابوهُ المكشوح : ثكلتك امُّك هل تدري من لقيت . قال : لقيت رجلًا فضلًا كأنما خرج من اهله . فقال : هو والله سليك بن سعد . فاستعلق السليك قومهُ فخرج احماس بين بني سعد وبني عبد سميع . وكان في الربيع يعمد الى بيض النعام فيملؤهُ من الماء ويدفنهُ في طريق اليمن في المفاوز . فاذا غزا في الصيف مرّ به فاستأثرهُ . فمرّ باصحابه حتى اذا انقطعت عنهم المياه قالوا : يا سليك اهلكتنا ويحك . قال : قد بلغتم الماء ما اقربكم منهُ . حتى اذا انتهى الى قريب من المكان الذي خبأ الماء فيه طلبهُ فلم يجدهُ . وجعل يتردّد في طلبه . فقال بعض اصحابه لبعض : اين يقودكم هذا العبد قد والله هلكتم . وسمع ذلك ثم اصاب بعد ما ساء ظنهم فهمّ السليك بقتل بعضهم ثم امسك . فانصرفت عنهم بنو عبد شمس في طوائف من بني سعد . (قال) ومضى السليك في بني مقاعس ومعهُ رجل من بني حرام يقال لهُ صرد . فلما رأى اصحابهُ قد انصرفوا بكى . ومضى به السليك حتى اذا دنوا من بلاد خثعم ضلّت ناقة صرد في جوف الليل . فخرج في طلبها .

فاصابهُ أناس حين اصبح فاذا هم مراد وخثعم فاسروه . ولحقوا السليك فاقتتلوا قتالًا شديدًا . وكان اوَّل من لقيهُ قيس بن مكشوح . فاسرهُ السليك بعد ان ضربهُ ضربةً اشرفت على نفسهِ . واصاب من نعمهم ما عجز عنهُ هو واصحابهُ . واصاب امّ حرف بنت عوف بن يربوع الخثعمية يومئذٍ . واستنقذ صردًا من ايدي خثعم . ثم انصرف مسرعًا فلحق باصحابهِ الذين انصرفوا عنهُ قبل ان يصلوا الى الحيّ وهم اكثر من الذين شهدوا معهُ . فقسمها بينهم على سهام الذين شهدوا . وقال السليك في ذلك :

بكى صرد لما رأى الحي اعرضت ... مهامه رمل دونهم وسهوبُ
وخوَّفهُ ريب الزمان وفقره ... بلاد عدوّ حاضر وجدوبُ
ونأي بعيد عن بلاد مقاعس ... وانّ مخاريق الامور تريبُ
فقلت لهُ لا تبكِ عينك انها ... قضية ما يقضى لها فتؤوبُ
سيكفيك فقد الحي لحم مغرَّض ... وماء قدور في الجفان مشوبُ
ألم ترَ انّ الدهر لونان لونهُ ... وطوران بشر مرَّة وكذوبُ
فيا خير من لا يرتجي خير اوبة ... ويخشى عليهِ مرية وحروبُ
رددت عليهِ نفسهُ فكانما ... تلاقى عليهِ منسر وسروبُ
فما ذرَّ قرن الشمس حتى رأيتهُ ... مصاد المنايا والغبار يثوبُ
وضاربت عنهُ القوم حتى كانما ... يصعّد في آثارهم ويصوبُ
وقلت لهُ خذ هجمة جبرية ... واهلًا ولا يبعد عليك شروبُ
وليلة جابان كررت عليهم ... على ساحة فيها الاياب حبيبُ
عشية كدت بالحراميّ ناقة ... بحيِّ هلًا تُدعى بهِ فتجيبُ

فضاربت اولى الخيل حتى كأنما ... أُميل عليها ايدع وصبيبُ (١)

قال ابو عبيدة : وبلغني ان السليك بن السلكة رأتهُ طلائع جيش لبكر بن وائل وكانوا جازوا منحدرين ليغيروا على بني تميم ولا يعلم بهم احد فقالوا : ان علم السليك بنا انذر قومهُ . فبعثوا اليهِ فارسين على جوادين . فلما هايجاه خرج يمحص كانهُ ظبي وطارداه سحابة يومهِ ثم قالا : اذا كان الليل اعيا ثم سقط او قصر عن العدو فنأخذهُ . فلما اصبحا وجدا اثره قد عثر باصل شجرة فتبرأ عنها وندرت قوسه فانحطمت فوجدا قصدة منها قد ارتزّت بالارض فقالا : ما لهُ اخزاهُ الله ما اشدَّهُ . وهمّا بالرجوع . ثم قالا : لعلّ هذا كان من اوَّل الليل ثم فتر . فتبعاه فاذا اثرهُ متفاجًا قد بال في الارض وجدّ . فقالا : ما لهُ قاتلهُ الله ما اشدّ متنهُ والله لا نتبعهُ ابدًا . فانصرفا وتمّ الى قومهِ وأنذرهم فكذبوهُ لبعد الغاية . فانشأ يقول :

يكذبني العمران عمرو بن جندب ... وعمرو بن سعد والمكذب اكذبُ
ثكلتكما ان لم اكن قد رأيتها ... كراديس يهديها الى الحيّ موكبُ
كراديس فيها الحوفزان وقومهُ (٢) ... فوارس همام متى يدعُ يركبوا

(قال) وجاء الجيش فأغاروا على جمعهم .

وقال ابو عبيدة : اغار السليك على بني عوارا بطن من بني مالك بن ضبيعة فلم يظفر منهم بفائدة . وارادوا مساورته . فقال شيخ منهم : انهُ اذا عدا لم يتعلق بهِ شيءٌ فدعوه حتى يردَ الماء فاذا شرب وثقل لم يستطع العدو وظفرتم بهِ . فأمهلوه حتى ورد الماء وشرب ثم بادروه . فلما علم انهُ مأخوذ

(١) الايدع دم الاخوين . والصبيب الحناء
(٢) الحوفزان ابن شريك الشيباني

جاملهم وقصد لادنى بيوتهم حتى ولج على امرأة منهم يقال لها فكيهة فاستجار بها . فمنعتهُ وجعلتهُ تحت درعها واخترطت السيف وقامت دونهُ . فكاثروها فكشفت خمارها عن شعرها رصاحت باخوتها . فجاءوها ودفعوا عنهُ حتى نجا من القتل . فقال السليك في ذلك :

لعمر ابيك والانباء تنمى — لنعم الجار اخت بني عوارا
من الخفرات لم تفضح اباها — ولم ترفع لاخوتها شنارا (١)
وما عجزت فكيهة يوم قامت — بنصل السيف واستلبوا الخمارا

ثم قدم بعد ذلك على بني كنانة وهو شيخ كبير وهم بناء لهم يقال لهُ قُباقب خلف البشر . فاتاه نعمان بابنيهِ الحكم وعثمان وهما سيدا بني كنانة ونائلة ابنته فقال : هذان وهذه لك وما املك غيرهم . فقالوا : صدق . فقال : قد شكرت لك وقد رددتهم عليك . فجمعت لهُ بنو كنانة ابلاً عظيمة فدفعوها اليه ثم

---

(١) اخبر اليزيدي عن عمهِ قال : كان ابرهيم بن سعدان يؤدّب ولد علي بن هشام وكان يغني بالعود تادباً ولعباً . (قال) فوجه اليَّ يوماً علي بن هشام يدعوني . فدخلت فاذا بين يديهِ امراة مكشوفة الراس تلاعبهُ بالنرد . فرجعت عجلاً . فصاح بي : ادخل . فدخلت فاذا بين ايديهما نبيذ يشربان منهُ . فقال : خذ عوداً وغنِّ لنا . ففعلت ثم غنيت في وسط غنائي :

من الخفرات لم تفضح اباها — ولم ترفع لاخوتها شنارا

فوثبتْ من بين يديهِ وغطت راسها وقالت : اني اشهد الله اني تائبة اليهِ ولا افضح ابي ولا ارفع لاخوتي شناراً . ففتر علي بن هشام ولم ينطق وخرجت من حضرتهِ . فقال لي : ويلك من اين صبك الله عليَّ . هذه مغنية ببغداد وانا في طلبها منذ سنة لم اقدر عليها الّا اليوم فجئتني بهذا الصوت حتى هربتْ . فقلت : والله ما اعتمدت مساءتك ولكنه شيءٌ خطر على غير تعمد

قالوا لهُ : ان رأيت ان ترينا بعض ما بقي من احضارك . قال : نعم وابغوني اربعين شاباً وابغوني درعاً ثقيلة . فأتوه بذلك . فلبس الدرع وقال للشبان : الحقوا بي ان شئتم . وعدا فلاث العدو لوثاً . وعدوا جنبته فلم يلحقوه الّا قليلاً . ثم غاب عنهم وكرَّ حتى عاد الى الحيّ هو وحدهُ يحضر والدرع في عنقهِ تضرب كانها خرقة من شدّة احضاره

تأبّط شرًّا

هو ثابت بن جابر بن سفيان وتأبّط شرًّا لقب لقب بهِ . ذكر الرواة ان امهُ قالت لهُ : كل اخوتك ياتيني بشيءٍ اذا راح غيرك . فقال لها : سآتيك الليلة بشيءٍ . ومضى فصاد افاعي كثيرة من اكبر ما قدر عليهِ . فلما راح اتى بهنَّ في جراب متأبطاً بهِ فالقاه بين يديها . ففتحتهُ فتساعينَ في بيتها . فوثبت وخرجت . فقال لها نساء الحي : ماذا اتاك بهِ ثابت . فقالت : اتاني بافاعي في جراب . وقلنَ : وكيف حملها قالت : تأبطها . قلن : لقد تأبّط شرًّا . فلزمهُ تأبّط شرًّا

اخبرني عمي عن الحزنبل عن عمرو بن ابي عمرو الشيباني قال : نزلت على حي من فهم اخوة عدوان من قيس فسألتهم عن خبر تأبّط شرًّا . فقال لي بعضهم : وما سؤالك عنهُ أتريد ان تكون لصًّا . قلت : لا ولكن اريد ان اعرف اخبار هولاء العدّائين فأتحدث بها . فقالوا : نحدّثك بخبره . انّ تابط شرًّا كان اعدى ذي رجلين وذي ساقين وذي عينين . وكان اذا جاع لم تقم لهُ قائمة فكان ينظر الى الظباء فينتقي على نظره أسمنها ثم يجري خلفهُ فلا يفوتهُ حتى ياخذهُ فيذبحهُ بسيفهِ ثم يشويه فيأكلهُ . وانما سمي تابط شرًّا

لانهُ فيما حُكي لنا لقي الغول في ليلة ظلماء في موضع يقال لهُ رحى بطان في بلاد هذيل فأخذت عليهِ الطريق فلم يزل بها حتى قتلها وبات عليها. فلما اصبح حملها تحت ابطهِ وجاء بها الى اصحابهِ. فقالوا لهُ: لقد تأبَّط شرًّا (١). فقال في ذلك:

تأبَّط شرًّا ثم راح او اغتدى   يوائم غنمًا او يسيف على ذحل (٢)

وقال ايضًا في ذلك:

ألا من مبلغ فتيان فهم   بما لاقيت عند رحى بطانِ
واني قد لقيت الغول تهوي   بسهب كالصحيفة صحصحانِ
فقلت لها كلانا نضوُ أينٍ   اخو سفر فخلّي لي مكاني
فشدَّت شدَّة نحوي فأهوى   لها كفي بمصقول يمانِي
فاضربها بلا دهش فخرَّت   صريعًا لليدين وللجرانِ
فقالت عُدْ فقلت لها رويدًا   مكانكِ انني ثبت الجنانِ
فلم انفكَّ متكئًا عليها   لانظر مصبحًا ماذا اتاني
اذا عينان في رأس قبيح   كرأس الهرّ مشقوق اللسانِ
وساقا مخدجٍ وشواة كلب   وثوب من عباء أو شنانِ

(قال) حمزة ولقي تأبَّط شرًّا ذات يوم رجلًا من ثقيف يقال لهُ ابو وهب كان جبانًا اهوج وعليه حلَّة جيدة. فقال ابو وهب لتأبَّط شرًّا: بمَ تغلب الرجال يا ثابت وانت كما أرى دميم ضئيل. قال: باسمي. انما اقول ساعة ما

(١) ومن ذكر انه انما جاء بالغول يحتجّ بكثرة اشعاره في هذا المعنى فانه يصف لقاءه اياها في شعره كثيرًا

(٢) يوائم يوافق. ويسيف يعتدي

القى الرجل: انا تأبَّط شرًّا فينخلع قلبهُ حتى انال منهُ ما اردت. فقال لهُ الثقفي: أَقَطْ. قال: قط. قال: فهل لك ان تبيعني اسمك. قال: نعم. قال: فبمَ تبتاعهُ. قال: بهذه الحلة وبكنيتي. قال لهُ: افعل. ففعل. وقال لهُ تأبَّط شرًّا: لك اسمي ولي كنيتك. واخذ حلتهُ واعطاه طمريه. ثم انصرف. وقال في ذلك يخاطب زوجة الثقفيّ:

ألا هل اتى الحسناء انَّ حليلها   تأبَّط شرًّا واكتنيت ابا وهبِ
فهبهُ تسمَّى اسمي وسمّيت باسمهِ   فاين لهُ صبري على معظم الخطبِ
وأين لهُ بأس كبأسي وسورتي   واين لهُ في كل فادحة قلبي

اخبر ابو بركة الاشجعي قال: اغار تأبَّط شرًّا ومعهُ ابن برّاق الفهميّ على بجيلة. فاطردا لهم نعمًا. ونذرت بهما بجيلة فخرجت في آثارهما. ومضيا هاربين في جبال السراة وركبا الحزن. وعارضتهما بجيلة في السهل فسبقوهما الى الوهط وهو ماء لعمرو بن العاص بالطائف فدخلوا لهما في قصبة العين. وجاءا وقد بلغ العطش منهما الى العين. فلما وقفا عليها قال تأبَّط شرًّا لابن برّاق: أَقِلَّ من الشرب فانها ليلة طرد. قال: وما يدريك: قال: والذي اعدو بطيرهِ اني لاسمع وجيب قلوب الرجال تحت قدمي. وكان من اسمع العرب واكيدهم. فقال لهُ ابن برّاق: ذلك وجيب قلبك. فقال لهُ تأبَّط شرًّا: والله ما وجب قط ولا كان وجابًا. وضرب بيده عليهِ واصاخ نحو الارض يستمع فقال: والذي اعدو بطيرهِ اني لأَسمعُ وجيب قلوب الرجال. فقال لهُ ابن برّاق: فانا انزل قبلك. فنزل فبرك وشرب وكان آكد القوم عند بجيلة شوكة. فتركوه وهم في الظلمة. ونزل ثابت. فلما توسط الماء وثبوا عليهِ فأخذوه واخرجوه من العين مكتوفًا وابن برّاق قريب منهم لا يطمعون فيهِ

لما يعلمون من عدوهِ . فقال لهم ثابت : انهُ من اصلف الناس واشدّهم عجبًا بعدوه وسأقول لهُ استأسر معي فسيدعوه عجبهُ بعدوه الى ان يعدو من بين ايديكم . ولهُ ثلاثة اطلاق اوّلها كالريح الهابة والثاني كالفرس الجواد والثالث يكبو فيهِ ويعثر فاذا رأيتم منهُ ذلك فخذوه فاني احبُّ ان يصير في ايديكم كما صرت اذ خالفني . قالوا : فافعل . فصاح بهِ تأبّط شرًّا : انت اخي في الشدّة والرخاء وقد وعدني القوم ان يمنوا عليك وعليَّ فاستأسر وواسني بنفسك في الشدّة كما كنت اخي في الرخاء . فضحك ابن برّاق وعلم انهُ قد كادهم وقال : مهلًا يا ثابت أيستأسر من عندهُ هذا العدو . ثم عدا . فعدا اوّل طلق مثل الريح كما وصف لهم والثاني كالفرس الجواد والثالث جعل يكبو ويعثر ويقع على وجههِ . فقال ثابت : خذوه . فعدوا باجمعهم . فلما ان نفسوا عنهُ شيئًا عدا تأبّط شرًّا في كتافهِ . وعارضهُ ابن برّاق فقطع كتافهُ وافلتا جميعًا . فقال تأبّط شرًّا :

يا عيد مالك من شوق وايراقِ ... ومرِّ طيف على الاهوال طرّاقِ
يسري على الاين والحيات محتفلًا ... نفسي فداؤك من سارٍ على ساقِ (١)

واما الفضل الضبي فذكر ان تأبّط شرًّا وعمرو بن برّاق والشنفرى (٢) غزوا بجيلة فلم يظفروا منهم بغرَّة . وثاروا اليهم فاسروا عمرًا وكتفوه . وافلتهم الآخران عدوًا . فلم يقدروا عليهما . فلما علما ان ابن برّاق قد أُسر قال تأبّط شرًّا لصاحبه : امضِ فكن قريبًا من عمرو فاني سأتراءى لهم

(١) العيد ما اعتاده الانسان من همّ او شوق او مرض او ذكر . والاين والايم ضرب من الحيّات . والاين الاعياء ايضًا . وروى ابو عمرو : «يا عيد قلبك من شوق وابراق» (٢) وغيرهُ يجعل مكان الشنفرى السليك

واطمعهم في نفسي حتى يتباعدوا عنه . فاذا فعلوا ذلك فحلَّ كتافه وانجوا . ففعل ما أُمر بهِ . واقبل تأبّط شرًّا حتى تراءى لبجيلة . فلما رأوه طمعوا فيهِ فطلبوه وجعل يُطمعهم في نفسه ويعدو عدوًا خفيفًا يقرب فيهِ ويسألهم تخفيف الفدية واعطاءه الامان حتى يستأسر لهم وهم يجيبونه الى ذلك ويطلبونهُ وهو يحضر احضارًا خفيفًا ولا يتباعد . حتى علا قلعة اشرف منها على صاحبيهِ فاذا هما قد نجوا . ففطنت لهما بجيلة فالحقتهما طلبًا . ففاتاهم . فقال : يا معشر بجيلة أأعجبكم عدو ابن برّاق اليوم والله لاعدونَّ لكم عدوًا انسيكم بهِ عدوه . ثم عدا عدوًا شديدًا ومضى . وذلك قولهُ : «يا عيد ما لك من شوق وايراق»

(قالوا) وكان من حديثهِ انهُ خرج غازيًا يريد بجيلة هو ورجل معهُ وهو يريد ان يغترَّهم فيصيب حاجتهُ . فاتى ناحية منهم فقتل رجلًا ثم استاق غنمًا كثيرة . فنذروا بهِ فتبعه بعضهم على خيل وبعضهم رجالة وهم كثير . فلما رآهم وكان من أبصر الناس عرف وجوههم . فقال لصاحبه : هؤلاء قوم قد عرفتهم ولن يفارقونا اليوم حتى يقاتلونا ويظفروا بحاجتهم . فجعل صاحبه ينظر فيقول : ما أتبين احدًا . حتى اذا دهموهما قال لصاحبه : اشتدَّ فاني سامنعك ما دام في يدي سهم . فاشتدّ الرجل ولقيهم تأبّط شرًّا وجعل يرميهم حتى نفدت نبله . ثم انهُ اشتدَّ فمرَّ بصاحبه . فلم يطق شده . فقُتل صاحبه وهو ابن عمّ لزوجته . فلما رجع تأبّط شرًّا وليس صاحبه معهُ عرفوا انهُ قد قتل . فقالت لهُ امرأته : تركت صاحبك وجئت متباطنًا . فقال تأبّط شرًّا في ذلك :

الا تلكما عرسي منيعة ضمّنت ... من الله اثمًا مستسرًّا وعالنا
تقول تركت صاحبًا لك ضائعًا ... وجئت الينا فارقًا متباطنا
اذا ما تركت صاحبي لثلاثة ... او اثنين مثلينا فلا أُبت آمنا

وما كنت أباءً على الخلّ اذ دعا ... ولا المرء يدعوني ممرّاً مداهنا
وكرّي اذا اكرهت رهطاً واهلهُ ... وارضاً يكون العوص فيها عجاهنا
ولما سمعت العوص تدعو تنعرت ... عصافير رأسي من غواة فراتنا
ولم انتظر ان يدهموني كأنهم ... ورائي نحل في الخليّة واكنا
ولا ان تصيب النافذات مقاتلي ... ولم اكُ بالشدّ الذليق مداينا
فارسلت مثنياً عن الشرّ عاطفاً ... وقلت تزحزح لا تكوننّ حائنا
وحثحثت مشعوف النجاء كأنني ... هِجَفٌّ رأى قصراً سمالاً وداجنا
من الحصّ هزروفٌ كأنّ عفاءهُ ... اذا استدرج الفيفا ومدّ المغابنا
ارج زلوج هذرفيٌّ زفازفٌ ... هِزَفٌّ يبذ الناجيات الصوافنا
فزحزحت عنهم او تجئني منيتي ... بغبراء او عرفاء تفري الدفائنا
كأني اراها الموت لا درّ درُّها ... اذا امكنت انيابها والبراثنا
وقالت لاخرى خلفها وبناتها ... حتوف تنقي مخ من كان واهنا
أخاليج ورّاد على ذي محافل ... اذا نزعوا مدّوا الدلا والشواطنا

قال الاثرم: قال ابو عمرو في هذه الرواية: وخرج تابط شرّاً يريد ان يغزو هذيلاً في رهط . فنزل على الاجلِّ بن فنضل رجل من بجيلة وكان بينهما حلف . فانزلهم ورحب بهم . ثم انهُ ابتغى لهم الذراريح ليسقيهم فيستريح منهم . ففطن له تأبط شرّاً فقام الى اصحابه فقال: اني احب ان لا يعلم انا قد فطنا لهُ . سابُّوه حتى نحلف ان لا نأكل من طعامه ثم أغترُّه فاقتله لانه ان علم حذرني . وقد كان مالأ ابن فنضل رجل منهم يقال له لكيز فثلب فيهم اخاه فاعتلّ عليهِ وعلى اصحابه فسبوهُ وحلفوا أن لا يذوقوا من طعامه ولا من شرابه . ثم خرج في وجههِ وأخذ في بطن وادٍ فيهِ النمور وهي لا يكاد يسلم

منها احد . والعرب تسمي النمر ذا اللونين وبعضهم يسميها السبنتى . فنزل في بطنه وقال لاصحابه : انطلقوا جميعاً فتصيدوا فهذا الوادي كثير الاروى . فخرجوا وصادوا وتركوه في بطن الوادي فجاءوا فوجدوه قد قتل نمراً وحده وغزا هذيلاً فغنم واصاب . فقال تابط شرّاً في ذلك :

اقسمت لا أنسى وان طال عيشنا ... صنيع لكيزٍ والاجلّ بن فنضلِ
نزلنا بهِ يوماً فساء صباحنا ... فانك عمري قد ترى أي منزلِ
بكى اذ رآنا نازلين ببابهِ ... وكيف بكاء ذي القليل المعيلِ
فلا وابيك ما نزلنا بعامرٍ ... ولا عامر ولا الرئيس بن قوقلِ (١)
ولا بالشليل ربّ مروان قاعداً ... باحسن عيش والنفاثيّ نوفلِ (٢)
ولا ابن وهيب كاسب الحمد والعلا ... ولا ابن ضبيع وسط آل المخبلِ
ولا ابن حليس قاعداً في لقاحهِ ... ولا ابن جريّ وسط آل المغفلِ
ولا ابن رياح بالزليفات داره ... رياح بن سعد لا رياح بن معقلِ
اولئك أعطى للولائد خلفة ... وأدعى الى شحم السديف المرعبلِ

وقال ايضاً في هذه الرواية :كان تابط شرّاً يشتار عسلا في غار من بلاد هذيل يأتيه كل عام وان هذيلاً ذكرتهُ فرصدوهُ لأبان ذلك حتى اذا جاء هو واصحابه تدلّى فدخل الغار وقد اغاروا عليهم فأنفروهم فسبقوهم ووقفوا على الغار فحركوا الحبل فاطلع تابط شرّاً راسهُ . فقالوا : اصعد . فقال : ألا اراكم .

(١) عامر بن مالك ابو براء ملاعب الاسنّة وعامر بن الطفيل . وابن قوقل مالك بن ثعلبة احد بني عوف بن الخزرج

(١) رب مروان جرير بن عبد الله البجلي . ونوفل بن معاوية بن عروة بن صخر ابن يعمر احد بني يدل بن بكر

قالوا: بلى قد رأيتنا. فقال: فعلامَ اصعد أَعلى الطلاقة ام الفداء. قالوا: لا شرط لك. قال: فارا كم قاتليَّ وآكلي جناي. لا والله لا افعل. (قال) وكان قبل ذلك نقب في الغار نقبًا اعدَّهُ للهرب. (قال) فجعل يسيل العسل من الغار ويهريقهُ. ثم عمد الى الزق فشده الى صدره ثم لصق بالعسل فلم يبرح يتزلق عليهِ حتى خرج سليمًا وفاتهم وبين موضعه الذي وقع فيهِ وبين القوم مسيرة ثلاث. فقال تابط شرًا في ذلك :

اقول للحيان وقد صفِرت لهم   وِطابي ويومي ضيق الجحر مُعورُ
لكم خصلةٌ اما فداء ومنّة   واما دم والقتل بالحرّ اجدرُ
وأخرى اصادي النفس عنها وانها   لَموردُ حزمٍ ان ظفرت ومصدرُ
فرشت لها صدري فزلَّ عن الصفا   بهِ جؤجؤٌ صلب ومتن مخصرُ
فخالط سهل الارض لم يكدح الصفا   بهِ كدحة والموت خزيان ينظرُ
فأبت الى فهم وما كنت آئبًا   وكم مثلها فارقتها وهي تصفرُ
اذا المرءُ لم يحتل وقد جدَّ جدُّهُ   أضاع وقاسى امرهُ وهو مدبرُ
ولكن اخو الحزم الذي ليس نازلًا   بهِ الامر الّا وهو للحزم مبصرُ
فذاك قريع الدهر ما كان حوّلًا   اذا سدَّ منهُ منخرٌ جاش منخرُ
فانك لو قايست باصب حيلتي   بلحيان لم يقصر بيَ الدهر مقصرُ

وقال ايضًا في حديث تأبط شرًا انهُ خرج في عدة من فهم فيهم عامر بن الاخنس والشنفرى والمسيب وعمرو بن براق ومرَّة بن خليف حتى بيَّتوا العوص وهم حيٌّ من بجيلة فقتلوا منهم نفرًا واخذوا لهم ابلًا فساقوها حتى كانوا من بلادهم على يوم وليلة فاعترضت لهم خثعم وفيهم ابن حاجز وهو رئيس القوم وهم يومئذٍ نحو من اربعين رجلًا. فلما نظرت اليهم صعاليكُ فهم

قالوا لعامر بن الاخنس: ماذا ترى. قال: لا ارى لكم الّا صدق الضراب فان قتلتم كنتم قد اخذتم ثأركم. قال تابط شرًا: بأَبي انت وامي فنعم رئيس القوم انت اذا جد الجد واذا كان قد أجمع رأيكم على هذا فاني ارى لكم ان تحملوا على القوم حملة واحدة فانكم قليل والقوم كثير ومتى افترقتم كثَّركم القوم. فحملوا عليهم فقتلوا في حملتهم. فحملوا ثانية فانهزمت خثعم وتفرقت. واقبل ابن حاجز فاسند في الجبل فاعجز. فقال تابط شرًا في ذلك :

جزى الله فتيانًا على العوص امطرت   سماؤهم تحت العجاجة بالدمِ
وقد لاح ضوء الفجر عرضًا كانهُ   بلمحتهِ اقراب أبلق ادهمِ
فانّ شفاء الداء ادراك ذحله   صياح على آثار حَوْم عرمرمِ
وضاربتهم بالسفح اذ عارضتهمُ   قبائل من ابناء قسر وخثعمِ
ضرابًا عدا منهُ ابن حاجز هاربًا   ذرا الصخر في جدر الوجين المرجمِ

وقال الشنفرى في ذلك :

دعيني وقولي بعد ما شئت انني   سيُغدَى بنعشي مرَّةً فاغيبُ
خرجنا فلم نعهد وقلّت وصاتنا   ثمانية ما بعدها متعتبُ
سراحين فتيان كانَّ وجوههم   مصابيح او لون من الماء مذهبُ
نمرّ برهو الماء صفحًا وقد طوت   ثمائلنا والزاد ظنٌ مغيبُ
ثلاثًا على الاقدام حتى سما بنا   على العوص شعشاع من القوم محربُ
فثاروا الينا في السواد فهجهجوا   وصوّت فينا بالصباح المثوّبُ
فشنَّ عليهم هزّةَ السيف ثابتٌ   وصمّم فيهم بالحسام المسيبُ
وظلت بفتيان معي اتقيهمُ   بهنَّ قليلًا ساعة ثم خيبوا
وقد خرَّ منهم راجلان وفارسٌ   كميٌّ صرعناه وخوم مسلبُ

يشنُّ اليهِ كل ريعٍ وقلعة ثمانية والقوم رجل ومقنبُ
فلما رآنا قومنا قيل افلحوا فقلنا اسألوا عن قائلٍ لا يُكذَبُ

مقتل عمرو ذي الكلب

هو عمرو بن العجلان. قال ابن الاعرابي: انهُ سُمي ذا الكلب لانهُ كان لهُ كلب لا يفارقهُ. وعن الاثرم عن ابي عبيدة انهُ قال: لم يكن لهُ كلب لا يفارقه. انما خرج غازيًا ومعهُ كلب يصطاد بهِ. فقال لهُ اصحابه: يا ذا الكلب. فثبتت عليهِ. (قال) ومن الناس من يقول لهُ عمرو الكلب ولا يقول فيهِ ذو. (قال) وكان يغزو بني فهم غزوًا متصلًا. فنام ليلة في بعض غزواتهِ فوثب عليهِ نمران فاكلاه. فادَّعت فهم قتلهُ. هكذا في هذه الرواية. واخبر كثير من الرواة قالوا: كان من حديث عمرو ذي الكلب الهذلي وكان من رجالهم ان اناسًا كانوا قد وجدوا عليهِ وطلبوا دمه الى ان جاءهم عامًا من ذلك فنذروا بهِ فخرجوا في اثره. وخرج هاربًا منهم. فتبعوه يومهم ذلك وهم على اثره حتى امسى وهاجت عليهِ ريح شديدة في ليلة ظلماء. فبينا هو يسير على ظهر الطريق اذ رأى نارًا عن يمينه فقال: أخطأتُ والله الطريق وان الناس لعلى الطريق. فخار وشكَّ وقصد للنار حتى اتاها وقد كان يصيح. فاذا رجل قد أوقد نارًا ليس معهُ احد. فقال لهُ عمرو ذو الكلب: من أنت. قال: انا رجل من عدوان. قال: فما اسم هذا المكان. قال: السدّ. فعلم انهُ قد هلك واخطأ. والسدّ شيء لا يجاوز. قال: ويلكَ فلمَ أوقدت فوالله ما تشرب ولا تصطلي. وما أوقدتَ الّا لمنيّة عمرو الشقي. هل عندك شيء تطعمني. قال: نعم. فاخرج لهُ تمرات قد

نقاها في يده. فلما رآها قال: تمرات تتبعها عبرات من نساء خفرات. ثم قال: اسقني. قال: ماذا آلبنًا. قال: لا ولكن اسقني ماء قراحًا. فاني مقتول صباحًا. ثم انطلق فاسند في السدّ. ورأى القوم الذين جاءوا في طلبه اثره حيث اخطأ. فاتبعوه حتى وجدوه فدخل غارًا في السدّ. فلما ظهروا السد علموا انهُ في الغار. فنادوه فقالوا: يا عمرو. قال: ما تشاءون. قالوا: اخرج. قال: فلمَ دخلتُ اذن. قالوا: بلى فاخرج. قال: لا اخرج. قالوا: فانشدنا قولك:

ومقعد كربة قد كنت فيها مكان الاصبعين من القبالِ

قال: ها هي ذه انا فيها. (قال) وعنَّ لهُ رجل من القوم فرماه عمرو فقتلهُ. فقالوا: أقتلتهُ يا عدوّ الله. فقال: أجل ولقد بقيت معي اربعة اسهم كانها انياب ام جليحة (١) لا تصلون اليَّ او أقتل بكل سهم منها رجلًا منكم. فقالوا لعبدهم: يا ابا نجاد ادخل عليهِ وأنت حرّ. فتهيأ للدخول ابو نجاد عليهِ. فقال لهُ عمرو: ويلك يا ابا نجاد ما ينفعك ان تكون حرًّا اذا قتلتك. فنكصوا عنهُ. فلما رأوا ذلك صعدوا فنقبوا عليهِ ثم رموه حتى قتلوه واخذوا سلبه فرجعوا بهِ الى امّ جليحة وهي تشوف. فلما رأوها قالوا لها: يا ام جليحة ما رايكِ في عمرو. قالت: رأيي والله انكم طلبتموه سريعًا. ووجدتموه تبيعًا. ووضعتموه صريعًا. فقالوا: والله لقد قتلناه. فقالت: والله ما اراكم فعلتم ولئن كنتم فعلتم لربَّ ثديٍ منكم قد افترشه. وضبٍ قد احترشه. فطرحوا اليها ثيابه فاخذتها فقالت: ريح عطر وثوب عمرو. اما والله ما وجدتموه ذا حجزة جافية. ولا ضالة كافية. وقالت ريطة اخت (٢) عمرو ذي الكلب ترثيه:

كل امرئٍ لمحال الدهر مكذوبُ وكل من غالب الايام مغلوبُ

---

(١) امّ جليحة امرأة كان ينسب بها (٢) واسمها جنوب

وكل حيٍّ وان عزوا وان سلموا ... يومًا طريقهم في الشرّ رعبوبُ
أبلغ هذيلًا وابلغ من يبلغها ... عني رسولًا وبعض الغيّ تكذيبُ
بان ذا الكلب عمرًا خيرهم نسبًا ... ببطن شريان يعوي حولهُ الذيبُ
الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها ... مُعجرٌ من نجيع الجوف اسلوبُ
والتارك القرن مصفرًّا اناملهُ ... كأنهُ من رجيع الجوف مخضوبُ
تمشي النسور اليهِ وهي لاهية ... مشي العذارى عليهنّ الجلابيبُ
والمخرج العاتق العذراء مذعنةً ... في السبي ينفح من اردانها الطيبُ

الخنساء وهند بنت عُتْبَة

حدث عبد الرحمن بن ابي الزناد قال: لمَّا كانت وقعة بدر قُتل فيها عتبة ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة. فأقبلت هند بنت عتبة ترثيهم. وبلغها تسويم الخنساء هودجها في الموسم ومعاظمتها العرب بمصيبتها بابيها عمرو ابن الشريد واخويها صخر ومعاوية وانها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم وقد سوّمت هودجها براية وانها تقول: انا اعظم العرب مصيبة. وان العرب قد عرفت لها بعض ذلك. فلما أُصيبت هند بما اصيبت وبلغها ذلك قالت: انا اعظم من الخنساء مصيبة. وأمرت بهودجها فسُوّم براية وشهدت الموسم بعكاظ وكانت سوقًا يجتمع فيها العرب فقالت: اقرنوا جملي بجمل الخنساء. ففعلوا. فلما أن دنت منها قالت لها الخنساء: من أنتِ يا اخية. قالت: انا هند بنت عتبة اعظم العرب مصيبة. وقد بلغني انك تعاظمين العرب بصيبتكِ فبمَ تعاظمينهم. فقالت الخنساء: بعمرو بن الشريد وصخر ومعاوية ابني عمرو. وبمَ

تعاظمينهم انتِ. قالت: بابي عتبة بن ابي ربيعة وعمّي شيبة بن ربيعة واخي الوليد. قالت الخنساء: او سواء هم عندك. ثم انشدت تقول:

ابكي ابي عمرًا بعينٍ غزيرة ... قليل اذا نام الخليُّ هجودها
وصنوَيَّ لا انسى معاوية الذي ... لهُ من سراة الحرّتين وفودها
وصخرًا ومن ذا مثل صخر اذا غدا ... بسلهبة الابطال قبًّا يقودها
فذلك يا هند الرزية فاعلمي ... ونيران حرب حين شبّ وقودها

فقالت هند تجيبها:

أبكي عميد الابطحين كليهما ... وحاميها من كل باغٍ يريدها
ابي عتبة الخيرات ويحكِ فاعلمي ... وشيبة والحامي الذمار وليدها
اولئك آل المجد من آل غالب ... وفي العزّ منها حين ينمى عديدها

وقالت لها ايضًا يومئذٍ:

من حسَّ لي الاخوين م ... كالغصنين او من رآهما
قرمان لا يتظالمان م ... ولا يرام حماهما
ويلي على ابويَّ والقبر م ... الذي واراهما
لا مثل كهلي في الكهو ... ل ولا فتًى كفتاهما
اسدان لا يتذللان م ... ولا يرام حماهما
رمحين خطّيين في ... كبد السماء تراهما
ما خلّفا اذ ودّعا ... في سؤددٍ شرواهما
سادا بغير تكلّفٍ ... عفوًا يفيض نداهما

حسان بن ثابت وعمرو بن الحرث

قال ابو عمرو الشيباني : قال حسان بن ثابت : قدمتُ على عمرو بن الحرث فاعتاص الوصول عليَّ اليهِ فقلت للحاجب بعد مدة : ان أذنت لي عليه والَّا هجوت اليمن كلها ثم انقلبت عنكم. فأذن لي . فدخلت عليهِ فوجدت عنده النابغة وهو جالس عن يمينه وعلقمة بن عبدة وهو جالس عن يساره . فقال لي: يا ابن الفريعة قد عرفت عيصك ونسبك في غسان فارجع فاني باعث اليك بصلة سنية ولا احتاج الى الشعر فاني اخاف عليك هذين السبعين النابغة وعلقمة ان يفضحاك وفضيحتك فضيحتي وانت والله لا تحسن ان تقول :

رقاق النعال طيب حُجُزاتهم ... يحيَّون بالريحان يوم السباسبِ

فأبيت وقلت : لا بدَّ منهُ . فقال : ذاك الى عميك . فقلت لهما : بحق الملك الَّا قدَّمتماني عليكما . فقالا : قد فعلنا . فقال عمرو بن الحرث : هات يا ابن الفريعة . فانشأت :

أسألت رسم الدار ام لم تسألِ ... بين الحواني فالنصيع فحوملِ
لله درُّ عصابةٍ نادمتها ... يومًا بجلّق في الزمان الاولِ
اولاد جفنة عند قبر ابيهم ... قبر ابن مارية الكريم المفضلِ (١)
يسقون من ورد البريص عليهم ... كأسًا يصفق بالرحيق السلسلِ

(١) مارية بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية بن ثور بن مرتع الكندية ام الحرث الاعرج . وهي ذات القرطين اللذين يضرب بهما المثل فيقال لما يغلى بهِ الثمن بقرطي مارية . واختها هند الهنود امرأة حجر آكل المرار

يُغشَون حتى ما تهرّ كلابهم ... لا يسألون عن السواد المقبلِ
بيض الوجوه كريمة احسابهم ... شمّ الانوف من الطراز الاولِ

(فقال) فلم يزل عمرو بن الحرث يزحل عن موضعه سرورًا حتى شاطر البيت . وهو يقول : هذا وابيك الشعر لا ما يعللاني بهِ منذ اليوم . هذه والله البتَّاتة التي قد بترت المدائح . احسنت يا ابن الفريعة . هات لهُ يا غلام الف دينار مرجوحة (١) . فاعطيت ذلك . ثم قال : لك عليَّ في كل سنة مثلها . ثم أقبل على النابغة فقال : قم يا زياد فهات الثناء المسجوع . فقام النابغة فقال : الا انعم صباحًا ايها الملك المبارك . السماء غطاؤك . والارض وطاؤك . ووالداي فداؤك . والعرب وقاؤك . والعجم حماؤك . والحكماء جلساؤك . والمداره سمّارك . والمقاول اخوانك . والعقل شعارك . والحلم دثارك . والسكينة مهادك . والوقار غشاؤك . والبرّ وسادك . والصدق رداؤك . واليمن حذاؤك . والسخاء ظهارتك . والحمية بطانتك . والعلاء غايتك . واكرم الاحياء احياؤك . وأشرف الاجداد اجدادك . وخير الآباء اباؤك . وأفضل الاعمام اعمامك . واسرى الاخوال اخوالك . وأعفُّ النساء حلائلك . وأفخر الشبان ابناؤك . وأطهر الامهات امهاتك . وأعلى البنيان بنيانك . وأعذب المياه امواهك . وافيح الدارات داراتك . وانزه الحدائق حدائقك . وأرفع اللباس لباسك . قد حالف الإضريج عاتقك ولاءم المِسك مَسكك . وجاور العنبر ترائبك . وصاحب النعيم جسدك . العسجد آنيتك . واللجين صحافك . والعصب مناديلك . والحوّارى طعامك . والشهد ادامك . والخرطوم شرابك . والاشراف مناصفك . والخير بفنائك . والشرّ بساحة اعدائك . والنصر منوط بلوائك . والخذلان مع ألوية

(١) هي التي في كل دينار عشرة دنانير

حسادك . والبرّ فعالك . قد طحطح عدوّك غضبك . وهزم مقانبهم مشهدك . وسار في النـاس عدالك . وشسع بالنصر ذكرك . وسكّن قوارع الاعداء ظفرك . الذهب عطاؤك . والدواة رمزك . والاوراق لحظك . والغنى اطراقك . والف دينار مرجوحة ايماؤك . أيفاخرك المنذر اللخمي . فوالله لَقفاك خيرٌ من وجههِ ولشمالك خير من يمينه . ولاخمصك خير من رأسه . ولخطأُك خير من صوابه . ولصمتك خير من كلامه . ولأُمُّك خير من ابيه . ولخدمك خير من قومه . فهب لي اسارى قومي واسترهن بذلك شكري . فانك من اشراف قحطان . وانا من سروات عدنان . فرفع عمرو رأسهُ الى جارية كانت قائمـة على رأسه وقال : بمثل هذا فليثن على الملوك ومثل ابن الفريعـة فليمدحهم . واطلق لهُ اسرى قومه . وذكر ابن الكلبي هذه القصة نحو هذا وقال : فقـال لهُ عمرو : اجعل المفاضلة بيني وبين المنذر شعرًا فانهُ أَسيَر . فقال .

ونبئت انّ ابا منـذر ... يساميك للحدث الاكبرِ
قذالك احسن من وجههِ ... وامك خـير من المنـذرِ
ويسراك اجود من كفهِ ... م اليمين فقولا له أَخرِ (١)

حسّان بن ثابت والنّابغة عند النعمان

قال حسان بن ثابت : قدمت على النعمان بن المنذر وقد امتدحتـهُ . فأتيت حاجبهُ عصام بن شهبرة فجلست اليـهِ . فقال : اني لأرى عربيًا أفمن الحجاز أنت . قلت : نعم . قال : فكن قحطانيًا . قلت : فانا قحطاني . قال : فكن

(١) ذكر المدائني ان هذه الابيات والسجع الذي قبلها لحسان وهذا اصحّ

يثربيا . قلت : فانا يثربي . قال : فكن خزرجيًا . قلت : فانا خزرجي . قال : فكن حسان بن ثابت . قلت : فانا هو . قال : أجئت بمدحة الملك . قلت : نعم . قال : فاني ارشدك اذا دخلت عليه فانهُ يسألك عن جَبَلة بن الايهم ويسبُّهُ فايّاك ان تساعدهُ على ذلك ولكن أَمرّ ذكرهُ مرارًا لا توافق فيه ولا تخالف وقل : ما دخول مثلي ايها الملك بينك وبين جبلة وهو منك وأنت منهُ . وان دعاك الى الطعام فلا تؤاكلهُ فان اقسم عليك فأصب منهُ اليسير إصابة بارّ قسمهُ مستشرف بمؤاكلته لا اكل جائع سغب . ولا تُطِل محادثتهُ ولا تبدأهُ باخبار عن شيءٍ حتى يكون هو السائل لك . ولا تطل الاقامة في مجلسـهِ . فقلت : أحسن الله رفدك قد اوصيت واعيًا . ودخل . ثم خرج اليَّ فقال لي : ادخل . فدخلت فسلمت وحيّيت تحية الملوك . فجاراني من امر جبلة ما قالهُ عصـام كأنّهُ كان حاضرًا وأجبت بما أمرني . ثم استأذنتهُ في الانشـاد فأذن لي فانشدتهُ . ثم دعا بالطعام ففعلت ما امرني عصـام بهِ وبالشراب ففعلت مثل ذلك . فأمر لي بجائزة سنية وخرجت . فقال لي عصام : بقيت عليَّ واحدة لم اوصك بها . قد بلغني ان النابغة الذبياني قدم عليهِ واذا قدم فليس لاحد منهُ حظ سواه فاستأذن حينئذٍ وانصرف مكرَّمًا خير من ان تنصرف مجفوًّا . فأقمت ببابهِ شهرًا . ثم قدم عليهِ الفزاريّان وكان بينهمـا دخلل (١) وكان معهما النابغة قد استجار بهما وسألهما مسئلة النعمان أن يرضى عنـه . فضرب عليهما قبة من ادم ولم يشعر بان النابغة معهما

وقال ابو زيد عمر بن شبة في خبره : لما صار معهما الى النعمان كان يرسل

(١) اي خاصّة

اليهما بطيب وألطاف مع قينة من إمائهِ. فكانا يأمرانها ان تبدأ بالنابغة قبلهما . فذكرت ذلك للنعمان فعلم انهُ النابغة. ثم القى عليها شعرهُ «يا دار مية بالعلياء فالسندِ» وسألها ان تغنيهُ بهِ اذا أخذت فيهِ الخمر . ففعلت فاطربتهُ . فقال : هذا شعر علويّ هذا شعر النابغة. (قال) ثم خرج في غبّ سماء . فعارضهُ الفزاريّان والنابغة بينهما قد خضب بحنّاء. فأقنأ خضابهُ . فلما رآه النعمان قال . هي بدم كانت أحرى ان تُخضب . فقال الفزاريّان : أبيت اللعن لا تثريب قد أجرناه والعفو أجمل. فأمنهُ واستنشدهُ اشعاره. فعند ذلك قال حسان بن ثابت: فحسدتهُ على ثلاث لا ادري على أيتهنّ كنت لهُ أشدّ حسدًا على ادناء النعمان لهُ بعد المباعدة ومسامرتهِ لهُ واصغائهِ اليهِ أم على جودة شعره أم على مائة بعيرٍ من عصافيرهِ أمر لهُ بها

قال أبو عبيدة : قيل لابي عمرو: أفمن مخافته امتدحهُ وأتاه بعد هربهِ منهُ أم لغير ذلك. فقال: لا لعمرُ الله ما لمخافته فعل ان كان لآمنًا من ان يوجّه النعمان لهُ جيشًا وما كانت عشيرته لتسلمهُ لاوّل وهلة. ولكنهُ رغب في عطاياه وعصافيره . وكان النابغة ياكل ويشرب في آنية الفضة والذهب من عطايا النعمان وأبيهِ وجدّه لا يستعمل غير ذلك. وقيل ان السبب في رجوعهِ الى النعمان بعد هربهِ منه انه بلغهُ انهُ عليل لا يُرجى فاقلقهُ ذلك ولم يملك الصبر على البعد عنهُ مع علتهِ وما خافهُ عليهِ واشفق من حدوثهِ بهِ. فصار اليه والفاه محمومًا على سريره ينقل ما بين الغمر وقصور الحيرة . فقال لعصام بن شهبرة حاجبه فيما اخبرنا بهِ اليزيدي :

ألم اقسم عليك لتخبرنّي ... أمحمول على النعش الهمامُ (١)
فاني لا الومك في دخولي (٢) ... ولكن ما وراءك يا عصامُ
فان يهلك ابو قابوس يهلك ... ربيع الناس والشهر الحرامُ (٣)
ونمسك بعده بذناب عيش ... اجبّ الظهر ليس لهُ سنامُ

حسّان بن ثابت وقيس بن الخَطيم

حدّث عبد الله بن الحرث قال: شرب حسّان بن ثابت يومًا مع سلام ابن مشكم وكان لهُ نديمًا معهم كعب بن اسد وعبد الله بن أُبيّ وقيس بن الخطيم. فاسرع الشراب فيهم وكانوا في موادعة وقد وضعت الحرب أوزارها بينهم. فقال قيس بن الخطيم لحسّان: تعالَ أُشاربك . فتشاربا في اناء عظيم. فأبقى من الاناء شيئًا. فقال لهُ قيس: اشربهُ. فقال حسّان وعرف الشرّ في وجههِ : او خيرًا من ذلك اجعل لك الغلبة. قال: لا الّا ان تشربهُ. فأبى حسان. وقال لهُ سلام بن مشكم : يا ابا يزيد لا تكرههُ على ما لا يشتهي . انما دعوتهُ لاكرامه ولم تدعه لتستخفّ بهِ وتسيء مجالسته. فقال لهُ قيس: أفتدعوني أنت على ان تسيء مجالستي. فقال لهُ سلام : ما في هذا سوءُ مجالسة

---

(١) قال ابو عبيدة : كانت ملوك العرب اذا مرض احدهم حملتهُ الرجال على اكتافها يتعاقبونهُ فيكون كذلك على اكتاف الرجال لانهُ عندهم اوطأ من الارض

(٢) اي لا الومك في ترك الاذن لي في الدخول ولكن اخبرني بكنه امره

(٣) يريد انهُ كالربيع في الخصب لمجتديهِ وكالشهر الحرام لجاره لا يوصل الى من اجاره كما لا يوصل في الشهر الحرام الى احد

وما حملت عليك الّا لانك مني واني حليفك وليست عليك غضاضة في هذا وهذا رجل من الخزرج قد اكرمتهُ وادخلتهُ منزلي فيجب ان تكرم لي من اكرمتهُ. ولعمري ان في الصحر لما تكتفون بهِ من حروبكم . فافترقوا وآلى سلام بن مشكم على نفسهِ ان لايشرب سنة وقد بلغ هذا من نديمه وكان كريمًا

حجر آكل المرار (*) وزياد بن الهبولة

هو حجر بن عمرو بن معاوية. اخبر الشرقي بن القطاميّ قال: اقبل تبع ايام سار الى العراق فنزل بارض معدّ فاستعمل عليهم حجر بن عمرو وهو آكل المرار. فلم يزل ملكًا حتى خرف. ولهُ من الولد عمرو ومعاوية وهو الجون. ثم ان زياد بن الهبولة اغار عليهِ وهو ملك في ربيعة بن نزار ومنزلهُ بغمر ذي كندة. وكان قد غزا بربيعة البحرين فبلغ زيادًا غزاتهُ فاقبل حتى اغار في مملكة حجر فاخذ مالًا كثيرًا وسبى امرأة حجر وهي هند ابنة ظالم (١) واخذ نسوة من نساء بكر بن وائل. فلما بلغ حجرًا وبكر بن وائل مغارهُ وما اخذ اقبلوا معهُ ومعهُ يومئذٍ اشراف بكر بن وائل. فتعجّل عمرو بن معاوية وعوف بن محلِّم وقالا لحجر: انا متعجلان الى الرجل لعلّنا نأخذ منهُ بعض ما اصاب منا. فلقياه دون عين أُباغ فكلمهُ عوف بن محلم وقال :

(*) كانت وفاة حجر سنة ٤٨٠ للمسيح بعد ان ملك عشرين سنة وعمّر طويلًا

(١) وهي هند الهنود

يا خير الفتيان اردد عليّ ما اخذتهُ مني. فاعطاه اياه. وكلمهُ عمرو بن معاوية في فحل ابلهِ. فقال: خذهُ. فاخذهُ عمرو. وكان قويا فجعل الفحل ينزع الى الابل فاعتقلهُ عمرو فصرعهُ. فقال لهُ ابن الهبولة: اما والله يا بني شيبان لو كنتم تعتقلون الرجال كما تعتقلون الابل لكنتم انتم انتم. فقال عمرو: اما والله لقد وهبتَ قليلًا وشتمت جليلًا ولقد جررت على نفسك شرًّا ولتجدني عند ما ساءك. ثم ركض حتى صار الى حجر فاخبرهُ الخبر. فاقبل حجر في اصحابهِ حتى اذا كان بمكان يقال لهُ الحفير بالبرّ وهو دون عين أُباغ بعث سدوسًا وصليعًا (١) يتجسَّسان لهُ الخبر ويعلمان لهُ علم العسكر. فخرجا حتى هجما على عسكره وقد اوقد نارًا ونادى منادٍ لهُ : من جاء بحزمة من حطب فلهُ فدرة من تمر. وكان ابن الهبولة قد اصاب في عسكر حجر تمرًا كثيرًا. فضرب قبابهُ واجّج نارهُ ونثر التمر بين يديهِ فمن جاء بحطب اعطاهُ تمرًا. فاحتطب سدوس وصليع ثم اتيا بهِ ابن الهبولة فطرحاه بين يديهِ. فناولهما من التمر. وجلسا قريبًا من القبَّة. فاما صليع فقال: هذه آية وعلم ما يريد فانصرف الى حجر فاعلمهُ بعسكرهِ واراه التمر. واما سدوس فقال: لا ابرح حتى آتيهُ بامر جليّ. فلما ذهب هزيع من الليل اقبل ناس من اصحابهِ يحرسونهُ وقد تفرّق اهل العسكر في كل ناحية. فضرب سدوس بيدهِ الى جليس لهُ فقال لهُ: من انت. مخافة ان يستنكر. فقال: انا فلان بن فلان. قال: نعم. ودنا سدوس من القبَّة فكان حيث يسمع الكلام. فسمع ابن الهبولة يقول لهند فيما يقول: ما ظنكِ الآن بحجر. قالت: ظني بهِ والله انهُ لن يدع طلبك حتى يطالع القصور الحمر وكأني انظر

(١) سدوس بن شيبان وصليع بن عبد غنم

اليهِ في فوارس من بني شيبان يذمرهم ويذمرونهُ. وهو شديد الكلب سريع الطلب يزبد شدقاه كأنهُ بعير آكل مرار. فسمي حجرًا آكل المرار يومئذٍ (١) (قال) فرفع يدهُ فلطمها ثم قال: ما قلتِ هذا الّا من عجبكِ بهِ وحبك لهُ. فقالت: والله ما أبغضت ذا نسمة قط بغضي لهُ ولا رأيت رجلًا قط احزم منهُ نائمًا ومستيقظًا. ان كان لتنام عيناه وبعض اعضائهِ حيّ لا ينام. وكان اذا اراد النوم امرني ان اجعل عندهُ عسًا مملوءًا لبنًا. فبينا هو ذات ليلة نائم وانا قريبة منهُ انظر اليهِ اذ اقبل أسود سالخ الى رأسهِ. فنحّى رأسه. فمال الى يديهِ واحداهما مقبوضة والاخرى مبسوطة فاهوى اليها فقبضها. فمال الى رجليهِ وقد قبض واحدة وبسط الاخرى فاهوى اليها فقبضها. فمال الى العس فشربهُ ثم مجّهُ. فقلت: يستيقظ فيشرب فيموت فاستريح منه: فانتبه من نومهِ فقال: عليَّ بالاناء. فناولتهُ. فشمهُ فاضطربت يداه حتى سقط الاناء فاهريق. وذلك كلهُ باذن سدوس. فلما نامت الاحراس خرج يسري ليلتهُ حتى صبح حجرًا فقال:

اتاك المرجفون برجم غيب ... على دهش وجئتك باليقين
فمن يكُ قد اتاك بامرٍ لبسٍ ... فقد آتي بامرٍ مستبينِ

---

(١) وقد رُوي ان حجرًا ليس بآكل المرار وانما ابوه الحرث آكل المرار. وروي ايضًا انهُ انما سمي آكل المرار لان سدوسًا لما اتاهُ بخبر ابن الهبولة وحدثهُ بقول هند وقوله فجعل يسمع ذلك وهو يعبث بالمرار وهو نبت شديد المرارة وكان جالسًا في موضع فيهِ منهُ شيءٌ كثير فجعل يأكل من ذلك المرار غضبًا وهو يسمع من سدوس ولا يعلم انهُ يأكلهُ من شدة الغضب حتى انتهى سدوس الى آخر الحديث فعلم حينئذٍ بذلك ووجد طعمه فسمي يومئذٍ آكل المرار

ثم قصَّ عليهِ جميع ما سمع. فأسف ونادى في الناس الرحيل. فساروا حتى انتهوا الى عسكر ابن الهبولة فاقتتلوا قتالًا شديدًا. فانهزم اصحاب ابن الهبولة. وعرفهُ سدوس فحمل عليهِ فاعتنقهُ وصرعهُ فقتلهُ. وبصر بهِ عمرو بن معاوية فشدَّ عليهِ فاخذ رأسهُ منهُ. واخذ سدوس سلبه. وأخذ حجر هندًا فربطها بين فرسين ثم ركضا بها حتى قطعاها قطعًا

وقال ابو عبيدة في خبر ابن الهبولة ان سدوسًا اسرهُ وانَّ عمرو بن معاوية لما رآهُ معهُ حسدهُ فطعنهُ فقتلهُ. فغضب سدوس لذلك وقال: قتلت أسيري وديتهُ دية الملوك. وتحاكما الى حجر. فحكم لسدوس على عمرو وقومه بدية ملك وأعانهم في ذلك بمالهِ. وقال سدوس في ذلك يعاتب بني شيبان:

ما بعدكم عيش ولا معكم ... عيش لذي انف ولا حسبِ
لولا بني ذهل وجمع بني ... قيس وما جمّعت من نشبِ
ما سمتموني خطةً غبنًا ... وعلى ضريبةَ رمتمُ غلبي

وقال حجر في هند:

لمن النار اوقدت بحفيرِ ... لم ينم عند مصطلٍ مقرورِ
اوقدتها احدى الهنود وقالت ... انت ذا موثق وثاق الاسيرِ
انَّ من غرَّهُ النساءُ بشيءٍ ... بعد هند لجاهل مغرورُ
حلوة القول واللسان ومرٌّ ... كل شيءٍ اجنَّ منها الضميرُ
كل انثى وان بدا لك منها ... آية الحبّ حبها خيتعورُ

المنذر بن ماء السماء وعبيد بن الابرص

كان من حديث عبيد بن الابرص وقتله ان المنذر بن ماء السماء بنى الغريّين. فقيل لهُ: ما تريد اليهما. وكان بناهما على قبري رجلين من بني اسد كانا نديميهِ احدهما خالد بن المضلّل الفقعسي والآخر عمرو بن مسعود. فقال: ما انا بمالك ان خالف الناس امري لا يمرّنَّ احد من وفود العرب الّا بينهما. وكان لهُ يومان يوم يسمّيهِ يوم النعيم ويوم يسمّيهِ يوم البؤس. فاذا كان في يوم نعيمه اتى باوّل من يطلع عليهِ فحباه وكساه ونادمهُ يومهُ وحملهُ. فاذا كان يوم بؤسهِ أتى باوّل من يطلع عليهِ فاعطاه رأس ظربان أسود ثم امر بهِ فذُبح وغُرّي بدمهِ الغريّان. فبينا هو جالس في يوم بؤسهِ اذ أشرف عليهِ عبيد. فقال لرجل كان معهُ: من كان هذا الشقي. فقال لهُ: هذا عبيد بن الابرص الاسدي الشاعر. فأُتي بهِ. فقال لهُ الرجل الذي كان معهُ: اتركهُ ابيت اللعن اظنُّ انَّ عندهُ من حسن القريض افضل مما تدرك في قتلهِ فاسمع منهُ فان سمعت حسنًا استزدتهُ وان لم يعجبك فما اقدرك على قتلهِ. فاذا نزلت فادعُ بهِ. (قال) فنزل وطعم وشرب وبينهُ وبين الناس حجاب ستر يراهم منـهُ ولا يرونهُ. فدعا بعبيد من وراء الستر فقال لهُ رديفه: هلاَّ كان الذبح لغيرك يا عبيد. فقال: أتتك بحائنٍ رجلاه. فارسلها مثلًا. فقال: ما ترى يا عبيد. فقال: ارى الحوايا عليها المنايا. فقال: فهل قلتَ شيئًا. فقال: حال الجريض دون القريض. فقال: انشدني «أقفر من اهله ملحوب». فقال

أقفر من اهلهِ عبيدُ　　　اصبح يبدي ولا يعيدُ
عنَّت لهُ خطـةٌ نكودُ　　　وحان منهـا لهُ ورودُ

فقال: أنشدنا:

هي الخمر تكنى بامّ الطلا　　　كما الذئب يدعى ابا جعده

وأبى ان ينشدهم شيئًا مما ارادوا. فأَمر بهِ فقُتل

ومما يغنّى بهِ من شعر عبيد:

طاف الخيال علينـا ليلة الوادي　　　من امّ عمرو ولم يلمم لميعـادِ
اني اهتديت لركب طال سيرهمُ　　　في سبسب بين دكداك واعقادِ (١)
اذهب اليك فاني من بني اسد　　　اهل القباب واهل الجرد والنادي

وفي هذه القصيدة يقول يخاطب حجر بن الحرث أبا امرئ القيس. وكان حجر يتوعّدهُ في شيء بلغهُ عنهُ ثم استصلحهُ. فقال يخاطبهُ:

ابلغ أبا كربٍ عني واخوتـهُ　　　قولًا سيذهب غورًا بعد انجـادِ

---

(١) حدّث سيف الكاتب قال: وليتُ ولاية فمررت بصـديق لي في بعض المنازل فنزلت بهِ. (قال) فنلنا من الطعام والشراب. ثم غلب علينا النبيذ فنمنـا. فانتبهت من نومي فاذا بكلب قد دخل على كلب الرجل فجعل يبشُّ ويسلم عليه لا انكر من كلامهما شيئًا. ثم جعل الكلب الداخل عليه يخبره عن طريقه بطول سفره وقال: هل عندك شيء تطعمنيه. قال: نعم في موضع كذا وكذا لحم طعام وليس عليـهِ شيء. فذهبا اليه. فكأني اسمع ولوغهما فيهِ. ثم سألهُ نبيذًا. فقال: نعم لحم نبيـذ في اناء آخر ليس لهُ غطاء. فذهبا اليهِ فشربا. ثم قال لهُ: هل تطربني بشيء. قال: اي وعيشك صوت كان ابو يزيد يغنيهِ فيجيدهُ. ثم غنّاه.

طاف الخيال علينا ليلة الوادي　　　لآلِ اسماء لم يلمم لميعـادِ
اني اهتديت لركب طال سيرهم　　　في سبسب بين دكداك واعقادِ

(قال) فلم يزل يغنيهِ ويشربان مليًّا حتى فني ذلك النبيـذ. ثم خرج الكلب الداخل. فخفت والله على نفسي ان اذكر ذلك لصاحب المنزل فامسكت وما اذكر اني سمعت احسن من ذلك الغناء.

لأعرفنّك بعد الموت تندبني — وفي حياتي ما زوّدتني زادي (١)
انّ امامك يومًا انت مدركه — لا حاضر مفلت منهُ ولا بادي
فانظر الى ظلّ مُلك انت تاركهُ — هل ترسينّ اراجيهِ باوتاد
الخير يبقى وان طال الزمان بهِ — والشرّ اخبث ما اوعيت من زادِ

جَبَلَة وعُمَر بن الخَطّاب

قال ابو عمرو الشيباني : لما أسلم جبلة بن الأيهم الغساني وكان من ملوك آل جفنة كتب الى عمر رضي الله عنهُ يستأذنه في القدوم عليهِ . فأذن لهُ عمر . فخرج اليهِ في خمسمائة من اهل بيتهِ من عكّ وغسان حتى اذا كان على مرحلتين كتب الى عمر يعلمه بقدومه . فسرّ عمر رضوان الله عليهِ وأمر الناس باستقباله وبعث اليهِ بأنزال : وأمر جبلة مائتي رجل من اصحابه فلبسوا السلاح والحرير وركبوا الخيول معقودة اذنابها وألبسوها قلائد الذهب والفضة . ولبس جبلة تاجه وفيهِ قرطا مارية وهي جدّتهُ ودخل المدينة . فلم يبقَ بها بكر ولا عانس الّا تبرّجت وخرجت تنظر اليهِ والى زيّه . فلما انتهى الى عمر رحّب بهِ وألطفه وادنى مجلسه . ثم اراد عمر الحج فخرج

(١) اخبر ابو بكر الهذليّ قال : سمع عمر بن الخطاب نساء بني مخذوم يبكين على خالد بن الوليد . فبكى وقال : ليقلنَ نساء بني مخزوم في ابي سليمان ما شئن فانهن لايكذبنَ وعلى مثل ابي سليمان تبكي البواكي . فقال لهُ طلحة بن عبد الله : انك واياه لكما قال عبيد بن الابرص :

لالفينّك بعد الموت تندبني — وفي حياتي ما زوّدتني زادي

معهُ جبلة . فبينا هو يطوف بالبيت وكان مشهورًا بالموسم اذ وطئ ازاره رجل من بني فزارة فانحلّ . فرفع جبلة يده فهشم انف الفزاري . فاستعدى عليهِ عمر رضوان الله عليهِ . فبعث الى جبلة فاتاه . فقال : ما هذا . قال : نعم يا امير المؤمنين انهُ تعمّد حلّ ازاري ولولا حرمة الكعبة لضربت بين عينيهِ بالسيف . فقال لهُ عمر : قد أقررت فاما أن تُرضي الرجل واما ان اقيده منك . قال جبلة : ماذا تصنع بي . قال : آمر بهشم انفك كما فعلت . قال : وكيف ذاك يا امير المؤمنين وهو سوقة وانا ملك . قال : انّ الاسلام جمعك واياه فليس تفضله بشيء الّا بالتقى والعافية . قال جبلة : قد ظننت يا امير المؤمنين اني اكون في الاسلام اعزّ مني في الجاهلية . قال عمر : دع عنك هذا فانك ان لم ترضِ الرجل أقدتهُ منك . قال : اذًا اتنصّر . قال : ان تنصرت ضربت عنقك لانك قد اسلمت فان ارتددت قتلتك . فلما رأى جبلة الصدق من عمر قال : انا ناظر في هذا ليلتي هذه . وقد اجتمع بباب عمر من حيّ هذا وحيّ هذا خلق كثير حتى كادت تكون بينهم فتنة . فلما أمسوا أذن لهُ عمر في الانصراف حتى اذا نام الناس وهدأوا تحمل جبلة بخيله ورواحله الى الشام فاصبحت مكة وهي منهم بلاقع . فلما انتهى الى الشام تحمل في خمسمائة رجل من قومه حتى اتى القسطنطينية فدخل الى هرقل فتنصر هو وقومه . فسُرّ هرقل بذلك جدًا وظنّ انهُ فتح من الفتوح عظيم . وأقطعه حيث شاء وأجرى عليهِ من النزل ما شاء وجعلهُ من محدثيهِ وسماره . ثم ان عمر رضي الله عنهُ بدا لهُ ان يكتب الى هرقل يدعوهُ الى الله جلّ وعزّ والى الاسلام ووجه اليهِ رجلًا من اصحابه وهو جثامة بن مساحق الكناني . فلما انتهى اليهِ الرجل بكتاب عمر اجاب الى كل شيء سوى الاسلام . فلما اراد

الرسول الانصراف قال لهُ هرقل : هل رأيت ابن عمك هذا الذي جاءنا راغباً في ديننا . قال : لا . قال : فالقهُ . (قال الرجل) فتوجهت اليهِ فلمّا انتهيت الى بابهِ رأيت من البهجة والحسن والسرور ما لم أرَ بباب هرقل مثلهُ . فلما أُدخلت عليهِ اذا هو في بهو عظيم وفيهِ من التصاوير ما لا أُحسن وصفهُ . واذا هو جالس على سرير من قوارير قوائمهُ اربعة أُسد من ذهب . واذا هو رجل اصهب ذو سِبال وعثنون وقد أمر بمجلسه فاستقبل بهِ وجه الشمس فما بين يديه من آنية الذهب والفضة يلوح فما رأيت احسن منهُ . فلما سلمت ردَّ السلام ورحب بي والطفني ولامني على تركي النزول عنده . ثم أقعدني على شيء لم اثبتهُ فاذا هو كرسي من ذهب فانحدرت عنهُ . فقال : ما لك . فقلت : ان رسول الله (صلعم) نهى عن هذا . فقال جبلة ايضاً مثل قولي في النبيّ (صلعم) حين ذكرتهُ وصلّى عليهِ . ثم قال : انك يا هذا اذا طهّرت قلبك لم يضرّك ما لبستهُ ولا ما جلست عليهِ . ثم سألني عن الناس وألحف في السؤال عن عمر . ثم جعل يفكر حتى رأيت الحزن في وجههِ . فقلت : ما يمنعك من الرجوع الى قومك والاسلام . قال : أبعد الذي قد كان . قلت : قد ارتدّ الاشعث بن قيس ومنعهم الزكاة وضربهم بالسيف ثم رجع الى الاسلام . فتحدّثنا مليّاً . ثم أومأ الى غلام على رأسهِ . فولّى يحضر . فما كان الّا هنيهة حتى اقبلت الاخونة يحملها الرجال فوُضعت . وجيء بخوان من ذهب فوضع أمامي . فاستعفيت منهُ . فوضع امامي خوان خليج وجامات قوارير . وادير الخمر فاستعفيت منها فلما فرغنا دعا بكأس من ذهب فشرب منهُ خمساً عدداً . ثم اومأ الى غلام . فولّى يحضر . فما شعرت الّا بعشر جوارٍ يتكسّرن في الحلي . فقعد خمس عن يمينهِ وخمس عن شمالهِ . ثم سمعت وسوسة من ورائي . فاذا انا بعشر افضل من

الاوَل عليهنَّ الوشي والحلي . فقعد خمس عن يمينهِ وخمس عن شمالهِ . واقبلت جارية على رأسها طائر ابيض كأنهُ لؤلؤة مؤدّب وفي يدها اليمنى جام فيهِ مسك وعنبر قد خُلطا وأُنعم سحقهما وفي اليسرى جام فيهِ ماء ورد . فألقت الطائر في ماء الورد فتمعّك بين جناحيه وظهره وبطنه . ثم اخرجتهُ فألقتهُ في جام المسك والعنبر فتمعّك فيها حتى لم يدع فيها شيئاً . ثم نفرتهُ فطار فسقط على تاج جبلة ثم زفرف ونفض ريشهُ فما بقي عليهِ شيء الّا سقط على رأس جبلة . ثم قال للجواري : اطربنني . فخفقن بعيدانهنَّ يغنين :

لله درّ عصابة نادمتهم	يوماً بجلّق في الزمان الاوّلِ
بيض الوجوه كريمة احسابهم	شمّ الانوف من الطراز الاوّل
يغشون حتى ما تهرّ كلابهم	لا يسألون عن السواد المقبل

فاستهلَّ واستبشر وطرب . ثم قال : زدنني . فاندفعن يغنينَ :

لمن الدار اقفرت بمعانِ	بين شاطئ اليرموك فالصمّانِ
فحمى جاسمٍ فاودية الصفّر م	مغنى قبائل وهجانِ
فالقُريّات من بلاس فداريّا م	فسكّاء فالقصور الدواني
ذاك مغنًى لآل جفنة في الدهر م	وحقٌّ تعقب الازمانِ
قد دنا الفصح فالولائد ينظمنَ م	سراعاً أكلّة المرجانِ
لم يعللنَ بالمغافير والصمغ م	ولا نقف حنظل الشريانِ
قد أراني هناك حقّاً مكيناً	عند ذي التاج مقعدي ومكاني

فقال : أتعرف هذه المنازل . قلت : لا . قال : هذه منازلنا في ملكنا باكناف دمشق . وهذا شعر ابن الفريعة حسان بن ثابت شاعر رسول الله (صلعم) . قلت : اما انهُ مضرور البصر كبير السنّ . قال : يا جارية هاتِ . فاتتهُ بخمسمائة

دينار وخمسة اثواب من الديباج . فقال : ادفع هذا الى حسان واقرأه مني السلام . ثم راودني على مثلها . فأبيت . فبكى وبكيت معهُ حتى رأيت دموعهُ تجول على لحيتهِ كأنها اللؤلؤ . ثم سلمت عليهِ وانصرفت . فلما قدمت على عمر سألني عن هرقل وجبلة . فقصصت عليهِ القصة من اوّلها الى آخرها . فقال : أو رأيت جبلة يشرب الخمر . قلت : نعم . قال : ابعده الله تعجّل فانية اشتراها بباقية فما ربحت تجارتهُ . فهل سرّح معك شيئاً . قلت : سرّح الى حسان خمسمائة دينار وخمسة اثواب ديباج . فقال : هاتها . وبعث الى حسان فاقبل يقوده قائدهُ حتى دنا فسلم وقال : يا امير المؤمنين اني لأجد ارواح آل جفنة . فقال عمر رضي الله عنه : قد نزع الله تبارك وتعالى لك منهُ على رغم انفهِ وأتاك بمعونة . فانصرف عنهُ وهو يقول :

انّ ابن جفنة من بقية معشرٍ   لم يغذهم آباؤهم باللُّومِ
لم ينسني بالشام اذ هو ربُّها   كلّا ولا متنصّرًا بالرومِ
يعطي الجزيل ولا يراه عنده   الّا كبعض عطية المذمومِ
وأتيتهُ يومًا فقرّب مجلسي   وسقى فروّاني من الخرطومِ

فقال لهُ رجل : أتذكر قومًا كانوا ملوكًا فابادهم الله وافناهم . فقال : ممن الرجل . قال : مزنيّ . قال : اما والله لولا سوابق قومك مع رسول الله (صلعم) لطوّقتك طوق الحمامة . وقال : ما كان خليلي ليخلّ بي . فما قال لك . قال : قال ان وجدتهُ حيًّا فادفعها اليهِ وان وجدتهُ ميتًا فاطرح الثياب على قبرهِ وابتع بهذه الدنانير بدنًا فانحرها على قبره . فقال حسان : ليتك وجدتني ميتًا ففعلت ذلك بي

وذكر الزبير بن بكار ان معاوية لما ولي بعث الى جبلة فدعاه الى

الرجوع الى الاسلام ووعدهُ اقطاع الغوطة بأسرها فأبى ولم يقبل

الحُطَيئَة

الحطيئة لقبٌ لُقب بهِ واسمهُ جرول بن أوس . وهو من فحول الشعراء ومتقدميهم وفصحائهم متصرّف في جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنسيب مجيد في ذلك أجمع . وكان ذا شرّ وسفه . ونسبهُ متدافع بين قبائل العرب . وكان ينتمي الى كل واحدة منها اذا غضب على الآخرين . وهو مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام فأسلم ثم ارتدّ وقال في ذلك :

اطعنا رسول الله اذ كان بيننا   فيالعباد الله ما لابي بكرِ
أيورثها بكرًا اذا مات بعدهُ   وتلك لعمرُ الله قاصمة الظهرِ

ويكنى الحطيئة أبا مليكة . وقيل ان الحطيئة غلب عليهِ ولُقب بهِ لقصرهِ وقربه من الارض

قال الاصمعي : كان الحطيئة جشعًا سؤّلًا مُلحفًا دنيء النفس كثير الشرّ قليل الخير بخيلًا قبيح المنظر رثّ الهيئة مغموز النسب فاسد الدين وما تشاء ان تقول في شعر شاعر من عيب الّا وجدتهُ وقلما تجد ذلك في شعره . قال ابو عبيدة : بخلاء العرب اربعة الحطيئة وحميد الارقط وأبو الاسود الدؤلي وخالد بن صفوان . وكان الحطيئة بذيًّا هجّاء فالتمس ذات يوم انسانًا يهجوه فلم يجده وضاق عليهِ ذلك فانشأ يقول :

أبت شفتاي اليوم الّا تكلّمًا   بشرٍّ فما أدري لمن أنا قائلهُ

وجعل يدهور هذا البيت في اشداقهِ ولا يرى انسانًا اذ اطّلع في ركيّ أو حوض فرأى وجههُ فقال :

أرى لي وجهًا شوّه الله خلقهُ ... فقُبّح من وجهٍ وقُبّح حاملهُ

وقدم الحطيئة المدينة وقد ارصدت لهُ قريش العطايا والناس في سنة مجدبة وسخطة من خليفة. فمشى أشراف أهل المدينة بعضهم الى بعض فقالوا : قد قدم علينا هذا الرجل وهو شاعر والشاعر يظنّ فيحقق وهو ياتي الرجل من أشرافكم يسألهُ فان أعطاه جهد نفسهُ بهرها وان حرمهُ هجاه. فأجمع رأيهم على ان يجعلوا لهُ شيئًا معدًا يجمعونهُ بينهم لهُ. فكان أهل البيت من قريش والانصار يجمعون لهُ العشرة والعشرين والثلاثين الدينار حتى جمعوا لهُ اربعمائة دينار وظنوا أنهم قد أغنوه فأتوه فقالوا لهُ: هذه صلة آل فلان وهذه صلة آل فلان وهذه صلة آل فلان. فاخذها . فظنّوا انهم قد كفوه عن المسئلة. فاذا هو يوم الجمعة قد استقبل الامام ماثلًا ينادي: من يحملني على بغلين وقاه الله كبة جهنم

قال حماد: سمعت أبي يقول وقد أنشد قول الحطيئة:

وفتيان صدق من عديّ عليهم ... صفائح بصرى علقت بالعواتق
اذا ما دُعوا لم يسألوا من دعاهم(١) ... ولم يمسكوا فوق القلوب الخوافق
وطاروا الى الجرد العتاق فألجموا ... وشدّوا على أوساطهم بالمناطق
اولئك آباء الغريب (٢) وغاثة م ... الصريخ ومأوى المرملين الدرادق
أحلّوا حياض المجد فوق جباههم ... مكان النواصي من وجوه السوابق

(١) ويروى : اذا استلحموا واذا ركبوا لم ينظروا عن شمالهم
(٢) ويروى : اولئك ابناء العزيف

ثم قال: أما اني ما ازعم أنّ احدًا بعد زهير أشعر من الحطيئة. قال عبد الرحمن بن أبي بكرة : لقيت الحطيئة بذات عرق فقلت له: يا أبا مليكة من أشعر الناس. فأخرج لسانه كأنه لسان الحيّة ثم قال : هذا اذا طمع

قال أبو عدنان : لما حضرت عبيد الله بن شدّاد الوفاة دعا ابنه محمدًا فأوصاه وقال له: يا بنيّ أرى داعي الموت لا يقلع. ويحقّ ان مضى لا يرجع. ومن بقي فاليهِ ينزع. يا بنيّ ليكن اولى الامور بك تقوى الله في السرّ والعلانية والشكر لله وصدق الحديث والنية فان للشكر مزيدًا والتقوى خير زاد كما قال الحطيئة:

ولست أرى السعادة جمع مال ... ولكن التقيّ هو السعيدُ
وتقوى الله خير الزاد ذخرًا ... وعند الله للاتقى مزيدُ
وما لا بدّ ان ياتي قريب ... ولكنّ الذي يمضي بعيدُ

قال المدائني : مرّ ابن الحمامة بالحطيئة وهو جالس بفناء بيته فقال : السلام عليكم. فقال: قلت ما لا ينكر. قال : اني خرجت من اهلي بغير زاد. فقال : ما ضمنت لاهلك قراك. قال: أفتأذن لي ان آتي ظلّ بيتك فاتفيأ بهِ. قال : دونك الجبل يفيّ عليك. قال: أنا ابن الحمامة. قال : انصرف وكن ابن أيّ طائر شئت

ولما حضرت الحطيئة الوفاة اجتمع اليه قومه فقالوا: يا أبا مليكة أوص. فقال : ويل للشعر من رواية السوء . قالوا: أوص رحمك الله يا حطيء. قال: من الذي يقول:

اذا انبض الرامون عنها ترنّمت ... ترنم ثكلى اوجعتها الجنائزُ

قالوا: الشماخ. قال: ابلغوا غطفان انه أشعر العرب. قالوا : ويحك أهذه وصية

أوص بما ينفعك. قال: أبلغوا أهل ضابئ انهُ شاعر حيث يقول:

لكل جديد لذَّة غير انني ... رأيت جديد الموت غير لذيذِ

قالوا: اوص ويحك بما ينفعك. قال: أبلغوا أهل امرئ القيس انهُ أشعر العرب حيث يقول:

فيا لك من ليل كأنَّ نجومهُ ... بكل مغار الفتل شُدَّت بيذبلِ

قالوا: اتّقِ الله ودع عنك هذا. قال: أبلغوا الانصار انَّ صاحبهم أشعر العرب حيث يقول:

يغشون حتى ما تهرّ كلابهم ... لا يسألون عن السواد المقبلِ

قالوا: هذا لا يغني عنك شيئًا فقل غير ما أنت فيهِ. فقال:

الشعر صعب وطويل سلمهْ ... اذا ارتقى فيه الذي لا يعلمهْ
زلَّت بهِ الى الحضيض قدمهْ ... يريد ان يعربهُ فيعجمهْ

قالوا: هذا مثل الذي كنت فيه. فقال:

قد كنت احيانًا شديد المعتمدْ ... وكنت ذا غرب على الخصم ألدْ
فوردت نفسي وما كادت تردْ

قالوا: يا أبا مليكة ألك حاجة. قال. لا والله ولكن اجزع على المديح الجيد يُمدح بهِ من ليس لهُ اهلاً. قالوا: فمن أشعر الناس. فأومأ بيده الى فيهِ وقال: هذا الجحير اذا طمع في خير. يعني فمه. واستعبر باكيًا. فقالوا لهُ قل: لا اله الّا الله. فقال:

قالت وفيها حيدة وذعرُ ... عوذي بربي منكم وحجرُ

فقيل لهُ: ما تقول في عبيدك واماءك. فقال: هم عبيد قنٌ ما عاقب الليل النهار. قالوا: فأوصِ للفقراء بشيءٍ. قال: أُوصيهم بالالحاح في المسئلة فانَّها

تجارة لا تبور. قالوا: فما تقول في مالك. قال: للانثى من ولدي مثلا حظ الذكر. قالوا: ليس هكذا قضى الله عزَّ وجلَّ لهنَّ. قال: لكني هكذا قضيت. قالوا: فما توصي لليتامى. قال: كلوا اموالهم. قالوا: فهل شيءٌ تعهد فيهِ غير هذا. قال: نعم تحملونني على أتان وتتركونني راكبها حتى أموت فانَّ الكريم لا يموت على فراشهِ والاتان مركب لم يمت عليهِ كريم قط. فحملوه على اتان وجعلوا يذهبون بهِ ويجيئون عليها حتى مات وهو يقول:

لا أحد ألأم من حطيئه ... هجا بنيهِ وهجا المريه
من لؤمهِ مات على فريه (١)

الحُطيئة والزِّبْرِقان (*)

قدم الزبرقان على عمر في سنة مجدبة ليؤدّي صدقات قومهِ. فلقيَه الحطيئة بقرقرى ومعهُ ابناه أوس وسوادة وبناته وامرأته. فقال لهُ الزبرقان وقد عرفهُ ولم يعرفهُ الحطيئة: اين تريد. قال: العراق فقد حطمتنا هذه السنة. قال: وتصنع ماذا. قال: وددت ان اصادف بها رجلًا يكفيني مؤنة عيالي واصفيهِ مدحي ابدًا. فقال لهُ الزبرقان: قد اصبتهُ. فهل لك فيهِ يوسعك لبنًا وتمرًا ويجاورك احسن جوار واكرمهُ. فقال الحطيئة: هذا وأبيك

(١) الفرية الاتان

(*) كان اسم الزبرقان الحصين بن بدر. وانما سمي الزبرقان لحسنهِ شبه بالقمر. وقيل بل لبس عمامة مزبرقة بالزعفران فسمي الزبرقان لذلك

العيش وما كنت ارجو هذا كلهُ. قال: فقد أصبتــه. قال: عند من. قال: عندي. قال: ومن انت. قال: الزبرقان بن بدر. قال: وأين محلُّــك. قال: اركب هذه الابل واستقبل مطلع الشمس وسلْ عن القمر حتى تاتي منزلي. (وقال ابو عبيدة في خبره) فقال لهُ: سر الى امّ حزرة وهي امّ الزبرقان (١) وهي ايضاً عمّة الفرزدق. وكتب اليها ان: احسني اليــهِ واكثري لهُ من التمر واللبن. وذلك في عام صعب مجدب. فاكرمتهُ المرأة واحسنت اليهِ. فبلغ ذلك بغيض بن عامر بن شماس بن لأي بن جعفر وهو انف النــاقة بن (٢) قريع وبلغ اخوتهُ وبني عمهِ فاغتنموها. (وفي خــبر اليزيدي عن عمهِ): قال ابن حبيب عن ابن الاعرابي: وكانوا يغضبون من انف الناقــة وكانوا ينازعون الزبرقان الشرف يعني بغيضاً واخوتهُ وأهلهُ وكانوا اشرف من الزبرقان الّا انهُ قد كان استعلاهم بنفسهِ

وقال ابو عبيدة في خبرهِ: كان الحطيئة دميماً سيّء الخلق لا تأخذهُ العين ومعهُ عيال كذلك. فلما رأت ام حزرة حالهُ هان عليهــا وقصرت بهِ. ونظر بغيض وبنو انف الناقة الى ما تصنع بهِ امّ حزرة فأرسلوا اليهِ ان: ائتنا. فأَبى عليهم وقال: انّ من شأن النساء التقصير والغفلــة ولست بالذي احمل

---

(١) قال آخرون: بل وكله الى زوجته

(٢) انما سمي جعفر انف الناقة لان اباه قريعاً نحر ناقة فقسمها بين نسائهِ. فبعثت جعفراً هذا امهُ وهي الشموس من وائل ثم من سعد هذيم. فاتى اباه ولم يبق من الناقة الّا راسها وعنقها. فقال: شأنك بهذا. فادخل يده في انفها وجرّ ما اعطاه. فسمي انف الناقة. وكان ذلك كاللقب لهم حتى مدحهم الحطيئة فقال:

قوم هم الانف والاذناب غيرهم ومن يسوّي بانف الناقة الذنبا

فصار بعد ذلك فخراً لهم ومدحاً

على صاحبها ذنبها. فلما ألحّ عليهِ بنو انف الناقة وكان رسولهم اليهِ شماس بن لأي وعلقمة بن هوذة وبغيض بن شماس والمخبل الشاعر قال لهم: لست بحامل على الرجل ذنب غيره فان تُركت وجُفيت تحوّلت اليكم. فاطمعوه ووعدوه وعداً عظيماً. وقال ابن سلام في خبره: فلما لم يجبهم دسُّوا الى هنيدة زوجة الزبرقان انّ الزبرقان انما يريد ان يتزوّج ابنتهُ مليكة وكانت جميلة كاملة. فظهرت من المرأة للحطيئة جفوة وهي في ذاك تداريه. ثم ارادوا النجعة. قال ابو عبيدة: فقالت لهُ امُّ حزرة (وقال ابن سلام فقالت لهُ هنيدة): قد حضرت النجعة فاركب انت واهلك هذا الظهر الى مكان كذا وكذا ثم اردده الينــا حتى نلحقك فانهُ لا يسعنا جميعاً. فارسل اليهــا: بل تقدمي انت فانتِ احقُّ بذلك. ففعلت وتثاقلت عن ردّها اليهِ وتركتــهُ يومين أو ثلاثة. وألحّ بنو انف الناقة عليهِ وقالوا لهُ: قد تُركت بضيعة. وكان اشدّهم في ذلك قولاً بغيض بن شمّاس وعلقمة بن هوذة. وكان الزبرقان قد قال في علقمة:

لي ابن عمّ لا يزال م يعيبني ويعيب عائبْ
وأعينــهُ في النائبــا ت ولا يعين على النوائبْ
تسري عقــاربهُ اليَّ م ولا تدبُّ لهُ عقاربْ
لام ابن عمك لا يخــا ف المخزنات من العواقبْ

(قال) فكان علقمة ممتلئاً غيظاً عليهِ. فلما ألحوا على الحطيئة اجابهم فقال: اما الآن فنعم انا صائر معكم. فتحمل معهم فضربوا لهُ قبة وربطوا بكل طنب من اطنابها حلّة هجرية واراحوا عليهِ ابلهم واكثروا لهُ من التمر واللبن وأعطوهُ لقاحاً وكسوه. (قال) فلما قدم الزبرقان سأل عنهُ فأُخبر بقصتــهِ.

فنادى في بني بهدلة بن عوف . فركب الزبرقان فرسهُ واخذ رمحهُ وسار حتى وقف على نادي بني شماس القريعيّين فقال : ردّوا عليَّ جاري . فقالوا : ما هو لك بجار وقد اطرحتهُ وضيعتهُ . فألمّ ان يكون بين الحيّين حرب . فحضر اهل الحجى من قومهم فلاموا بغيضاً وقالوا : اردد على الرجل جاره . فقال : لست مخرجهُ وقد آويتهُ وهو رجل حرّ مالك لامرهِ فخيّروه فان اختارني لم أُخرجهُ وان اختارهُ لم أُكرههُ . فخيّروا الحطيئة فاختار بغيضاً ورهطه . فجاء الزبرقان ووقف عليهِ وقال لهُ : أبا مليكة افارقت جواري عن سخط وذمّ . قال : لا . فانصرف وتركهُ . هذه رواية ابن سلام . وأما ابو عبيدة فانهُ ذكر انهُ كان بين الزبرقان ومن معهُ من القريعيّين تلاحٍ وتشاحّ . وزعم غيرهما ان الزبرقان استعدى عمر بن الخطاب على بغيض . فحكم عمر بان يُخرج الحطيئة حتى يقام في موضع خال بين الحيّين وحدهُ ويخلّى سبيلهُ ويكون جار ايهما اختار . ففُعل ذلك بهِ فاختار القريعيّين . (قال) وجعل الحطيئة يمدحهم من غير ان يهجو الزبرقان وهم يحضونهُ على ذلك ويحرضونهُ فيأبى ويقول : لا ذنب للرجل عندي . حتى ارسل الزبرقان الى رجل من النمر بن قاسط يقال له دثار بن شيبان فهجا بغيضاً فقال :

أرى ابلي بجوف الماء حلّت ... واعوزها بهِ الماء الرواء
وقد وردت مياه بني قريع ... فما وصلوا القرابة مذ اساءوا
تخلّى يوم ورد الناس ابلي ... وتصدر وهي محنقة ظماء
ألم اكُ جار شماس بن لأيٍ ... فاسلمني وقد نزل البلاء
فقلت تحوّلي يا امّ بكرٍ ... الى حيث المكارم والعلاء
وجدنا بيت بهدلة بن عوفٍ ... تعالى سمكهُ ودحا الفناء

وما اضحى لشمّاس بن لأيٍ ... قديم في الفعال ولا رباء
سوى انَّ الحطيئة قال قولًا ... فهذا من مقالته جزاء

فحينئذٍ قال الحطيئة يهجو الزبرقان ويناضل عن بغيض قصيدتهُ التي يقول فيها :

والله ما معشر لاموا امرءًا جنبًا ... في آل لأي بن شمّاس باكياسِ
ما كان ذنب بغيض لا أبا لكمُ ... في بائس جاء يحدو آخر الناسِ
لقد مريتكمُ لو انَّ درّتكم ... يومًا يجيءُ بها مسحي وابساسي
وقد مدحتكم عمدًا لارشدكم ... كيما يكون لكم متحي وامراسي (١)
لما بدا ليَ منكم عيب انفسكم ... ولم يكن لجراحي فيكمُ آسي
أزمعت يأسًا متينًا من نوالكمُ ... ولن يرى طاردًا للحرّ كالياسِ
جارٌ لقوم اطالوا هون منزلهِ ... وغادروه مقيمًا بين ارماسِ
ملّوا قِراهُ وهرّتهُ كلابهمُ ... وجرّحوهُ بانياب وأضراسِ
دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فانك انت الطاعم الكاسي
من يفعل الخير لا يعدم جوازيهُ ... لا يذهب العرف بين الله والناسِ (٢)

---

(١) الجنب الغريب . والابساس ان يسكّن الناقة عند الحلب . والماتح المستقي الذي يجذب الدلو من فوق . والامراس ان يقع الحبل في جانب البكرة فيخرجهُ

(٢) قال ابو عمرو بن العلاء : لم تقل العرب بيتاً اصدق من بيت الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ... لا يذهب العرف بين الله والناسِ

فقيل لهُ : فقول طرفة :

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلًا ... ويأتيك بالاخبار من لم تزوّدِ

فقال : من يأتيك بها ممّن زوّدت اكثر . وليس بيت ممّا قالتهُ الشعراء الّا وفيه مطعن الّا قول الحطيئة « لا يذهب العرف بين الله والناسِ »

ما كان ذنبيَ أن فلّت معاولكم	من آل لأيٍ صفاةً اصلها راسي
قد ناضلوك فسلّوا من كنائنهم	مجداً تليداً ونبلاً غير انكاسِ

فاستعدى عليهِ الزبرقان عمر بن الخطاب فرفعهُ عمر اليه واستنشدهُ . فانشدهُ . فقال عمر لحسان : اتراه هجاه . قال : نعم وسلح عليهِ . فحبسهُ عمر . فقال وهو اوّل ما قالهُ في الحبس :

اعوذ بجدّك اني امرؤٌ	سقتني الاعادي اليك السجالا
فانك خير من الزبرقان	اشد نكالاً وأرجى نوالا
تحنّن عليَّ هداك المليك	فانَّ لكلِّ مقامٍ مقالا
ولا تأخذنّي بقول الوشاة	فانَّ لكلّ زمانٍ رجالا
فان كان ما زعموا صادقاً	فسيقت اليك نسائي رجالا
حواسر لا يشتكين الوجاء	م يخفضن آلا ويرفعن آلا

فلم يلتفت عمر اليهِ حتى قال ابياته التي اوّلها :

ماذا تقول لافراخٍ بذي مَرَخٍ	زغب الحواصل لا ماءٌ ولا شجرُ
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمةٍ	فاغفر عليك سلامُ الله يا عمرُ
انت الامام الذي من بعد صاحبهِ	القى اليك مقاليدَ النهى البشرُ
لم يؤثروك بها اذ قدّموك لها	لكن لانفسهم كانت بك الاثرُ
فامنن على صبية بالرمل مسكنهم	بين الاباطح تغشاهم بها القررُ
اهلي فداؤك كم بيني وبينهم	من عرض داوية تعمى بها الخبرُ

(قال) فبكى حين قال «ماذا تقول لافراخ بذي مرخ» . فقال عمرو بن العاص : ما اظلّت الخضراء ولا اقلّت الغبراء أعدل من رجل يبكي على تركهِ الحطيئة . فقال عمر : عليَّ بالكرسي . فأُتي بهِ . فجلس عليهِ ثم قال : اشيروا عليَّ

في الشاعر فانهُ يقول الهجو وينسب بالحرم ويمدح الناس ويذمّهم بغير ما فيهم . ما أراني الّا قاطعاً لسانهُ . ثم قال : عليَّ بطست . فأُتي بها . ثم قال : عليَّ بالمخصف عليَّ بالسكين لا بل عليَّ بالموسى فهو اوحى . فقالوا : لا يعود يا امير المؤمنين . فاشاروا اليهِ ان : قل لا اعود . فقال : لا اعود يا امير المومنين . فقال : لهُ النجاء . (قال) فلما ولّى قال لهُ عمر : يا حطيئة كأني بك عند فتى من قريش قد بسط لك نمرقة وكسر لك اخرى وقال غنّنا يا حطيئة فطفقت تغنيهِ باعراض الناس . قال ابن اسلم : فما انقضت الدنيا حتى رأيت الحطيئة عند عبيد الله بن عمر قد بسط لهُ نمرقة وكسر لهُ اخرى وقال : غنّنا يا حطيئة . فجعل يغنيهِ . فقلت لهُ : يا حطيئة اتذكر قول عمر . ففزع وقال : يرحم الله ذلك المرء اما انهُ لو كان حيًّا ما فعلت . ورُوي عن عبد الله بن المبارك ان عمر رضي الله عنه لما اطلق الحطيئة اراد ان يؤكّد عليهِ الحجة فاشترى منهُ اعراض المسلمين جميعًا بثلاثة آلاف درهم . فقال الحطيئة في ذلك :

واخذت اطراف الكلام فلم تدع	شتمًا يضرُّ ولا مديحًا ينفعُ
وحميتني عرض اللئيم فلم يخف	ذمي واصبح آمنًا لا يفزعُ

شريح بن ضبيعة الحُطَم في حرب الرِّدَّة

هو شريح بن ضبيعة وامهُ هند بنت حسان بن عمرو بن مرثد . قال ابو عبيدة : كان شريح بن ضبيعة غزا اليمن في جموع جمعها من ربيعة فغنم وسبى بعد حرب كانت بينهُ وبين كندة أسر فيها فرعان بن مهدي بن معدي

كرب عمّ الاشعث بن قيس. وأخذ على طريق مفازة فضلَّ بهم دليلهم. ثم هرب منهم. ومات فرعان في ايديهم عطشاً. وهلك منهم ناس كثير بالعطش. وجعل الحطم يسوق باصحابهِ سوقاً عنيفاً حتى نجوا ووردوا الماء. فقال فيهِ رشيد (١):

هذا اوان الشدّ فاشتدي زيمْ | لست براعي ابلٍ ولا غنمْ
ولا بجزّار على ظهر وضمْ | نام الحداة وابن هند لم ينمْ
باتت يقاسيها غلام كالزلمْ | خدلج الساقين خفاف القدمْ
قد لفّها الليل بسوّاق حطمْ

فلقب يومئذٍ الحطم لقول رشيد هذا فيهِ. وادرك الحطم الاسلام فاسلم ثم ارتدّ

حدّث محمد بن جرير قال: لما مات رسول الله (صلعم) خرج الحطم بن ضبيعة في بني قيس بن ثعلبة ومن اتبعهُ من بكر بن وائل على الردّة ومن تأشّب من غير المرتدّين ممن لم يزل كافراً حتى نزل القطيف وهجر واستغوى من كان بهما من الزُّطّ والسيابجة. وبعث بعثاً الى دارين فاقالهُ ليجعل عبد القيس بينهم وبينهُ وكانوا مخالفين لهُ يمدّون المسلمين. وارسل الى الغرور بن سويد بن المنذر بن اخي النعمان بن المنذر فقال لهُ: اثبت فاني ان ظفرت ملكتك البحرين حتى تكون كالنعمان بالحيرة. وبعث الى جؤاثا (٢) فحاصرهم والحّ عليهم فاشتدّ الحصار على المحصورين من المسلمين وفيهم رجل من صالحي المسلمين يقال لهُ عبد الله بن حذف احد بني ابي بكر بن كلاب فاشتدّ عليهِ وعليهم الجوع حتى كادوا يهلكون. فقال عبد الله بن حذف:

(١) هو رشيد بن رميض العنزي (٢) وقيل الى جوّاثى

أَلا ابلغ ابا بكر رسولاً | وفتيان المدينة اجمعينا
فهل لكمُ الى قوم كرامٍ | قعود في جؤاثى محصرينا
كان دماءهم في كل فجّ | شعاع الشمس يغشى الناظرينا
توكلنا على الرحمن انا | وجدنا النصر للمتوكلينا

قال منجاب بن راشد: بعث ابو بكر العلاء بن الحضرميّ على قتال اهل الردّة بالبحرين. فتلاحق بهِ من لم يرتدّ من المسلمين. فسرنا حتى نزلنا هجر. فأرسل العلاء الى الجارود ورجل آخر أن: انضمّا في عبد القيس حتى تنزلا على الحطم مما يليكما. وخرج هو فيمن معهُ وفيمن قدر عليه حتى ينزل مما يلي هجر. وتجمّع المسلمون كلهم الى العلاء بن الحضرميّ. ثم خندق المسلمون والمشركون فكانوا يتراوحون القتال ويرجعون الى خندقهم فكانوا كذلك شهراً. فبينا الناس ليلةً كذلك اذ سمع المسلمون في عسكر المشركين ضوضاء شديدة فكانها ضوضاء هزيمة. فقال العلاء: من يأتينا بخبر القوم. فقال عبد الله بن حذف انا آتيكم بخبر القوم. وكانت امهُ عجلية. فخرج حتى اذا دنا من خندقهم اخذوه فقالوا لهُ: من انت. فانتسب لهم وجعل ينادي: يا ابجراه. فجاء ابجر بن بجير فعرفهُ فقال: ما شأنك. فقال: لا اضيعنّ الليلة بين اللهازم. علامَ اقتل وحولي عساكر من عجل وتيم اللات وعنزة وقيس. أيتلاعب بي الحطم ونزاع القبائل وانتم شهود. فتخلصهُ وقال: والله اني لأظنك بئس ابن الاخت لأخوالك الليلة. قال: دعني من هذا واطعمني فقد متُّ جوعاً. فقرّب اليهِ طعاماً. فأكل ثم قال: زوّدني واحملني وجوّزني انطلق الى طيتي. ويقول ذلك لرجل قد غلب عليهِ الشراب. ففعل وحملهُ على بعير وزوّدهُ وجوّزهُ. وخرج عبد الله حتى دخل عسكر المسلمين فاخبرهم ان القوم سكارى. فخرج القوم

عليهم حتى اقتحموا عسكرهم فوضعوا فيهم السيوف حيث شاءوا واقتحموا الخندق هرابًا فمتردٍ وناجٍ ودهش ومقتول وأسور. واستولى المسلمون على ما في العسكر ولم يفلت رجل الّا بما عليهِ. فأما ابجر فافلت. واما الحطم فانهُ بعِل ودهش وطار فؤادهُ. فقام الى فرسهِ والمسلمون خلالهم يجوسونهم ليركبهُ فلما وضع رجلهُ في الركاب انقطع. فمرَّ بهِ عفيف بن المنذر احد بني عمرو بن تميم والحطم يستغيث ويقول: ألا رجل من بني قيس بن ثعلبة يعقلني. فرفع صوتهُ فعرفهُ عفيف فقال: ابن ضبيعة. قال: نعم. قال: اعطني رجلك اعقلك. فاعطاه رجلهُ يعقلها فنفحها فأطنّها من الفخذ وتركهُ. فقال: أجهز عليَّ. فقال: اني لأحبُّ ان لا تموت حتى امضّك. وكان مع عفيف عدة من ولد ابيهِ فأصيبوا ليلتئذٍ. وجعل الحطم يقول ذلك ان لا يعرفهُ حتى مرَّ بهِ قيس بن عاصم. فقال لهُ ذلك. فعرفهُ فصات عليهِ فقتلهُ. فلما رأى فخذهُ نادرًا قال: واسوءتاه لو عرفت الذي بهِ لم احركهُ. وخرج المسلمون بعد ما احرزوا الخندق على القوم يطلبونهم فاتبعوهم. فلحق قيس بن عاصم ابجر وكان فرس ابجر اقوى من فرس قيس. فلما خشي ان يفوتهُ طعنهُ في العرقوب فقطع العصب وسلم النسا. فقال عفيف بن المنذر في ذلك:

فان يرقإ العرقوب لا يرقإ النسا   وما كل من تلقى بذلك عالمُ
الم ترَ انا قد فللنا حماتهم   باسرة عمرو والرباب الاكارمُ

وأسر عفيف بن المنذر الغرورَ(١) ابن اخي النعمان بن المنذر. فكلمتهُ الرباب فيهِ وكان ابن اختهم وسألوهُ ان يجيرهُ. فجاء بهِ الى العلاء وقال: اني اجرتهُ.

(١) حدث سلمة بن الفضل عن ابي اسحق قال: اجتمعت ربيعة بالبحرين فقالوا: ردُّوا الملك في آل المنذر. فملكوا المنذر بن النعمان بن المنذر وكان يسمّى الغرور

قال: ومن هو. قال: الغرور. قال العلاء: انت غررت هولاء. قال: ايها الملك اني لست بالغرور ولكني المغرور. قال: اسلمْ. فاسلم وبقي بهجر. وكان الغرور اسمهُ ليس بلقب. وكان العفيف بن المنذر بن سويد اخا الغرور لامهِ وكان لهُ يومئذٍ بلاءٌ عظيم. فاصبح العلاء يقسم الانفال ونفل رجالًا من اهل البلاء ثيابًا فيها خميصة ذات اعلام وكان للحطم يباهي فيها. وباع الباقي.

مقتل حُجر بن عدي

ان المغيرة بن شعبة لما ولي الكوفة كان يقوم على المنبر فيذم عليَّ بن ابي طالب وشيعته وينال منهم ويلعن قتلة عثمان ويستغفر لعثمان ويزكيهِ. فيقوم حجر ابن عديّ فيقول: يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم. واني اشهد ان من تذمون أحق بالفضل ممن تُطرُون. ومن تزكون أحقّ بالذم ممن تعيبون. فيقول لهُ المغيرة: يا حجر ويحك اكفف من هذا واتقِ غضبة السلطان وسطوته فانها كثيرًا ما تقتل مثلك. ثم يكف عنهُ. فلم يزل كذلك حتى كان المغيرة يومًا في آخر ايامه يخطب على المنبر فنال من عليّ بن ابي طالب عليهِ السلام ولعنه ولعن شيعتهُ. فوثب حجر فنعر نعرة اسمعت كل من كان في المسجد وخارجه فقال لهُ: انك لا تدري ايها الانسان بمن تولع او هرمت. مُر لنا باعطياتنا وارزاقنا فانك قد حبستها عنا ولم يكن ذلك لك ولا لمن كان قبلك وقد اصبحت مولعًا بذم امير المؤمنين وتقريظ المجرمين. فقام معهُ اكثر من ثلاثين رجلًا يقولون: صدق والله حُجر مُر لنا باعطياتنا فانّا لا ننتفع بقولك هذا ولا يجدي علينا. واكثروا في ذلك.

فنزل المغيرة ودخل القصر . فاستأذن عليـهِ قومه ودخلوا ولاموه في احتماله حجرًا . فقال لهم : اني قد قتلته . قالوا : وكيف ذلك . قال : انهُ سيأتي امير بعدي فيحسبه مثلي فيصنع بهِ شبيهًا بما ترونه . فيأخذه عند اول وهلة فيقتله شرَّ قتلة . انهُ قد اقترب اجلي وضعف عملي وما أُحبُّ ان أبتدئ اهل هذا المصر بقتل خيارهم وسفك دمائهم فيسعدوا بذلك واشقى ويعزّ معاوية في الدنيا ويذلّ المغيرة في الآخرة . سيذكرونني لو قد جربوا العمّال . قـال الحسن بن عقبة : فسمعت شيخًا من الحي يقول : قد والله جرّبناهم فوجدناه خيرهم

(قال) ثم هلك المغيرة سنة خمسين فجمعت الكوفة والبصرة لزياد فدخلها ووجه الى حجر فجاءهُ وكان لهُ قبل ذلك صديقًا . فقال لهُ : قد بلغني ما كنت تفعلهُ بالمغيرة فيحتمله منك . واني والله لا احتملك على مثـل ذلك ابدًا . ارأيت ما كنت تعرفني بهِ من حب عليّ ووده فان الله قد سلخـهُ من صدري فصيّرهُ بغضًا وعداوة . وما كنتَ تعرفني بهِ من بغض معـاوية وعداوته فان الله قد سلخهُ من صدري وحوّلهُ حبًا ومودة . واني اخوك الذي تعهد . اذا اتيتني وانا جالس للنـاس فاجلس معي على مجلسي . واذا أتيت ولم أجلس للناس فاجلس حتى أخرج اليك . ولك عنـدي في كل يوم حاجتان حاجة غدوةً وحاجة عشيةً . انك ان تستقم تسلم لك دنياك ودينك وان تأخذ يمينًا وشمالًا تهلك نفسك وتُشِطّ عنـدي دمك . اني لا احب التنكيل قبل التقدمة ولا آخذ بغير حجة . اللهمَّ اشهد . فقال حجر : لن يرى الامير مني الّا ما يحب وقد نصح وانا قابل نصيحتهُ . ثم خرج من عنده . فكان يتقيهِ ويهابهُ

وكان زياد يُدنيه ويكرمه ويفضله . والشيعة تختلف الى حجر وتسمع منهُ . وكان زياد يشتو بالبصرة ويصيف بالكوفـة ويستخلف على البصرة سمرة بن جندب وعلى الكوفة عمرو بن حريث . فقال لهُ عمارة بن عقبة : انَّ الشيعة تختلف الى حجر وتسمع منهُ ولا اراه عند خروجك الّا ثائرًا . فدعاه زياد فحذّره ووعظه وخرج الى البصرة . واستعمـل عمرو بن حريث . فجعـل الشيعة تختلف الى حجر . ويجيء حتى يجلس في المسجد فتجتمع اليهِ الشيعـة حتى يأخذوا ثلث المسجد او نصفه وتطيف بهم النظارة ثم يمتلئ المسجد . ثم كثروا وكثر لغطهم وارتفعت اصواتهم بذمّ معاوية وشتمه ونقص زياد . وبلغ ذلك عمرو بن حريث فصعد المنبر واجتمع اليهِ اشراف اهل المصر . فحثهم على الطاعة والجماعة وحذّرهم الخلاف . فوثب اليهِ عنق من اصحاب حجر يكبّرون ويشتمون حتى دنوا منهُ فحصبوه وشتموه حتى نزل ودخل القصر وأغلق عليـهِ بابه وكتب الى زياد بالخبر . فلما اتاه انشد يتمثل بقول كعب بن مالك :

فلما غدوا بالعرض قال سراتنا   علام اذا لم نمنع العرض نزرعُ

ما انا بشيء ان لم امنع الكـوفة من حجر وادعه نـكالًا لمن بعده . ويل امّك حجر لقد سقط بك العشاء على سرحان . ثم اقبل حتى اتى الكوفة فدخل القصر . ثم خرج وعليهِ قباء سندس ومطرف خزّ أخضر . وحجر جالس في المسجد وحولهُ اصحابه ما كانوا . فصعد المنبر فخطب وحذّر النـاس ثم قال لشداد بن الهيثم الهلالي امير الشرط : اذهب فائتني بحجر . فذهب اليه فدعاه . فقال اصحابه : لا يأتيهِ ولا كرامة فسبّوا الشرط . فرجعوا الى زياد فاخبروه . فقال : يا اشراف أهل الكوفة أتشجّون بيد وتأسون باخرى . ابدانكم عندي وأهواؤكم مع هذا الهجاجة المذبوب . انتم معي واخوتكم وابناؤكم

وعشيرتكم مع حجر . فوثبوا الى زياد فقالوا : معاذ الله ان يكون لنا فيما ههنا رأي الّا طاعتك وطاعة امير المؤمنين . وكل ما ظننت ان يكون فيهِ رضاك فمرنا به . قال : ليقم كل امرئٍ منكم الى هذه الجماعة التي حول حجر فليدعُ الرجل اخاه وابنه وذا قرابته ومن يطيعه من عشيرته حتى تقيموا عنهُ كل من استطعتم . ففعلوا وجعلوا يقيمون عنهُ اصحابه حتى تفرّق اكثرهم وبقي اقلهم . فلما رأى زياد خفة اصحابه قال لصاحب شرطته : اذهب فائتني بحجر . فان تبعك والّا فمر من معك ان ينتزعوا عُمُد السيوف ثم يشدُّوا عليهِ حتى يأتوا بهِ ويضربوا مَن حال دونه . فلما اتاه شداد قال لهُ : أجبِ الامير . فقال اصحاب حجر : لا والله ولا نعمة عين لا يجيبه . فقال لاصحابه : عليَّ بعمد السيوف . فاشتدُّوا اليها فأقبلوا بها . فقال عمير بن يزيد الكلبي ابو العمرطة : انهُ ليس معك رجل معهُ سيف غيري فما يغني سيفي . قال : ما ترى . قال : قم من هذا المكان فالحق باهلك يمنعك قومك . فقام وزياد ينظر على المنبر اليهم . فغشوا حجرًا بالعمد . فضرب رجل من الحمراء يقال لهُ بكر بن عبيد رأس عمرو بن الحمق بعمود فوقع . فاتاه ابو سفيان بن العويمر والعجلان بن ربيعة وهما رجلان من الازد فحملاه فأتيا بهِ دار رجل من الازد يقال لهُ عبيد الله بن موعد . فلم يزل بها متواريًا حتى خرج منها (١)

---

(١) قال ابو مخنف : فحدثني يوسف بن زياد عن عبيد الله بن عون قال : لما انصرفنا عن غزوة باجُمَيْرا قبل قتل عبد الملك مصعبًا بعام فاذا انا بالاحمري الذي ضرب عمرو بن الحمق يسايرني ولا والله ما رأيتهُ منذ ذلك اليوم وما كنت ارى لو رأيتهُ ان اعرفه . فلما رأيتهُ ظننتهُ هو هو وذلك حين نظرنا الى ابيات الكوفة . فكرهت أن أسألهُ : أَنت ضارب عمرو بن الحمق فيكابرني . فقلت لهُ : ما رأيتك منذ اليوم الذي ضربت فيهِ رأس عمرو بن الحمق بالعمود في المسجد فصرعتهُ حتى يومي

(قال) فقال زياد وهو على المنبر : لتقم همدان وتميم وهوازن وابناء بغيض ومذحج واسد وغطفان فليأتوا جبانة كندة وليمضوا من ثمَّ الى حجر فليأتوني بهِ . ثم كره ان تسير مضر مع اليمن فيقع شغب واختلاف أو تنشب الحمية فيما بينهم فقال : لتقم تميم وهوازن وابناء بغيض واسد وغطفان . ولتمض مذحج وهمدان الى جبانة كندة ثم ليمضوا الى حجر فليأتوني بهِ . وليسر اهل اليمن حتى ينزلوا جبانة الصيداويّين وليمضوا الى صاحبهم فليأتوني بهِ . فخرجت الازد وبجيلة وخثعم والانصار وقضاعة وخزاعة فنزلوا جبانة الصيداويّين . ولم تخرج حضرموت مع اليمن لمكانهم من كندة

قال ابو مخنف : فحدثني سعيد بن يحيى بن مخنف عن محمد بن مخنف قال : فاني لمع اهل اليمن وهم يتشاورون في امر حجر . فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف : انا مشير عليكم برأيٍ فان قبلتموه رجوت ان تسلموا من اللائمة والاثم أن تلبثوا قليلًا حتى تكفيكم عجلة في شباب مذحج وهمدان ما تكرهون أن يكون من مساءة قومكم في صاحبكم . فأجمع رأيهم على ذلك . فلا والله ما كان الّا كلا ولا حتى اتينا فقيل لنا : ان شباب مذحج

ولقد عرفتك الآن حين رأيتك . فقال لي : لا تعدم بصرك ما أثبت نظرك . كان ذلك أمر الشيطان . أما والله لقد بلغني انهُ قد كان امرءًا صالحًا ولقد ندمت على تلك الضربة فأستغفر الله . فقلت لهُ : الآن ترى . لا والله لا افترق انا وانت حتى اضربك في رأسك مثل الضربة التي ضربتها عمرو بن الحمق أو أموت أو تموت . (قال) فناشدني وسألني بالله . فابيت عليهِ ودعوت غلامًا يدعى بشيرًا من سبي اصبهان معهُ قناة له صلبة . فأخذتها منهُ ثم أحمل عليهِ . فنزل عن دابته . فالحقه حين استوت قدماه على الارض فأصفقُ بها هامته . فخرَّ لوجهه وتركتهُ ومضيت . فبرأ بعد ذلك فلقيته مرتين من دهري كل ذلك يقول لي : الله بيني وبينك . فأقول لهُ : الله بينك وبين عمرو بن الحمق

وهمدان قد دخلوا فاخذوا كل ما وجدوا في بني بجيلة . (قال) فمرّ اهل اليمن على نواحي دور كندة معذرين . فبلغ ذلك زيادًا فاثنى على مذحج وهمدان وذمّ اهل اليمن . فلما انتهى حجر الى داره ورأى قلّة من معهُ قال لاصحابه : انصرفوا فوالله ما لكم طاقة بمن اجتمع عليكم من قومكم وما أحبّ ان اعرضكم للهلاك . فذهبوا لينصرفوا فلحقتهم أوائل خيل مذحج وهمدان . فعطف عليهم عمير بن يزيد وقيس بن يزيد وعبيدة بن عمرو وجماعة فتقاتلوا معهم. فقاتلوا عنهُ ساعة فجرحوا وأُسر قيس بن يزيد وأفلت سائر القوم . فقال لهم حجر: لا ابا لكم تفرقوا لا تقتلوا فاني آخذ في بعض هذه الطرق. ثم اخذ نحو طريق بني حرب من كندة حتى اتى دار رجل منهم يقال لهُ سليمان ابن يزيد فدخل داره : وجاء القوم في طلبه . ثم انتهوا الى تلك الدار فاخذ سليمان بن يزيد سيفه ثم ذهب ليخرج اليهم. فبكت بناتهُ . فقال لهُ حجر: ما تريد لا أبا لك . فقال لهُ : اريد والله ان ينصرفوا عنك فان فعلوا والّا ضاربتهم بسيفي هذا ما ثبت قائمه في يدي دونك . فقال لهُ حجر : بئس والله اذن ما دخلتُ به على بناتك . أما في دارك هذه حائط اقتحمهُ او خوخة اخرج منها عسى الله ان يسلمني منهم ويسلمك فانّ القوم ان لم يقدروا عليَّ في دارك لم يضرّك امرهم . قال : بلى هذه خوخة تخرجك الى دور بني العنبر من كندة . فخرج معهُ فتية من الحيّ يقصّون لهُ الطريق ويسلكون بهِ الازقّة حتى افضى الى النخع . فقال عند ذلك : انصرفوا يرحمكم الله . فانصرفوا عنهُ . وأقبل الى دار عبد الله بن الحرث اخي الاشتر فدخلها . فانهُ لكذلك قد ألقى لهُ عبد الله الفرش وبسط لهُ البسط وتلقّاه ببسط الوجه وحسن البشر اذ أُتي فقيل لهُ : ان الشرط تسأل عنك في النخع . وذلك ان امة سوداء يقال لها

ادماء لقيتهم فقالت لهم : من تطلبون . قالوا : نطلب حجرًا . فقالت : هوذا قد رأيتهُ في النخع . فانصرفوا نحو النخع . فخرج متنكرًا . وركب معهُ عبد الله ليلًا حتى اتى دار ربيعة بن ناجذ الازديّ فنزل بها . فمكث يومًا وليلة

فلما اعجزهم ان يقدروا عليهِ دعا زياد محمد بن الاشعث فقال : أما والله لتأتيني بحجر او لا أدعُ لك نخلة الّا قطعتها ولا دارًا الّا هدمتها . ثم لا تسلم مني بذلك حتى أُقطّعك اربًا اربًا . فقال لهُ : أمهلني اطلبه . قال : قد امهلتك ثلاثًا فان جئت بهِ والّا فاعدد نفسك من الهلكى . وأخرج محمد نحو السجن وهو منتقع اللون يتلّ تلًّا عنيفًا . فقال حجر بن يزيد الكندي من بني مرّة لزياد : ضمّنيهِ وخلِّ سبيله ليطلب صاحبه فانهُ مخلّى سربه احرى ان يقدر عليهِ منهُ اذا كان محبوسًا . قال : أتضمنهُ لي . قال : نعم . قال : أما والله لئن حاص عنك لاوردنّك شعوب وان كنت الآن عليَّ كريمًا . قال : انهُ لا يفعل . فخلّى سبيله

ثم ان حجر بن يزيد كلمه في قيس بن يزيد وقد أُتي بهِ اسيرًا . فقال : ما عليهِ من بأس قد عرفنا رأيه في عثمان رضي الله عنهُ وبلاءه مع امير المؤمنين بصفّين . ثم أرسل اليهِ فأُتي بهِ فقال : قد علمت انك لم تقاتل مع حجر أنك ترى رأيهُ ولكن قاتلت معهُ حمية وقد غفرنا لك لما نعلمه من حسن رأيك . ولكن لا ادعك حتى تأتيني باخيك عمير . قال : آتيك بهِ ان شاء الله . قال : هات من يضمنه معك . قال : هذا حجر بن يزيد . قال حجر : نعم على ان تؤمنه على ماله ودمه . قال : ذلك لك . فانطلقا فاتيا بهِ . فأمر بهِ فاوقر حديدًا ثم اخذتهُ الرجال ترفعهُ حتى اذا بلغ سُرَرَها ألقوه فوقع على الارض : ثم رفعوهُ فالقوه . ففعل به ذلك مرارًا . فقام اليهِ حجر بن يزيد فقال : اولم تؤمنه . قال :

بلى لست أُهريق لهُ دمًا ولا آخذ لهُ مالًا . فقال : هذا يُشفي بهِ على الموت . وقام كل من كان عنده من اهل اليمن فكلموه فيهِ . فقال : أتضمنونه لي بنفسه متى احدث حدثًا اتيتموني به . قالوا : نعم . فخلّى سبيله

ومكث حجر في منزل ربيعة بن ناجذ يومًا وليلة . ثم بعث الى ابن الاشعث غلامًا يدعى رشيدًا من سبي اصبهان فقال لهُ : انهُ قد بلغني ما استقبلك بهِ هذا الجبار العنيد فلا يهولنّك شيء من امره فاني خارج اليك . فاجمع نفرًا من قومك وادخل عليهِ واسئله ان يؤمنني حتى يبعثني الى معاوية فيرى فيَّ رأيه . فخرج محمد الى حجر بن يزيد وجرير بن عبد الله وعبد الله اخي الاشتر . فدخلوا الى زياد فطلبوا اليهِ فيما سألهُ حجر . فاجاب . فبعثوا اليهِ رسولًا يعلمونه بذلك . فاقبل حتى دخل على زياد . فقال لهُ : مرحبًا يا ابا عبد الرحمن حرب في ايام الحرب او حرب وقد سالم الناس . على نفسها تجني براقش . فقال لهُ : ما خلعت يدًا عن طاعة ولا فارقت جماعة واني لعلى بيعتي . فقال : هيهات يا حجر أتشجّ بيدٍ وتأسو باخرى وتريد اذا امكننا الله منك ان نرضى . هيهات والله . فقال : ألم تؤمّني حتى آتي معاوية فيرى فيَّ رأيه . قال : بلى انطلقوا بهِ الى السجن . فلما مُضي بهِ قال : أما والله لولا امانه ما برح حتى يلقط عصبه . فاخرج وعليهِ برنس في غداة باردة فحبس عشر ليالٍ . وزياد ما له عمل غير الطلب لرؤوس اصحاب حجر

فخرج عمرو بن الحمق ورفاعة بن شداد حتى نزلا المدائن ثم ارتحلا حتى أتيا الموصل فاتيا جبلًا . فكمنا فيهِ . وبلغ عامل ذلك الرستاق وهو رجل من همدان يقال لهُ عبيد الله بن ابي بلتعة خبرهما فسار اليهما في الخيل ومعهُ اهل البلد . فلما انتهى اليهما خرجا . فاما عمرو فكان بطنهُ قد استسقى فلم

يكن عنده امتناع . واما رفاعة فكان شابًا قويًا فوثب على فرس لهُ جواد وقال لعمرو : أُقاتل عنك . قال : وما ينفعني ان تُقتل . انجُ بنفسك . فحمل عليهم فافرجوا لهُ حتى اخرجه فرسه . وخرجت الخيل في طلبه . وكان راميًا فلم يلحقه فارس الّا رماه فجرحه او عقره . فانصرفوا عنهُ . وأُخذ عمرو بن الحمق فسألوه : من انت . فقال : مَن إن تركتموه كان أسلم لكم وان قتلتموه كان أضرّ عليكم . فسألوه وأبى ان يخبرهم . فبعثوا به الى عبد الرحمن بن عثمان وهو ابن امّ الحكم الثقفي . فلما رأى عمرًا عرفهُ فكتب الى معاوية بخبره . فكتب اليهِ معاوية : انهُ زعم انهُ طعن عثمان تسع طعنات وانهُ لا يتّعدى عليهِ فاطعنه تسع طعنات كما طعن عثمان . فأُخرج فطعن تسع طعنات فمات في الاولى منهنّ او في الثانية . وبُعث برأسه الى معاوية فكان راسهُ اول راس حمل في الاسلام

وجدّ زياد في طلب اصحاب حجر وهم يهربون منهُ وياخذ من قدر عليهِ منهم . فجاء قنس بن عباد الشيباني الى زياد فقال لهُ : ان امرءًا منا يقال لهُ صيفي بن فسيل من رؤوس اصحاب حجر وهو اشدّ الناس عليك . فبعث اليهِ فأُتي بهِ . فقال لهُ زياد : يا عدوّ الله ما تقول في ابي تراب . فقال : ما أعرف أبا تراب . قال : ما أعرفك بهِ اما تعرف عليّ بن ابي طالب . قال : بلى . قال : فذاك ابو تراب . قال : كلّا ذاك ابو الحسن والحسين . فقال لهُ صاحب الشرطة : أيقول لك الامير هو ابو تراب وتقول انت لا . قال : أفإن كذب الامير أردتَ ان اكذب واشهد لهُ بالباطل كما شهد . قال لهُ زياد : وهذا ايضًا مع ذنبك . عليّ بالعصي . فأُتي بها . فقال : ما قولك في عليّ . قال : احسن قول انا قائله في عبدٍ من عبيد الله اقوله في امير المؤمنين . قال : اضربوا عاتقه بالعصي

حتى يلصق بالارض . فضرب حتى لصق بالارض . ثم قال: اقلعوا عنهُ . ما قولك فيه . قال: والله لو شرحتني بالمدى والمواسي ما زلت عمّا سمعت . قال: لتلعننّهُ أو لأضربنّ عنقك . قال: اذًا والله تضربها قبل ذلك فأسعدُ وتشقى ان شاء الله . قال: أوقروه حديدًا واطرحوه في السجن

وجمع زياد من اصحاب حجر بن عدي اثني عشر رجلًا في السجن وبعث الى رؤوس الارباع فاشخصهم فحضروا . وقال : اشهدوا على حجر بما رأيتموه . فشهدوا ان حجرًا جمع اليه الجموع واظهر شتم الخليفة وعيَّب زيادًا واظهر عذر ابي تراب والترحم عليهِ والبراءة من عدوه واهل حربه وان هؤلاء الذين معهُ رؤوس اصحابه وعلى مثل رأيه . فنظر زياد في الشهادة فقال : ما اظنُّ هذه شهادة قاطعة واحبُّ ان يكون الشهود اكثر من اربعة . فكتب ابو بردة ابن ابي موسى : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما شهد عليهِ ابو بردة بن ابي موسى لله رب العالمين . شهد ان حجر بن عدي خلع الطاعة وفارق الجماعة ولعن الخليفة ودعا الى الحرب والفتنة وجمع اليهِ الجموع يدعوهم الى نكث البيعة وخلع امير المؤمنين معاوية وكفر بالله كفرة صلعاء . فقال زياد : على مثل هذه الشهادة فاشهدوا . والله لاجهدنّ في قطع عنق الخائن الاحمق . فشهد رؤوس الارباع الثلاثة الآخرون على مثل ذلك . ثم دعا الناس فقال : اشهدوا على مثل ما شهد عليهِ رؤوس الارباع . فقام عثمان بن شرحبيل التيميّ اوّل الناس فقال : اكتبوا اسمي . فقال زياد : ابدأوا بقريش ثم اكتبوا اسم من نعرفه ويعرفه امير المؤمنين بالصحة والاستقامة . فشهد اسحق وموسى واسمعيل بنو طلحة بن عبيد الله وغيرهم . ودعا المختار بن ابي عبيد وعروة بن المغيرة بن شعبة الى الشهادة . فَراغا . وشهد سبعون رجلًا . ودفع ذلك الى وائل بن حجر

وكثير بن شهاب وبعثهما عليهم وأمرهما ان يخرجوهم . وكتب في الشهود شريح بن الحرث وشريح بن هانئ . فاما شريح بن الحرث فقال: سألني عنهُ فقلت : اما انهُ كان صوّامًا قوّامًا . واما شريح بن هانئ فقال : بلغني ان شهادتي كتبت فاكذبتهُ ولمته

وجاء وائل بن حجر وكثير بن شهاب فاخرجا القوم عشية وسار معهم اصحاب الشرط حتى أخرجوهم فلما انتهوا الى جبانة عرزم نظر قبيصة بن ضبيعة العبسي الى داره في جبانة عرزم فاذا بناته مشرفات . فقال لوائل وكثير : ادنياني اوصِ اهلي . فادنياه . فلما دنا منهنّ بكينَ فسكت عنهنّ ساعة . ثم قال: اسكتنَ فسكتنَ . فقال : اتقين الله واصبرنَ فاني ارجو من ربي في وجهي هذا خيرًا احدى الحسنيَين اما الشهادة فنعم السعادة واما الانصراف اليكنّ في عافية . فان الذي كان يرزقكنّ ويكفيني مؤنتكنّ هو الله تبارك وتعالى وهو حيّ لا يموت وارجو ان لا يضيعكنّ وان يحفظني فيكنّ . ثم انصرف . فجعل قومه يدعون لهُ بالعافية . وجاء شريح بن هانئ بكتاب فقال : بلغوا هذا عني امير المؤمنين . فتحمّلهُ وائل بن حجر . ومضوا بهم حتى انتهوا الى مرج عذراء فحبسوا بهِ وهم على اميال من دمشق . وهم حجر بن عدي الكندي والارقم بن عبد الله الكندي وشريك بن شداد الحضرمي وصيفي بن فسيل الشيباني وقبيصة بن ضبيعة العبسي وكريم بن عفيف الخثعمي وعاصم بن عوف البجلي وورقاء بن سمي البجلي وكدام بن حيان وعبد الرحمن بن حسان العنزيان ومحرز بن شهاب المنقري وعبد الله بن جوية التميمي . واتبعهم زياد برجلين وهما عتبة بن الاخنس السعدي وسعيد بن نمران الهمداني الناعطي . فكانوا اربعة عشر . فبعث معاوية الى وائل بن حجر

وكثير فأدخلهما وفضّ كتابهما وقرأه على اهل الشام : بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله معاوية بن ابي سفيان امير المؤمنين من زياد بن ابي سفيان . اما بعد فانّ الله قد احسن عند امير المؤمنين البلاء فأداله من عدوّه وكفاه مؤنة من بغى عليه . انّ طواغيت الترابية السابّة رأسهم حجر بن عدي خلعوا امير المؤمنين وفارقوا جماعة المسلمين ونصبوا لنا حربًا فأطفأها الله عليهم وامكننا منهم . وقد دعوت خيار اهل المصر واشرافهم وذوي النهى والدين فشهدوا عليهم بما رأوا وعلموا . وقد بعثت بهم الى امير المؤمنين وكتبت شهادة صلحاء اهل المصر وخيارهم في اسفل كتابي هذا . فلما قرأ الكتاب . قال : ما ترون في هؤلاء . فقال يزيد بن اسد البجلي : ارى ان تفرّقهم في قرى الشام فتكفيكهم طواغيتها . ودفع وائل كتاب شريح اليهِ . فقرأه وهو : بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله معاوية امير المؤمنين من شريح بن هانئ . اما بعد فقد بلغني ان زيادًا كتب اليك بشهادتي على حجر انهُ ممن يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر حرام المال والدم . فان شئت فاقتله . وان شئت فدعه . فقرأ كتابه على وائل وقال : ما ارى هذا الّا قد أخرج نفسه من شهادتكم . فحبس القوم بعد هذا . وكتب الى زياد : فهمتُ ما اقتصصت من امر حجر واصحابه والشهادة عليهم . فاحيانًا ارى ان قتلهم افضل واحيانًا ارى ان العفو افضل من قتلهم . فكتب زياد اليهِ مع يزيد بن حجية التيمي : قد عجبت لاشتباه الامر عليك فيهم مع شهادة اهل مصرهم عليهم وهم اعلم بهم . فان كانت لك حاجة في هذا المصر فلا تردنّ حجرًا واصحابه اليهِ . فمرّ يزيد بحجر واصحابه فاخبرهم بما كتب بهِ زياد . فقال لهُ حجر : ابلغ امير المؤمنين انّا على بيعته لا نقيلها ولا نستقيلها وانما شهد علينا الاعداء

والاظناء . فقدم يزيد بن حجية على معاوية بالكتاب واخبره بقول حجر . فقال معاوية : زياد أصدق عندنا من حجر

وكتب جرير بن عبد الله في أمر الرجلين اللذين من بجيلة . فوهبهما لهُ وليزيد بن اسد . وطلب وائل بن حجر في الارقم الكندي فتركه . وطلب ابو الاعور في عتبة بن الاخنس فوهبه لهُ . وطلب حمزة بن مالك الهمداني في سعيد بن نمران فوهبه لهُ . وطلب حبيب بن مسلمة في ابن عبد الله بن حوية التيمي فخلّى سبيله . فقام مالك بن هبيرة فسألهُ في حجر . فلم يشفعه . فغضب وجلس في بيته . وبعث معاوية هدبة بن فياض القضاعي والحصين بن عبد الله الكلابي وآخر معهما يقال لهُ ابو صريف البدري فاتوهم عند المساء . فقال الخثعمي حين رأى الاعور : يُقتل نصفنا وينجو نصفنا . فقال سعيد بن نمران : اللهمّ اجعلني ممن ينجو وأنت عني راض . فقال عبد الرحمن بن حسان العنزيّ : اللهمّ اجعلني ممن تكرم بهوانهم وانت عني راض . فطالما عرضت نفسي للقتل . فأبى الله الّا ما أراد . فجاء رسول معاوية اليهم . فانهُ لمعهم اذ جاء رسول بتخلية ستّة منهم . وبقي ثمانية . فقال لهم رُسُل معاوية : انّا قد أُمرنا أن نعرض عليكم البراءة من عليّ واللعن لهُ فان فعلتم هذا تركناكم وان أبيتم قتلناكم . وامير المؤمنين يزعم ان دماءكم قد حلّت بشهادة اهل مصركم عليكم . غير انهُ قد عفا عن ذالك . فابرأوا من هذا الرجل نخلّ سبيلكم . قالوا : لسنا فاعلين . فأمروا بقيودهم فحلّت . وأُتي با كفانهم فقاموا الليل كلهُ يصلّون . فلما اصبحوا قال اصحاب معاوية : يا هؤلاء . قد رأيناكم البارحة اطلتم الصلاة وأحسنتم الدعاء فاخبرونا ما قولكم في عثمان . قالوا : هو اول من جار في الحكم وعمل بغير الحقّ . فقالوا : امير المؤمنين كان أعرف بكم . ثم قاموا

اليهم وقالوا : تبرأون من هذا الرجل . قالوا : بل نتولاه . فاخذ كل رجل منهم رجلًا يقتله . فوقع قبيصة في يدي ابي صريف البدري . فقال لهُ قبيصة : ان الشرّ بين قومي وقومك أمن اي آمن فليقتلني غيرك . فقال : برتك رحم . فاخذه الحضرمي فقتله . وقتل القضاعي صاحبه . ثم قال لهم حجر : دعوني اصلي ركعتين فاني والله ما توضأت قط الّا صليت . فقالوا لهُ : صلِّ . فصلّى ثم انصرف فقال : والله ما صليت صلاة قط أقصر منها ولولا ان يروا انّ ما بي جزع من الموت لأحببت ان استكثر منها . ثم قال : اللهمّ انّا نستعديك على امّتنا فانّ اهل الكوفة قد شهدوا علينا وان اهل الشام يقتلوننا . اما والله لئن قتلتموني فاني اوّل فارس من المسلمين سلك في واديها واول رجل من المسلمين نبحته كلابها . فمشى اليهِ هدبة بن الفياض الاعور بالسيف . فارعدت فصائله . فقال : كلاّ زعمت انك لا تجزع من الموت . فانّا ندعك فابرأ من صاحبك . فقال : ما لي لا اجزع وانا ارى قبرًا محفورًا وكفنًا منشورًا وسيفًا مشهورًا . واني والله ان جزعت لا اقول ما يسخط الرب . فقتلهُ . واقبلوا يقتلونهم واحدًا واحدًا حتى قتلوا ستة نفر . فقال عبد الرحمن بن حسّان وكريم بن عفيف : ابعثوا بنا الى امير المؤمنين فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته . فبعثوا الى معاوية فاخبروه . فبعث : ائتوني بهما . فالتفتا الى حجر فقال لهُ العنزي . لا تبعد يا حجر ولا يبعد مثواك فنعم اخو الاسلام كنت . وقال الخثعمي نحو ذلك . ثم مضى بهما . فقال العنزي متمثلًا :

كفى بشفاة القبر بعدًا لهالكٍ   وبالموت قطاعًا لحبل القرائن

فلما دخل عليهِ الخثعميّ قال لهُ : الله الله يا معاوية انك منقول من هذه الدار الزائلة الى الدار الآخرة الدائمة ومسؤول عمَّ اردت بقتلنا وفيمَ سفكت

دماءنا . فقال : ما تقول في عليّ . قال : اقول فيهِ قولك . أتتبرأ من دين عليّ الذي كان يدين الله بهِ . وقام شمر بن عبد الله الخثعمي فاستوهبه . فقال هو لك غير اني حابسه شهرًا . فحبسه ثم اطلقهُ على ان لا يدخل الكوفة ما دام لهُ سلطان . فنزل الموصل فكان ينتظر موت معاوية ليعود الى الكوفة فمات قبل معاوية بشهر . وأقبل على عبد الرحمن بن حسان فقال لهُ : يا اخا ربيعة ما تقول في عليّ . قال : اشهد انهُ من الذاكرين الله كثيرًا والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والعافين عن الناس . قال . فما تقول في عثمان . قال : هو اوّل من فتح ابواب الظلم وارتج ابواب الحق . قال : قتلتَ نفسك . قال : بل اياك قتلت لا ربيعة بالوادي يعني انه ليس ثَمَّ احد من قومه فيتكلم فيهِ . فبعث بهِ معاوية الى زياد وكتب اليه : انّ هذا شرّ من بعثتَ بهِ فعاقبهُ بالعقوبة التي هو اهلها واقتله شرّ قتلة . فلما قدم بهِ على زياد بعث بهِ الى قيس الناطف فدفنه حيًّا . قال ابو مخنف عن رجاله : فكان من قتل منهم سبعة نفر . وبعث معاوية الى مالك بن هبيرة لما غضب بسبب حجر مائة الف درهم فرضي . قال ابو مخنف : فحدّثني ابن ابي زائدة عن ابي اسحق قال : ادركت الناس يقولون اوّل ذلّ دخل الكوفة قتل حجر بن عدي ودعوة زياد وقتل الحسين . وحدّثني عبد الملك بن نوفل : انّ عائشة بعثت عبد الرحمن بن الحرث بن هشام الى معاوية في حجر واصحابه . فقدم عليهِ وقد قتلهم فقال لهُ : اين غاب عنك حلم ابي سفيان . فقال : حين غاب عني مثلك من حلماء قومي وحملني ابن سمية فاحتملت . وقالت امرأة من كندة ترثي حجرًا :

ترفَّع ايها القمر المنيرُ   لعلّك ان ترى حجرًا يسيرُ

يسير الى معاوية بن حرب ... ليقتله كما زعم الاميرُ
ألا يا ليت حجرًا مات موتًا ... ولم يُنحر كما نُحِرَ البعيرُ
تربعت الجبابر بعد حجر ... وطاب لها الخورنق والسديرُ
واصبحت البلاد لهُ محولًا ... كأن لم يُحيها مزن مطيرُ
ألا يا حجر حجر بني عدي ... تلقتك السلامة والسرورُ
اخاف عليك سطوة آل حرب ... وشيخًا في دمشق لهُ زئيرُ
يرى قتل الخيار عليه حقًا ... لهُ من شرّ امتهِ وزيرُ
فان تهلك فكل زعيم قوم ... الى هلك من الدنيا يصيرُ

اهل الكوفة وسعيد بن العاص

كانت ولاية ابي موسى الكوفة بعد ان أخرج أهلها سعيد بن العاص عنها وتحالفوا ان لا يولّوا عليها الّا من يريدون. أخبر بالسبب في ذلك احمد ابن العزيز الجوهري قال:

كان قوم من وجوه اهل الكوفة من القرّاء يختلفون الى سعيد بن العاص ويسألونه. فتذاكروا يومًا السهل والجبل فقال حسان بن محدوج: سهلنا خير من جبلنا. اكثر برًّا وشعيرًا. فيهِ انهار مطردة ونخل باسقات. وقلّت فاكهة ينبتها الجبل الّا والسهل ينبت مثلها. فقال له عبد الرحمن بن حبيش: صدقتم. وددتُ انها للامير وانّ لكما افضل منه. فقال الاشتر: تمنّ للامير افضل ولا تتقرّب اليهِ باموالنا. فقال: ما ضرّك ذلك. والله لو يشاء

ان يكون لهُ لكان. قال: لقد كذبت. والله لو أراد ذلك ما قدر عليهِ. فقال سعيد: والله ما السواد الّا بستان لقريش ما شئنا اخذنا منهُ وما شئنا تركنا. فقال لهُ الاشتر: وانت تقول هذا اصلحك الله وهذا من مركز رماحنا وفيئنا. ثم ضربوا عبد الرحمن بن حبيش حتى سقط. قال المدائني: فحدّثني عليّ بن مجاهد قال: بينا القرّاء عند سعيد بن العاص وهم يأكلون تمرًا وزبدًا اذ قال سعيد: السواد بستان قريش فما شئنا اخذنا منهُ وما شئنا تركنا. فقال لهُ عبد الرحمن بن حبيش وكان على شرطة سعيد: صدق الامير. فوثب عليهِ القرّاء فضربوه وقالوا لهُ: يا عدوّ الله يقول الباطل وتصدقهُ. فقال سعيد: اخرجوا من داري. فخرجوا. فلما اصبحوا أتوا المسجد فداروا على الحَلَق فقالوا: انّ اميركم زعم ان السواد بستان لهُ ولقومهِ وهو فيئنا ومركز رماحنا. فوالله ما على هذا بايعنا ولا عليهِ اسلمنا. فكتب سعيد الى عثمان رضي الله عنه: ان قبلي قومًا يُدعَون القرّاء وهم السفهاء وثبوا على صاحب شرطتي فضربوه واستخفّوا بي. منهم عمرو بن زرارة وكميل بن الكفف وزيد وصعصعة ابنا صوحان وجندب بن عبد الله. فكتب اليهم عثمان رضي الله عنه يأمرهم ان يخرجوا الى الشأم ويغزوا مغازيهم. وكتب الى سعيد: قد كفيتك الذي اردت فاقرأهم كتابي فاني لا اراهم يخالفون ان شاء الله واتّق الله جلّ وعزّ وأحسن السيرة. فأقرأهم الكتاب فخرجوا الى دمشق فاكرمهم معاوية وقال: انكم قدمتم بلدًا لا يعرف اهلهُ الّا الطاعة فلا تجادلوهم فتدخلوا الشكّ قلوبهم. فقال لهُ الاشتر: ان الله جلّ وعزّ قد أخذ على العلماء في علمهم ميثاقًا ان يبينوه للناس ولا يكتموه. فان سألنا سائل عن شيء نعلمه لم نكتمه. فقال: قد خفت ان تكونوا مرصدين للفتنة فاتقوا الله ولا تكونوا كالذين

تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات. فقال عمرو بن زرارة: نحن الذين هدى الله. فامر معاوية بحبسهم. فقال لهُ زيد بن صوحان: انّ الذين اشخصونا اليك لم يعجزوا عن حبسنا لو أرادوا. فأحسنوا جوارنا. وان كنا ظالمين فنستغفر الله وان كنا مظلومين فنسأل الله العافية. فقال لهُ معاوية: اني لا ارى حبسك امرًا صالحًا فان احببت ان آذن لك فترجع الى مصرك وأكتب الى امير المؤمنين باذنك فعلت. قال: فحسبي ان تأذن لي وتكتب الى سعيد. فكتب اليهِ. فاذن لهُ. فلما أراد زيد الشخوص كلّمهُ في الاشتر وعمرو بن زرارة فاخرجهما. واقام القوم بدمشق لا يرون امرًا يكرهونه. ثم اشخصهم معاوية الى حمص فكانوا بها حتى اجمع اهل الكوفة على اخراج سعيد فكتبوا اليهم فقدموا. (قال ابو زيد) قال المدائني: حدّثني الوقاصي عن الزهري انّ اهل الكوفة لمّا قدموا على عثمان يشكون سعيدًا قال لهم: أكتب اليه فاجمع بينكم وبينه. ففعل. فلم يحققوا عليهِ الّا قوله السواد بستان قريش واثنى الآخرون عليهِ. فقال عثمان: ارى اصحابكم يسألون اقراره ولم يثبتوا عليه الّا كلمة واحدة ولم ينتهك بها لاحد حرمة. ولا ارى عزله الّا ان تثبتوا عليه ما لا يحلّ لاحد تركه معه. فانصرفوا الى مصركم. فرجع سعيد والفريقان معهُ وتقدّمهم عليّ بن الهيثم السدوسي حتى دخل رحبة المسجد فقال: يا أهل الكوفة انّا اتينا خليفتنا فشكونا اليهِ عاملنا ونحن نرى انهُ سيصرفه عنا فردّهُ الينا وهو يزعم ان السواد بستان لهُ. وانا امرؤ منكم ارضى اذا رضيتم. فقالوا: لا نرضى. وجاء الاشتر فصعد المنبر فخطب خطبة ذكر فيها النبي (صلعم) وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما وذكر عثمان رضي الله عنه فحرّض عليهِ. ثم قال: من كان يرى ان الله جلّ وعزّ حقًّا فليصبح بالجرعة.

ثم قال لكميل بن زياد: انطلق فاخرج ثابت بن قيس بن الخطيم. فاخرجهُ واستعمل اهل الكوفة أبا موسى الاشعريّ رضي الله عنه

حبس ابن مُفرّغ

هو يزيد بن ربيعة بن مفرّغ ولقب جدّهُ مفرّغًا لانهُ راهن على سقاء لبن ان يشربهُ كلهُ فشربهُ حتى فرغ فلقب مفرّغًا ويكنى ابا عثمان وهو من حمير فيما يزعم اهله. وكان شاعرًا غزلًا محسنًا والسيّد من ولده

حدّث احمد بن الهيثم قال: حدّثنا العمري عن لقيط بن بكير قالوا جميعا: لمّا ولي سعيد بن عثمان بن عفان خراسان استصحب يزيد بن ربيعة بن مفرّغ واجتهد بهِ ان يصحبه. فأبى عليهِ وصحب عباد بن زياد. فقال لهُ سعيد ابن عثمان: أمّا اذ أبيت ان تصحبني وآثرت عبادًا فاحفظ ما أُوصيك بهِ. انّ عبادًا رجل لئيم فايّاك والدلالة عليهِ. وان دعاك اليها من نفسه فانها خدعة منهُ لك عن نفسك. واقلل زيارته فانه طرف ملول. ولا تفاخرهُ وان فاخرك فانهُ لا يحتمل لك ما كنت احتمله. ثم دعا سعيد بمال فدفعهُ الى ابن مفرّغ وقال: استعن بهِ على سفرك فان صحّ لك مكانك من عباد والّا فمكانك عندي ممهّد فائتني. ثم سار سعيد الى خراسان وتخلّف ابن مفرّغ عنهُ وخرج مع عباد. قال ابن دريد في خبرهِ عن مسلمة بن محارب: فلما بلغ عبيد الله بن زياد صحبة ابن مفرّغ اخاه عبادًا شقّ عليهِ. فلما سار اخوه عباد شيّعهُ وشيّع الناس معهُ وجعلوا يودّعونهُ ويودّع الخارجون مع عباد عبيد

الله بن زياد . فلما أراد عبيد الله ان يودّع اخاه دعا ابن مفرّغ فقال لهُ : انك سألت عبادًا ان تصحبه واجابك الى ذلك وقد شقّ عليَّ . فقال لهُ ابن مفرّغ : ولم أصلحك الله . قال : لان الشاعر لا يقنعه من الناس ما يقنع بعضهم من بعض لانهُ يظنّ فيجعل الظنَّ يقينًا ولا يعذر في موضع وانَّ عبادًا يقدم على ارض حرب فيشتغل بحروبهِ وخراجهِ عنك فلا تعذره انت وتكسبنا شرًّا وعارًا . فقال لهُ : لستُ كما ظنَّ الامير وانَّ لمعروفهِ عندي لشكرًا كثيرًا وانَّ عندي ان أغفل امري عذرًا ممهدًا . قال : لا ولكن تضمن لي ان ابطأ عنك ما تحبُّه ان لا تعجل عليه حتى تكتب اليَّ . قال : نعم . قال : امضِ اذًا على الطائر الميمون . (قال) فقدم عباد خراسان واشتغل بحربهِ وخراجهِ فاستبطأهُ ابن مفرّغ ولم يكتب الى عبيد الله بن زياد يشكوه كما ضمن لهُ ولكنهُ بسط لسانهُ فذمَّهُ وهجاه . وكان عباد عظيم اللحية كأنها جوالق . فسار يزيد بن مفرّغ مع عباد فدخلت الريح فنفشتها فضحك ابن مفرغ وقال لرجل من لخم كان الى جنبهِ قوله :

الا ليت اللحى كانت حشيشًا   فنعلفها خيول المسلمينا

فسعى بهِ اللخمي الى عباد فغضب من ذلك غضبًا شديدًا وقال : لا يجمل بي عقوبتهُ في هذه السرعة مع الصحبة لي وما اؤخرها الّا لأشفي نفسي منهُ لانهُ كان يقوم فيشتم ابي في عدة مواطن . وبلغ الخبر ابن مفرّغ فقال : اني لأجد ريح الموت من عباد . ثم دخل عليهِ فقال لهُ : ايها الامير اني كنت مع سعيد بن عثمان وقد بلغك رأيهُ فيَّ وجميل اثره عليَّ واني اخترتك عليه فلم أحلَ منك بطائل وأريد أن تأذن لي في الرجوع فلا حاجة لي في صحبتك . فقال لهُ : اما اختيارك اياي فاني اخترتك كما اخترتني واستصحبتك حين

سألتني وقد اعجلتني عن بلوغ محبتي فيك . وطلبتَ الآن لترجع الى قومك فتفضحني فيهم . وأنت على الاذن قادر بعد ان أقضي حقك . وبلغ عبادًا انهُ يسبهُ ويذكره وينال من عرضهِ . وأجرى عباد الخيل فجاء سابقًا . فقال ابن مفرّغ : سبق عباد وصلحت لحيتهُ . وطلب عليه العلل ودسَّ الى قوم كان لهم عليهِ دين فأمرهم ان يقدّموه اليهِ . ففعلوا . فحبسهُ وأضرّ بهِ . فبعث اليهِ ان بعني الاراكة وبردًا . وكانت الاراكة قينة لابن مفرّغ وبرد غلامهُ ربّاهما وكان شديد الضن بهما . فبعث اليهِ ابن مفرّغ مع الرسول : أيبيع المرء نفسهُ او ولدهُ . فأضرّ بهِ عباد حتى اخذهما منهُ . هذه رواية مسلمة . واما لقيط وعمر بن شبة فانهما ذكرا انهُ باعهما عليهِ فاشتراهما رجل من اهل خراسان . قال لقيط : فلما دخل منزلهُ قال لهُ برد وكان داهية اديبًا : أتدري ما اشتريتَ . قال : اشتريتك وهذه الجارية . قال : لا والله ما اشتريت الّا العار والدمار والفضيحة ابدًا ما حييتَ . فجزع الرجل وقال لهُ : كيف ذلك ويلك . قال : نحن ليزيد بن ربيعة بن مفرّغ . والله ما أصاره الى هذه الحال الّا لسانه وشرّه . أفتراه يهجو ابن زياد وهو امير خراسان وأخوه امير العراقين وعمُّهُ الخليفة في ان استبطأهُ ويُمسك عنك وقد ابتعتني وابتعت هذه الجارية وهي نفسهُ التي بين جنبيهِ . والله ما ارى احدًا أدخل الى بيته أشأم على نفسه واهله ممّا ادخلتَهُ منزلك . فقال : فاشهد انك واياها لهُ فان شئتما ان تمضيا اليهِ فامضيا . على أني اخاف على نفسي ان بلغ ذلك ابن زياد . وان شئتما ان تكونا عندي فافعلا . قال : فاكتب اليهِ بذلك . فكتب الرجل الى ابن مفرّغ في الحبس بما فعلهُ . فكتب اليهِ يشكر فعله وسألهُ ان يكونا عنده حتى يفرّج الله عنهُ . (قال) وقال عباد لحاجبه : ما أرى هذا يعني ابن مفرّغ

يبالي بالمقام في الحبس. فبع فرسهُ وسلاحه واثاثه واقسم ثمنها بين غرمائهِ. ففعل ذلك وقسم الثمن بينهم وبقيت عليهِ بقيَّة حبسه بها

قالوا: وعلم ابن مفرّغ انهُ ان اقام على ذمّ عباد وهجائهِ وهو في محبسه زاد نفسهُ شرًّا. فكان يقول للناس اذا سألوه عن حبسهِ ما سببه: رجل ادّبهُ اميرهُ ليقوّم من اوده او يكفّ من غربه. وهذا لعمري خير من جرّ الامير ذيله على مداهنة صاحبه. فلما بلغ ذلك عبادًا من قوله رقّ لهُ وأخرجهُ من السجن. فهرب حتى اتى البصرة. ثم خرج منها الى الشأم وجعل ينتقل في مدنها هاربًا ويهجو زيادًا وولده. وقال المدائني في خبره: لما بلغ عباد ابن زياد انَّ ابن المفرّغ قال «سبق عباد وصلحت لحيتهُ» دعا ابنهُ والمجلس حافل فقال لهُ: انشدني هجاء ابيك الذي هُجي بهِ. فقال: ايها الامير ما كلّف احد قط ما كلّفتني. فأمر غلامًا لهُ اعجميًّا وقال لهُ: قم على رأسهِ فان انشد ما أمرته بهِ والّا فصبّ السوط على رأسهِ ابدًا او ينشدهُ. فانشدهُ ابياتًا هُجي بها ابوه اوّلها:

قبّح الاله ولا يقبّح غيرهُ ... وجه الحمار ربيعة بن مفرّغِ

وجعل عباد يتضاحك بهِ. فخرج ابن ابن مفرّغ من عنده وهو يقول: والله لا يذهب شتم شيخي باطلًا. وقال يهجوه بقوله:

اصرمت حبلك من امامهْ ... من بعد ايام برامهْ
فالريح تبكي شجوها ... والبرق يضحك في المضامهْ
لهفي على الامر الذي ... كانت عواقبهُ ندامهْ
تركي سعيدًا ذا الندى ... والبيت ترفعه الدعامهْ
فتحت سمرقند لهُ ... وبنى بعرصتها خيامهْ

وتبعت عبد بني علاج ... تلك اشراط القيامهْ
جاءت بهِ حبشيّة ... سكّاء تحسبها نعامهْ
وشريت بردًا ليتني ... من بعد برد كنت هامهْ
فهامة تدعو صدًى ... بين المشقّر واليمامهْ
فالهول يركبهُ الفتى ... حذر المخازي والسآمهْ
والعبد يقرع بالعصا ... والحرّ تكفيهِ الملامهْ

(قال) ثم لجّ في هجاء بني زياد حتى تغنّى اهل البصرة في اشعاره. فطلبهُ عبيد الله طلبًا شديدًا حتى كاد يؤخذ فلحق بالشأم

(قالوا) فلم يزل ينتقل في قرى الشام ونواحيها ويهجو بني زياد واشعارهُ فيهم ترد البصرة وتنتشر وتبلغهم. فكتب عبيد الله بن زياد الى يزيد يقول لهُ: ان ابن مفرّغ هجا زيادًا وبني زياد بما هتكهُ في قبرهِ وفضح بنيهِ طول الدهر وتعدّى ذلك الى ابي سفيان فقذفهُ بالزنا وسبّ ولده فهرب من خراسان الى البصرة وطلبتهُ حتى لفظتهُ الارض فلجأ الى الشأم يتمضغ لحومنا بها ويهتك اعراضنا وقد بعثت اليك بما هجانا بهِ لتنتصف لنا منهُ. ثم بعث بجميع ما قالهُ ابن مفرّغ فيهم. فأمر يزيد بطلبهِ. فجعل ينتقل من بلدٍ الى بلد. فاذا شاع خبرهُ انتقل. حتى لفظتهُ الشأم فأتى البصرة ونزل على الاحنف ابن قيس فالتجأ بهِ واستجار. فقال لهُ الاحنف: اني لا أُجير على ابن سُميَّة فأُعزَل. وانما يجير الرجل على عشيرتهِ فاما على سلطانه فلا. فان شئت اجرتك من بني سعد وشعرائهم فلا يريبك منهم ريب. فقال لهُ ابن مفرّغ: يا استاذ بنو سعد وما عساهم ان يقولوا فيَّ هذا ما لا حاجة لي فيهِ. ثم اتى خالد بن عبد الله بن خالد بن اسيد فاستجار بهِ. فأبى ان يجيره. فاتى عمر بن عبيد الله بن

معمر . فوعده . وأتى طلحة الطلحات . فوعده . واتى المنذر بن الجارود العبدي . فاجاره . وكانت بحرية بنت المنذر امرأة عبيد الله . وكان المنذر من اكرم الناس عليهِ فاغترّ بذلك وادل بموضعه منه . وطلبهُ عبيد الله وقد بلغهُ ورودهُ البصرة . فقيل لهُ : اجارهُ المنذر بن الجارود . فبعث عبيد الى المنذر فاتاه . فلما دخل عليهِ بعث عبيد الله بالشرط فكبسوا داره واتوه بابن مفرّغ . فلم يشعر المنذر الّا بابن مفرّغ قد أُقيم على رأسهِ . فقام المنذر الى عبيد فكلّمهُ فيهِ فقال : اذكرك الله ايها الامير ان لا تخفر جواري فاني قد اجرتهُ . فقال عبيد الله : يا منذر ليمدحنّ اباك وليمدحنّك ولقد هجاني وهجا ابي ثم تجيرهُ عليّ . لا ها اللهِ لا يكون ذلك ابدًا ولا اغفرها لهُ . فغضب المنذر . فقال لهُ : لعلك تدل بكريمتك عندي ان شئت والله لابينها بتطليق البتة . فخرج المنذر من عنده واقبل عبيد الله على ابن مفرّغ فقال لهُ : بئسما صحبت بهِ عبادًا . قال : بئسما صحبني بهِ عباد اخترتهُ على سعيد وأنفقت على صحبته كل ما أفدتهُ وكل ما املكهُ ثم قابلني بكل قبيح وتناولني بكلّ مكروه من حبس وغرم وشتم وضرب فكنت كمن شام برقًا خلّبًا في سحاب جهام فأراق ماءهُ طمعًا فيهِ فمات عطشًا . وما هربت من اخيك الّا لما خفت من ان يجري فيَّ الى ما يندم عليهِ . وقد صرتُ الآن في يدك فشأنك فاصنع بي ما أحببتَ . فأمر بحبسهِ . وكتب الى يزيد بن معاوية يسألهُ ان يأذن لهُ في قتلهِ . فكتب اليهِ : اياك وقتلهُ ولكن عاقبهُ بما ينكله ويشدّ سلطانك ولا تبلغ نفسه . فانّ لهُ عشيرة هي جندي وبطانتي ولا ترضى بقتلهِ مني ولا تقنع الّا بالقود منك فاحذر ذلك واعلم انهُ الجدّ منهم ومني وانك مرتهن بنفسه ولك في دون تلفها مندوحة تشفي من الغيظ . فورد الكتاب على عبيد الله بن زياد

فامر بابن مفرّغ فسقي نبيذًا حلوًا قد خلط معهُ الشبرم فأُسهل بطنه وطيف بهِ وهو في تلك الحال . وقُرن بهرّة وخنزيرة والصبيان يتبعونه . وجعل كلّما يجرّ الخنزيرة ضجّت . فجعل يقول :

ضجّت سميّة لما لزّها قرني   لا تجزعي ان شرّ الشيمة الجزعُ

فجعل يطاف بهِ في اسواق البصرة والصبيان خلفهُ يصيحون بهِ . وألحّ عليهِ ما يخرج منهُ حتى اضعفهُ فسقط . فعرف ابن زياد ذلك فقيل : انهُ لما بهِ لا نأمن ان يموت . فأمر بهِ ان يُغسل . ففعلوا ذلك بهِ . فلما اغتسل قال :

يغسل الماء ما فعلت وقولي   راسخ منك في العظام البوالي

فردّهُ عبيد الله الى الحبس وامر بان يسلّم محجمًا . وقدّموا لهُ علوجًا وامر بان يحجمهم . فكان يأخذ المشارط فيقطع بها رقابهم فيتوارون منهُ . فترك وردّهُ الى محبسهِ وقامت الشرط على رأسهِ تصبّ عليهِ السياط ويقولون لهُ احجمهم . فقال :

وما كنت حجّامًا ولكن أحلّني   بمنزلة الحجّام نأيي عن الاهل

وقال ايضًا يذكر ما فعل بهِ ابن زياد :

دار سلمى بالخبت ذي الاطلالِ   كيف نوم الاسير في الاغلالِ
اين مني السلام من بعد نأيٍ   فارجعي لي تحيتي وسؤالي
اين مني نجائبي وجيادي   وغزالي سقى الالـه غزالي
اين لا أين جُنّتي وسلاحي   ومطايا سيّرتها لارتحالي
هدم الدهر عرشنا فتداعى   فبلينا اذ كل عيش بالِ
اذ دعانا زوالهُ فاجبنا   كلّ دنيا ونعمة لزوالِ
أم قضينا حاجاتنا فالى المو   ت مصيرُ الملوك والاقيالِ

لا وصومي لربنا وزكاتي ... وصلاتي ادعو بها وابتهالي
ما أتيت الغداة امرًا دنيًا ... ولدى الله كابر الاعمالِ
ايها المالك المرهب بالقتل م ... بلغت النكال كل النكالِ
فاخش نارًا تشوي الوجوه ويومًا ... يقذف الناس بالدواهي الثقالِ
قد تعديت في القصاص وادركت م ... دخولًا لمعشر اقتالِ
وكسرت السن الصحيحة مني ... لا تذلني فمنكر اذلالي
وقرنتم مع الخنازير هرًّا ... ويميني مغلولة وشمالي
وكلابًا ينهشنني من ورائي ... عجب الناس ما لهن وما لي
واطلتم مع العقوبة سجنًا ... فكم السجن او متى ارسالي
يغسل الماء ما صنعت وقولي ... راسخ منك في العظام البوالي
لو قبلت الفداء او رمت مالي ... قلت خذه فداء نفسي مالي
لو بغيري من معشر لعب الدهر م ... لما ذم نصرتي واحتيالي
كم بكاني من صاحب وخليل ... حافظ الغيب حامد للخصالِ
ليت اني كنت الحليف للخم ... وجذام او طيئ الاجبالِ
بدلًا من عصابة من قريش ... اسلموني للخصم عند النضالِ
البهاليل من بني عبد شمس ... فضلوا الناس بالعلا والفعالِ
وبني التيم تيم مرة لما ... لمع الموت في ظلال العوالي
منعوا البيت بيت مكة ذا الحجر م ... اذ الطير عكف في الظلالِ
والبهاليل خالد وسعيد ... شمس دجن ووضح كالهلالِ
في الارومات والذرى من بني العيص م ... قروم اذا تعد المعالي
كنت منهم ما حرموا فحرام ... لم يراءوا وحلهم من حلالِ

وذوو المجد من خزاعة كانوا ... أهل ودي في الخصب والامحالِ
خذلوني وهم لذاك دعوني ... ليس حامي الذمار بالخذالِ
لا تدعني فداك اهلي ومالي ... ان حبليك من متين الحبالِ
حسرتا اذ اطعت امر غواتي ... وعصيت النصيح ضل ضلالي

وقال يهجو عباد بن زياد ويذكر سعيد بن عثمان :

ايها الشاتم جهلًا سعيدًا ... وسعيد في الحوادث نابُ
ما ابوكم مشبهًا لابيهِ ... فاسألوا الناس بذا كم تجابوا
ساد عباد ومالأ جيشًا ... سبحت من ذاك صم صلابُ
ان عامًا صرت فيهِ اميرًا ... تملك الناس لعام عجابُ

(قال) واتصل هجاؤه زيادًا وولدهُ وهو في الحبس فردَّهُ عبيد الله الى اخيهِ عباد بسجستان ووكل بهِ رجالًا ووجههم معهُ. وكان لما هرب من عباد يهجوه ويكتب كل ما هجاه بهِ على حيطان الخانات. وأمر عبيد الله الموكلين بهِ ان يأخذوه بمحو ما كتبهُ على الحيطان باظافيرهِ. وامرهم ان لا يتركوه يصلّي الّا الى قبلة النصارى الى المشرق. فكانوا اذا دخلوا بعض الخانات التي نزلها فرأوا فيها شيئًا مما كتبهُ من الهجاء اخذوه بان يمحوه باظافره. فكان يفعل ذلك ويحكهُ حتى ذهبت اظافره فكان يمحوه بعظام اصابعه ودمه. حتى سلموه الى عباد فحبسهُ وضيّق عليهِ. وقال ابن مفرّغ :

اصاب عراقي اللون فاللون شاحبُ ... كما الرأس من هول المنية اشيبُ
قُرنت بخنزير وهرٍ وكلبةٍ ... زمانًا وشان الجلد ضرب مشذّبُ
وجرّعتها صهباء من غير لذّةٍ ... تصعد في الجثمان ثمّ تصوّبُ
وأُطعمت ما لا ان يحلّ لآكلٍ ... وصليت شرقًا بيت مكة مغربُ

من الطفّ مجلوبًا الى ارض كابل … فملّوا وما ملّ الاسير المعذَّبُ
فلو انّ لحمي اذ هوى لعبت بهِ … كرام الملوك او اسود وأَذؤُبُ
لهوّن وجدي او لزادت بصيرتي … ولكنما أَودت بلحميَ أَكلبُ
أَعبّادُ ما للّومِ عنكَ محوّلٌ … ولا لكَ امٌّ في قُرَيْشٍ ولا أَبُ
سينصرُني من ليس تنفع عنده … رُقاك وقرم من أُميّة مصعبُ

فلما طال مقام ابن مفرّغ في السجن استأجر رسولًا الى دمشق وقال لهُ: اذا كان يوم الجمعة فقفْ على درج جامع دمشق ثم اقرأ هذين البيتين بارفع ما يمكنك من صوتك. وكتبهما في رقعة وهما:

أَضحى دعيُّ زيادٍ نقع قرقرةٍ … يا للعجائب يلهو بابن ذي يزنِ
والحميريُّ طريح وسط مزبلةٍ … هذا لعمركمُ غبنٌ من الغبنِ

قال محمد بن خلف في روايتهِ عن لقيط: ان ابن مفرّغ لما طال حبسهُ وبلاؤهُ ركب طلحة الطلحات الى الحجاز ولقي قريشًا. وكان ابن مفرّغ حليفًا لبني اميّة. فقال لهم طلحة: يا معشر قريش ان اخاكم وحليفكم ابن مفرّغ قد أُبتلي بهذه الاعبُد من بني زياد وهو عديدكم وحليفكم ورجل منكم ووالله لا احبُّ ان يُجري الله عافيتهُ على يدي دونكم ولا افوز بالمكرمة في امرهِ وتخلوا منها. فانهضوا معي بجماعتكم الى يزيد بن معاوية فان اهل اليمن قد تحرّكوا بالشأم. فركب خالد بن عبد الله الى خالد بن اسيد وامية بن عبد الله اخيهِ وعمر بن عبيد الله بن معمر في وجوه خزاعة وكنانة وخرجوا الى يزيد. فبينا هم يسمرون ذات ليلة اذ سمعوا راكبًا يتغنى في سواد الليل بقول ابن مفرّغ ويقول:

انّ تركي ندى سعيد بن عثما … م بن عفّان ناصري وعديدي

واتّباعي اخا الضراعة واللو … م لنقصٌ وفوت شأوٍ بعيدِ
قلت والليل مطبق بعراهُ … ليتني متُّ قبل ترك سعيدِ
ليتني متُّ قبل تركي اخا النجدة … م والحزم والفعال الشديدِ
عبشميٌّ ابوهُ عبد منافٍ … فاز منها بتاجها المعقودِ
ثم جود لو قيل فيهِ مزيد … قلت للسائلين ما من مزيدِ
قلْ لقومي لدى الاباطح من آل … م لؤيّ بن غالب ذي الجودِ
سامني بعدكم دعيُّ زيادٍ … خطة الغادر اللئيم الزهيدِ
كان ما كان في الاراكة واجتبّ … م ببردٍ سنام عِيسى وجيدي
اوغل العبد في العقوبة والشتم … م وأودى بطارفي وتليدي
فارحلوا في حليفكم واخيكم … نحو غوث المستصرخين يزيدِ
فاطلبوا النصف من دعيّ زيادٍ … وسلوني بما ادَّعيت شهودي

(قال) فدعا القوم بالراكب فقالوا لهُ: ما هذا الذي سمعناه منك تغنّي بهِ. فقال: هذا قول رجل والله انّ امره لعجب. رجل ضائع بين قريش واليمن وهو رجل الناس. قالوا: ومن هو. قال: ابن مفرّغ. قالوا: والله ما رحلنا الّا فيهِ. وانتسبوا لهُ. فضحك وقال: أَفلا اسمعكم من قولهِ ايضًا. قالوا: بلى. فانشدهم قولهُ:

لعمريَ لو كان الاسير ابن معمر … وصاحبهُ او شكلهُ ابن اسيدِ
ولو انهم نالوا اميّة أَرقلت … براكبها الوجناء نحو يزيدِ
فابلغت عذرًا في لؤيّ بن غالب … وأُتلف فيهم طارفي وتليدي
فان لم يغيّرها الامام بحقها … عدلت الى شمّ شوامخ صيدِ
فناديت فيهم دعوة يمنيّة … كما كان آبائي دعوا وجدودي

ودافعت حتى ابلغ الجهد عنهمُ   دفاع امرئٍ في الخير غير زهيدِ
فان لم تكونوا عند ظني بنصركم   فليس لها غير الاعزّ سعيـدِ
بنفسي وأهلي ذاك حيًّا وميتًا   نضار وعود المرء اكرم عودِ
فكم من مقام في قريش كفيتهُ   ويوم يشيب الكاعبات شديدِ
وخصم تحاماهُ لؤيّ بن غالب   شَبَبْتُ لهُ ناري فهاب وقودي
وخير كثير قد افأت عليكمُ   وانتم رقود او شبيـه رقودِ

(قال) فاسترجع القوم لقولهِ وقالوا: والله لا نغسل رؤوسنا في العرب ان لم نغسلها بفكهِ. فاغذّ القوم السيرَ حتى قدموا الشـأم وبعث اليها ابن مفرّغ رجلًا من بني الحرث بن كعب . فقام على سور حمص فنادى باعلى صوتهِ الحصين ابن نمير وكان والي حمص بهذه الابيات وكان عظيم الجبهة :

امسى دعيُّ زيادٍ نقع قرقرةٍ   يا للعجائب يلهو بابن ذي يزنِ
والحميريُّ طريح وسط مزبلةٍ   هذا لعمركم غبن من الغبـنِ
قوموا فقولوا امير المؤمنين لنا   حقٌّ عليك ومنٌّ ليس كالمننِ
فاكفف دعيَّ زيادعن اكارمنا   ماذا تريد الى الاحقاد والاحنِ

فاجتمعت اليمانية الى حصين فعيّروه بما قالهُ ابن مفرّغ. فقال الحصين: ليس لي رأي دون يزيد بن اسد ومخرمة بن شرحبيل. فارسل اليهما فاجتمعوا في منزل الحصين. فقال لهما حصين: اسمعا ما اهدى اليّ شاعركم وقالهُ لكم في اخيكم يعني نفسهُ وأنشدهم . فقال لهُ حصين بن اسد: قد جئتكم باعظم من هذا وهو قولهُ :

وما كنت حجّامًا ولكن احلّني   بمنزلة الحجّام نأيي عن الاصلِ

فقال الحصين: والله لقد اساءَ الينا امير المؤمنين في صاحبنا مرّتين احداهما

هرب اليهِ فلم يجرْهُ. وأخرى انهُ امر بعذابهِ غير مراقب لنا فيـهِ. وقال يزيد ابن اسد: اني لأظنُّ ان طاعتنا ستفسد ويمحوها ما فعل بابن مفرّغ ولقد تطلع من نفسي شيءٌ للموت احبّ اليَّ منه. وقال مخرمة بن شرحبيل: ايها الرجلان اعقلا فانهُ لا معاوية لكما واعرفا ان صاحبكما لا تقدح فيهِ الغلظـة فاقصدا التضرُّع. فركب القوم الى دمشق وقدموا على يزيد بن معاوية وقد سبقهم الرجل فنادى بذلك الشعر على درج دمشق. فثارت اليمانية وتكلموا ومشى بعضهم الى بعض. وقدم وفد القرشيّين في امره مع طلحة الطلحات. فسبقوا القرشيّين ودخلوا على يزيد بن معاوية. فتكلم الحصين بن نمير فذكر بلاءهُ وبلاء قومهِ وطاعتهم وقال: يا امير المؤمنين انّ الذي اتاه ابن زياد الى صاحبنا لا قرار عليهِ وقد سامنـا عبيد الله وعبـاد خطة خسف وقلدانا قلادة عمار. فانصف كريمنا من صاحبه. فوالله لئن قدرنا لنعفونّ ولئن ظُلمنا لننتصرنّ. وقال يزيد بن اسد: يا امير المؤمنين انّا لو رضينا بمثلة ابن زياد بصاحبنا وعظيم ما انتهك منهُ لم يرضَ الله عزّ ذكرهُ بذلك. ولئن تقرّبنا اليك بما يسخط الله ليباعدنّنا الله منك. وان يمانيتك قد نفرت لصاحبها نفرة طار غرابها وما ادري متى يقع. وكل نائرة تقدح في الملك وان صغرت لم يؤمن أن تكبر واطفاؤها خير من اضرامهـا. لاسيا اذا كانت في انف لا يجدع ويد لا تقطع. فانصفنـا من ابني زياد. وقال مخرمة بن شرحبيل وكان متألهًا عظيم الطاعة في اهل اليمن: انهُ لا يدع تحجزك عن هواك دون الله. ولو مثلت باخينا وتوليت ذلك منـهُ بنفسك لم يقم فيهِ قائم ولم يعاتبك فيهِ معاتب. ولكن ابني زياد استخفّانا بما يثقل عليك من حقّنا وتهاونا بما تكرمهُ منّا. وانت بيننا وبين الله فانصفنا من صاحبيك ولينفعنا بلاؤنا عندك.

فقال يزيد: انَّ صاحبكم أَتى عظيمًا نفى زيادًا من ابي سفيان ونفى عبادًا وعبيد الله بن زياد وقلدهم طوق الحمامة وما شجعهُ على ذلك الَّا نسبهُ فيكم وحلفهُ في قريش. فاما اذ بلغ الامر ما أرى وأشفى بكم على ما أشفى فهو لكم وعليَّ رضاكم. (قال) وانتهى القرشيُّون الى الحاجب فاستأذن لهم وقال لليمانيّين: قد أتتكم برى الذهب من أهل العراق. فدخلوا وسلموا والغضب يتبيَّن في وجوههم. فظنَّ يزيد الظنون وقال لهم: ما لكم انفتق فتقٌ أو حدثٌ حدث فيكم. قالوا: لا. فسكن. فقال طلحة الطلحات: يا امير المؤمنين أما كفى العرب ما لقيتْ من زياد حتى استعملتَ عليها ولدهُ يستكثرون لك احقادها ويبغّضونك اليها. انَّ عبيد الله وأخاه اتيا الى ابن مفرّغ ما قد بلغك فانصفنا منهما انصافًا تعلم العرب انَّ لنا منك خالفًا من أبيك. فوالله لقد خبأَ لك فعلهما خبأً عند أهل اليمن لا نحمدهُ لك ولا تحمدهُ لنفسك. وتكلم خالد بن عبد الله بن خالد بن اسيد فقال: يا أمير المؤمنين انَّ زيادًا ربي في شرّ حجر ونشأ في أخبث نشء فأثبتم نصابهُ في قريش وحملت على رقاب الناس فوثب ابناه على أخينا وحليفنا وحليفك ففعلا به الافاعيل التي بلغتك وقد غضبت لهُ قريش الحجاز ويمن الشأم ممن لا أحبَّ والله لك غضبهُ فانصفنا من ابني زياد. وتكلم اخوهُ امية بنحو مما تكلم أخوه وقال: والله يا أمير المؤمنين لا أحطُّ رحلي ولا اخلع ثياب سفري او تنصفنا من ابني زياد او تعلم العرب انك قد قطعت ارحامنا ووصلت ابني زياد بقطيعتنا وحكمت بغير الحقّ لهم علينا. وقال ابن معمر: يا امير المؤمنين ان ابن مفرّغ طالما ناضل عن عرضك وعرض ابيك واعراض قومك ورمى عن جمرة اهلك وقد أتى بنو زياد فيه ما لو كان معاوية حيًا

لم يرضَ بهِ. وهذا رجل لهُ شرف في قومهِ وقد نفروا لهُ نفرة لها ما بعدها. فأعتبهم وانصف الرجل ولا تؤثر مرضاة ابني زياد على مرضاة الله عزَّ وجلَّ. فقال يزيد: مرحبًا بكم واهلًا والله لو أصابهُ خالد ابني بما ذكرتم لانصفتهُ منهُ ولو رحلتم في جميع ما تحيط بهِ العراق لوهبتهُ لكم وما عندي الَّا انصاف المظلوم. ولكن صاحبكم أسرف على القوم. وكتب يزيد ببناء دارهِ وردّ ماله وتخلية سبيله ولا امرة لأحد من بني زياد عليهِ. وقال: لولا أنَّ في القود بعد ما جرى فسادًا في الملك لاقدتهُ من عباد. وسرَّح يزيد رجلًا من حمير يقال لهُ خمخام وكتب معهُ الى عباد بن زياد: نفسك نفسك وإن تسقط من ابن مفرّغ شعرة فاقيدك والله بهِ. ولا سلطان لك ولا لاخيك ولا لاحد غيري عليهِ. فجاء خمخام حتى انتزعهُ جهارًا من المجلس بمحضر الناس وأخرجهُ. (قالوا) فلما دخل على يزيد قال لهُ: يا امير المؤمنين اختر مني خصلة من ثلاث خصال في كلها لي فرج. اما ان تقيدني من ابن زياد واما ان تخلّي بيني وبينهُ واما ان تقدّمني فتضرب عنقي. فقال لهُ يزيد: قبح الله ما اخترتهُ وخيرتنيه. أما القود من ابن زياد فما كنت لاقيدك من عامل كان عليك ظلمتهُ وشتمت عرضهُ وعرضي معهُ. وأما التخلية بينك وبينهُ فلا ولا كرامة ما كنت لاخلّي بينك وبين اهلي تقطع اعراضهم. وأما ضرب عنقك فما كنت لاضرب عنق مسلم من غير ان يستحقّ ذلك. ولكني افعل ما هو خير لك مما اخترتهُ لنفسك أعطيك ديتك فانهم كانوا قد عرضوك للقتل. واكفف عن ولد زياد فلا يبلغني انك ذكرتهم. وانزل أيّ البلاد شئت. وأمر لهُ بعشرة آلاف درهم. فخرج حتى أتى الموصل وأقام بها ما شاء الله. ثم خرج ذات يوم يتصيّد فلقي دهقانًا على حمار لهُ

فقال: من اين اقبلتَ. قال: من العراق. قال: من ايّها. قال: من البصرة ثم من الايوان. قال: فما فعل السرقان. قال: على حاله. قال: أتعرف أناهيد بنت أعتق. قال: نعم. قال: ما فعلت. قال: على احسن ما عهدت. فضرب برذونهُ وسار حتى أتى الاهواز ولم يعلم اهله ولا غيرهم بمسيره. ثم أتى عبيد الله بن زياد واعتذر اليهِ. وسألهُ الامان فأمّنهُ. ثم سألهُ ان يكتب لهُ الى شريك بن الاعور. فكتب لهُ ووصلهُ. وخرج فأقام بكرمان حتى غلب ابن الزبير على العراق وهرب ابن زياد وكان اهل البصرة قد أجمعوا على قتلهِ فخرج عن البصرة هاربًا. فعاد ابن مفرّغ الى البصرة وعاد هجاء بني زياد. فقال يذكر هرب عبيد الله وتركهُ امهُ بقولهِ:

أعبيد هلاَّ كنت اوَّل فارس   يوم الهياج دعا بحتفك داعِ
أسلمتَ امَّك والرماح تنوشها   يا ليتني لك ليلة الافزاعِ
اذ تستغيث وما لنفسك مانع   عبد تردّدهُ بدار ضياعِ
هلاَّ عجوزك اذ تمدُّ بثديها   وتصيح أن لا تنزعنَّ قناعي
أنقذت من أيدي العلوج كأنها   ربداء مجفلة ببطن القاعِ
فركبت رأسك ثم قلت أرى العدا   كثروا واخلف موعد الاشياعِ
فانجي بنفسك وابتغي نفقًا فما   لي طاقة بكِ والسلام وداعي
ليس الكريم بمن يخلّف امهُ   وفتاتهُ في المنزل الجعجاعِ
حذر المنية والرماح تنوشهُ   لم يرمِ دون نسائهِ بكراعِ
متأبطًا سيفًا عليهِ يلمق   مثل الحمار اثرتهُ بيفاعِ
لا خير في هذر يهزّ لسانهُ   بكلامهِ والقلب غير شجاعِ
لابن الزبير غداة يذمر مبدرًا   أولى بغاية كل يوم وقاعِ

وأحق بالصبر الجميل من امرئٍ   كزّ اناملهُ قصير الباعِ
جعد اليدين على السماحة والندى   وعن الضريبة فاحش منّاعِ
كم يا عبيد الله عندك من دم   يسعى ليدركهُ بقتلك ساعِ
ومعاشر انف أبحت حريمهم   فرّقتهم من بعد طول جماعِ
اذكر حسينًا وابن عروة هانيًا   وبني عقيل فارس المرباعِ

وقال ايضًا يذكر هربهُ:

أفرَّ عبيدٌ والسيوف عن امهِ   دعتهُ فولّاها استهُ وهو يهربُ
وقال عليك الصبر كوني سبيّة   كما كنت او موتي فذلك اقربُ
وقد هتفت هندٌ بماذا امرتني   أبن لي وحدّثني الى أين اذهبُ
فقال اقصدي للازد في عرصاتها   وبكر فما ان عنهمُ متجنبُ
أخاف تميمًا والمسالح دونها   ونيران اعدائي عليّ تلهّبُ
وولّى وماء العين يغسل وجهها   كأن لم يكن والدهر بالناس قلّبُ
بما قدّمت كفّاك لا لك مهرب   الى أيّ قوم والدماء تصبّبُ
فكم من كريم قد جررت جريرة   عليهِ فمقبور وعانٍ يعذّبُ
ومن حرّة زهراء قامت بسحرةٍ   تبكي قتيلًا او فتى يتأوّبُ
فصبرًا عبيد بن العبيد فانما   تقاسي الامور المستعدّ المجرّبُ
وذقْ كالذي قد ذاق منك معاشر   لعبتَ بهم اذ انت بالناس تلعبُ
فلو كنت حرًّا او حفظت وصيّة   عطفت على هندٍ وهندٌ تشحّبُ
وقاتلتَ حتى لا ترى لك مطمعًا   بسيفك في القوم الذين تحزّبوا
وقلت لامّ العبد امّك انني   وان كثّر الاعداء حامٍ مذبّبُ
ولكن أبى قلب أطيرت ثيابهُ   وعرق لكم في آل ميسان يضربُ

وقال يهجو عبيد الله وعبادًا وهذا من قصيدة لهُ طويلة يقول فيها:

وما لاقيت من ايام بؤس   ولا امر يضيق بهِ ذراعي
ولم تكُ شيمتي عجزًا ولؤمًا   ولم اكُ بالمضلّل في المساعي
سوى يوم الهجين ومن يصاحب   لئام الناس يُغضِ عن القذاع
حلفت بربّ مكة لو سلاحي   بكفي اذ تنازعني متاعي
لباشر امّ رأسك مشرفيٌّ   كذاك دواؤنا وجع الصداع
أفي احسابنا تزري علينا   هبلت وانت زائدة الكراع
فما اسفي على تركي سعيدًا   واسحق بن طلحة واتباعي
ثنايا الوبر عبد بني علاجٍ   عبيد نقع قرقرة بقاع
اذا ما رايةٌ رُفعت لمجدٍ   وودّع اهلها خير الوداع
فلا بلّت سماؤك من امير   فبئس معرّس الركب الجياع
ألم ترَ اذ تحالف جلف حرب   عليك غدوت من سقط المتاع
وكدت تموت ان صاح ابن آوى (١)   ومثلك مات من صوت السباع
ويوم فتحت سيفك من بعيدٍ   اضعت وكل امرك للضياع
اذا اودى معاوية بن حربٍ   فبشّر شعب قلبك بانصداع

وانشد ابو عبيد لابن مفرّغ يهجو ابن زياد:

ابلغ قريشًا قضّها وقضيضها   اهل السماحة والحلوم الراجحه
اني ابتليت بجيّة ساورتهم   بيدٍ لعمري لم تكن لي رابحه

(١) كان عباد في حروبهِ ذات ليلة نائمًا في عسكره . فصاحت بنات آوى فثارت الكلاب ونفر بعض الدواب . ففزع عباد وظنّها كبسة من العدوّ فركب فرسهُ ودهش فقال : افتحوا سيفي . فعيّرهُ بذلك ابن مفرّغ

صفق المنجّل صفقة ملعونة   جرّت عليهِ من البلايا فادحه
شتّان من بطحاء مكة دارهُ   وبنو المضاف الى السباخ المالحه
جعدت انامله ولام نجارهُ   وبذاك تخبرنا الظباء السانحه
فاذا أُميّة صلصلت احسابها   فبنو زياد في الكلاب النابحه

وحدّث شعيب عن سيف قال: لما قتل عبيد الله بن زياد يوم الزاب قتلهُ اصحاب المختار بن ابي عبيد. ويقال ان ابراهيم بن الاشتر حمل على كتيبتهِ فانهزموا فلقي عبيد الله فقتلهُ وجاء الى أصحابهِ فقال: اني ضربت رجلًا فقددتهُ نصفين فشرّقت يداه وغرّبت رجلاه وفاح منهُ المسك واظنّهُ ابن مرجانة. وأومأ لهم الى موضعه. فجاءوا اليهِ وفتشوا عليهِ فوجدوه كما ذكر. واذا هو ابن زياد. فقال ابن مفرّغ يهجوه:

ان الذي عاش ختّار بذمتهِ   وعاش عبدًا قتيل الله بالزابِ
العبد للعبد لا اصل ولا طرف   ألوت بهِ ذات أظفار وأنيابِ
انّ المنايا اذا ما زرنَ طاغية   هتكنَ عنهُ ستورًا بين ابوابِ
هلّا جموع نزار اذ لقيتهم   كنت امرءًا من نزار غير مرتابِ
لا أنت زاحمت عن ملك فتمنعهُ   ولا مددت الى قوم باسبابِ
ما شقّ جيبٌ ولا ناحتك نائحة   ولا بكتك جياد عند أسلابِ
لا يترك الله انفًا تعطسون بها   بني العبيد شهودًا غير غيّابِ
أقول بعدًا وسحقًا عند مصرعهِ   لابن الخبيثة وابن الكودن الكابي

حدّث محمد بن الحكم عن عوانة ان عبيد الله بن أبي بكرة كتب الى يزيد بن مفرّغ : اني قد توجهت الى سجستان فالحق بي فلعلّك ان قدمتَ عليّ أن لا تندم ولا يذمّ رأيك. فتجهّز ابن مفرّغ وخرج حتى قدم

سجستان ممسيًا فدخل عليهِ . فشغلهُ بالحديث وامر لهُ بمنزل وفرش وخدم وجعل يطاولهُ حتى علم انهُ قد استتم لهُ ما أَمر لهُ بهِ . ثم صرفهُ الى المنزل الذي قد هيّئ لهُ . ثم دعا بهِ في اليوم الثاني فقال لهُ : يا ابن مفرغ انك قد تجشّمت اليَّ شقة بعيدة واتّسع لك الامل رحلت اليَّ لاقضي عنك دينك ولاغنيك عن الناس وقلت : أبو حاتم بسجستان فمن لي بالغناء بعدهُ . فقال : والله ما أَخطأتَ أَيُّها الامير ما كان في نفسي . فقال عبيد الله : أما والله لأفعلنَّ ولاقيمنَّ لبثك عندي ولاحسننَّ صلتك . وأَمر لهُ بمائة الف درهم ومائة وصيفة ومائة نجيبة وأَمر لهُ بما ينفق الى بلده سوى المائة الالف وبمن يكفيهِ الخدمة من غلمانهِ واعوانهِ وقال لهُ : ان من خفَّة السفر أَن لا تهتمَّ بخفٍ ولا حافر . وكان مقامهُ عنده سبعة ايام . ثم ارتحل وشيَّعهُ عبيد الله الى قرية على أَربع فراسخ يقال لها زالق ثم قال لهُ : يا ابن مفرّغ انهُ ينبغي للمودّع ان ينصرف وللمتكلم ان يسكت وأَنا مَن قد عرفت فابقَ على الامل وحسن ظنّك بي ورجائك فيَّ واذا بدا لك ان تعود فعد والسلام . (قال) وسار ابن مفرّغ حتى أَتى رامهرمز فنزل بقرية أَيجر

ثم اقام بالاهواز ودعا ندماء كانوا لهُ من فتيان العرب . فلم يبقَ ظريف ولا مغنٍ الّا أَتاه . واستماحهُ جماعة قصدوه من أَهل البصرة والكوفة والشأم فأَعطاهم . وجعل القوم يسأَلونهُ عن عبيد الله بن أَبي بكرة وكيف هو وأَخلاقه وجوده . فقال :

يسائلني اهل العراق عن الندى   فقلت عبيد الله حلف المكارمِ
فتًى حاتميٌّ في سجستان رحلهُ   وحسبك جودًا ان يكون كحاتمِ
سما لينال المكرمات فنالها   بشدَّة ضرغام وبذل الدراهمِ

وحلم اذا ما سورة الحقد اطلقت   حبا القوم عند الفادح المتفاقمِ
وانَّ لهُ في كل حيٍّ صنيعة   يحدّثها الركبان اهل المواسمِ
دعاني اليهِ جودهُ ووفاؤُهُ   ومن دون مسراهُ عداة الاعاجمِ
فلم ابقَ الّا جمعة في جوارهِ   ويومين حلاًّ من اليّة آثمِ
الى ان دعاني زانهُ الله بالعلا   فأَنبت ريشي من صميم القوادمِ
وقال اذا ما شئت يا ابن مفرّغٍ   فعد عودة ليست كاضغاث حالمِ
فقلت لهُ لا يبعد الله دارهُ   أَعود اذا ما جئتكم غير حاشمِ
وأَحمدت وردي اذ وردت حياضهُ   وكل كريم نهزة للاكارمِ
فأَصبح لا يرجو العراق وأَهلهُ   سواهُ لنفع او لدفع العظائمِ
وانَّ عبيد الله هنّأَ رفدهُ   سراحًا واعطى رفدهُ غير غانمِ

وحدّث المخذميّ قال : لزم يزيدَ بن مفرّغ غرماؤُهُ بدَين . فقال لهم : انطلقوا نجلس على باب الامير عسى ان يخرج الاشراف من عنده فيروني فيقضوا عني . فانطلقوا بهِ . فكان اوّل من خرج امًا عمر بن عبيد الله بن معمر وامّا طلحة الطلحات . فلما رآهُ قال : أَبا عثمان ما أَقعدك ههنا . قال : غرمائي هولاء لزموني بدين لهم عليّ . قال : وكم هو . قال : سبعون الفًا . قال : عليَّ منها عشرة آلاف درهم . ثم خرج الآخر على الاثر . فسأَلهُ كما سأَل صاحبه . فقال : هل خرج احد قبلي . قالوا : نعم فلان . قال : فما صنع . قالوا : ضمن عشرة آلاف درهم . قال : فعليَّ مثلها . (قال) ثم جعل الناس يخرجون فمنهم من يضمن الالف الى أَكثر من ذلك حتى ضمنوا اربعين الفًا . وكان يأمل عبيد الله ابن أَبي بكرة . فلم يخرج حتى غربت الشمس . فخرج مبادرًا . فلم يرَهُ يخرج حتى كاد يبلغ بيتهُ . فقيل لهُ : انك مررت بابن مفرّغ ملزومًا وقد مرَّ بهِ

الاشراف فضمنوا عنهُ . فقال : وا سوءتاه اني لخائف ان يظنّ اني تغافلت عنه . فكرّ راجعًا فوجده قاعدًا فقال لهُ : أبا عثمان ما يجلسك ههنا . قال : غرمائي هولاء يلزمونني . قال : كم عليك . قال : سبعون الفًا . قال : وكم ضُمن عنك . قال : اربعون الفًا . قال : فاستمتع بها وعليَّ دينك أجمع . فقال فيهِ :

لو شئت لم تعنَ ولم تنصب ... عشت باسباب ابي حاتمِ
عشت باسباب الجواد الذي ... لا يختم الاموال بالخاتمِ
من كفّ بهلول لهُ غرّة ... ما ان لمن عاداه من عاصمِ
المطعم الناس اذا حادرت ... نكباؤها في الزمن العارمِ
والفاصل الخطّة يوم النجا ... للامر عند الكربة اللازمِ
جاورتهُ حينًا فأحمدتهُ ... أثني وما الحامد كاللائمِ
كم من عدوّ شامت كاشح ... اخزيتهُ يومًا ومن ظالمِ
أذقتهُ الموت على غرّة ... بابيض ذي رونق صارمِ

ومات ابن مفرغ في الطاعون في ايام مصعب بن الزُّبير

مقتل جرجير

كان أبو ذؤيب الهذليّ خرج في جند عبد الله بن سعد بن أبي سرح احد بني عامر بن لؤيّ الى افريقية سنة ستّ وعشرين غازيًا افرنجة في زمن عثمان . فلما فتح عبد الله بن سعد افريقية وما والاها بعث عبد الله بن الزبير وكان في جنده بشيرًا الى عثمان بن عفّان وبعث معهُ نفرًا فيهم أبو

ذؤيب . فلما قدموا مصر مات ابو ذؤيب بها (١) . وقدم ابن الزبير على عثمان وهو يومئذٍ في قول ابن الزبير ابن ستّ وعشرين سنة وفي قول الواقدي ابن اربع وعشرين سنة . قال مصعب : فسمعت ابي يقول : قال عبد الله بن الزبير : أحاط بنا جرجير صاحب افريقية وهو ملك افرنجة في عشرين الفًا ومائة الف ونحن في عشرين الفًا . فضاق بالمسلمين امرهم واختلفوا في الرأي . فدخل عبد الله بن سعد فسطاطه يخلو ويفكر . قال عبد الله بن الزبير : فرأيت عورة من جرجير والناس على مصافّهم رأيتهُ على برذون أشهب خلف أصحابهِ منقطعًا منهم معهُ جاريتان لهُ تظلّانهِ من الشمس بريش الطواويس . فجئت فسطاط عبد الله فطلبت الاذن عليهِ من حاجبه . فقال : انهُ في شأنكم وانهُ قد أمرني ان امسك الناس عنهُ . (قال) فدرت

---

(١) حدّث عبد الله بن الحرث الهذليّ قال : خرج ابو ذؤيب فغزا ارض الروم مع المسلمين . فلمّا قفلوا أخذهُ الموت . فاراد ابنهُ وابن اخيهِ ان يتخلّفا عليهِ جميعًا . فمنعهما صاحب الساقة وقال : ليتخلّف عليهِ احدكما وليعلم انهُ مقتول . فقال لهما ابو ذؤيب : اقترعا . فطارت القرعة لابي عبيد . فتخلّف عليهِ . ومضى ابنهُ مع الناس . فكان ابو عبيد يحدّث قال : قال لي ابو ذؤيب : يا ابا عبيد احفر ذلك الجرف برمحك ثم اعمد من الشجر بسيفك ثم اجررني الى هذا النهر فانك لا تفرغ حتى افرغ فاغسلني وكفّنّي ثم اجعلني في حفيري واثل عليَّ الجرف برمحك وألق عليَّ الغصون والشجر ثم اتبع الناس فان لهم رهجة تراها في الافق اذا مشيت كانها جهامة . (قال) فما اخطأ مما قال شيئًا ولولا نعتهُ لم اهتدِ لاثر الجيش . وقال وهو يجود بنفسهِ :

ابا عبيد رفع الكتابُ ... واقترب الموعد والحسابُ
وعند رحلي جمل نجابُ ... أحمر في حاركهِ انصبابُ

ثم مضيت حتى لحقت الناس . فكان يقال ان أهل الاسلام ابعدوا الاثر في بلد الروم فما كان وراء قبر ابي ذؤيب قبر يُعرف لاحد من المسلمين

فأتيت مؤخر فسطاطه فرفعتهُ ودخلت عليهِ. فاذا هو مستلقٍ على فراشه. ففزع وقال: ما الذي أدخلك عليَّ يا ابن الزبير. فقلت: ايه وايه كل أزبَّ نفور اني رأيت عورة من عدوّنا فرجوت الفرصة فيهِ وخشيت فوتها. فاخرج فاندب الناس اليَّ. قال: وما هي. فاخبرتهُ. فقال: عورة لعمري. ثم خرج فرأى ما رأيت. فقال: أيُّها الناس انتدبوا مع ابن الزبير الى عدوّكم. فاخترت ثلاثين فارسًا وقلت: اني حامل فاضربوا عن ظهري فاني سأكفيكم من ألقى ان شاء الله تعالى. فحملت في الوجه الذي هو فيهِ وحملوا فذبُّوا عني حتى خرقتهم الى ارض خالية وتبيَّنتهُ. فصمدت صمدة فوالله ما حسب الّا اني رسول ولا ظنَّ اكثر اصحابهِ الّا ذاك حتى رأى ما بي من اثر السلاح فثنى برذونهُ هاربًا. فادركتهُ فطعنتهُ فسقط ورميت بنفسي عليهِ. واتّقت جاريتاه عنهُ السيف فقطعت يد احداهما وأجهزت عليهِ. ثم رفعت رأسهُ في رمحي. وجال اصحابه. وحمل المسلمون في ناحيتي وكبَّروا فقتلوهم كيف شاءوا وكانت الهزيمة. فقال لي عبد الله بن سعد: ما احد أحقُّ بالبشارة منك فبعثني الى عثمان

خبر مقتل ابني عبيد الله بن العباس

أخبر بالسبب في ذلك محمد بن احمد الطلاس قال: حدثنا احمد بن الحرث الخزاز قال: ان معاوية بن ابي سفيان بعث الى بسر بن ارطاة احد بني عامر بن لؤيّ بعد تحكيم الحكمين. وعليُّ بن ابي طالب رضي الله عنه

يومئذٍ حيٌّ وبعث معهُ جيشًا آخر. وتوجَّه برجل من عامر ضمَّ اليهِ جيشًا آخر. ووجه الضحَّاك بن قيس الفهريَّ في جيش آخر. وامرهم ان يسيروا في البلاد فيقتلوا كل من وجدوه من شيعة عليّ بن ابي طالب عليهِ السلام وأصحابه وان يُغيروا على سائر اعماله ويقتلوا اصحابه ولا يكفّوا ايديهم عن النساء والصبيان. فمرَّ بسر لذلك على وجههِ حتى انتهى الى المدينة فقتل بها ناسًا من اصحاب عليّ عليهِ السلام وأهل هواهُ وهدم بها دورًا ومضى الى مكة فقتل نفرًا من آل أبي لهب. ثم اتى السراة فقتل مَن بها من اصحابه. واتى نجران فقتل عبد الله بن عبد المدان الحارثي وابنه وكانا من اصهار بني العباس عامل عليّ عليهِ السلام. ثم أتى اليمن وعليها عبيد الله بن العباس عامل عليّ بن ابي طالب وكان غائبًا. وقيل بل هرب لما بلغهُ خبر بسر فلم يصادفهُ بسر. ووجد ابنين لهُ صبيَّين فاخذهما بسر لعنهُ الله وذبحهما بيده بمدية كانت معهُ. ثم انكفأ راجعًا الى معاوية. وفعل مثل ذلك سائر من بعث بهِ. فقصد العامريّ الى الانبار فقتل ابن حسَّان البكريّ وقتل رجالًا ونساء من الشيعة

ثم ان بسر بن ارطاة كرَّ راجعًا وانتهى خبرهُ الى عليّ عليهِ السلام انهُ قتل عبد الرحمن وقثم ابنَي عبيد الله بن العباس فسرَّح حارثة بن قدامة السعديّ في طلبهِ وامرهُ ان يجدّ السير. فخرج مسرعًا. فلما وصل الى المدينة وانتهى اليهِ قتلُ علي بن أبي طالب عليهِ السلام ومعهُ الحسن رضي الله تعالى عنه ركب في السلاح ودعا أهل المدينة الى البيعة للحسن. فامتنعوا. فقال: والله لتبايعُنَّ فلما رأى اهلَ المدينة بايعوا الحسن عليهِ السلام كرَّ راجعًا الى الكوفة. فاصاب امَّ حكيم بنت قارظ ولهٌ على ابنيها فكانت

لا تعقل ولا تصغي الا الى قول مَن اعلمها أنّهما قد قُتلا ولا تزال تطوف في المواسم تنشد الناس ابنيها بهذه الابيات:

يا من أحسَّ بابنيَّ اللذين هما كالدرّتين تشظّى عنهما الصدفُ
يا من أحسَّ بابنيَّ اللذين هما سمعي وقلبي فقلبي اليوم مزدهفُ
يا من أحسَّ بابنيَّ اللذين هما مخّ العظام فمخي اليوم مختطفُ
نُبّئتُ بسرًا وما صدّقت ما زعموا من قولهم ومن الافك الذي اقترفوا
أنحى على ودجَي ابنيَّ مرهفةً مشحوذةً وكذاك الافك يقترفُ
حتى لقيت رجالًا من ارومتهِ شمّ الانوف لهم في قومهم شرفُ
فالآن ألعنُ بسرًا حقّ لعنتهِ هذا لعمر ابي بسر هو السرفُ
من دلّ والهة حرّى مولهة على صبيّين ضلّا اذ غدا السلفُ

(قالوا) ولما بلغ عليّ بن أبي طالب عليهِ السلام قتل بسر الصبيّين جزع لذلك جزعًا شديدًا ودعا على بسر لعنهُ الله فقال: اللهمّ اسلبه دينهُ ولا تخرجهُ من الدنيا حتى تسلبهُ عقلهُ. فاصابهُ ذلك وفقد عقله. وكان يهذي بالسيف ويطلبهُ فيؤتى بسيف من خشب ويُجعل بين يديهِ زقّ منفوخ فلا يزال يضربهُ حتى يسأم. ثم مات لعنهُ الله. ولما كانت الجماعة واستقرّ الامر على معاوية دخل عليهِ عبيد الله بن العباس وعندهُ بسر بن ارطاة. فقال لهُ عبيد الله: أأنت قاتل الصبيّين ايها الشيخ. قال بسر: نعم انا قاتلهما. فقال عبيد الله: أما والله لوددتُ ان الارض كانت أنبتتني عندك. فقال بسر: فقد أنبتتك الآن عندي. فقال عبيد الله: ألا سيف. فقال لهُ بسر: هاك سيفي. فلما أهوى عبيد الله الى السيف ليتناولهُ اخذهُ معاوية ثم قال لبسر: أخزاك الله شيخًا قد كبرت وذهب عقلك وذاك رجل من بني هاشم قد

وترتهُ وقتلت ابنيهِ تدفع اليهِ سيفك. انك لغافل عن قلوب بني هاشم. والله لو تمكن منهُ لبدأ بي قبلك. فقال عبيد الله: أجل والله وكنتُ أثنّي بهِ

قال الاصمعي: وسمع رجل من أهل اليمن وقد قدم مكة امرأة عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب تندب ابنيها اللذين قتلهما بسر بن ارطاة بقولها:

يا من احسّ بابنيّ اللذين هما كالدرّتين تشظى عنهما الصدفُ

فرقّ لها واتّصل ببسر حتى وثق بهِ. ثم احتال لقتل ابنيهِ فخرج بهما الى وادي اوطاس فقتلهما وهرب وقال:

يا بسر بسر بني ارطاة ما طاعت شمس النهار ولا غابت على الناسِ
خير من الهاشميين الذين همُ عين الهدى وسمام الاسوق القاسِ
ماذا اردت الى طفلَي مولّهة تبكي وتنشدُ من انكلت في الناسِ
أما قتلتهما ظلمًا فقد شرقت من صاحبيك قناتي يوم اوطاس
فاشرب بكأسهما ثكلًا كما شربت ام الصبيّين او ذاق ابن عبّاسِ

مقتل توبة بن الحُمَيِّر

اخبر بالسبب في مقتل توبة محمد بن الحسن بن دريد اجازة عن أبي حاتم السجستاني عن ابي عبيدة. قال ابو عبيدة: كان الذي هاج مقتل توبة ابن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة انهُ كان بينهُ وبين بني عامر بن

عوف بن عقيل لحاء. ثم ان توبة شهد بني خفاجة وبني عوف وهم يختصمون عند همام بن مطرف العقيلي في بعض امورهم. (قال) وكان مروان بن الحكم يومئذٍ اميرًا على المدينة في خلافة معاوية بن ابي سفيان فاستعملهُ على صدقات بني عامر. (قال) فوثب ثور بن ابي سمعان بن كعب بن عامر بن عوف بن عقيل على توبة بن الحمير فضربهُ بجرز وعلى توبة الدرع والبيضة. فجرح انف البيضة وجه توبة. فامر همام بثور بن ابي سمعان فأُقعد بين يدي توبة فقال: خذ بحقك يا توبة. فقال لهُ توبة: ما كان هذا الّا عن امرك وما كان ليجترئَ عليَّ عند غيرك. وأُمُّ همام صوبانة بنت جون بن عامر بن عوف بن عقيل. فاتهمهُ توبة لذلك. فانصرف ولم يقتصَّ منهُ. فمكثوا غير كثير

وان توبة بلغهُ ان ثور بن ابي سمعان خرج في نفر من رهطهِ الى ماء من مياه قومهِ يقال لهُ قوباء يريدون ماء لهم بموضع يقال لهُ جرير (بتثليث). (قال) وبينهما فلاة. فاتبعهُ توبة في ناس من اصحابهِ. فسأل عنهُ وبحث حتى ذُكر لهُ انهُ عند رجل من بني عامر بن عقيل يقال لهُ سارية بن عمير بن ابي عدي وكان صديقًا لتوبة. فقال توبة: والله لانظرنَّهم عند سارية الليلة حتى يخرجوا عنهُ. فارادوا ان يخرجوا حين يصبحون فقال لهم سارية: ادَّرعوا الليلة فاني لا آمن توبة عليكم الليلة فانهُ لا ينام عن طلبكم. (قال) فلما تعشوا ادَّرعوا الليل في الفلاة. واقعد لهُ توبة رجلين. فغفل صاحبا توبة. فلما ذهب الليل فزع توبة وقال: لقد اغتررت الى رجلين ما صنعا شيئًا واني لاعلم انهم لم يصبحوا بهذه البلاد. فاقتصَّ آثارهم فاذا هو باثر القوم قد خرجوا. فبعث الى صاحبيهِ فأتياه. فقال: دونكما هذا الجمل فأوقراه من الماء مزادتيهِ ثم اتبعا

اثري فان خفي عليكما ان تدركاني فاني سأنوّر لكما ان امسيتما دوني. وخرج توبة في اثر القوم مسرعًا حتى اذا انتصف النهار جاوز علمًا يقال لهُ أفيح في الغائط فقال لاصحابهِ: هل ترون سمرات الى جنب قرون بقر (١) فانَّ ذلك مقيل القوم لم يتجاوزوه فليس وراءهُ ظلّ. فنظروا فقال قائل: نرى رجلًا يقود بعيرًا لهُ كأنهُ يقودهُ لصيده. قال توبة: ذلك ابن الحبترية وذلك مِن ارمى مَن رمى. فمن لهُ يختلجهُ دون القوم فلا ينذرون بنا. (قال) فقال عبد الله اخو توبة: أنا لهُ. قال: فاحذر لا يضربنَّك وان استطعت ان تحول بينهُ وبين اصحابه فافعل. فخلّى طريق فرسه في غمض من الارض. ثم دنا منهُ فحمل عليهِ فرماه ابن الحبترية. (قال) وبنو الحبترية ناس من مذحج في بني عقيل. فعقروا فرس عبد الله اخي توبة واختلَّ السهم ساق عبد الله. فانحاز الرجل حتى اتى اصحابه فانذرهم. فجمعوا ركابهم وكانت متفرقة. (قال) وغشيهم توبة ومن معهُ. فلما رأوا ذلك صفّوا رحالهم وجعلوا السمرات في نحورهم واخذوا سلاحهم ودرقهم. وزحف اليهم توبة. فارتمى القوم لا يغني احد منهم شيئًا في احد. ثم ان توبة وكان يترس لهُ اخوهُ عبد الله قال: يا اخي لا تترس لي فاني رأيت ثورًا كثيرًا ما يرفع الترس عسى ان اوافق منهُ عند رميهِ مرمىً فأرميه. (قال) ففعل فرماه توبة على حلمة ثديهِ فصرعه. وجاء القوم فغشيهم توبة واصحابه فوضعوا فيهم السلاح حتى تركوهم صرعى. وهم سبعة نفر. ثم ان ثورًا قال: انتزعوا هذا السهم عني. قال توبة: ما وضعناه لننزعه. فقال اصحاب توبة: انجُ بنا فقد أخذنا ثأرنا ونلقى راويتنا فقد متنا عطشًا. قال توبة: كيف بهولاء القوم الذين لا يمنعون

(١) قرون بقر مكان هنالك

ولا يمتنعون. فقالوا: ابعدهم الله. قال توبة: ما انا بفاعل وما هم الّا عشيرتكم ولكن نجيء الراوية فأضع لهم مـاء واغسل عنهم دماءهم وأخيـل عليهم من السباع والطير لا تا كلهم حتى أوذن قومهم بهم بعمق. فاقام توبة حتى اتتهُ الراوية قبل الليل فسقـاهم من المـاء وغسل عنهم الدماء وجعل في اساقيهم ماء ثم خيَّل لهم بالثياب على الشجر. ثم مضى حتى طرق من الليل سارية بن عويمر بن ابي عديّ العقيلي فقال: انّا قد تركنا رهطاً من قومكم بسمرات من قرون بقر فادركوهم فمن كان حيّاً فداووه ومن كان ميتاً فادفنوه. ثم انصرف فلحق بقومه. وصبح سارية القوم فاحتملهم وقد مات ثور بن ابي سمعان ولم يمت غيره. فلم يزل توبة خائفاً

وكان السليل بن ثور المقتول رامياً كثير البغي والشرّ. وأُخبر بغرّة من توبة وهم بقنة من قنان الشرف يقال لها قنة بني الحمير فركب في نحو ثلاثين فارساً حتى طرقه. فترقى توبة ورحل من اخوتهِ في الجبل. فاحاطوا بالبيوت. فناداهم وهو في الجبل: هذا من تبغون فأجيبوا. فقالوا: انكم لن تستطيعوه وهو في الجبل ولكن خذوا ما استدنى لكم من ماله. فأخذوا افراساً لهُ ولاخوتهِ وانصرفوا. ثم ان توبة غزاهم فمرّ على قلب بن حزن بن معاوية ابن خفاجة يُبطن نفسهُ. فقال: يا توبة اين تريد. قال: اريد الصبيـان من بني عوف بن عقيل. قال: لا تفعل فان القوم قاتلوك فمهـلاً. قال: لا اقلع عنهم ما عشت. ثم ضرب بطن فرسهِ فاستمرَّ بهِ يخطر ويرتجز ويقول:

ينجو اذا قيـل لهم معاطِ   ينجو بهم من خلل الامشاطِ

حتى انتهى الى مكان يقال لهُ حجر الراشدة ظليل اسفلـهُ كالعمود واعلاه منتشر. فاستظلَّ فيهِ واصحابه حتى اذا كان بالهاجرة مرّت عليهِ ابل هبيرة

ابن السمين اخي بني عوف بن عقيل واردة ماء لهم يقال لهُ طلوب. فاخذها وخلّى طريق راعيها وقال لهُ: اذا اتيت صدغ البقرة مولاك فاخبرهُ ان توبة اخذ الابل. ثم انصرف توبة. (قال) فلمـا ورد العبـد على مولاه فاخبرهُ نادى في بني عوف وقال: حتّامَ هذا. فتعاقدوا بينهم نحواً من ثلاثين فارساً ثم اتبعوه. ونهضت امرأة من بني خثعم من بني الهرّة كانت في بني عوف وكانت تؤخذ لهم فقالت: اروني اثره. فخرجوا بها فأروها اثره. فأخذت من ترابه فقاستـهُ فقالت: اطلبوه فانهُ عليكم. فطلبوه فسبقهم. فتلاوموا وقالوا: ما نرى لهُ اثرًا وما نراه الّا وقد سبقكم

(قال) وخرج توبـة حتى اذا كان بالمضجع من ارض بني كلاب جعل نذارتهُ وحبس اصحابه حتى اذا كان بشعب من هضبة يقال لهـا هند من كبد المضجع جعل ابن عمة لهُ يقال لهُ قابض بن عبد الله ربيئـة على رأس الهضبة فقال: انظر فان شخص لك شيء فاعلمنـا. فقال عبد الله بن جسوسا بن الحمير: يا توبة انك حائر اذكرك الله فوالله ما رأيت يوماً اشبـه بسمرات بني عوف يوم ادركناهم في ساعتهم التي اتيناهم فيهـا منه. فانجُ ان كان بك نجاة. قال: دعني فقد جعلت ربيئة ينظر لنا. (قال) ويرجع بنو عوف بن عقيل حين لم يجدوا اثر توبة فيلقون رجلاً من غني. فقالوا لهُ: هل احسست في مجيئك اثر خيـل او اثر ابل. قال: لا والله. قالوا: كذبت. وضربوه. فقال: يا قوم لا تضربوني فاني لم اجد اثرًا ولقد رأيت زهاء كذا وكذا ابلاً شخوصاً في هاتيك الهضبـة وما ادري ما هو. فبعثوا رجلاً منهم يقـال لهُ يزيد بن رويبـة لينظر ما في الهضبـة. فاشرف على القوم فلما رآهم ألوى بثوبهِ لاصحابهِ حتى جاءوا

وقد كان توبة اسرى يومه وليلته فاستظلّ ببردَيهِ وألقى عنـهُ درعهُ وخلّى عن فرسه الخوصاء تتردّد قريبًا منهُ وجعل قابضًا ربيئة لهُ ونام . فاقبلت بنو عوف بن عامر متقاطرين لئلاّ يفطن لهم احد . فنظر قابض فأبصر رجلًا منهم فأقبل الى توبة فأنبههُ . فقال توبة : ما رأيت . قال : رأيت شخصَ رجلٍ واحد . فنام ولم يكترث لهُ . وعاد قابض الى مكانه فغلبتهُ عيناه فنام . (قال) فأقبل القوم على تلك الحال فلم يشعر بهم قابض حتى غشوه . فلما رآهم طار على فرسه . وأقبل القوم الى توبة . وكان اول من تقدّم غلام امرد على فرس عربي وهو يزيد بن رويبة (١) ثم تلاه ابن عمهِ عبد الله بن سالم . ثم تتابعوا . فلما سمع توبة وقع الخيل نهض وهو وسنان . وكان لا يضع السيف . فصبَّ الدرع على السيف متقلده وهِلًا . ثم صوّت بفرسهِ الخوصاء فاتتـهُ . فلما اراد ان يركبها اهوت ترمحهُ ثلاث مرّات . فلما رأى ذلك لطم وجهها فادبرت . وحال القوم بينهُ وبينها . فطلب قائم السيف فلم يقدر عليـهِ تحت الدرع فلم يستطع سلّهُ . فطار الى الرمح فاخذهُ فاهوى بهِ طعنـًا الى يزيد بن رويبة وقد كان يزيد عاهد الله ليقتلنهُ او ليأخذنّهُ . فانفذ فخذ يزيد . واعتنقهُ يزيد فعضَّ بوجنتيه . واستدبرهُ عبد الله بالسيف ففلق رأس توبة . وهيب توبة حين اعتوره الرجلان بقابض : يا قابض . فلم يلوِ عليهِ وفرَّ قابض الكلابي . وذبَّ عبد الله بن حمير عن اخيـهِ . فأهوى لهُ معاوية بن عبد الله بالسيف فاصاب ركبتهُ فاختلعت (٢) . فلما وقع بالارض اشرع سيفهُ وحدهُ ثم جثا على ركبتيهِ وجعل يقول : هلموا . ولم يشعر القوم بما اصابه . وانصرف بنو عوف بن

(١) وكانت امهُ بنت عمّ توبة

(٢) اي سقطت

عقيل . وولّى قابض منهزمًا حتى لحق بعبد العزيز بن زرارة الكلابي فقال : قتل توبة . فنادى في قومهِ فجاءهُ ابوه زرارة فقـال : اين تريد . فقال : قتل توبة . فقال ابوه طوط : سحقًا لك أتطلب بدم توبة ان قتلتهُ بنو عقيل ظالما لها باغيًا عاديًا عليها . قال : لكني اجنّـهُ اذًا . قال ابوه : اما هذه فنعم . فألقى السلاح وانطلق حتى اجنّهُ وحمل اخاه عبد الله بن حمير . فلما رجع عبد الله بعد ذلك الى قومه لاموه وقالوا لهُ : فررت عن اخيك . فقال عبـد الله بن الحمير في ذلك :

تأوّبني بغـازية الهمـومُ ... كما يعتـاد ذا الدَّين الغريمُ
كأنّ الهمّ ليس يريد غيري ... ولو امسى لهُ نبـط وروم
علامَ تقوم عاذلتي تـلوم ... تؤنّبني وما انجاب الصروم
فقلت لها رويدًا كي تجلّى ... غواشي النـوم والليـل البهيم
ألمـّا تعلمي اني قديمـًا ... اذا ما شئت اعصي من يلوم
وانّ المرء لا يدري اذا مـا ... يهمُّ علامَ تحملهُ الهمـوم
وقد تعدي على الحاجات حَرف ... كركب الرعن دعبـلة عقيمُ
مداخلة القفـار وذات لوثٍ ... على الحرّات محكمـة غشوم
كأنّ الرحل منها فوق جابٍ ... بذات الحاد معقـلة الصريم
طبـاهُ برجلة البقـار برق ... فبات الليـل منتصبـًا يشيمُ
فبينـا ذاك اذ هبطت عليهِ ... دلوح المزن واهيـة هزيم
تهبُّ لهـا الشمال فتمتريهـا ... ويعقبهـا بنـافحة نسيـم
يلث اذا الرباب جرى عليهِ ... كما يُصغي الى الآس الاميمُ
اذا ما قـال اقشع جانبـاهُ ... نشت من كل ناحيـة غيوم

فاشعر ليلهُ قلقاً وقرّاً ... يسهرهُ كما ارق السليمُ
أَلا من يشتري رجلاً برجل ... تخوّنها السلاح فما تسومُ
تلومك في القتال بنو عقيل ... وكيف قتال اعرج لا يقومُ
ولو كنتُ القتيل وكان حيّاً ... لقاتل لا ألفّ ولا سؤومُ
ولا جثّامة روع هيوب ... ولا ضرع اذا يمشي جثومُ

(قال) ثم ان خفاجة رهط توبة جمعوا لبني عوف بن عامر بن عقيل الذي قتلوا توبة . فلما بلغهم الخبر لحقوا ببني الحرث بن كعب . ثم افترقت بنو خفاجة . فلما بلغ ذلك بني عوف رجعوا . فجمعت لهم بنو خفاجة ايضاً قبائل عقيل . فلما رأت ذلك بنو عوف بن عامر بن عقيل لحقوا بالجزيرة فنزلوها . ثم ان بني عامر بن صعصعة صاروا الى مروان بن الحكم وهو والي المدينة لمعاوية بن ابي سفيان فقالوا : ننشدك الله ان تفرّق جماعتنا . فعقل توبة وعقل الآخرين معاقلَ العرب مائة من الابل . فأدّتها بنو عامر . (قال) فخرجت بنو عوف بن عامر قتلة توبة فلحقوا بالجزيرة فلم يبقَ بالعالية منهم أحد . واقامت بنو ربيعة بن عقيل وعروة بن عقيل وعبادة بن معقل بمكانهم بالبادية

وقالت ليلى تعير قابضاً :

جزى الله شرّاً قابضاً بصنيعه ... وكلُّ امرئٍ يجزى بما كان ساعيا
دعا قابضاً والمرهفات يردنهُ ... فقبّحت مدعوّاً ولبّيك داعيا

وقالت لقابض وتعذر عبد الله اخا توبة :

دعا قابضاً والموت يخفق ظلّهُ ... وما قابضٌ اذ لم يجب بنجيب
وآسى عبيد الله ثم ابن امّه ... ولو شاء نجّى يوم ذاك حبيبي

وقالت ايضاً ترثي توبة عن امّ حمير . وامّها ابنة اخي توبة من امها :

أَيا عين بكي توبة ابن حمير ... بسحّ كفيض الجدول المتفجرِ
لتبكِ عليهِ من خفاجة نسوة ... بماء شؤون العبرة المتحدّرِ
سمعنَ بهيجا ارهقت فذكرنهُ ... ولا يبعث الاحزان مثل التذكرِ
كانَّ فتى الفتيان توبة لم يسر ... بنجد ولم يطلع من المتغوّرِ
ولم يردِ الماء السِدام اذا بدا ... سنا الصبح في بادي الحواشي منورِ
ولم يغلب الخصم الضجاج ويملإ م ... لجفان سديفاً يومَ نكباء صرصرِ
ولم يعلُ بالجرد الجياد يقودها ... بسبرة بين الاشمسات فياسرِ
وصحراء موماة يحار بها القطا ... قطعت على هول الجنان بمنسرِ
يقودون قبّاً كالسراحين لاحها ... سُراهم وسير الراكب المتهجرِ
فلما بدت ارض العدوّ سقيتها ... مجاج بقيات المزاد المغبرِ
ولما أهابوا بالنهاب حويتها ... بخاظي البضيع كرُّهُ غير اعسرِ
بمرّ كرّ الاندريّ مشابرٍ ... اذا ما ونين مهلب الشدّ محضرِ
فألوت باعناق طوال وراعها ... صلاصل بيض صابغ وسنوّرِ
أَلم ترَ انَّ العبد يقتل ربّهُ ... فيظهر جد العبد من غير مظهرِ
قتلتم فتى لا يسقط الروع رمحهُ ... اذا الخيل جالت في قنا متكسرِ
فيا توب للهيجا ويا توب للندى ... و يا توب للمستنبح المتنوّرِ
أَلا رُبَّ مكروب اجبت ونائل ... بذلت ومعروف لديك ومنكرِ (١)

(١) مراثي ليلى لتوبة بن الحُميّر منقولة في ديوان الخنساء الذي خرج من مطبعتنا من عهد قريب

اخذ الثأر من هلال

هو فيما ذكر خالد بن كلثوم هلال بن الاسعر شاعر اسلاميّ من شعراء الدولة الامويّة وأظنهُ قد ادرك الدولة العباسية

كان هلال بن الاسعر ضربهُ رجل من بني عنزة ثم من بني جلان يقال لهُ عبيد بن جُرَيّ في شيءٍ كان بينهما فشجَّهُ وخمشهُ خماشة. فأتى هلال بني جلان فقال: ان صاحبكم قد فعل بي ما ترون فخذوا لي بحقي. فأوعدوه وزبروه. فخرج من عندهم وهو يقول: عسى ان يكون لهذا جزاء. حتى أتى بلاد قومه. فمضى لذلك زمن طويل حتى درس ذكره. ثم ان عبيد بن جُرَيّ قدم الوقبى وهو موضع من بلاد بني مالك. فلما قدمها ذكر هلالًا وما كان بينهُ وبينه فتخوَّفهُ. فسأل عن اعزّ اهل الماء. فقيل لهُ: معاذ بن جعدة. فأتاه فوجدهُ غائبًا عن الماء فعقد عبيد بن جُرَيّ طرف ثيابه الى جانب طنب بيت معاذ (١). وكان يوم فعل ذلك غائبًا عن الماء. فقيل: رجل استجار بآل معاذ بن جعدة. ثم خرج عبيد بن جُرَيّ ليستقي فوافق قدوم هلال بإبلهِ يوم وروده وكان انما يقدّمها في الايام. فلما نظر هلال الى ابن جُرَيّ ذكر ما كان بينهُ وبينه ولم يعلم باستجارتهِ بمعاذ بن جعدة فطلب شيئًا يضربهُ بهِ فلم يجدهُ فانتزع المحور من السانية فعلاه بهِ ضربة على رأسه فصُرع وقيذًا. وقيل: قتل هلال بن الاسعر جار معاذ بن جعدة

فلما سمع ذلك هلال تخوَّف بني جعدة الرزاميّين وهم بنو عمّهِ فأتى

(١) كانت العرب اذا فعلت ذلك وجب على المعقود بطنب بيتهِ للمستجير بهِ ان يجيره وان يطلب لهُ بظلامتهِ

راحلتهُ ليركبها. فقال هلال: فأتتني خولة بنت يزيد بن ثابت اخي بني جعدة بن ثابت وهي جدَّة ابي السفاح زهيد بن عبد الله بن مالك امّ ابيهِ. فتعلقت بثوب هلال ثم قالت: ايْ عدوّ الله قتلت جارنا والله لا تفارقني حتى يأتيك رجالنا. قال هلال: والمحور في يدي لم اضعهُ. (قال) فهممت ان اعلو بهِ رأس خولة. ثم قلت في نفسي: عجوز لها سنّ وقرابة. (قال) فضربتها برجلي ضربة رميت بها من بعيد. ثم أتيت ناقتي فأركبها ثم اضربها هاربًا. وجاء معاذ بن جعدة واخوتهُ وهم يومئذٍ تسعة اخوة وعبد الله بن مالك (١). فجاءوا من آخر النهار فسمعوا الواعية على الجلاني وهو دنف لم يمت. فسألوا عن تلك الواعية فاخبروا بما كان من استجارة الجلاني بمعاذ ابن جعدة وضرب هلال لهُ من بعد ذلك. فركب الاخوة التسعة وعبد الله ابن مالك عاشرهم. وكانوا مثال الجبال في شدَّة خلقهم مع نجدتهم وركبوا معهم بعشرة غلمة لهم اشدّ منهم خلقًا لا يقع لاحد منهم سهم في غير موضع يريده من رمايتهِ حتى تبعوا هلالًا وقد نسل هلال من الهرب يومه ذلك كلّهُ وليلته. فلما أصبح امنهم وظنَّ ان قد ابعد في الارض ونجا منهم. وتبعوه. فلما اصبحوا من تلك الليلة قصُّوا اثره وكان لا يخفى اثرهُ على احد لعظم قدمه. فلحقوه من بعد الغد فلما ادركوه وهم عشرون ومعهم النبل والقسيّ والسيوف والترسة ناداهم: يا بني جعدة اني انشدكم الله ان اكون قتلت رجلًا غريبًا طلبتهُ بترة تقتلوني وانا ابن عمكم. وظنّ ان الجلاني قد مات ولم يكن مات الى أن تبعوه واخذوه. فقال معاذ: والله لو ايقنا انهُ قد

(١) عبد الله بن مالك زوج لبنت معاذ يقال لها جبيلة وهو مع ذلك ابن عمهم خولة بنت يزيد بن ثابت فهو معهم كانهُ بعضهم

مات ما ناظرنا بك القتل من ساعتنا ولكنّا تركناه ولم يمت ولسنا نحب قتلك الّا ان تمتنع منّا ولا نقدم عليك حتى نعلم ما يصنع جارنا . فقاتلهم وامتنع منهم . فجعل معاذ يقول لاصحابهِ وغلمانه : لا ترموه بالنبل ولا تضربوه بالسيوف ولكن ارموه بالحجارة واضربوه بالعصيّ حتى تأخذوه . ففعلوا ذلك فما قدروا على اخذه حتى كسروا من احدى يديه ثلاث اصابع ومن الاخرى اصبعين ودقّوا ضلعين من اضلاعه وأكثروا الشجاج في رأسه ثم اخذوه وما كادوا يقدرون على اخذه فوضعوا في رجلهِ ادهم ثم جاءوا بهِ وهو معروض على بعير حتى انتهوا بهِ الى الوقبى فدفعوه الى الجلاني ولم يمت بعد . فقال : انطلقوا بهِ معكم الى بلادكم ولا تحدثوا في امره شيئاً حتى تنظروا ما يصنع بصاحبكم فان مات فاقتلوه وان حيي فاعلمونا حتى نحمل لكم . فقال الجلانيون : وفت ذمتكم يا بني جعدة وجزاكم الله أفضل ما يجزى بهِ خيار الجيران . انا نتخوّف ان ينتزعهُ منّا قومكم ان خلّيتم عنا وعنهم وهو في ايدينا . فقال لهم معاذ : فاني احملهُ معكم واشيعكم حتى تردوا بلادكم . ففعلوا ذلك . فحُمل معروضاً على بعيرٍ . وركبت اختهُ جماء بنت الاسعر معهُ . وجعل يقول : قتلتني بنو جعدة . وتاتيهِ اختهُ بمغرة فيشربها . فيقال يمشي بالدم لانّ بني جعدة فرثوا كبده في جوفه . فلما بلغوا ادنى بلاد بكر بن وائل قال الجلانيون لمعاذ واصحابه : ادام الله عزّكم قد وفيتم فانصرفوا . وجعل هلال يريهم انهُ يمشي في الليلة عشرين مرّة . فلما ثقل الجلاني وتخوّف هلال ان يموت من ليلته او يصبح ميتاً تبرز هلال كما كان يصنع وفي رجلهِ الادهم كأنهُ يقضي حاجة ووضع كساءهُ على عصاه في ليلة ظلماء ثم اعتمد على الادهم فحطمهُ ثم طار تحت ليلتهِ على رجليهِ وكان ادلّ الناس فتنكّب الطريق التي تُعرف

ويُطلب فيها وجعل يسلك المسالك التي لا يطمع فيها حتى انتهى الى رجل من بني اثاثة بن مازن يقال لهُ السعر بن يزيد . فحملهُ السعر على ناقة لهُ يقال لها ملوة . فركبها ثم تجنّب بها الطريق فاخذ نحو بلاد قيس بن عيلان تخوُّفاً من بني مازن ان يتبعوه ايضاً فيأخذوه . فسار ثلاث ليالٍ واياما حتى نزل اليوم الرابع فنحر الناقة فأكل لحمها كلّهُ الّا فضلة فضلت منها فاحتملها ثم اتى بلاد اليمن فوقع بها فلبث زماناً . وذلك عند مقام الحجّاج بالعراق

فبلغ افلاتهُ مَن بالبصرة من بكر بن وائل فانطلقوا الى الحجاج فاستعدوهُ وأخبروه بقتلهِ صاحبهم . فبعث الحجاج الى عبد الله بن شعبة بن العلقم وهو يومئذٍ عريف بني مازن حاضرتهم وباديتهم فقال لهُ : لتأتيني بهلال او لافعلنّ بك ولافعلنّ . فقال لهُ عبد الله بن شعبة : ان اصحاب هلال وبني عمهِ قد صنعوا كذا وكذا فاقتصّ عليهِ ما صنعوا في طلبهِ واخذهِ ودفعهِ الى الجلانيين وتشييعهم اياه حتى وردوا بلاد بكر بن وائل . (قال) فقال لهُ الحجاج : ويلك ما تقول . (قال) فقال بعض البكريين : صدق أصلح الله الامير . (قال) فقال الحجاج : فلا يرغم الله الّا انوفكم اشهدوا اني قد آمنت كل قريب لهلال وحميم وعريف ومنعت من اخذ احد بهِ ومن طلبه حتى يظفر بهِ البكريون او يموت قبل ذلك . فلما وقع هلال الى بلاد اليمن بعث الى بني رزام بن مالك بشعر يعاتبهم فيه ويعظم عليهم حقهُ ويذكر قرابتهُ : وذلك انّ سائر بني مازن قاموا ليحملوا ذلك الدم . فقال معاذ : لا ارضى ان يحمل لجاري دم واحد حتى يحمل لهُ دم وللجواري دم آخر . وان اراد هلال الامان وسطنا حُمل لهُ دم ثالث . فقال هلال في ذلك :

بني مــازن لا تطردوني فانني   اخوكم وان جرّت جرائرها يدي
ولا تثلجوا اكباد بكر بن وائلٍ   بتركِ اخيكم كالخليع المطرَّدِ
ولا تجعلوا حفظي بظهر وتحفظوا   بعيدًا ببغضاء تروح وتغتدي
فانَّ القريب حيث كان قريبكم   وكيف بقطع الكف من سائر اليدِ
وان البعيد ان دنا فهو جاركم   وان شطَّ عنكم فهو أبعد ابعدِ
واني وان أوحدتموني لحافظٌ   لكم حفظ راضٍ عنكم غير موجدِ
سيحمي حماكم بي وان كنت غائبًا   اغرُّ اذا ما ريع لم يتبلدِ
وتعلم بكر انكم حيث كنتمُ   وكنت من الارض الغريبة محتدي
واني ثقيل حيث كنت على العدا   واني وان أُوحدت لست باوحدِ
وانهمُ لمَّا ارادوا هضيمتي   منوا بجميع القلب عضب مهندِ
حسام متى يعزمْ على الامر يأتهِ   ولم يتوقف للعواقب في غدِ
وهم بدأُوا بالبغي حتى اذا جزوا   بافعالهم قالوا لجارهم قدِ
فلم يكُ منهم في البديهة منصفٌ   ولم يكُ فيهم في العواقب مهتدِ
ولم يفعلوا فعل الحليم فيحلموا   ولم يفعلوا فعل العزيز المؤيَّدِ
فان يسرِ لي ابعاد بكر فربما   منعت الكرى بالغيظ من متوعدِ
وربَّ حمى قومٍ ابحت وموردٍ   وردت بفتيان الصباح وموردِ
وسجف دجوجيّ من الليل حالك   رفعت بعجلى الرجلِ موارةِ اليدِ
سفينة خوَّاض بحور همومه   قليل ثبات العزم عند التردد
جسور على الامر المهيب اذا ونا   أخو الفتك ركاب قرى المتهددِ

وقال وهو بأرض اليمن :

اقول وقد جاوزت نعمى وناقتي   تحنُّ الى جنبي فليج مع الفجرِ

سقى الله يا ناقَ البلاد التي بها   هواكِ وان عنَّا نأت سبل القطرِ
فما عن قلى منَّا لها خفَّت النوى   بنا عن مراعيها وكثبانها العفرِ
ولكنَّ صرف الدهر فرَّق بيننا   وبين الاداني والفتى غرض الدهرِ
فسقيًا لصحراء الاهالة مربعًا   وللوقبي من منزل دمت مثرِ
وسقيًا ورعيًا حيث حلَّت لمازنٍ   وأيامها الغرّ المحجلة الزهرِ

قال خالد بن كلثوم : ولما دُفع هلال الى اولياء الجلاني ليقتلوه بصاحبهم جاءَ رجل يقال لهُ حفيد كان هلال قد وترهُ فقال : والله لآتينَّهُ ولاصغرنَّ اليهِ نفسهُ وهو في القيود مصفود للقتل . فاتاه فلم يدع لهُ شيئًا مما يكره الَّا عدَّهُ عليهِ . (قال) والى جنب هلال حجر يملأُ الكفَّ فاخذهُ هلال فأهوى بهِ للرجل فاصاب جبينهُ فاجتلف جلفة من وجههِ ورأسه ثم رمى بها وقال : خذ القصاص مني الآن . وأنشأ يقول :

انا ضربت كربًا وزيدا   وثابتًا مشيتهم رويدا
كما أفأت حينهُ عبيدا   وقد ضربت بعده حفيدا

(قال) وهولاء كلهم من بني رزام بن مازن وكلّهم كان هلال قد نكأ فيهم . قال خالد بن كلثوم : ولما طال مقام هلال باليمن نهضت بنو مازن باجمعهم الى بني رزام بن مازن رهط هلال ورهط معاذ بن جعدة جار الجلاني المقتول فقالوا : انكم قد أسأتم بابن عمكم وجزتم الحدّ في الطلب بدم جاركم فنحن نحمل لكم ما اردتم . فحمل ديسم بن المنهال الذي طلب معاذ ابن جعدة ان يُحمل لجاره لفضل عزّه وموضعه في عشيرته . وكان الذي طلب ثلثمائة بعير . فقال هلال في ذلك :

انَّ ابن كابية المرزَّأ ديسمًا   واري الزناد بعيد ضوء النارِ

من كان يحمل ما تحمّل ديسمٌ | من حائل فنق وامّ حوارِ
عنيت بنو عمرو بحمل هنائدٍ | فيها العشار ملابئ الابكارِ
حتى تلافاها كريم سابق | بالخير حلّ منازل الاخيارِ
حتى اذا وردت جميعًا ارزمت | جلان بعد تشمس ونفارِ
ترعى بصحراء الاهالة روبة | والعنظوان منابت الجرجارِ

حرب قيس وكلب وحرب قيس وتغلب

حدَّث المدائني قال: كان بدء حرب قيس وكلب في فتنة ابن الزبير ما كان من وقعة مرج راهط. وكان من قصة المرج ان مروان بن الحكم ابن ابي العاص قدم بعد هلاك يزيد بن معاوية والناس يموجون. وكان سعيد ابن بجدل الكلبي على قنسرين. فوثب عليهِ زفر بن الحرث فاخرجهُ منها وبايع لابن الزبير. فلما قعد زفر على المنبر قال: الحمد لله الذي اقعدني مقعد الغادر الفاجر. وحُصر. فضحك الناس من قوله. وكان النعمان بن بشير على حمص فبايع لابن الزبير. وكان حسَّان بن بجدل على فلسطين والاردنّ فاستعمل على فلسطين روح بن زنباع الجذامي ونزل هو الاردنّ. فوثب نابل ابن قيس الجذامي على روح بن زنباع فاخرجهُ من فلسطين وبايع لابن الزبير. وكان الضحاك بن قيس الفهري عاملًا ليزيد بن معاوية على دمشق حتى هلك. فجعل يقدم رجلًا ويؤخر اخرى. اذا جاءتهُ اليمانية وشيعة بني امية اخبرهم انهُ امويّ واذا جاءتهُ القيسيَّة اخبرهم انهُ يدعو الى ابن الزبير. فلما قدم مروان

قال لهُ الضحاك: هل لك ان تقدم على ابن الزبير ببيعة اهل الشام. قال: نعم. وخرج من عنده فلقيه عمرو بن سعيد بن العاص ومالك بن هبيرة وحصين بن نمير الكنديَّان وعبيد الله بن زياد فسألوه عمَّا اخبرهُ بهِ الضحاك. فاخبرهم. فقالوا لهُ: أنت شيخ بني اميَّة وانت عمّ الخليفة هلمَّ نبايعك. فلما فشا ذلك ارسل الضحاك الى بني اميَّة يعتذر اليهم ويذكر حسن بلائهم عنده وانه لم يرد شيئًا يكرهونهُ. فاجتمع مروان بن الحكم وعمرو بن سعيد بن العاص وخالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية وقال لهم: اكتبوا الى حسان بن بجدل فليسرْ من الاردن حتى ينزل الجابية ونسير من ههنا حتى نلقاه فيستخلف رجلًا ترضونهُ. فكتبوا الى حسان. فاقبل في اهل الاردن. وسار الضحاك بن قيس وبنو امية في اهل دمشق. فلما استقلت الرايات من جهة دمشق قالت القيسية للضحاك: دعوتنا لبيعة ابن الزبير وهو رجل هذه الامَّة فلما تابعناك خرجت تابعًا لهذا الاعرابي من كلب تبايع لابن اخته تابعًا لهُ. قال: فتقولون ماذا. قالوا: نقول ان ننصرف وتظهر بيعة ابن الزبير ونظهرها معك. فاجابهم الى ذلك وسار حتى نزل مرج راهط. واقبل حسان حتى لقي مروان بن الحكم فسار حتى دخل دمشق فأتتهُ اليمانية تشكر بلاء بني امية. فساروا مع مروان حتى نزلوا المرج على الضحاك وهم نحو سبعة آلاف والضحاك في نحو من ثلاثين الفًا. فلقوا الضحاك فقُتل الضحاك وقُتل معهُ اشراف من قيس. فأقبل زفر هاربًا من وجههِ ذاك حتى دخل قرقيسياء واقام عمير بن الحباب شيئًا على طاعة بني مروان ثم اقبل حتى دخل قرقيسياء على زفر فاقام معهُ وذلك بعد يوم خازر حين قتل عبيد الله بن زياد. وأقبل زفر يبكي قتلى المرج ويقول:

لعمري لقد ابقت وقيعة راهط بمروان صدعًا بيننا متنائيا
أتذهب كلب لم تنلها رماحنا ويترك قتلى راهط هي ما هيا
فقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا
أبعد ابن صقر وابن عمرو تتابعا ومصرع همام أمنّي الامانيا

فقال ابن المخلاة الكلبي يجيبهُ :

لعمري لقد ابقت وقيعة راهط على زفر داءً من الداء باقيا
تبكي على قتلى سليم وعامر وذبيان مغرورًا وتبكي البواكيا

أخبر ابن عطية الكلبي قال : أغار زفر بن الحرث على اهل المصيح وبهِ جماعة من الحاج وغيرهم وقد اصاب اوّل النهار اهل ماء يقال لهُ خصيف وفيهِ سيّد بني الجلاح مصاد بن المغيرة بن ابي جبلة . فأسرهُ فأتى بهِ قرقيسا . ثم منَّ عليهِ . وقتل عفيف حسان بن حصين من بني الجلاح . ثم مضى زفر الى المصيح فاجتمع مَن بها الي عمير بن حسان بن عمر بن جبلة فامتنعوا . فقال لهم زفر : اني لا اريد دماءكم فاعطوا بايديكم . فابوا وقاموا . فقتلت منهم جماعة كثيرة وقتل معهم رجلان من تغلب يقال لاحدهما جساس والآخر غني وهو ابو جساس وقد قالت امرأتهُ : يا ابا جساس هؤلاء قومك فائتهم حين اجتمعوا وامتنعوا . فقال : اليوم نزاري وامس كلبي ما انا بمفارقهم . فقاتل حتى قُتل . فكانت القتلى يوم المصيح من كلب ثمانية عشر رجلًا والتغلبيَّين . وبقي الماء ليس فيهِ الَّا النساء . فلما انصرف عنهم زفر اراد النساء ان يجررن القتلى الى بئر يقال لهُ كوكب . فلما أَردن ان يجررن رجلًا قالت وليّتهُ من النساء : لا يكون فلان تحت رجالكنَّ كلهم . فأتت امُّ عمير بن حسان وهي كيسة بنت أُبيّ فأعلقت في رجلهِ رداءها ثم قالت : اجسرْ عمير انَّ اباك كان جسورًا .

ثم القت عليهِ التراب والحطب ليكون بينهُ وبين اصحابه شيءٌ . ثم جعلنَ كلما القينَ رجلًا القين عليهِ التراب والحطب حتى وارتهم القَليب . ولما بلغ حميد بن حريث بن بجدل ما لقى قومهُ اقبل حتى اتى تدمر ليجمع اصحابه وليُغير على قيس . فلما وقعت الدماء نهض بنو نمير وهم يومئذٍ ببطن الجبل وهو على مياه تميم الى حميد بن حريث بن بجدل حتى قدم وراءهُ يتهيأ للغارة واجتمعت اليهِ كلب وقالوا لهُ : ان كنت تبرئنا ببراءتنا وتعرف جوارنا اقمنا وان كنت تتخوّف علينا من قومك شيئًا لحقنا بقومك . فقال : أتريدون ان تكونوا ادلاءهم حتى تنجلي هذه الفتنة . فاحتبسهم فيها . وخليفتهُ في تدمر رجل من كلب يقال لهُ مطر بن عوص وكان فاتكًا فأراد حميدًا على قتلهم فأبى وكره الدماء . فلما سار حميد وقد عاد زفر ايضًا مغيرًا ليردّه عمَّا يريده فنزل قرية لهُ وبلغهُ مسير زفر فاغتاظ واخذ في التعبية . فأتاه مطر وكان خرج معهُ مشيعًا لهُ انتهارًا لدماء الذين في يده من النميريّين فقال : ما اصنع بهولاء الاسارى الذين في يدي وقد قُتل اهل مصيح . فقال وهو لا يعقل من الوجد : اذهب فاقتلهم . فخرج مطر يركض الى تدمر تخوّفًا لا يبدو لهُ . فلما اتى تدمر قتلهم . وانتبه حميد بعد ذلك بساعة فقال : اين مطر حتى اوصيه . قالوا : انصرف . قال : ادركوا عدوّ الله فاني اخاف على من بيده من النميريّين . وبعث فارسًا يركض يمنع مطرًا عن قتلهم . فأتاه وقد قتل كلَّ من كان في يده من الاسرى الَّا رجلين وكانوا ستين رجلًا . فلما بلّغهُ الرسول رسالة حميد قال لهُ النميريان الباقيان : خلِّ عنا فقد أُمرت بتخلية سبيلنا . فقال : أبعد اهل المصيح لا والله لا تخبران عنهم . ثم قتلهما . فلما بلغ زفر قتل النميريّين بسط على كل من ادرك من كلب واستحلّ الدماء واخذ في وادٍ يقال لهُ وادي

الجيوش وقد انتشر بهِ كلب للصيد فلم يدرك بهِ احدًا الّا قتلهُ . فقتل اكثر من خمسمائة ولم يلقهُ حميد ثم انصرف الى قرقيسا (١)

واقبل عمير يخطر فخرج من قرقيسا يتطرّف بوادي كلب فيغير عليها وعلى من اصاب من قضاعة واهل اليمن ويحضّ كلبًا ومعهُ تغلب قبل ان تقع الحرب بين قيس وتغلب . فجعل اهل البادية يتصفون من اهل القرى كلهم

ثم انصرفت قيس في بعض ما كانت تنصرف من غزو كلب وهم مع عمير فنزلوا بثنيّ من اثناء الفرات بين منازل بني تغلب وفي تغلب امرأة من تميم يقال لها امّ دويل ناكحة في بني مالك بن جشم بن بكر وكان دويل من فرسان بني تغلب . وكانت لها اعنز مجنبة . فاخذوا من اعنزها اخذها غلام من بني الحريش . فشكوا ذلك الى عمير فلم يشكهم وقال : معرّة الجند . فلما رأى اصحابهُ انهُ لم يقرعهم وثبوا على بقية اعنزها فأخذوها وأكلوها . فلما اتاها دويل اخبرتهُ بما لقيت . فجمع جمعًا ثم سار فأغار على بني الحريش فلقي جماعة منهم فقاتلوه . فخرج رجل من بني الحريش زعمت تغلب انهُ مات بعد ذلك وأخذ ذود الامرأة من بني الحريش يقال لها امُّ الهيثم . فبلغ الاخطل الوقعة فلم يدرِ ما هي وقال وهو براذان :

أتاني ودوني الزابيان كلاهما ... وداخلت ابناء امرّ من الصبرِ
أتاني بانّ ابني نزار تهاديا ... وتغلب أولى بالوفاء وبالغدرِ

فلما تبيّن الخبر قال :

وجاءوا بجمع ناصري امّ هيثم ... فما رجعوا من ذودها ببعيرِ

فلما بلغ ذلك قيسًا أغارت على بني تغلب بازاء الخابور فقتلوا منهم ثلاثة

(١) يقال قرقيسياء بالمدّ وقرقيسا بياء واحدة

نفر واستاقوا خمسة وثلاثين بعيرًا . فخرجت جماعة من تغلب فأتوا زفر بن الحرث وذكروا لهُ القرابة والجوار وهم بقرقيسا وقالوا : ائتنا برحالنا وردّ علينا نعمنا . فقال : امّا النعم فتردُّها عليكم او ما قدرنا لكم عليهِ ونكمل لكم نعمكم من نعمنا ان لم نصبها كلّها وندي لكم القتلى . قالوا لهُ : فدع لنا قربات الخابور ورحّل قيسًا عنها فان هذه الحروب لن تطفأ ما داموا مجاورينا . فأبى ذلك زفر . وأبوا هم ان يرضوا الّا بذلك . فناشدهم الله وألحّ عليهم . فقال لهم رجل من النمر كان معهم : والله ما يسرّني انهُ وقاني حرب قيس كلب أبقع تركتهُ في غنمي اليوم . وألحّ عليهم زفر يطلب اليهم ويناشدهم . فأبوا . فقال عمير : لا عليك لا تكثر فوالله اني لأرى عيون قوم ما يريدون الّا محاربتك . فانصرفوا من عنده . ثم جمعوا جمعًا واغاروا على ما قرب من قرقيسا من قرى القيسيّة . فلقيهم عمير بن الحباب فكان النميري الذي تكلم عند زفر اوّل قتيل . وهزم التغلبيين . فأعظم ذلك الحيّان جميعا قيس وتغلب وكرهوا الحرب وشماتة العدوّ . فذكر سليمان بن عبد الله بن الاصمّ ان اياس بن الخرّاز احد بني عتيبة بن سعد بن زهير وكان شريفًا من عيون تغلب دخل قرقيسا لينظر ويناظر زفر فيما كان بينهم . فشدّ عليهِ يزيد بن بجزن القرشيّ فقتلهُ . فتذمّم زفر من ذلك وكان كريمًا مجمعًا . لا يحبّ الفرقة فأرسل الى الامير ابن قرشة فقال لهُ : هل لك ان تسود نزار فتقبل مني الدية عن ابن عمك . فاجابهُ الى ذلك . وكان قرشة من اشراف بني تغلب . فتلافى زفر ما بين الحيّين وأصلح بينهم وفي الصدور ما فيها . فوفد عمير على المصعب بن الزبير فأعلمهُ انهُ قد أولج قضاعة بمدائن الشأم وانهُ لم يبقَ الّا حيّ من ربيعة اكثرهم نصارى فسألهُ ان يولّيهُ عليهم . فقال : أكتب الى زفر فان هو أراد ذلك والّا ولّاك .

فلما قدم على زفر ذكر لهُ ذلك . فشقَّ عليهِ ذلك وكره ان يليهم عمير فيحيف بهم ويكون ذلك داعية الى منافرتهِ فوجَّه اليهم قوماً وامرهم ان يرفقوا بهم . فأتوا اخلاطاً من بني تغلب من مشارق الخابور فأعلموهم الذي وجهوا بهِ . فأبوا عليهم . فانصرفوا الى زفر . فردَّهم وأعلمهم ان المصعب كتب اليهِ بذلك ولا يجد بدًّا من اخذ ذلك منهم او محاربتهم . فقتلوا بعض الرسل . وذكر ابن الاصمّ انَّ زفر لما اتاه ذلك اشتدَّ عليهِ وكره استفساد بني تغلب . فصار اليهم عمير بن الحباب فلقيهم قريباً من ماكس على شاطىء الخابور بينهُ وبين قرقيسيا مسيرة يوم فأعظم فيها القتل . وذكر زيادة بن يزيد بن عمير بن الحباب ان القتل استحرَّ ببني عتاب بن سعد والنمر وفيهم اخلاط تغلب ولكن هولاء معظم الناس فقتلوهم بها قتلًا شديدًا . وكان زفر بن يزيد اخو الحرث بن جشم لهُ عشرون ذكرًا لصلبهِ وأُصيب يومئذٍ اكثرهم وأُسر القطامي الشاعر وأُخذت ابلهُ (١) . فاصاب عمير واصحابه شيئاً كثيرًا من النعم . ورئيس تغلب يومئذٍ عبد الله بن شريح فقُتل وقُتل اخوه وقُتل مجاشع بن الاجلح وعمرو بن معاوية من بني خالد وعبد الحرث بن عبد المسيح الاوسي وسعدان بن عبد يسوع بن حرب وسعدود بن أوس من بني جشم ابن زهير . وجعل عمير يصيح بهم : ويلكم لا تستبقوا احدًا . ونادى رجل من بني قشير يقال لهُ الندار : انا جار لكلّ حامل اتتني فهي آمنة . فأتتهُ الحبالى . فبلغني ان المرأة كانت تشدّ على بطنها الجفنة من تحت ثوبها تشبيهاً بالحبلى بما جعل لهنَّ . فلما اجتمعنَ لهُ بقرَ بطونهنَّ . فأفظع ذلك زفر واصحابه ولام زفر عميرًا

(١) لما أُسر القطامي اتى زفر بقرقيسياء . فخلّى سبيلهُ وردّ عليهِ مائة ناقة

فيمن بقر من النساء . فقال : ما فعلتهُ ولا أَمرت بهِ . فقال زفر بن الحرث يعاتب عميرًا بما كان منهُ في الخابور :

ألا من مبلغ عني عميرًا ... رسالة عاتب وعليك زارِ
اتترك حيَّ ذي كلع وكلبٍ ... وتجعل حرّ نابك في نزارِ
كمعتمدٍ على احدى يديهِ ... فخانتهُ بوهيٍ وانكسارِ

فجمع لهم حميد بن الحريث بن بحدل ثم خرج يريد الغارة على بوادي قيس . فانتهى الى ماء لبني تغلب فاذا النساء والصبيان يبكون . فقالت لهم النساء وهم يحسبنهم قيساً : ويحكم ما ردّكم الينا فقد فعلتم بنا بالامس ما فعلتم . فقالت لهم كلب : وما لكم . قالوا : أَغار علينا بالامس عمير بن الحباب فقتل رجالنا واستاق اموالنا . ولم يشككنَ ان الخيل خيل قيس وان عميرًا عاد اليهنَّ . فقال بعض كلب لحميد : ما تريد من نسوة قد أُغير عليهنَّ وحربنَ وصبية يتامى وتدع عميرًا . فاتبعوه . فبينا هم يسيرون اذ اخذوا ربيئة للقوم فسأَلوه . فقال لهم : هذا الجيش ههنا والاموال وقد خرج عمير في فوارس يريد الغارة على اهل بيت من بني زهير بن جناب اخبر عنهم مخبر . فاقام حميد حتى جنَّ عليهِ الليل ثم بيت القوم بياتاً . وقال حميد لاصحابه : شعاركم نحن عباد الله حقًّا . فأصابوا عامَّة ذلك العسكر . ونجا فيمن نجا رجل عريان قذف ثوبهُ وجلس على فرس عُرْيٍ . فلما انتهى الى عمير قال عمير : قد كنت اسمع بالمدينة بلاء نذيرهُ العريان فلم أَرَه فهو هذا . ويلك ما لك . قال : لا ادري غير انهُ لقينا قوم فقتلوا من قتلوا واخذوا العسكر . فقال : أَفتعرفهم . قال : لا . فقصد عمير القوم وقال لاصحابه : ان كانت الاعاريب فسيسارعون الينا اذا رأَونا وان كانت خيول اهل الشام فستقف . واقبل عمير

فقال حميد لاصحابه : لا يتحرَّكنَّ منكم احد وانصبوا القنا. فحمل عمير حملة لم تحرّكهم. ثم حمل. فلم يتحرّكوا. فنادى مرارًا : ويحكم من انتم. فلم يتكلموا. فنادى عمير اصحابه : ويلكم خيل بني بجدل والامانة وانصرف على حاميته. فحمل عليهِ فوارس من كلب يطلبونهُ ولحقهُ مولًى لكلاب يقال لهُ شقرون فاطعنا فجُرح عمير وهرب حتى دخل قرقيسا الى زفر. ورجع حميد الى من ظفر بهِ من الاسرى والقتلى فقطع سبالهم وآنُفهم فجعلها في خيط ثم ذهب بها الى الشام. وقال قائل : بل بعث بها الى عمير وقال : كيف ترى أوقعي ام وقعك. فقال في ذلك سنان بن جابر الجهني :

لقد طار في الآفاق انَّ ابن بجدل   حميدًا شفى كلبًا فقرَّت عيونها
وعرف قيسًا بالقوافي ولم تكن   لتنزع الَّا عند امرٍ يهينها
فقات لهُ قيس بن عيلان انهُ   سريع اذا ما عضَّت الحرب لينها
سما بالعتاق الجرد من مرج راهط   وتدمر تنزى بذلها لا يصونها
فكان لها عرض السماوة ليلة   سواء عليها سهلها وحزونها
فمن يحتمل في شأن كلب ضغينة   علينا اذا ما حان في الحرب حينها
فانَّا وكلبًا كاليدين متى تضع   شمالك في شيء تعنها يمينها
لقد تُركت قتلى حميد بن بجدل   كثيرًا ضواحيها قليلًا دفينها
وقيسية قد طلقتها رماحنا   تلفَّت كالصيداء أودى جنينها

وقال سنان ايضًا في هذا الامر بعد ما أوقع ببني فزارة :

يا اخت قيس سلي عنا علانية   كي تخبري من بيان العلم تبيانا
انَّا ذوو حسب مال مكرمة   يوم الفخار وخير الناس فرسانا
منا ابن مرَّة عمرو قد سمعت به   غيث الارامل لا يردين ما كانا

والبجليُّ الذي اردتْ فوارسهُ   قيسًا غداة اللوا من رمل عدنانا
فغادرت حلبسًا منها بمعترك   والجعد منعفرًا لم يكسَ اكفانا
كأين تركنا غداة الفاه من جزر   للطير منهم ومن ثكلى وثكلانا
ومن غوان تبكي لا حميم لها   بالفاه تبكي بني عمّ واخوانا

فلما انتهى الخبر الى عبد الملك بن مروان وعبد الله ومصعب يومئذٍ حيَّان وعند عبد الملك حسان بن مالك بن بجدل وعبد الله بن مسعدة بن حكم الفزاري وجيء بالطعام فقال عبد الملك لابن مسعدة : ادنُ. فقال ابن مسعدة : لا والله لقد اوقع حميد بسليم وعامر وقعة لا ينفعني بعدها طعام حتى يكون لها غيَر. فقال لهُ حسان : أجزعت ان كان بيني وبينكم في الحاضرة على الطاعة والمعصية فاصبنا منكم يوم المرج وأغار اهل قرقيسا بالحاضرة على البادية بغير ذنب فلما رأى حميد ذلك طلب بثأر قومهِ فاصاب بعض ما اصابهم فجزعت من ذلك. وبلغ حميدًا قول ابن مسعدة فقال : والله لاشغلنَّهُ بمن هو اقرب اليهِ من سليم وعامر. فخرج حميد في نحو من مائتي فارس ومعهُ رجلان من كلب دليلان حتى انتهى الى بني فزارة اهل العمود لخمس عشرة مضت من شهر رمضان فقال : بعثني عبد الملك بن مروان مصدّقًا. فابعثوا لي كل من يطيق ان يلقانا. ففعلوا فقتلهم او من استطاع منهم واخذ اموالهم. فبلغ قتلاهم نحوًا من مائة ونيف. فقال عويف القوافي :

منى الله أن ألقى حميد بن بجدل   بمنزلة فيها الى النصف معلما
لكيما نعاطيه ونبلو بيننا   سريجية يعجمن في الهام معجما
ألا ليت اني صادفتني منيتي   ولم أرَ قتلى العام يا امّ اسلما

ولم أرَ قتلى لم تدع لي بعدها   يدين فما ارجو من العيش اجذما
واقسم ما ليث بخفان خادر   بأشجع من جعدٍ جنانًا ومقدما (١)

فلما رجع عبد الملك من الكوفة وقتل مصعب لحقهُ اسماء بن خارجة بالنخيلة فكلمهُ فيما اتى حميد بهِ الى اهل العمود من فزارة وقال : حدَّثنا انهُ مصدّقك وعاملك فأجبناك وبك عذنا . فعليك وفي ذمّتك ما على الحرّ في ذمتهِ فأقدنا من قضاعيّ سكير . فأبى عبد الملك وقال : انظر في ذلك واستشير وحميد يجحد وليست لهم بيّنة . فوداهم الف الف ومائتي الف وقال : اني حاسبها في اعطيات قضاعة . فقال في ذلك عمرو بن مخلاة الكلبيّ :

خذوها يا بني ذبيان عقلًا   على الاجياد واعتقدوا الخذاما
دراهم من بني مروان بيضًا   ينجمها لكم عامًا فعاما
وأيقن انهُ يوم طويل   على قيس يذيقهم السماما
ومختبّ امام القوم يسعى   كسرحان التنوفة حين ساما
رأى شخصًا على بلدٍ بعيدٍ   فكبّر حين ابصرهُ وقاما
وأقبل يسأل البشرى الينا   فقال رأيت انسًا او نعاما
وقال لخيلهِ سيري حميد   فانّ لكل ذي أجل حماما
فما لاقيت من سجح وبدرٍ   ومرّة فاتركي حطبًا حطاما
بكلّ مقلّص عبل شواهُ   يدقّ بوقع نابيهِ اللجاما
وكل طمرّة مرطى سبوح   اذا ما شدّ فارسها الحزاما
وقائلة على دهشٍ وحزنٍ   وقد بلّت مدامعها اللثاما

(١) يعني الجعد بن عمران بن عيينة وقُتل يومئذٍ

كأنّ بني فزارة لم يكونوا   ولم يرعوا بأرضهم الثماما
ولم أرَ حاضرًا منهم بشاء   ولا من يملك النعم الرُكاما

(قال) فلما اخذوا الدية انطلقت فزارة فاشترت خيلًا وسلاحًا . ثم استتبعت سائر قبائل قيس ثم أغارت على ماء يدعى بنات قين يجمع بطونًا من بطون كلب كثيرة واكثر من عليهِ بنو عبد ودّ وبنو عليم بن جناب وعلى قيس يومئذٍ سعيد بن عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر وطلحة بن قيس بن الاشيم ابن يسار احد بني العسراء . فلما اغاروا نادوا بني عليم : انّا لا نطلبكم بشيءٍ وانما نطلب بني عبد ودّ بما صنع الدليلان اللذان حملا حميدًا وهما المأمور ورجل آخر اسمهُ ابو ايوب . فقتل من العبديّين تسعة عشر رجلًا . ثم مالوا على العليميّين فقتلوا منهم خمسين رجلًا وساقوا اموالًا . فبلغ الخبر عبد الملك فامهل حتى اذا ولي الحجاج العراق كتب اليه يبعث اليهِ سعيد بن عيينة وحلحل بن قيس معهما نفر من الحرس . فلما قدم بهما عليهِ قذفهما في السجن وقال لكلب : والله لئن قتلتم رجلًا لأهريقنّ دماءكم . فقدم عليهِ من بني عبد ودّ عياض ومعاوية ابنا ورد ونعمان بن سويد وكان سويد ابوه ابن مالك يومئذٍ أشرف من قُتل يوم بنات قين وكان شيخ بني عبد ودّ . فقال لهُ النعمان : دماءنا يا امير المؤمنين . فقال لهُ عبد الملك : انما قتل منكم الصبي الصغير والشيخ الفاني . فقال النعمان : قتل منّا والله من لو كان اخًا لابيك لاختير عليك في الخلافة . فغضب عبد الملك غضبًا شديدًا . فقال لهُ معاوية وعياض : يا امير المؤمنين شيخ كبير موتور . فأعرض عنهُ عبد الملك وعرض الدية . وجعل خالد بن يزيد ابن معاوية ومن ولدتهُ كلب يقولون : القتل . ومن كانت امهُ قيسيّة من بني امية يقولون : لا بل الدية كما فعل بالقوم . حتى ارتفع الكلام بينهم

بالمقصورة . فاخرجهم عبد الملك ودفع حلحلة الى بعض بني عبد ودّ ودفع سعيد ابن عيينة الى بعض بني عليم . واقبل عليهما عبد الملك فقال : ألم تأتياني تستعدياني فأعديتكما وأعطيتكما الدية ثم انطلقتما فاخفرتما ذمّتي وصنعتما ما صنعتما . فكلمهُ سعيد بكلام يستعطفهُ بهِ ويرقّقهُ . فضرب حلحلة صدره وقال: أترى خضوعك لابن الزرقاء نافعك عنده . فغضب عبد الملك وقال : اصبر حلحلة . فقال لهُ أصبرُ من عَوْدٍ بجنبَيهِ جُلَب . فقُتلا وشقّ ذلك على قيس وأعظمه اهل البادية منهم والحاضرة . فقال في ذلك عليّ بن الغدير الغنويّ :

لحلحلة القتيل ولابن بدر   واهل دمشق انجبة تبينُ
فبعد اليوم ايام طوالٌ   وبعد خمود فتنتكم فتونُ
وكل صنيعة رصد ليوم   تحلّ بهِ لصاحبها الزبونُ
خليفة امّة قسرت عليه   تخمط واستخفّ بمن يدينُ
فقد اتيا حميد ابن المنايا   وكل فتًى ستشعبهُ المنونُ

وقالت عميرة بنت حسان الكلبية تفخر بفعل حميد وقيس :

سمت كلب الى قيس بجمع   يهدّ مناكب الأكم الصعابِ
بذي لجب يدقّ الارض حتى   تضايق من دعا بهلا وهابِ
نفين الى الجزيرة فلّ قيس   الى بقّ بها والى ذبابِ
والفينا هجين بني سليم   يفدي المهر من حبّ الايابِ
فلولا عدوة المهر المفدّى   لأبت وانت منخرق الاهابِ
ونجّاه حثيث الركض منّا   أُصيلانًا ولون الوجه كابِ
وآض كأنهُ يُطلى بورس   ودق هويّ كاسرة عقابِ

حمدت الله اذ ألقى سليمًا   على دهمان صقر بني جنابِ
تركن الروق من فتيات قيس   أيامى قد يئسن من الخضابِ
فهنّ اذا ذكرن حميد كلب   نعقن برنّة بعد انتحابِ
متى تذكر فتى كلب حميدًا   ترى القيسيّ يشرق بالشرابِ

الحرب بين عبد الملك ومصعب بن الزبير

اخبر المدائني قال : لما كان سنة اثنتين وسبعين استشار عبد الملك ابن مروان عبد الرحمن بن الحكم في المسير الى العراق ومناجزة مصعب . فقال : يا امير المؤمنين قد واليت بين عامين تغزو فيهما وقد خسرت خيلك ورجالك . وعامك هذا عام حارد فأرحْ نفسك ورجالك ثم ترى رأيك . فقال : اني أُبادر ثلاثة اشياء . الشام ارض المال بها قليل فاخاف ان ينفد ما عندي . واشراف اهل العراق قد كاتبوني فدعوني الى انفسهم . وثلاثة من اصحاب رسول الله (صلعم) قد كبروا ونفدت أعمارهم وأنا ابادر بهم أُحبُّ ان يحضروا معي . ثم دعا يحيى بن الحكم . وكان يقول : من أراد امرًا فليشاور يحيى بن الحكم فاذا أشار عليهِ بامر فليعمل بخلافهِ . فقال : ما ترى في المسير الى العراق . قال : أرى ان ترضى بالشأم وتقيم بها وتدع مصعبًا بالعراق فلعن الله العراق . فضحك عبد الملك . ودعا عبد الله بن خالد بن اسيد فشاورهُ . فقال : يا امير المؤمنين قد غزوت مرّة فنصرك الله ثم غزوت ثانية فزادك الله بها عزًّا . فأقِمْ عامك هذا . فقال لمحمد بن مروان : ما ترى . قال : ارجو ان ينصرك الله اقمت ام غزوت فشمّر فانّ الله ناصرك . فأمر الناس

فاستعدّوا للمسير. فلما أجمع عليهِ قالت عاتكة بنت يزيد بن معاوية زوجته: يا أمير المؤمنين وجّه الجنود وأقم فليس الرأي ان يباشر الخليفة الحرب بنفسه. فقال: لو وجهت أهل الشام كلّهم فعلم مصعب اني لست معهم لهلك الجيش كله. ثم تمثل:

ومستخبر عنا يريد بنا الردى ... ومستخبرات والعيون سواكبُ

ثم قدم محمد بن مروان ومعهُ عبد الله بن خالد بن اسيد وبشر بن مروان. ونادى مناديه: ان امير المؤمنين قد استعمل عليكم سيد الناس محمد بن مروان. وبلغ مصعب بن الزبير مسير عبد الملك فاراد الخروج. فأبى عليهِ أهل البصرة وقالوا: عدوّنا مطلّ علونا. يعنون الخوارج. فارسل اليهم المهلب وهو بالموصل وكان عاملهُ عليها فولّاه قتال الخوارج. وخرج مصعب. فقال بعض الشعراء:

أكلّ عام لك يا جميرا ... تغزو بنا ولا تفيد خيرا

(قال) وكان مصعب كثيرًا ما يخرج الى باب جميرا يريد الشأم ثم يرجع. فاقبل عبد الملك حتى نزل الاحوفية. ونزل مصعب بمسكن الى جنب أوانا وخندق. ثم تحوّل ونزل دير الجاثليق وهو بمسكن وبين العسكرين ثلاثة فراسخ ويقال فرسخان. فقدّم عبد الملك محمدًا وبشرًا اخويه كل واحد منهما الى جيش والاميرُ محمدٌ. وقدّم مصعب ابراهيم بن الاشتر. ثم كتب عبد الملك الى اشراف اهل الكوفة والبصرة يدعوهم الى نفسهِ ويمنّيهم. فاجابوه وشرطوا عليهِ شروطًا وسألوه ولايات. وسألهُ ولاية اصبهان اربعون رجلًا منهم. فقال عبد الملك لمن حضره: ويلكم ما اصبهان هذه تعجبًا ممن يطلبها. وكتب لابراهيم بن الاشتر: لك ولاية ما سقى الفرات ان تبعتني. فجاء

ابراهيم بالكتاب الى مصعب فقال: هذا كتاب عبد الملك ولم يخصصني بهذا دون غيري من نظرائي فأعطني فيهم. قال: اصنع ماذا. قال: تدعوهم فتضرب اعناقهم. قال: أقتلهم على ظنٍّ ظننته. قال: فأوقرهم حديدًا وابعث بهم الى ارض المدائني حتى ينقضي الحرب. قال: اذًا تعسر قلوب عشائرهم ويقول الناس عبث مصعب باصحابه. قال: فان لم تفعل فلا تمدّني بهم فانهم كالمومسة تريد كل يوم خليلًا وهم يريدون كل يوم اميرًا. فارسل عبد الملك الى مصعب رجلًا يدعوه الى ان يجعل الامر شورى في الخلافة. فأبى مصعب. فقدّم عبد الملك اخاهُ محمدًا ثم قال: اللهمّ انصر محمدًا اللهمّ انصر اصلحنا وخيرنا لهذه الأمّة. (قال) وقدّم مصعب ابراهيم بن الاشتر. فالتقت المقدّمتان وبين عسكر مصعب وعسكر ابن الاشتر فرسخ. ودنا عبد الملك حتى قرب من عسكر محمد. فتناوشوا فقُتل رجل على مقدّمة محمد يقال لهُ فراس وقتل صاحب لواء بشر يقال لهُ اسيد. فارسل محمد الى عبد الملك: انّ بشرًا قد ضيع لواءه. فصرف عبد الملك الامر كلّه الى محمد. وكفّ الناس وتواقفوا. وجعل اصحاب ابن الاشتر يهمّون بالحرب ومحمد بن مروان يكفّ أصحابه. فأرسل عبد الملك الى محمد: ناجزهم. فأبى. فأوفد اليهِ رسولًا آخر وشتمهُ. فأمر محمد رجلًا فقال: قفْ خلفي في ناس من اصحابك فلا تدعنّ احد يأتيني من قبل عبد الملك. وكان قد دبّر تدبيرًا سديدًا في تأخير المناجزة الى وقت رآهُ. فكره ان يفسد عبدُ الملك تدبيرهُ عليهِ. فوجه اليهِ عبد الملك عبد الله بن خالد بن أسيد. فلما رآه ارسلوا الى محمد بن مروان: هذا عبد الله بن خالد بن أسيد. فقال: ردّوه باشدّ ما رددتم من جاء قبله. فلما قرب المساء أمر محمد بن مروان اصحابه بالحرب وقال: حرّكوهم قليلًا.

فتهايج الناس. ووجه مصعب ابن ابراهيم بن عتـاب بن ورقاء الرياحي يعجز ابراهيم. فقال: قد قلت لهُ لا تمدَّني بأحد من اهل العراق فلم يقبل. واقتتلوا. وارسل ابراهيم بن الاشتر الى اصحـابه بحضرة الرسول ليرى خلاف اهل العراق عليـهِ في رأيه ان: لا تنصرفوا عن الحرب حتى ينصرف اهل الشأم عنكم. فقالوا: فلِمَ لا ننصرف. فانصرفوا وانهزم الناس حتى اتوا مصعبـاً. وصبر ابراهيم بن الاشتر فقاتل حتى قُتل. فلما اصبحوا أمر محمـد بن مروان رجلًا فقال: انطلق الى عسكر مصعب فانظر كيف تراهم بعد قتل ابن الاشتر. قال: لا اعرف موضع عسكرهم. فقال لهُ ابراهيم بن عديّ الكناني: انطلق فاذا أنت رأيت النخل فاجعلهُ منك موضع سيفك. ثم رجع الى محمد فقال: رأيتهم منكسرين. وأصبح مصعب فدنا منهُ ودنا محمد بن مروان حتى التقوا. فترك قوم من اصحاب مصعب مصعباً وأتوا محمد بن مروان. فدنا الى مصعب ثم ناداه: فداك أبي وامي ان القوم خاذلوك ولك الامان. فأبى قبول ذلك. فدعا محمدُ بن مروان ابنهُ عيسى بن مصعب. فقال لهُ ابوه: انظر ما يريد محمد. فدنا. فقـال لهُ: اني لكم ناصح ان القوم خاذلوكم ولك ولابيك الامان. وناشده. فرجع الى ابيـهِ فأخبرهُ. فقال: اني اظنّ القوم سبقونا فان أحببت ان تأتيهم. فقال: والله لا تتحدَّث نساء قريش اني خذلتك ورغبت بنفسي عنك. قال: فتقـدَّم حتى احتسبك. فتقدَّم وتقدَّم ناس معهُ. فقُتل وقُتلوا. وترك اهل العراق مصعباً حتى بقي في سبعـة. وجاء رجل من اهل الشأم ليحتزّ رأس عيسى فشدَّ عليهِ مصعب فقتلهُ. ثم شدَّ على الناس فانفرجوا ثم رجع فقعد على مرفقة ديباج. ثم جعل يقوم عنها ويحمل على اهل الشأم فيفرجون عنهُ ثم يرجع ويقعد على المرفقة. حتى فعل ذلك مراراً. وأتاه

عبيد الله بن زياد بن ظبيان فدعاه الى المبارزة. فقال لهُ: اعزب يا كلب. وشدَّ عليهِ مصعب فضربهُ على البيضة فهشمها وجرحه. فرجع عبيد الله فعصب رأسه. وجاء ابن ابي فروة كاتب مصعب فقال: جعلت فداك قد تركك القوم وعندي خيل فاركبها وانجُ بنفسك. فدفع في صدره وقال: ليس اخوك بالعبد. ورجع ابن ظبيان الى مصعب فحمل عليـهِ وزرق زائدة بن قدامة مصعباً ونادى: يا لثارات المختار فصرعهُ. وقال عبيد الله لغلام لهُ ذلك. وفي هذا الخبر انهُ لما وضعهُ بين يديه سجد. قال ابن ظبيان: فهممت والله ان اقتلهُ فأكون افتك العرب فقتلت ملكين من قريش في يوم واحد. ثم وجدت نفسي تنازعني الى الحياة فأمسكت. وقال عبيد الله بن قيس الرُقيَّات يرثي مصعباً:

انَّ الرزية يوم مسكن م   والمصيبـة والفجيعـهْ
يا ابن الحـواريّ الذي   لم يعدهُ يوم الوقيعـهْ
عدت بهِ مضر العراق م   وأمكنت منهُ ربيعهْ
تالله لو كانت لـهُ   بالدين يوم الدير شيعهْ
لوجدتموهُ حـين يدلج م   لا يعرّس بالمضيعـهْ

وقال ابن قيس يرثي مصعباً:

لقد أورث المصرين خزيًا وذلة   قتيل بدير الجاثليق مقيـمُ
فما قتلت في الله بكر بن وائل   ولا صبرت عند اللقـاء تميمُ
ولكنَّـهُ رام القيـام ولم يكن   لهـا مضريٌّ يوم ذاك كريمُ

وحدَّث المدائني عن عوانة والشرقي بن القطامي عن ابي جناب قال: حدَّثني شيخ من اهل مكة قال: فلما أتى عبـدَ الله بن الزبير قتلُ مصعب

أَضربَ عن ذكره اياماً حتى تحدَّث بهِ إماء مكة في الطريق. ثم صعد المنبر فجلس عليهِ ملياً لا يتكلم. فنظرتُ اليهِ والكآبة على وجههِ وجبينهُ يرشح عرقاً فقلت لآخر الى جنبي: ما لهُ لا يتكلم أتراه يهاب المنطق فوالله انهُ لخطيب فما تراهُ يهاب. قال: أراه يريد ان يذكر قتل مصعب سيّد العرب وهو يفظع تذكرهِ غير ملوم. فقال: الحمد لله الذي لهُ الخلق والامر وملك الدنيا والآخرة يُعزُّ من يشاء ويُذلُّ من يشاء الّا انهُ لم يذلَّ والله من كان الحقّ معهُ وان كان مفرداً ضعيفاً. ولم يعزّ من كان الباطل معهُ وان كان في العدَّة والعدد والكثرة. ثم قال: انهُ قد اتانا خبر من العراق. بلد الغدر والشقاق. فساءنا وسرَّنا. أتانا انَّ مصعباً قُتل رحمة الله عليهِ ومغفرته. فاما الذي احزننا من ذلك فانَّ لفراق الحميم لذعةً يجدها حميمه عند المصيبة. ثم يرعوي من بعد ذو الرأي والدين الى جميل الصبر. واما الذي سرَّنا منهُ فانَّا قد علمنا ان قتلهُ شهادة لهُ وأنهُ عزَّ وجل جاعل ذلك لنا ولهُ خيرة ان شاء الله تعالى. ان اهل العراق اسلموه وباعوه باقلّ ثمن. لقد قُتِل ابوه وعمهُ وأخوه وكانوا خيار الصالحين. انا والله ما نموت حتف انوفنا ما نموت الّا قتلاً قعصاً بالرماح وتحت ظلال السيوف وليس كما يموت بنو مروان والله ما قتل منهم رجل في جاهلية ولا اسلام قط. وانما الدنيا عارية من الملك القهار الذي لا يزال سلطانهُ ولا يبيد ملكهُ. فان تُقبل الدنيا عليَّ لا آخذها اخذ الأشر البطر. وان تدبر عني لا ابكي بكاء الخرف المهتر. ثم نزل.

وقال رجل من بني اسد بن عبد العزّى يرثي مصعباً:

لعمرك انَّ الموت منا لمولع   بكل فتًى رحب الذراع اريبِ
فان يكُ امسى مصعب نال حتفه   لقد كان صلب العود غير هيوبِ

جميل المحيّا يوهن القرن غربه   وان عضَّهُ دهر فغير رهوبِ
اتاه حمام الموت وسط جنوده   فطاروا سلالاً واستقى بذنوبِ
ولو صبروا نالوا حباً وكرامةً   ولكنهم ولّوا بغير قلوبِ

(قال) وقال عبد الملك يوماً لجلسائهِ: من اشجع الناس. فاكثروا في هذا المعنى. فقال: أشجع الناس مصعب بن الزبير جمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين وابنة الحميد بنت عبد الله بن عاصم وولي العراقين ثم زحف الى الحرب فبذلتُ لهُ الامان والحباء والولاية والعفو عما خلص في يده فأبى قبول ذلك واطرح كل ما كان مشغوفاً بهِ من ماله وأهله وراء ظهره. وأقبل بسيفهِ قرماً يقاتل ما بقي معهُ الّا سبعة نفر حتى قُتل كريماً

وقعة دَوْلاب (*)

اخبر بخبر هذه الحرب احمد بن العزيز الجوهري انَّ نافع بن الازرق لما تفرَّقت آراء الخوارج ومذاهبهم في اصول مقالتهم اقام بسوق الاهواز واعمالها لا يعترض الناس وقد كان متشككاً في ذلك. فقالت لهُ امرأتهُ: ان كنت قد كفرت بعد ايمانك وشككت فيهِ فدع نحلتك ودعوتك. وان كنت قد خرجت من الكفر الى الايمان فاقتل الكفار حيث لقيتهم

(*) دولاب قرية من عمل الاهواز بينها وبين الاهواز نحو من اربعة فراسخ وكانت بها حرب بين الازارقة وبين مسلم بن عنبس بن كُرَيْز خليفة عبد الله بن الحرث بن نوفل بن عبد المطلب وذلك فى ايام ابن الزبير

وأثخن في النساء والصبيان كما قال نوح : لا تذر على الارض من الكافرين ديّارًا. فقبل قولها واستعرض الناس وبسط سيفهُ فقتل الرجال والنساء والولدان وجعل يقول : ان هولاء اذا كبروا كانوا مثل آبائهم. واذا وطئ بلدًا فعل مثل هذا بهِ الى ان يجيبهُ اهلهُ جميعًا ويدخلوا في ملّتهِ فيرفع السيف ويضع الجباية فيجبي الخراج. فعظم امرهُ واشتدّت شوكتهُ وفشا عمّالهُ في السواد. فارتاع لذلك اهل البصرة ومشوا الى الاحنف بن قيس فشكوا اليهِ امرهم وقالوا لهُ : ليس بيننا وبين القوم الّا ليلتان وسيرتهم كما ترى. فقال لهم الاحنف : ان سيرتهم في مصركم ان ظفروا بهِ مثل سيرتهم في سوادكم فخذوا في جهاد عدوّكم. وحرّضهم الاحنف فاجتمع اليهِ عشرة آلاف رجل في السلاح. فأتاه عبد الله بن الحرث بن نوفل وسألهُ ان يؤمّر عليهم اميرًا. فاختار لهم مسلم بن عنبس بن كريز بن ربيعة وكان فارسًا شجاعًا ديّنًا. فأمّرهُ عليهم وشيعهُ. فلما نفذ من جسر البصرة اقبل على الناس وقال : اني ما خرجت لامتيار ذهب ولا فضة. واني لأحارب قومًا ان ظفرت بهم فما وراءهم الّا سيوفهم ورماحهم فمن كان من شأنهِ الجهاد فلينهض ومن احبّ فليرجع. فرجع نفر يسير ومضى الباقون معهُ . فلما صاروا بدولاب خرج اليهم نافع بن الازرق فاقتتلوا قتالًا شديدًا حتى تكسرت الرماح وعقرت الخيل وكثرت الجراح والقتلى وتضاربوا بالسيوف والعمد. فقُتل في المعركة ابن عبيس وهو على اهل البصرة وذلك في جمادى الآخرة سنة خمس وستين . وقُتل نافع بن الازرق يومئذٍ ايضًا. فعجب الناس من ذلك. وان الفريقين تصابروا حتى قُتل منهم خلق كثير وقُتل رئيسا العسكرين والشراة يومئذٍ ستمائة رجل. فكانت الحدّة يومئذٍ وبأس الشراة واقعًا بين تميم وبني سدوس

وأُتي بابن عبيس وهو يجود بنفسهِ فاستخلف على الناس الربيع بن عمرو الغُدَاني وكان يقال لهُ الاجذم كانت يدهُ أُصيبت بكابل مع عبد الرحمن بن سمرة . واستخلف نافع بن الازرق عبيد الله بن بشير بن الماخور احد بني سليط بن يربوع. فكان رئيسا المسلمين والخوارج جميعًا من بني يربوع رئيس المسلمين من بني غدانة بن يربوع ورئيس الشراة من بني سليط بن يربوع. فاتّصلت الحرب بينهم عشرين يومًا. قال المدائني في خبرهِ : وادّعى قتل نافع بن الازرق رجل من باهلة يقال لهُ سلامة وتحدّث بعد ذلك قال : كنت لما قتلتهُ على برذون ورد فاذا انا برجل ينادي وانا واقف في خميس بني تميم. فاذا بهِ يعرض عليّ المبارزة. فتغافلت عنه. وجعل يطلبني وانا انتقل من خميس الى خميس وليس يزايلني. فصرت الى رحلي ثم رجعت فدعاني الى المبارزة. فلما أكثر خرجت اليهِ. فاختلفنا ضربتين فضربتهُ فصرعتهُ ونزلت فأخذت رأسهُ وسلبتهُ. فاذا هي امرأتهُ قد رأتني حين قتلت نافعًا فخرجت لتثأر بهِ. قالوا : فلما قُتل نافع وابن عنبس ووَلي الجيش الى ربيع بن عمرو لم يزل يقاتل الشراة نيّفًا وعشرين يومًا. ثم اصبح ذات يوم فقال لاصحابهِ : اني مقتول لا محالة. قالوا : وكيف ذلك. قال : اني رأيت البارحة كأنّ يدي التي أُصيبت بكابل انحطت من السماء فاستشلتني (١). فلما كان الغد قاتل الى الليل ثم عاد فقُتل يومئذٍ. (قال) فلما قُتل الربيع تدافع اهل البصرة الراية حتى خافوا العطب اذ لم يكن لهم رئيس. ثم أجمعوا الى الحجاج بن باب الحميري وقد اقتتل الناس يومئذٍ وقبلهُ بيومين قتالًا شديدًا لم يقتتلوا مثلهُ تطاعنوا بالرماح حتى تقصفت ثم تضاربوا بالسيوف والعمد

(١) استشلاه اخذهُ اليهِ . يقال : استشلاه واشتلاه

حتى لم يبقَ لاحد منهم قوة وحتى كان الرجل منهم يضرب الرجل فلا يغني شيئًا من الاعياء وحتى كانوا يترامون بالحجارة ويتكادمون بالافواه. فلما تدافع القوم الراية وأَبوها واتفقوا على الحجاج بن باب امتنع مِن اخذها. فقال لهُ كريب بن عبد الرحمن: خذها فانها مكرمة. فقال: انها لراية مشؤومة ما اخذها احد الّا قُتل. فقال كريب: يا اعور تقارعت العرب على امرها ثم صيروها اليك فتأبى خوف القتل خذ اللواء ويحك فان حضر اجلك قُتلت ان كانت معك او لم تكن. فاخذ اللواء وناهضهم فاقتتلوا حتى انتقضت الصفوف وصاروا كراديس والخوارج اقوى عدّة بالدروع والجواشن. وجعل الحجاج يغمض عينيهِ ويحمل حتى يغيب في الشراة ويطعن فيهم ويقتل حتى يُظنّ انهُ قد قُتل. ثم يرفع رأسهُ وسيفهُ يقطر دمًا ويفتح عينيهِ فيرى الناس كراديس يقاتل كل قوم في ناحية. ثم التقى الحجاج بن باب وعمران بن الحرث الراسي فاختلفا ضربتين كل واحد منهما قَتل صاحبه. وجال الناس بينهما جولة. ثم تحاجزوا واصبح اهل البصرة وقد هرب عامتهم وولّوا حارثة ابن بدر الغداني أمرهم وليس لهم طرف الّا بالخوارج. فقالت امرأة من الشراة وهي ام عمران قاتل الحجاج بن باب وقتيلهُ ترثي ابنها عمران:

الله ايّد عمرانًا وطهّرهُ   وكان عمران يدعو الله في السحرِ
يدعوهُ سرًّا واعلانًا ليرزقهُ   شهادة بيدي ملحادة غدر
ولّى صحابتهُ عن حرّ ملحمةٍ   وشدّ عمران كالضرغامة الذكرِ

(قال) فلما عقدوا لحارثة بن بدر الرئاسة وسلموا اليهِ الراية نادى فيهم بان يثبتوا. فاذا فتح الله عليهم فللعرب زيادة فريضتين وللموالي زيادة فريضة.

فندب الناس فالتقوا وليس باحد منهم طرف وقد فشت فيهم الجراحات فلهم انين وما تطأُ الخيل الّا على القتلى. فبينا هم كذلك اذ اقبل من اليمامة جمع من الشراة يقول المُكثر انهم مائتان والمقلل انّهم اربعون. فاجتمعوا وهم مريحون مع اصحابهم واجتمعوا كبكبة واحدة فحملوا على المسلمين. فلما رآهم حارثة بن بدر نكص برايتهِ وانهزم وقال:

كرنبوا (١) ودولبوا   وحيث شئتم فاذهبوا

وتتابع الناس على اثره منهزمين. وتبعتهم الخوارج فالقوا انفسهم في دُجَيل فغرق منهم خلق كثير وسلمت بقيتهم. ولحقت قطعة من الشراة خيل عبد القيس فاكبّوا عليهم. فعطفت خيل من بني تميم فعاونوهم وقاتلوا الشراة حتى كشفوهم وانصرفوا الى اصحابهم. وعبرت بقية الناس فصار حارثة ومن معهُ بنهر تيرا والشراة بالاهواز. فاقاموا ثلاثة ايام وكان على الازد يومئذٍ قبيصة بن ابي صفرة اخو المهلب وهو جدّ هزارمرد. (قال) وغرق يومئذٍ من الازد عدد كثير. فقال شاعر الازارقة:

يرى من جاء ينظر من دجيل   شيوخ الازد طافية لحاها

قال شاعر آخر منهم:

شمت ابن بدر والحوادث جمّةٌ   والظالمون بنافع بن الازرقِ
والموت حتم لا محالة واقع   من لا يصبحهُ نهارًا يطرقِ
فلئن امير المؤمنين اصابهُ   ريب المنون فمن تصبهُ يغلقِ

قال قطري بن الفجاءة فيما ذكر المبرّد:

لعمرك اني في الحياة لزاهدٌ   وفي العيش ما لم الق امّ حكيمِ

(١) وكرنبا موضع بالاهواز ايضاً

لعمرك اني يوم أَلطم وجهها   على نائبات الدهر غير حليمِ.
ولو شهدتني يوم دولاب ابصرت   طعان فتًى في الحرب غير لئيمِ.
غداة طفت غلمان بكر بن وائل   وآلافها من حميرٍ وسليمِ.
ومال الحجازيون نحو بلادهم   وعجنا صدور الخيل نحو تميمِ.
وكان لعبد القيس اوّل جدّها   وولت شيوخ الازد فهي تعومُ
فلم أَرَ يومًا كان اكثر مقعصًا   يمجُّ دمًا من فائظٍ وكليمِ.
وضاربةٍ خدًّا كريمًا على فتًى   أغرّ نجيب الامّهات كريمِ.
أَصيب بدولابٍ ولم يكُ موطنًا   لهُ ارض دولاب ودير حميمِ.
فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا   تبيح من الكفّار كل حريمِ.
رأت فتية باعوا الالهَ نفوسَهم   بجنّات عدنٍ عندهُ ونعيمِ.

الوليد بن يزيد

كان الوليد بن يزيد من فتيان بني أُميّة وظرفائهم وشعرائهم وأَجوادهم واشدّائهم. وكان فاسقًا خليعًا متهمًا في دينهِ مرميًا بالزندقة. وشاع ذلك من أمره وظهر حتى انكرهُ الناس فقُتل. ولهُ اشعار كثيرة تدلّ على خبثهِ وكفرهِ. ومن الناس من ينفي ذلك عنهُ وينكره ويقول انهُ نُحِلهُ وأُلصق اليه. والاغلب الاشهر غير ذلك

اخبر احمد بن الحرث الخرّاز انّ يزيد بن عبد الملك لما وجّه الجيوش الى يزيد بن المهلب وعقد لمسلمة بن عبد الملك على الجيش وبعث العباس بن الوليد بن عبد الملك وعقد لهُ على اهل دمشق قال لهُ العباس: يا امير

المؤمنين ان اهل العراق اهل غدر وارجاف وقد وجهتنا محاربين والاحداث تحدث ولا آمن ان يرجف أَهل العراق ويقولوا مات أَمير المؤمنين ولم يعهد فيفتّ ذلك في اعضاد أَهل الشأم فلو عهدت عهدًا لعبد العزيز بن الوليد. قال: غدًا. وبلغ ذلك مسلمة بن عبد الملك فأَتى يزيد فقال: يا امير المؤمنين ايّما أَحبّ اليك ولد عبد الملك أَو ولد الوليد. فقال: بل ولد عبد الملك. قال: أَفأَخوك احقّ بالخلافة أَم ابن اخيك. قال: اذا لم تكن في ولدي فأَخي أَحق بها من ابن أَخي. قال: فأَبنك لم يبلغ فبايع لهشام ثم لابنك بعد هشام. (قال) والوليد يومئذٍ ابن احدى عشرة سنة. قال: غدًا ابايع لهُ. فلما أَصبح فعل ذلك وبايع لهشام واخذ العهد عليهِ ان لا يخلع الوليد بعده ولا يغير عهده ولا يحتال عليه. فلما أَدرك الوليد ندم أَبوه فكان ينظر اليهِ ويقول: الله بيني وبين من جعل هشامًا بيني وبينك. وتوفي يزيد سنة خمس ومائة وابنهُ الوليد ابن خمس عشرة سنة. (قال) فلم يزل الوليد مكرّمًا عند هشام رفيع المنزلة مدّة. ثم طمع في خلعهِ وعقد العهد بعده لابنه مسلمة بن هشام فجعل يذكر الوليد بن يزيد وتهتكهُ وادمانهُ على الشراب ويذكر ذلك في مجلسه ويقوم ويقعد بهِ. وولّاهُ الحجّ ليظهر ذلك منهُ بالحرمين فيسقط. فلما حجّ طالبهُ هشام بان يخلع نفسهُ. فأَبى ذلك. فحرمهُ العطاء وحرم سائر مواليهِ وانسباءهُ وجفاه جفاء شديدًا. فخرج منتدبًا وخرج معهُ عبد الصمد بن عبد الاعلى مؤدّبا وكان يُرمى بالزندقة. ودعا هشام الناس الى خلعه والبيعة لمسلمة بن هشام. وكان مسلمة يكنى أَبا شاكر كني بذلك لمولًى كان لمروان يكنى أَبا شاكر كان ذا رأي وفضل وكانوا يعظمونهُ ويتبركون بهِ. فأَجابهُ الى خلع الوليد والبيعة لمسلمة بن هشام قوم من خاصة هشام. وكتب الى الوليد: ما تدع شيئًا من المنكر الّا أَتيتهُ وارتكبتهُ

غير متحاشٍ ولا مستتر فليت شعري ما دينك أعلى الاسلام أنت أم لا . فكتب اليهِ الوليد بن يزيد (ويقال : بل قال لهُ ذلك عبد الصمد بن عبد الاعلى ونحلهُ اياه) :

يا أيها السائل عن ديننا   نحن على دين أبي شاكرِ
نشربها صرفاً وممزوجةً   بالسخن احياناً وبالفاترِ

فغضب هشام على ابنه مسلمة وقال: يعيرني بك الوليد وانا ارشحك للخلافة. فالزمِ الادب واحضر الصلوات. وولّاهُ الموسم سنة سبع عشرة ومائة. فاظهر النسك وقسم بمكة والمدينة اموالًا. فقال رجل من موالي أهل المدينة :

يا أيها السائل عن ديننا   نحن على دين أبي شاكرِ
الواهب البزل بارسانها   ليس بزنديق ولا كافرِ

قال المدائني: وبلغ خالداً القسريّ ما عزم عليهِ هشام فقال: أنا بريء من خليفة يُكنى أبا شاكر. فبلغت هشاماً عنهُ هذه فكان ذلك سبب ايقاعه بهِ

أخبر سيّار قال: رأيت هشام بن عبد الملك وأنا في عسكرهِ يوم توفي مسلمة بن عبد الملك وهشام في شرطتهِ اذ طلع الوليد بن يزيد على الناس وهو نشوان يجرُّ مطرف خزّ عليهِ. فوقف على هشام فقال: يا أمير المؤمنين ان عقبى من بقي لحوق مَن مضى. وقد اقفر بعد مسلمة الصيد لمن يرى . واختلّ الثغر فوهى. وعلى اثر مَن سلف يمضي مَن خلف. فتزوّدوا فانّ خير الزاد التقوى. فأعرض عنهُ هشام ولم يردّ جواباً. ووجم الناس فما همس احد بشيء.. (قال) فمضى الوليد وهو يقول:

أهَينمةٌ حديث القوم أم هم   سكوت بعد ما متع النهارُ
عُزَير كان بينهم نبياً   فقول القوم وحي لا يحارُ
كأنّا بعد مسلمة المرجى   شُروب طوّحت بهم عقارُ
أو الّاف هجان في قيود   تلفَّت كلما حنت ظؤّارُ
فليتك لم تمت وفداك قومٌ   تريح غبيّهم عنها الديارُ
سقيم الصدر أو شكس نكيد   وآخر لا يزور ولا يزارُ (١)

قال الزبير: وحدّثني محمد بن الضحاك عن ابيهِ قال: أراد هشام ان يخلع الوليد ويجعل العهد لولده. فقال الوليد:

كفرت يداً من منعم لو شكرتها   جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمنّ
رأيتك تبني جاهداً في قطيعتي   ولو كنت ذا حزم لهدّمت ما تبني
أراك على الباقين تجني ضغينة   فيا ويحهم ان متّ من شرّ ما تجني
كأني بهم يوماً واكثر قولهم   أيا ليت انّا حين يا ليت لا تغني

وأخبر المدائني قال: عتب هشام على الوليد وخاصته. فخرج الوليد ومعهُ قوم من خاصته ومواليه فنزل بالابرق بين أرض بلقين وفزارة على ماء يقال لهُ الاغدف. وخلف بالرصافة كاتبه عياض بن مسلم مولى عبد الملك ليكاتبهُ بما يحدث. وأخرج معهُ عبد الصمد بن عبد الاعلى . فشربوا يوماً فقال لهُ الوليد: يا أبا وهب قل أبياتاً نغني فيها. فقال ابياتاً وأمر عمر الوادي فغنى فيها وهي:

(١) يعني بالسقيم الصدر يزيد بن الوليد. ويعني بالشكس هشاماً. والذي لا يزور ولا يزار مروان بن محمد

أَلَم تَرَ للنجم اذ سبعا   يبادر في برجهِ المرجعا
تحير عن قصد مجراتهِ   أَتى الغور والتمس المطلعا
فقلت وأَعجبني شأْنهُ   وقد لاح اذ لاح لي مطمعا
لعلّ الوليد دنا ملكهُ   فأمسى اليهِ قد استجمعا
وكنا نؤَمّل في ملكهِ   كتأميل ذي الجدب ان يمرعا
عقدنا لهُ محكمات الامور م   طوعاً وكان لها موضعا

فرُوي هذا الشعر وبلغ هشاماً فقطع عن الوليد ما كان يجري عليهِ وعلى أَصحابه وحرمهم وكتب الى الوليد: قد بلغني انك اتخذت عبد الصمد خدناً ومحدثاً ونديماً وقد حقق ذلك ما بلغني عنك . ولن أُبرئك من سوء . فأَخرِجْ عبد الصمد مذموماً . (قال) فأَخرجهُ وقال:

لقد قذفوا أَبا وهب بأَمر   كبير بل يزيدُ على الكبيرِ
وأَشهد انهم كذبوا عليه   شهادة عالم بهم خبيرِ

فكتب الوليد الى هشام بانهُ قد أَخرج عبد الصمد . واعتذر اليهِ من منادمتهِ وسأَلهُ ان يأذن لابن سهيل في الخروج اليهِ وكان من خاصة الوليد . فضرب هشام ابن سهيل ونفاه وسيره . وكان ابن سهيل من اهل النباهة وقد ولي الولايات ولي دمشق مراراً وولي غيرها . وأَخذ عياضَ بن مسلم كاتب الوليد فضربهُ ضرباً مبرحاً وأَلبسهُ المسوح وقيّده وحبسه . فغمّ ذلك الوليد فقال: من يثق بالناس ومن يصنع المعروف . هذا الاحول المشؤوم قدّمهُ أَبي على ولده وأَهل بيته وولّاه وهو يصنع بي ما ترون ولا يعلم ان لي في أَحد هوًى الّا أَضرّ بهِ كتب اليَّ بان أَخرج عبد الصمد فأَخرجتهُ وكتبت اليهِ في ان يأذن لابن سهيل في الخروج اليَّ فضربه وطرده . وقد علم رأْيي فيهِ

وعرف مكان عياض مني وانقطاعهُ اليَّ فضربهُ وحبسهُ يضارّني بذلك . اللهمّ أَجرني منهُ . ثم قال الوليد:

انا النذير لمسدي نعمة ابداً   الى المقاريف لما يخبر الدخلا
ان أَنت اكرمتهم الفيتهم بطروا   وان اهنتهمُ الفيتهم ذللا
اتشمخون ومنّا رأس نعمتكم   ستعلمون اذا ابصرتمُ الدولا
انظر فان انت لم تقدر على مثل   لهم سوى الكلب فاضربهُ لهم مثلا
بينا يسمّنهُ للصيد صاحبهُ   حتى اذا ما استوى من بعد ما هزلا
عدا عليهِ فلم تضرهُ عدوتهُ   ولو أَطاق لهُ أَكلاً لقد اكلا

وقال الوليد ايضاً يفتخر على هشام:

انا الوليد ابو العباس قد علمت   عليا معدٍّ مدى كرّي واقدامي
اني لفي الذروة العليا اذا انتسبوا   مقابل بين اخوالي وأَعمامي
بنى ليَ المجد بانٍ لم يكن وكلّا   على منار مضيئات واعلامِ
حللت من جوهر الاعياص قد علموا   في باذخ مشمخرّ العزّ قمقامِ
صعب المرام يسامي النجم مطلعهُ   يسمو الى فرع طود شامخ سامي

(قال) وبعث الوليد بن يزيد الى هشام بن عبد الملك راويته فأَنشده قولهُ:

أَنا الوليد ابو العباس قد علمتْ   عليا معدٍّ مدى كرّي واقدامي

فقال هشام: والله ما علمتْ معدّ لهُ كرّاً ولا اقداماً الّا انهُ شرب مرّةً مع عمّهِ بكار بن عبد الملك فعربد عليهِ وعلى جواريه . فان كان يعني بذلك كرّه واقدامه فعسى

حدّث المنهال بن عبد الملك قال: كتب الوليد الى هشام قال:

بلغني ما أحدث امير المؤمنين من قطع ما قطع عني ومحو مَن محا مِن اصحابي وانهُ حرمني وأهلي ولم أكن اخاف ان يبتلي الله امير المؤمنين بذلك فيَّ ولا ينالني مثلهُ منه. ولم يبلغ استصحابي لابن سهيل ومسئلتي في امره ان يجري عليَّ ما جرى وان كان ابن سهيل على ما ذكره امير المؤمنين فبحسب العَيْر أن يقرب من الذئب . وعلى ذلك فقد عقد الله لي من العهد وكتب لي من العمر وسبب لي من الرزق ما لا يقدر احد دونه تبارك وتعالى على قطعهِ عني دون مدّتهِ ولا صرفه عن مواقعهِ المحتومة لهُ. فقدر الله يجري على ما قدره فيما أحبّ الناس وكرهوا لا تعجيل لآجله ولا تأخير لعاجله. والناس بعد ذلك يحتسبون الاوزار ويقترفون الآثام على انفسهم من الله بما يستوجبون العقوبة عليهِ. وأمير المؤمنين احقّ في ذلك والحفظ لهُ . والله يوفق امير المؤمنين لطاعتهِ ويحسن القضاء لهُ في الامور بقدرته. وكتب اليهِ الوليد في آخر كتابهِ:

أليس عظيماً ان أرى كل واردٍ ... حياضك يوماً صادرًا بالنوافلِ
فأرجع محمود الرجاء مصرداً ... بتحلئةٍ عن ورد تلك المناهلِ
فأصبحت مما كنت آمل منكم ... وليس بلاقٍ ما رجا كلُّ آملِ
كمقتبض يوماً على عرض هبوة ... يشدّ عليها كفّهُ بالانامل

فكتب اليهِ هشام: قد فهم امير المؤمنين ما كتبت بهِ من قطع ما قطع وغير ذلك. وامير المؤمنين يستغفر من اجرائهِ ما كان يجري عليك ولا يتخوّف على نفسهِ اقتراف المآثم في الذي احدث من قطع ما قطع ومحو من محا من صحابتك لأمرين. امّا احدهما فان امير المؤمنين يعلم مواضعك التي كنت تصرف اليها ما يجريهِ عليك. واماّ الآخر فاثبات صحابتك وارزاقهم

دارَّة عليهم لا ينالهم ما ينال المسلمين عند قطع البعوث عليهم وهم معك تجول بهم في سفهك. وامير المؤمنين يرجو ان يكفر الله عنهُ ما سلف من اعطائهِ ايّاك باستئنافهِ قطعهُ عنك . وأما ابن سهيل فلعمري لئن كان نزل منك بحيث يسوءك ما جرى عليهِ لما جعلهُ الله لذلك اهلاً . وهل زاد ابن سهيل لله ابوك على ان كان زفافاً مغنياً قد بلغ في السفه غايته. وليس مع ذلك ابن سهيل بشرّ ممن كنت تستصحبهُ في الامور التي ينزه امير المؤمنين نفسهُ عنها مما كنت لعمري اهلاً للتوبيخ فيهِ. وأما ما ذكرت مما سببهُ الله لك فانّ الله قد ابتدأ امير المؤمنين بذلك واصطفاه لهُ والله بالغ أمره ولقد أصبح امير المؤمنين وهو على يقين من رأيه الّا انهُ لا يملك لنفسهِ مما أعطاه الله من كرامتهِ ضرًا ولا نفعًا وان الله ولي ذلك منهُ وانهُ لا بدّ لهُ من مفارقتهِ وان الله أرأف بعباده وأرحم من ان يولّي امرهم غير من يرتضيه لهم منهم. وان امير المؤمنين مع احسن ظنّهِ بربّهِ لعلى احسن الرجاء بان يوليه بسبب ذلك لمن هو اهلهُ في الرضا بهِ لهم فان بلاء الله عند امير المؤمنين اعظم من أن يبلغهُ ذكره أو يوازيه شكره الّا بعون منه. ولئن كان قد قدّر الله لامير المؤمنين وفاة تعجيل فانّ في الذي هو مفضٍ وصائر اليهِ من كرامة الله لخلفًا من الدنيا. ولعمري ان كتابك لامير المؤمنين بما كتبت بهِ لغير مستنكر من سفهك وحمقك فأبقِ على نفسك وقصر من غلوائها واربع على ظلعك فان لله سطوات وغيرًا يصيب بها من يشاء من عباده. وامير المؤمنين يسأل الله العصمة والتوفيق لأحبّ الامور اليهِ وارضاها لهُ. وكتب في اسفل الكتاب:

اذا انت سامحت الهوى قادك الهوى   الى بعض ما فيهِ عليك مقالُ

والسلام

أخبر أبو الزبير المنذر بن عمر وكان كاتبًا للوليد بن يزيد قال: أرسل اليَّ الوليد صبيحة اليوم الذي أتتهُ فيهِ الخلافة فأتيتهُ. فقال لي: يا ابا الزبير ما أتت عليَّ ليلة اطول من هذه الليلة عرضتني امور وحدَّثت نفسي فيها بامور. وهذا الرجل قد اولع بي فاركب بنا نتنفس. فركب وسرت معهُ. فسار ميلين ووقف على تلّ فجعل يشكو هشامًا اذ نظر الى رهج قد أقبل. قال عمر بن شبة في حديثه: وسمع قعقعة البريد فتعوَّذ بالله من شرّ هشام وقال: انّ هذا البريد قد أقبل بموت وحيّ أو بملك عاجل. فقلت: لا يسوءك الله ايها الامير بل يسرُّك ويبقيك. اذ بدا رجلان على البريد يقبلان احدهما مولى لآل ابي سفيان بن حرب. فلما قربا رأيا الوليد فنزلا يعدوان حتى دنوا فسلّما عليهِ بالخلافة. فوجم. وجعلا يكرّران عليهِ التسليم بالخلافة. فقال: ويحكما الخبر أمات هشام. قالا: نعم. قال: فمرحبًا بكما. ما معكما. قالا: كتاب مولاك سالم بن عبد الرحمن. فقرأ الكتاب. وانصرفنا. وسأل عن عياض بن مسلم كاتبهِ الذي كان هشام ضربهُ وحبسهُ. فقالا: يا امير المؤمنين لم يزل محبوسًا حتى نزل بهشام امر الله. فلما صار الى حال لا ترجى الحياة لمثله معها ارسل عياض الى الخزّان: احتفظوا ما في ايديكم فلا يصلنَّ احد الى شيء. وأفاق هشام افاقة فطلب شيئًا فمُنِعهُ. فقال: أرانا كنّا خزانًا للوليد. وقضى من ساعتهِ. فخرج عياض من السجن ساعة قضى هشام فختم الابواب والخزائن وأمر بهشام فأُنزل عن فراشه ومنعهم ان يكفنوه من الخزائن فكفنهُ غالب مولى هشام ولم يجدوا قمقمًا حتى استعاروه. وأمر الوليد باخذ ابني هشام بن اسمعيل

المخزومي. فأُخذا بعد ان عاذ ابراهيم بن هشام بقبر يزيد بن عبد الملك. فقال الوليد: ما أُراه الّا قد نجا. فقال لهُ يحيي بن عروة بن الزبير وأخوه عبد الله: ان الله لم يجعل قبر ابيك معاذًا للظالمين فخذه بردّ ما في يده من مال الله. فقال: صدقتَ. وأخذهما فبعث بهما الى يوسف بن عمر وكتب اليهِ ان يبسط عليهما العذاب حتى يتلفا. ففعل ذلك بهما وماتا جميعًا في العذاب بعد ان أُقيم ابراهيم بن هشام للناس حتى اقتضوا منهُ المظالم. وقال عمر بن شبة في خبره: انهُ لما نعي لهُ هشام قال: والله لأتلقينَّ هذه النعمة بسكرة قبل الظهر. ثم أنشأ يقول:

طاب يومي ولذَّ شرب السلافهْ   اذ اتاني نعيُّ من بالرصافهْ
واتانا البريد ينعى هشامًا   وأتانا بخاتمٍ للخلافهْ
فاصطبحنا من خمر عانةَ صرفًا   ولهونا بقينة عزّافهْ

ثم حلف ان لا يبرح موضعه حتى يُغنّى في هذا الشعر ويشرب عليهِ. فتُغني لهُ فيهِ وشرب وسكر. ثم دخل فبويع لهُ بالخلافة. (قال) وسمع صياحًا فسأل عنهُ. فقيل لهُ: هذا من دار هشام يبكيه بناتهُ. فقال:

اني سمعت بليلٍ   ورا المصلّى برنّهْ
اذا بنات هشامٍ   يندبنَ والدهُنّهْ
يندبنَ قرمًا جليلًا   قد كان يعضدهُنّهْ

وللوليد اشعار جياد. فمنها وهو ما برّز فيهِ وجوّدهُ وتبعهُ الناس جميعًا فيهِ وأخذوه منهُ قولهُ في صفة الخمر انشدنيه لحسن بن عليّ. (قال) وكان ابو غسّان يكاد يرقص اذا انشدها:

اصدع نجيّ الهموم بالطربِ … وانعم على الدهر بابنة العنبِ
واستقبل العيش في غضارتهِ … لا تقفُ منهُ آثار معتقبِ
من قهوة زانها تقادمها … فهي عجوز تعلو على الحقبِ
فقد تجلّت ورقّ جوهرها … حتى تبدت في منظر عجبِ
فهي بغير المزاج من شررٍ … وهي لدى المزج سائل الذهبِ
كأنها في زجاجها قبسٌ … تذكو ضياء في عين مرتقبِ
في فتية من بني أميّة أهل م … الجد والمأثرات والحسبِ
ما في الورى مثلهم ولا بهم … مثلي ولا منتمٍ لمثل ابي

قال المدائني في خبره: وقال الوليد حين اتاه نعي هشام:

طال ليلي فبتُّ أسقى المداما … اذ اتاني البريد ينعى هشاما
وأتاني بحلّةٍ وقضيبٍ … واتاني بخاتم ثمّ قاما
فجعلت الوليّ من بعد فقدي … يفضل الناس ناشئاً وغلاما
ذلك ابني وذاك قرم قريشٍ … خير قرم وخيرهم اعماما

ومن نادر شعره قولهُ لهشام:

فان تكُ قد مللت القرب مني … فسوف ترى مجانبتي وبعدي
وسوف تلوم نفسك ان بقينا … وتبلو الناس والاحوال بعدي
فتندم في الذي فرّطت فيهِ … اذا قايست في ذمّي وحمدي

وحدّث ابن عياش قال: دخل ابن الاقرع على الوليد بن يزيد. فقال لهُ: انشدني قولك في الخمر. فأنشده قوله:

كميت اذا شجت وفي الكأس وردة … لها في عظام الشاربين دبيبُ
تريك القذى من دونها وهي دونهُ … لوجه اخيها في الاناء قطوبُ

فقال الوليد: شربتَها يا ابن الاقرع وربّ الكعبة. فقال: يا امير المؤمنين لئن كان نعتي لها رابك لقد رابني معرفتك بها:

وأخبر العتبيّ. قال: لما ظهرت المسودّة بخراسان كتب نصر بن سيّار الى الوليد يستمدهُ. فتشاغل عنهُ. فكتب اليهِ كتاباً وكتب في أسفله يقول:

أرى خللَ الرمادِ وميضَ جمرٍ … وأحرِ بان يكون لها ضرامُ
فانّ النار بالعودَين تُذكى … وانّ الحرب مبدؤها الكلامُ
فقلت من التعجب ليت شعري … أأيقاظٌ أميةُ أم نيامُ

فكتب اليهِ الوليد: قد اقطعتك خراسان فاعمل لنفسك او دع فاني مشغول بابن سريج ومعبد والغريض

حدث العلاء البندار قال: كان الوليد زنديقاً. وكان رجل من كلب يقول بمقالتهِ مقالة الثنويّة. فدخلت على الوليد يوماً وذاك الكلبيّ عنده. واذا بينهما سفط قد رفع رأسه عنهُ فاذا ما يبدو لي حرير اخضر. فقال: ادنُ يا علاء. فدنوت. فرفع الحريرة فاذا في السفط صورة انسان واذا الزئبق والنوشادر قد جعلا في جفنه فجفنه يطرف كأنهُ يتحرّك. فقال: يا علاء هذا ماني لم يبتعث الله نبياً قبلهُ ولا يبتعث نبيا بعده. فقلت: يا امير المؤمنين اتّقِ الله ولا يغرّنك هذا الذي ترى عن دينك. فقال لهُ الكلبيّ: يا امير المؤمنين ألم اقل لك ان العلاء لا يحتمل هذا الحديث. (قال العلاء) ومكثت اياماً. ثم جلست مع الوليد على بناء كان بناه في عسكره يشرف بهِ والكلبيّ عنده اذ نزل من عنده وقد كان الوليد حملهُ على برذون هملاج اشقر من افره ما سخر. فخرج على برذونه ذلك فمضى بهِ في الصحراء حتى غاب عن

العسكر . فما شعر الّا واعراب قد جاءوا بهِ يحملونهُ منفسخة عنقه ميتاً وبرذونهُ يقاد حتى أَسلموه . فبلغني ذلك فخرجت متعمدًا حتى أَتيت اولئك الاعراب وقد كانت لهم ابيات بالقرب منهُ في ارض البجراء لا حجر فيها ولا مدر . فقلت لهم : كيف كانت قصة هذا الرجل . قالوا : أَقبل علينا على برذون فوالله لكأَنهُ دهن يسيل على صفاة من فراهتهِ فعجبنا لذلك . اذ انقضَّ رجل من السماء عليهِ ثياب بيض فأَخذ بضبعَيهِ فاحتملهُ ثم نكسهُ وضرب برأسهِ الارض فدقَّ عنقه ثم غاب عن عيوننا . فاحتملناه فجئنا بهِ

أَخبر يحيى بن سليم قال : عاد الوليد بن يزيد ذات ليلة بمصحف . فلما فتحهُ وافق ورقة فيها : واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائهِ جهنم ويسقى من ماء صديد . فقال : أَسجعًا سجعًا . علقوه . ثم اخذ القوس والنبل فرماه حتى مزَّقهُ . ثم قال :

أَتوعد كل جبار عنيد   فها انا ذاك جبار عنيدُ
اذا لاقيت ربَّك يوم حشرٍ   فقل لله مزَّقني الوليدُ

(قال) فما لبث بعد ذلك الّا يسيرًا حتى قُتل

اخبر المدائني قال : لما اكثر الوليد بن يزيد التهتُّك وانهمك في اللذات وشرب الخمر وبسط المكروه على ولد هشام والوليد وافرط في امره وغيّهِ ملّ الناس ايامهُ وكرهوه . وكان عقد لابنيهِ بعده ولم يكونا بلغا . فمشى الناس بعضهم الى بعض في خلعه . وكان اقواهم في ذلك يزيد الناقص بن الوليد بن عبد الملك بن مروان فمشى الى اخيهِ العباس وكان امرءَ صدقٍ ولم يكن في بني اميَّة مثلهُ كان يتشبه بعمر بن عبد العزيز . فشكا اليهِ ما يجري على الناس من الوليد . فقال لهُ : يا أَخي ان الناس قد ملّوا بني مروان وان مشى بعضكم

في اثر بعض أُكلتم . ولله اجلٌ لا بدَّ ان يبلغهُ فانتظره . فخرج من عنده ومشى الى غيره . فبايعهُ جماعة من اليمانية الوجوه . فعاد الى اخيهِ ومعهُ مولًى لهُ واعاد عليهِ القول وعرض لهُ بانهُ قد دعى الى الخلافة . فقال لهُ : والله لولا اني لا آمنهُ عليك من تحامله لوجهت بك اليهِ مشدودًا . فنشدتك الله ان لا تسعى في شيءٍ من هذا

وأَخبر جويرية بن اسماء قال : دخل ابي بشر بن الوليد على عمي العباس ابن الوليد وأَنا معهُ . فجعل يكلّم عمي في ان يخلع الوليد بن يزيد ومعهُ عمي يزيد بن الوليد . فكان العباس ينهاه وأَبي يردّ عليهِ . فكنت افرح وأَقول في نفسي : أَرى ابي يجترئ ان يكلم عمي ويردّ عليهِ . فقال العباس : يا بَني مروان اظنّ ان الله قد اذن في هلاككم . ثم قال العباس :

اني اعيذكمُ بالله من فتنٍ   مثل الجبال تسامى ثم تندفعُ
ان البريَّة قد ملَّت سياستكم   فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
لا تلحمُنَّ ذئاب الناس انفسكم   ان الذئاب اذا ما أُلحمت رتعوا
لا تبقرُنَّ بايديكم بطونكمُ   فثمَّ لا فدية تغني ولا جذعُ

فانصرف من عنده وجعل يدعو الناس الى نفسه . وبلغ الوليد ذلك فقال يذكر قومه ومشي بعضهم الى بعض في خلعه :

سلِّ همَّ النفس عنها   بعلنداتٍ علاتِ
تتقي الارض وتهوي   بخفاف مدمجاتِ
ذاك امْ ما بال قومي   كسروا سنَّ قناتي
واستخفُّوا بي وصاروا   كقرود خاسئاتِ

وفي هذه القصيدة يقول الوليد بن يزيد :

اصبح اليوم وليـــد هائمًا بالفتيـــاتِ
عندهُ راح وابريـ ـق وكأس بالفلاةِ
ابعثوا خيلًا لخيلٍ ورمـــاةً لرمـــاةِ

قال المدائني عن رجاله: فلما استجمع ليزيد امره وهو متبدٍّ أقبل الى دمشق وبين مكانه الذي كان متبدّيًا فيهِ وبين دمشق اربع ليالٍ. فأقبل الى دمشق متنكرًا في سبعة انفس على حمر وقد بايع لهُ اكثر اهل دمشق وبايع لهُ اكثر اهل المزّة. فقال مولى لعباد بن زياد: اني لَبجرود (وبين جرود ودمشق مرحلة) اذ طلع علينا سبعة معتمّين على حمر فنزلوا وفيهم رجل طويل جسيم. فرمى بنفسهِ ونام. فألقوا عليهِ ثوبًا وقالوا لي: هل عندك شيء نشتريه من طعـام. فقلت: أمّا بيع فلا وعندي من قراكم ما يشبعكم. فقالوا. فعجّلهُ. فذبحت لهم دجاجًا وفراخًا وأتيتهم بما حضر من عسل وسمن وشوانيز وقلت: أيقظوا صاحبكم للغداء فقالوا: هو محموم لا يأكل. فسفروا للغدا. فعرفت بعضهم. وسفر النائم فاذا هو يزيد بن الوليد فعرفتهُ. فلم يكلمني. ومضوا ليدخلوا دمشق ليلًا في نفر من اصحابه مشاة الى معاوية بن معاذ وهو بالمزّة وبينها وبين دمشق ميل. فأصابهم مطر شديد. فأتوا منزل معاوية فضربوا بابه وقالوا: يزيد بن الوليد. فقال لهُ معـاوية الفراش: ادخل أصلحك الله. قال: في رجلي طين واكره ان أُفسد عليك بساطك. فقـال: ما تريد بي أفسد عليهِ. فمشى على البساط وجلس على الفراش. ثم كلّم معاوية فبايعهُ. وخرج الى دمشق فنزل دار ثابت بن سليمان الحسني مستخفيًا وعلى دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف. فخاف عبد الملك الوباء فخرج فنزل قَطَنًا واستخلف ابنهُ على دمشق وعلى شرطتهِ أبو العاج كثير بن عبد

الله السلمي. وتمَّ ليزيد أمره فأجمع على الظهور. وقيل لعامل دمشق: انَّ يزيد خارج. فلم يصدّق. وأرسل يزيد الى اصحابه بين المغرب والعشاء في ليلة الجمعة من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة. فكمنوا في ميضأة عند باب الفراديس حتى اذا اذنوا العتمة دخلوا المسجد مع الناس فصلوا. وللمسجد حرس قد وكلوا باخراج الناس من المسجد بالليل فاذا خرج الناس خرج الحرس وأغلق صاحب المسجد الابواب ودخل من باب المقصورة فيدفع المفاتيح الى من يحفظها ويخرج. فلما صلّى الناس العتمة صاح الحرس بالناس فخرجوا. وتباطأ أصحاب يزيد الناقص. فجعلوا يخرجونهم من باب ويدخلون من باب حتى لم يبقَ في المسجد الّا الحرس وأصحاب يزيد فأخذوا الحرس. ومضى عنبسة الى يزيد فأخبره وأخذ بيده وقال: قم يا امير المؤمنين وابشر بعون الله ونصره. فأقبل واقبلنا ونحن اثنا عشر رجلًا. فلما كنّا عند سوق القمح لقيهم فيها مائتا رجل من اصحابهم. فمضوا حتى دخلوا المسجد وأتوا باب المقصورة وقالوا: نحن رسل الوليد. ففتح لهم خادم الباب ودخلوا فأخذوا الخادم واذا ابو العاج سكران. فأخذوه وأخذوا خزّان البيت وصاحب البريد. وأرسل الى كل من كان يحذره فأخذهُ. وارسل من ليلتهِ الى محمد بن عبيدة مولى سعيد بن العاص وهو على بعلبك والى عبد الملك بن محمد بن الحجاج فأخذهما. وبعث اصحابهُ الى الخشبية فأتوه. وقال للبوابين: لا تفتحوا الابواب غدوة الّا لمن اخبركم بشعار كذا وكذا (قال) فتركوا الابواب في السلاسل. وكان في المسجد سلاح كثير قدم بـه سليمان بن هشام من الجزيرة فلم يكن الخزّان قبضوه. فأصابوا سلاحًا كثيرًا فاخذوه وأصبحوا. وجاء اهل المزّة مع حريث بن ابي الجهم. فما انتصف النهار حتى بايع الناس يزيد وهو يتمثل قول النابغة:

اذا استنزلوا عنهنّ للطعن أرقلوا   الى الموت ارقال الجمال المصاعبِ

فجعل اصحابه يتعجبون ويقولون: انظروا الى هذا كان قبيل يسبح وهو الآن ينشد الشعر. (قال) وأمر يزيد عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ابن مروان فوقف بباب الجابية فنادى: ألا كلُّ مَن كان لهُ عطاء فلهُ اربعون ديناراً في العطاء ومعونة الف درهم. فبايع لهُ الناس وامر بالعطاء. (قال) وندب يزيد بن الوليد الناس الى قتال الوليد بن يزيد مع عبد العزيز وقال: من انتدب معهُ فلهُ الفان. فانتدب الفا رجل. فأعطاهم وقال: موعدكم دنية. فوافى دنية الف ومائتا رجل. فقال: ميعادكم مصنعة بالبرية وهي لبني عبد العزيز بن الوليد. فوافاه ثمانمائة رجل. فسار فوافاهم ثقل الوليد فأخذوه ومع عبد العزيز فُرسان. فاقبلوا فنزلوا قريباً من الوليد. فقال الوليد: أخرجوا اليَّ سريرًا. فاخرجوه فصعد عليهِ. واتاه خبر العباس بن الوليد: اني اجيئك. واتى الوليد بفرسين الزابد والسندي وقال: أعليّ يتواثب الرجال وأنا أثِب على الاسد واعضّ الافاعي. وهم ينتظرون العباس ان يأتيهم ولم يكن بينهم كبير قتال. فقُتل يزيد بن عثمان الخشبي وكان من اولاد الخشبية الذين كانوا مع المختار. وبلغ عبد العزيز بن الحجاج ان العباس بن الوليد يأتي الوليد فأرسل منصور بن جمهور في جريدة خيل وقال: انكم تلقون العباس بن الوليد ومعهُ بنوه في الشعب فخذوه. وخرج منصور في ذلك الخيل وتقدموا الى الشعب واذا العباس ومعهُ بنوه قد تقدموا اصحابه. فقال لهُ: اعدل الى عبد العزيز. فشتمهم. فقال لهُ منصور: والله لئن تقدَّمت لانفذنَّ فخذيك بالرمح. فقال: انّا لله. فاقبلوا بهِ يسوقونهُ الى عبد العزيز. فقال لهُ عبد العزيز: بايع ليزيد. فبايع ووقف ونصب راية. وقالوا: هذا العباس قد بايع. ونادى منادي عبد

العزيز: من لحق بالعباس بن الوليد فهو آمن. فقال العباس: انّا لله. خدعة من خدع الشيطان. هلك والله بنو مروان. فتفرّق الناس عن الوليد وأتوا العباس. وظاهر الوليد في درعين وقاتلهم. وقال الوليد: من جاء برأس فلهُ خمسمائة درهم. فجاء جماعة بعدَّة رؤوس. فقال: اكتبوا اسماءهم. فقال لهُ رجل من مواليه: ليس هذا يا امير المؤمنين يوماً يعامل فيهِ بالنسيئة. وناداهم رجال: اقتلوا اللوطيّ قتلة قوم لوط. فرموه بالحجارة. فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق الباب وقال:

دعوا لي سليمى والطلاء وقينة   وكأساً ألا حسبي بذلك مالا
خذوا ملككم لا ثبَّت الله ملككم   ثباتاً يساوي ما حييت عقالا
وخلوا عناني قبل عيري وما جرى   ولا تحسدوني ان اموت هزالا

ثم قال لعمر الوادي: يا جامع لذتي غنني بهذا الشعر. وقد أحاط الجند بالقصر. فقال لهم الوليد من وراء الباب: أما فيكم رجل شريف لهُ حسب وحياء اكلمهُ. فقال لهُ يزيد بن عنبسة السكسكي: كلمني. فقال لهُ الوليد: يا أخا السكاسك ما تنقمون مني. الم ازد في اعطياتكم واعطية فقرائكم وأخدمت زمناكم ودفعت عنكم المؤَن. فقال: ما ننقم عليك في انفسنا شيئاً ولكن ننقم عليك ما حرَّم الله وشرب الخمور واستخفافك بأمر الله. قال: حسبك يا اخا السكاسك فلعمري لقد اغرقت فاكثرت وانَّ فيما احلَّ الله لسعة فيما ذكرت. ورجع الى الدار فجلس واخذ المصحف وقال: يوم كيوم عثمان. ونشر المصحف يقرأ. فعلوا الحائط. فكان اول من علا الحائط يزيد بن عنبسة فنزل وسيف الوليد الى جنبهِ. فقال لهُ يزيد: نحّ سيفك. فقال الوليد: لو أردت السيف لكانت لي ولك حالة غير هذه. فأخذ بيده وهو يريد ان

يدخلهُ بيننا ويؤامر فيهِ . فنزل من الحائط عشرة فيهم منصور بن جمهور وعبد الرحمن وقيس مولى يزيد بن عبد الملك والسريّ بن زياد بن ابي كبشة . فضربهُ عبد الرحمن السلمي على رأسهِ ضربة وضربهُ السري على وجههِ وجرّوه بين خمسة ليخرجوه . فصاحت امرأة كانت معهُ في الدار فكفوا عنهُ فلم يخرجوه . واحتزّ رأسه ابو علاقة القضاعي وخاط الضربة التي في وجههِ بالعقب . وقدم بالرأس على يزيد قدم بهِ روح بن مقبل وقال: ابشر يا امير المؤمنين بقتل الفاسق . فاستتمّ الامر لهُ

قال عمر الوادي : كنت اغني الوليد اقول:

كذبتكَ نفسك ام رأيت بواسط   غلس الظلام من الرباب خيالا

قال: فما اتممتُ الصوت حتى رأيت رأسهُ قد فارق بدنهُ ورأيتهُ يُشحط في دمهِ . (قالوا) وكان عثمان والحكم ابنا الوليد قد بايعهما بالعهد بعده فتغيبا . فأخذهما يزيد بعد ذلك فحبسهما في الخضراء . ودخل عليهما يزيد الافقم بن هشام فجعل يشتم اباهما الوليد وكان قد ضربهُ وخلعهُ . فبكى الحكم . فقال عثمان اخوه : اسكت يا اخي . وأقبل على يزيد فقال : اتشتم ابي . قال : نعم . قال : لكني لا اشتم عمّي هشاماً . ووالله لو كنتَ من بني مروان ما شتمتَ احدًا منهم فانظر الى وجهك فان كنت رأيت حكمياً يشبهك او لهُ مثل وجهك فانت منهم . لا والله ما في الارض حكمي يشبهك

ثم كان من خلع يزيد بعد ذلك ما ليس هذا موضع ذكره

خروج عبد الله بن يحيى وابي حمزة المختار ومقتلهما

اخبر بذلك الحسن بن عليّ الخفاف قال: حدّثنا احمد بن الحرث الخزّاز عن المدائني ان عبد الله بن يحيى الكندي احد بني عمر بن معاوية كان من حضرموت وكان مجتهدًا عابدًا وكان يقول قبل ان يخرج: لقيني رجل فاطال النظر اليّ وقال: ممن انت . فقلت: من كندة . فقال: من ايّهم . فقلت: من بني شيطان . قال: والله لتملكنّ ولتبلغنّ خيلك وادي القرى وذلك بعد ان تذهب احدى عينيك . فذهبتُ اتخوّف ما قال واستخير الله . فرأيت باليمن جورًا ظاهرًا وعسفاً شديدًا وسيرة في الناس قبيحة . فقال لاصحابه: ما يحلّ لنا المقام على ما نرى ولا يسعنا الصبر عليهِ . وكتب الى ابي عبيدة ومسلمة بن ابي كريمة الذي يقال لهُ كودين مولى بني تميم وكان ينزل في الازد والى غيره من الاباضيّة بالبصرة يشاورهم في الخروج . فكتبوا اليهِ: ان استطعت ان لا تقيم يوماً واحدًا فافعل . فانّ المبادرة بالعمل الصالح افضل . ولست تدري متى يأتي عليك اجلك . ولله خيرة من عبادهِ يبعثهم اذا شاء لنصرة دينهِ ويخصّ بالشهادة منهم من يشاء

وشخص اليهِ ابو حمزة المختار بن عوف الازدي احد بني سليمة وبلج بن عقبة السقوري في رجال من الاباضيّة فقدموا عليهِ حضرموت فحثّوه على الخروج وأتوه بكتب اصحابه: اذا خرجتم فلا تغلّوا ولا تغدروا واقتدوا بسلفكم الصالحين وسيروا سيرتهم فقد علمتم ان الذي اخرجهم على السلطان العيث لاعمالهم . فدعا اصحابه فبايعوه فقصدوا دار الامارة . وعلى حضرموت ابراهيم ابن جبلة بن مخرمة الكنديّ . فاخذوه فحبسوه يوماً ثم اطلقوه . فأتى صنعاء

وأَقام عبد الله بن يحيي بحضرموت وكثر جمعهُ وسمّوه طالب الحق. فكتب الى من كان من اصحابه بصنعاء : اني قادم عليكم. ثم استخلف على حضرموت عبد الله بن سعيد الحضرمي وتوجه الى صنعاء سنة تسع وعشرين ومائة في الفين. وبلغ القاسم بن عمر أخا يوسف بن عمر وهو عامل مروان ابن محمد على صنعاء مسير عبد الله بن يحيي فاستخلف على صنعاء الضحاك ابن زمل وخرج يريد الاباضيّة في سلاح ظاهر وعدَّة وجمع كثير. فعسكر على مسيرة يوم من أَبيَنَ وخلَّف فيها الاثقال وتقدَّمت المقاتلة. فلقيه عبد الله بن يحيي بلَحج قرية من ابين قريباً من الليل. فقال الناس للقاسم: ايها الامير لا تقاتل الخوارج ليلاً. فأَبى وقاتلهم. فقتلوا من اصحابه بشرًا كثيرًا وانهزموا ليلاً. فمرّ بعسكره فأَمرهم بالرحيل ومضى الى صنعاء فأَقام يوماً. ثم خرج فعسكر قريباً من صنعاء وخندق وخلَّف بصنعاء الضحاك بن زمل

فاقبل عبد الله بن يحيي فنزل جُوَين على ميلين من عسكر القاسم. فوجه القاسم يزيد بن الفيض في ثلاثة آلاف من اهل الشام واهل اليمن فكانت بينهم مناوشة ثم تحاجزوا. فرجع يزيد الى القاسم فاستأذنهُ في بياتهم فأَبى ان يأذن لهُ. فقال لهُ يزيد: والله ان لم تبيتهم ليغمنَّك. فأَبى ان يأذن لهُ واقاموا يومين لا يلتقون. فلما كان في الليلة الثالثة اقبل عبد الله بن يحيي فوافاه مع طلوع الفجر فقاتلهم الناس على الخندق. فغلبتهم الخوارج عليهِ ودخلوا عسكرهم والقاسم يصلّي. فركب وقاتلهم الصلت بن يوسف فقُتل في المعركة. وقام بأَمر الناس يزيد بن الفيض فقاتلهم حتى ارتفع النهار ثم انهزم اهل صنعاء. فاراد ابرهة بن الصباح اتباعهم فمنعهُ عبد الله بن يحيي واتبع يزيد بن الفيض القاسم بن عمر فأَخبرهُ الخبر فقال القاسم:

ألا ليت شعري هل اذودنَّ بالفتى وبالهندوانيات قبل مماتي
وهل اصبحنَّ الحارثَين كليهما بطعن وضرب يقطع اللهواتِ

(قال) ودخل عبد الله بن يحيي صنعاء فاخذ الضحاك بن زمل وابراهيم ابن جبلة بن مخرمة فحبسهما وجمع الخزائن والاموال فاحرزها ثم ارسل الى الضحاك وابراهيم فأَرسلهما وقال لهما: حبستكما خوفًا عليكما من العامَّة وليس عليكما مكروه فأَقيما ان شئتما او اشخصا. فخرجا

(قالوا) واقام عبد الله بن يحيي بصنعاء اشهرًا يحسن السيرة فيهم ويلين جانبه لهم ويكفّ عن الناس. فكثر جمعهُ وأَتتهُ الشراة من كل جانب. فلما كان وقت الحجّ وجه ابا حمزة المختار بن عوف وبلج بن عقبة وابرهة بن الصباح الى مكة في تسعمائة (وقيل بل في الف ومائة) وأَمرهُ ان يقيم بمكة اذا صدر الناس ويوجه بلجًا الى الشام. وأَقبل المختار الى مكة فقدمها يوم التروية وعليها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وامّهُ بنت عبد الله بن خالد بن اسيد. فكره قتالهم

وحدَّث بخبر ابي حمزة محمد بن جرير الطبريّ عن العباس بن عيسى العقيلي قال: كان اوَّل امر ابي حمزة وهو المختار بن عوف الازديّ ثم السلمي من اهل البصرة انهُ كان يوافي في كل سنة يدعو الى خلاف مروان بن محمد وآل مروان. فلم يزل يختلف كل سنة حتى وافى عبد الله ابن يحيي في آخر سنة وذلك سنة ثمان وعشرين ومائة فقال لهُ: يا رجل اني اسمع كلاماً حسنًا وأَراك تدعو الى حقّ فانطلق معي فاني رجل مطاع في قومي. فخرج بهِ حتى ورد حضرموت. فبايعهُ ابو حمزة على الخلافة.
(قال) وقد كان مرّ ابو حمزة بمعدن بني سليم وكثير بن عبد الله عامل

على المعدن فسمع بعض كلامه فأمر بهِ فجلد اربعين سوطاً . فلما ظهر ابو حمزة
بمكة تغيب كثير حتى كان من امره ما كان ثم رجع الى موضعه

(قال) فلما كان في العام المقبل تمام سنة تسع وعشرين لم يعلم الناس
بعرفة الّا وقد طلعت اعلام عمائم سود حرمية في رؤوس الرماح وهم سبعمائة .
ففزع الناس حين رأوهم وقالوا لهم : ما لكم وما حالكم . فاخبروهم بخلافهم
مروان وآل مروان والتبرّي منهم . فراسلهم عبد الواحد بن سليمان وهو
يومئذٍ على المدينة ومكة والموسم ودعاهم الى الهدنة . فقالوا : نحن بحجّنا
اضنّ وعليهِ اشحّ . فصالحهم على انهم جميعهم آمنون بعضهم من بعض حتى
ينفر الناس النفر الاخير . وأصبحوا من غد فوقفوا على حدة بعرفة ودفع عبد
الواحد بالناس . فلما كانوا بمِنًى قالوا لعبد الواحد : انك قد اخطأت فيهم ولو
حملت عليهم الحاجّ ما كانوا الّا اكلة رأس . فنزل ابو حمزة بقرن الثعالب من
منًى . ونزل عبد الواحد منزل السلطان . فبعث عبد الواحد الى ابي حمزة عبد
الله بن حسن بن عليّ عليهم السلام ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبد
الرحمن ابن القاسم بن محمد بن ابي بكر وعبيد الله بن عمرو بن حفص العمريّ
وربيعة بن عبد الرحمن في رجال من امثالهم . فلما دنوا من قرن الثعالب
لقيتهم مسالح ابي حمزة فاخذوهم . فدخل بهم على ابي حمزة فوجدوه جالساً
وعليهِ ازار قطواني قد ربطهُ الحورة في قفاه . فلما دنوا تقدَّم اليهِ عبد الله بن
حسن ومحمد بن عبد الله بن عمرو فنسبهما . فلما انتسبا لهُ عبَّس في وجوههما
وبسر وأظهر الكراهة لهما . ثم تقدَّم اليه بعدهما البكري والعمري فنسبهما .
فلما انتسبا لهُ هشَّ عليهما وتبسم في وجوههما وقال : والله ما خرجنا الّا لنسير
بسيرة ابويكما . فقال لهُ عبد الله بن حسن : والله ما جئناك لتفاضل بين آبائنا

ولكن بعثنا اليك الامير برسالة . وهذا ربيعة يخبركها . فلما ذكر ربيعة نقض
العهد قال بلج وابراهيم وكانا قائدين لهُ : الساعة . فأقبل عليهما ابو حمزة وقال :
معاذ الله ان ننقض العهد او نخيس بهِ والله لا افعل ولو قُطعت رقبتي هذه
ولكن تنقضي هذه الهدنة بيننا وبينكم . فلما أبى عليهم خرجوا فأبلغوا عبد
الواحد . فلما كان النفر الاوّل نفر عبد الواحد وخلّى مكة لابي حمزة .
فدخلها بغير قتال

ثم مضى عبد الواحد حتى دخل المدينة فدعى بالديوان وضرب على
الناس البعث وزادهم في العطاء عشرة عشرة . واستعمل عبد العزيز بن
عبد الله بن عمرو بن عثمان على الناس فخرجوا . فلما كان بالحرَّة لقيتهم جزر
منحورة فمضوا . فلما كانوا بالعقيق تعلق لواؤهم بسمرة فانكسر الرمح وتشاءم
الناس بالخروج . ثم ساروا حتى نزلوا قديداً فنزلوها ليلاً وكانت قرية قديد
من ناحية القصر والمنبر اليوم وكانت الحياض هناك . فنزل قوم مغترُّون ليسوا
باصحاب حرب فلم يرُعهم الّا القوم قد خرجوا عليهم من الفصل . فزعم بعض
الناس ان خزاعة دلّت ابا حمزة على عورتهم وأدخلوهم عليهم فقتلوهم وكانت
المقتلة على قريش وهم كانوا اكثر الناس وبهم كانت الشوكة فأصيب منهم
عدد كثير . قال هرون : فأخبرني بعض اصحابنا ان رجلاً من قريش نظر الى
رجل من اهل اليمن يقول : الحمد لله الذي اقرّ عيني بمقتل قريش . فقال لهُ
ابنهُ : الحمد لله الذي اذلّهم بايدينا . فما كانت قريش تظن ان من نزل على
عمان من الازد عربيّ . (قال) وكان هذان الرجلان مع اهل المدينة .
فقال القرشي لابنه : هلمَّ نبدأ بهذين الرجلين . قال : نعم يا أبتِ . فحملا عليهما
فقتلاهما . ثم قال لابنه : أي بُنيّ تقدَّم . فقاتلا حتى قُتلا . (قال) ثم ورد

فلال الجيش المدينة وبكى الناس قتلاهم. فكانت المرأة تقيم على حميمها النواح فلا تزال المرأة يأتيها الخبر بمقتل حميمها فتنصرف حتى ما يبقى عندها امرأة. فأنشدني ابو حمزة هذه الابيات في قتلى قديد الذين أُصيبوا من قومهِ لبعض اصحابهم:

يا لهف نفسي ولهف غير نافعة   على فوارس بالبطحاء انجادِ
عمرو وعمرو وعبد الله بينهما   وابناهما خامس والحرث السادِ

قال المدائني في خبره: كتب عبد الواحد بن سليمان الى مروان يعتذر من اخراجه عن مكة. فكتب مروان الى عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو عاملهُ على المدينة يأمرهُ بتوجيه الجيش الى مكة. فوجه ثمانية آلاف رجل من قريش والانصار والتجار اغبياء لا علم لهم بالحرب. فخرجوا في المصبغات والثياب الناعمة واللهو لا يظنون ان للخوارج شوكة ولا يشكّون انهم في ايديهم. وقال رجل من قريش: لو شاء اهل الطائف لكفونا امر هولاء ولكنهم داهنوا في امر الله تعالى. والله ان ظفرنا لنسيرنَّ الى اهل الطائف فلنسبينَّهم. ثم قال: من يشتري مني سبي اهل الطائف. فلما انهزم الناس رجع ذلك الرجل القائل من يشتري مني سبي اهل الطائف في اوّل المنهزمين فدخل منزلهُ وأراد ان يقول لجاريتهِ: أَغلقي الباب. فقال لها: غاق باق. دهشًا. ولم تفهم الجارية قولهُ حتى اومأ اليها بيده فاغلقت الباب. فلقبهُ اهل المدينة بعد ذلك غاق باق. (قال) وكان عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز يعرض الجيش بذي الحليفة. فمرّ بهِ امية ابن عنبسة بن سعيد بن العاصي فرحب بهِ وضحك اليهِ. ومرّ بهِ حمزة بن مصعب بن الزبير فلم يكلمهُ ولم يلتفت اليهِ. فقال لهُ عمر بن عبد الله بن مطيع وكان ابن خالته: سبحان الله مرّ بك شيخ من شيوخ قريش فلم

تنظر اليهِ ولم تكلمهُ ومرّ بك غلام من بني امية فضحكت اليهِ ولاطفتهُ. أَما والله لو قد التقى الجمعان لعلمت ايهما اصبر. (قال) فكان امية بن عنبسة اوّل من انهزم ونكب فرسهُ ومضى وقال لغلامه: يا مجيب اما والله لئن أَجزرت نفسي هذه الاكلبَ من الشراة اني لعاجز. وقاتل يومئذٍ حمزة ابن مصعب حتى قُتل وتمثل:

واني اذا ضنّ الامير باذنهِ   على الاذن من نفسي اذا شئت قادرُ

ولما بلغ حمزة اقبال اهل المدينة اليهِ استخلف على مكة ابراهيم بن الصباح وشخص اليهم وعلى مقدمتهِ بلج بن عقبة. فلما كان في الليلة التي وافاهم في صبيحتها واهل المدينة تزول بقديد قال لاصحابه: انكم لاقو قومكم غدًا وأَميرهم فيما بلغني ابن عثمان اوّل من خالف سيرة الخلفاء وبدل سنَّة رسول الله (صلعم) وقد وضح الصبح لذي عينين فأكثروا ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ووطّنوا انفسكم على الصبر. وصبحهم غداة الخميس لتسع او لسبع خلون من صفر سنة ثلاثين ومائة. فقال عبد العزيز لغلامه: ابغنا علفًا. قال: هو غالٍ. قال: ويحك البواكي علينا غدًا اغلى. وارسل اليهم ابو حمزة بلج بن عقبة ليدعوهم. فأتاهم في ثلاثين راكبًا فذكرهم الله وسألهم ان يكفوا عنهم وقالوا لهم: خلوا لنا سبيلنا لنسير الى من ظلمكم وجار في الحكم عليكم ولا تجعلوا حدّنا بكم فانّا لا نريد قتالكم. فشتمهم اهل المدينة وقالوا: يا اعداء الله أنحن نخليكم وندعكم تفسدون في الارض. فقالت الخوارج: يا اعداء الله أنحن نفسد في الارض انما خرجنا لنكفّ اهل الفساد ونقاتل مَن قاتلنا واستأثر بالفيء. فانظروا لانفسكم واخلعوا من لم يجعل الله لهُ طاعة فانهُ لا طاعة لمن عصى الله وادخلوا في السلم وعاونوا اهل الحق. فقال

لهُ عبد العزيز : ما تقول في عثمان . قال : قد برئَ المسلمون منهُ قبلي وأنا متبع آثارهم ومقتدٍ بهم . قال : فارجع الى اصحابك فليس بيننا وبينهم الَّا السيف

فرجع الى ابي حمزة فاخبره . فقال : كفُّوا عنهم ولا تقاتلوهم حتى يبدأُوكم بالقتال . فواقفوهم ولم يقاتلوهم . فرمى رجل من اهل المدينة في عسكر ابي حمزة بسهم فجرح رجلًا . فقال ابو حمزة : شأنكم الآن فقد حلّ قتالهم . فحملوا عليهم وثبت بعضهم لبعض وراية قريش مع ابراهيم بن عبد الله بن مُطيع . ثم انكشف أهل المدينة فلم يتبعوهم وكان على مجنبتهم ضمير بن صخر بن أبي الجهم بن حذيفة فكرّ وكرَّ الناس معهُ فقاتلوا قليلًا ثم انهزموا فلم يبعدوا حتى كرّوا ثالثة . وقاتلهم أبو حمزة فهزمهم هزيمة لم تُبقِ منهم باقية . فقال لهُ عليّ بن الحصين : اتبع القوم أو دعني اتبعهم فاقتل المدبر وأُذفف على الجريح فان هؤلاء أشرّ علينا من أهل الشأم فلو قد جاءوك غدًا لرأيت من هؤلاء ما تكره . فقال : لا افعل ولا أُخالف سيرة اسلافنا . وأخذ جماعة منهم اسراء فأراد اطلاقهم . فمنعهُ عليّ بن الحصين وقال لهُ : ان لأهل كل زمان سيرة وهؤلاء لم يؤسَروا وهم هراب وانما أُسروا وهم يقاتلون ولو قُتلوا في ذلك الوقت لم يحرم قتلهم وكذلك الآن قتلهم حلال . فدعا بهم فكان اذا رأى رجلًا من الانصار أطلقهُ . فأُتي بمحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان فنسبه . فقال : أنا رجل من الانصار . فسأل الانصار عنهُ فشهدوا لهُ فأطلقهُ فلما ولّى قال : والله اني لأعلم انهُ قرشي وما حذاوة هذا حذاوة انصاري ولكن قد أطلقتهُ . (قال) وبلغت قتلى قديد الفين ومائتين وثلاثين رجلًا منهم من قريش اربعمائة وخمسون رجلًا ومن الانصار ثمانون ومن القبائل

والموالي الف وسبعمائة . (قال) وكان في قتلى قريش من بني أسد بن عبد العزّى اربعون رجلًا . وقتل يومئذٍ أُميَّة بن عبد الله بن عمرو بن عثمان خرج يومئذٍ مقنعًا فما كلّم احدًا وقاتل حتى قُتل . وقُتل يومئذٍ سمي مولى أبي بكر الذي يروي عنهُ مالك بن انس . ودخل بلج المدينة بغير حرب فدخلوا في طاعته وكفّ عنهم . ورجع ابو حمزة الى مكة وكان على شرطته أبو بكر بن عبد الله بن عمرو من آل سراقة من بني عديّ . فكان أهل المدينة يقولون : لعن الله السراقي ولعن بلجًا العراقي . وقالت نائحة أهل المدينة تبكيهم :

ما للزمان وما ليهْ	أفنت قديد رجاليهْ
فلأبكينَّ سريرةً	ولابكينَّ علانيهْ
ولأبكينَّ اذا خلوت م	مع الكلاب العاويهْ
ولأثنينَّ على قديد م	بسوء ما ابلانيهْ

وقال عمرو بن الحصين الكوفي مولى بني تميم يذكر وقعة قديد وأمر مكة ودخولهم اياها وأنشدنيها الاخفش عن السكري والاحول وثعلب لعمرٍو هذا وكان يستجيدها ويفضلها :

ما بال همّك ليس عنك بعازبِ	يمري سوابق دمعك المتساكبِ
وتبيت تكتلئ النجوم بمقلةٍ	عبرى تسرُّ بكل نجم دائبِ
حذر المنية ان تجيءَ بداهةً	لم اقض من تبع الشراة مآربي
فأقود فيهم للعدا شَبِج النَسا	عبْل الشوى اسوان ضمر الحالبِ
متحدرًا كالسِيد اخلص لونهُ	ماء الحسيك مع الجلال اللاتبِ
أرمي بهِ من جمع قومي معشرًا	بورًا الى جبرية ومعايب

في فتيــة صـبر أَلُفهمُ بهِ ... لفّ القداح يد المغيض الضاربِ

فندور نحن وهم وفيا بيننـــا ... كأس المنون تقول هل من شاربِ

فنظلّ نسقيهم ونشرب من قنى ... سُمر ومرهفة النصول قواضبِ

بينا كذلك نحن جالت طعنة ... نجلاء بــين لهًا وبين ترائبِ

جوفاء منهرة ترى تامورهــا ... ظبتا سنان كالشهاب الثاقبِ

أهوي لها شقّ الشمال كأنني ... خفض لقى تحت العجاج العاصبِ

يا ربّ اوحيهـا ولا تتعلقنْ ... نفسي المنون لدى اكفّ قرائبِ

كم من أُولى مقة صحبتهمُ شروا ... فخذلتهم ولبئس فعل الصاحبِ

متأوّهين كأن في اجوافهم ... نارًا تسعرها اكفّ حواطبِ

تلقاهمُ فتراهمُ من راكعٍ ... أو ساجدٍ متضرعٍ أو ناحبِ

يتــلو قوارع تمتري عبراتهُ ... فيجودهـا مري المريء الحالبِ

سُبرٍ لجائفــة الامور اطبــة ... للصدع ذي النبإ الجليل مدائبِ

ومبرّئين من المعــايب أحرزوا ... خصل المكارم اتقياء اطايبِ

عدّوا صوارم للجلاد وباشروا ... حدّ الظباء بآنُف وحواجبِ

ناطـــوا امورهمُ بامراخ لهم ... فرمى بهم قحم الطريق اللاحبِ

متسربلي حلق الحــديد كأنهم ... أُسد على لحق البطون سلاهبِ

قيدت من اعلى حضرموت فلم تزل ... تنفي عداها جانبًا عن جانبِ

تحمي أعنتهـا وتحوي نهبهـا ... لله أكرم فتيــة وأشايبِ

حتى وردنَ حياض مكة قطّنًا ... يحكــين واردة اليام القاربِ

ما ان أتين على أخي جبرية ... الّا تركنهمُ كأمس الذاهبِ

في كل معترك لها من هامهم ... فلق وأيدٍ علّقت بمناكبِ

سائل بيوم قديد عن وقعاتهـا ... تخبرك عن وقعاتها بعجائبِ

ثم دخل أبو حمزة المدينة سنة ثلاثين ومائة ومضى عبد الواحد بن سليمان الى الشأم. وأحسن ابو حمزة السيرة في اهل المدينة حتى استمال الناس. قال هرون: وحدّثني داود بن عبد الله بن ابي الكرام انّ ابا حمزة بلغهُ انّ اهل المدينة يعيبون اصحابهُ لحداثة اسنانهم وخفّة احلامهم فبلغهُ ذلك عنهم فصعد المنبر وعليهِ كساء غليظ وهو متنكب قوسًا عربية فحمد الله وأثنى عليهِ وصلّى على نبيهِ (صلعم) وآله ثم قال: يا أهل المدينة قد بلغتني مقالتكم في أصحابي ولولا معرفتي بضعف رأيكم وقلّة عقولكم لأحسنت آدابكم. ويحكم وهل كان أصحاب رسول الله المذكورون في الخير الّا احداثًا شبابًا. والله مكتهلون في شبابهم. غضيضة عن الشرّ أعينهم. ثقيلة عن الباطل أرجلهم. انضاء عبادة قد نظر الله اليهم في جوف الليل منحنية أصلابهم على اجزاء القرآن كلما مرّ احدهم بآية من ذكر الله بكى شوقًا. وكلما مرّ بآية من ذكر الله شهق خوفًا كأنّ زفير جهنم بين اذنيه. قد أكلت الارض جباههم وركبهم. ووصلوا كلال الليل بكلال النهار. مصفرّة ألوانهم. ناحلة أجسامهم من طول القيام وكثرة الصيام. انضاء عبادة مُوفون بعهد الله. منتجزون لوعد الله. قد شروا انفسهم حتى اذا التقت الكتيبتان وأبرقت سيوفها وفوّقت سهامها وأشرعت رماحها لقوا شبا الاسنّة وشائك السهام وظباء السيوف بنحورهم ووجوههم وصدورهم. فمضى الشاب منهم حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه واختضبت محاسن وجهه بالدماء وعفر جبينهُ بالثرى وانحطت عليهِ الطير من السماء وتمزقتهُ سباع الارض. فكم من عين في منقار طائر طالما بكى بها صاحبها في جوف الليل من خوف الله.

وكم من وجه رقيق وجبين عتيق قد فُلق بعمـد الحديد. ثم بكى وقال: آه آه على فراق الاخوان. رحمة الله على تلك الابدان. وأدخل الله أرواحهم الجنان. ثم خرج وخلف بالمدينة بعض اصحابه. فسار حتى نزل الوادي. ثم انَّ مروان انتخب من عسكره أربعة آلاف استعمل عليهم ابن عطيـة فأمره بالجدّ في السير وأعطى كل رجل من أصحابه مائة دينار وفرسًا عربيًا وبغلًا لثقله وأمرهُ ان يمضي فيقاتلهم. وكان فيهم الف من اهل الجزيرة فشرطوا على مروان انهم اذا قتلوا عبد الله بن يحيي وأصحابه رجعوا الى الجزيرة ولم يقيموا بالحجاز. فاجابهم الى ذلك. (قالوا) فخرج حتى اذا نزل بالمعلّى فكان رجل من اهل المدينة يقال لهُ العلاء بن أفلح مولى أبي الغيث يقول: لقيني وأنا غلام في ذلك اليوم رجل من اصحاب ابن عطية فسألني: ما اسمك يا غلام. فقلت: العلاء. فقـال: ابن من. فقلت: ابن افلح. قال: أعربي أمْ مولًى. قلت: بل مولًى. قال: مولى من. قلت: مولى أبي الغيث. قال: فأين نحن. قلت: بالمعلى. قال: فأين نحن غدًا. قلت: بغالب. (قال) فما كلّمني حتى أردفني خلفهُ ثم مضى بي حتى ادخلني على ابن عطية فقال: سل هذا الغلام ما اسمه. فسألني فرددت عليهِ القول الذي قلت. فسُرَّ بذلك ووهب لي دراهم. وقال ابو صخر الهذلي حين بلغهُ قدوم ابن عطية:

قل للذين استُضعفوا لا تعجلوا ... اتاكم النصر وجيش جحفلُ
عشرون الفًا كلهم مسربلُ ... يقدمهم جلد القوى مستبسلُ
دونكمُ هذا يمين فاقبلوا ... وواجهوا القوم ولا تستعجلوا
عبـد المليك القلـبيّ الحوّلُ ... اقسم لا يفـلي ولا يرجّلُ

حتى يبيد الاعور المضلّلُ(١) ... ويُقتل الصبّـاح والمفضّـلُ

قال المدائني: وبعث ابو حمزة بلج بن عقبة في ستمائة رجل ليقاتل عبد الملك بن عطيـة. فلقيـه بوادي القرى لايام خلت من جمادى الاولى سنة ثلاثـين ومائة فتواقفوا. ودعاهم بلج الى الكتاب والسنَّة وذكر بني أُمية وظُلمهم. فشتمهم أهل الشـأم وقالوا: انتم يا اعداء الله أحقّ بهذا ممن ذكرتم وقلتم. فحمل عليهم بلج وأصحابه فانكشف طائفة من اهل الشأم وثبت ابن عطية في الحفاظ وقال: ناضلوا عن دينكم وأميركم. فكرّوا واصبروا صبرًا حسنًا وقاتلوا قتالًا شديدًا. فقُتل بلج واكثر أصحابه وانحازت قطعة من اصحابه نحو المائة الى جبل اعتصموا بهِ. فقاتلهم ابن عطـية ثلاثة ايام فقتل منهم سبعين رجلًا. ونجا ثلاثون فرجعوا الى ابي حمزة. ونصب ابن عطيـة رأس بلج على رمح. (قال) واغتمّ الذين رجعوا الى ابي حمزة من وادي القرى الى المدينـة وهم الثـلاثون ورجعوا وجزعوا من انهزامهم وقالوا: فررنا من الزحف. فقـال لهم ابو حمزة: لا تجزعوا فانا لكم فئـة وإليَّ انصرفتم. قال المدائني: وخرج ابو حمزة من المدينة الى مكة واستخلف رجلًا يقال لهُ المفضل عليها. فدعا عمر بن عبد الرحمن الناس الى قتالهم. فلم يجد كبير امر لانَّ القتل قد كان شاع في الناس. وخرج وجوه اهل البلد عنهُ. فاجتمع الى عمر البربر والزنج وأهل السوق والعبيـد فقاتل بهم الشراة فقتل المفضل وعامّة أصحابه وهرب الباقون فلم يبقَ بالمدينة منهم أحد. فقال في ذلك سهيل أبو البيضاء مولى زينب بنت الحكم بن العاصي:

ليت مروان رآنا ... يوم الاثنين عشيه

---

(١) الاعور عبد الله بن يحيى رئيس الخوارج

اذ غسلنا العار عنا   وانتضينا المشرفيه

(قال) فلما قدم ابن عطية المدينة أتاهُ عمر بن عبد الرحمن بن أسيد فقال لهُ : اصلحك الله اني جمعت قضّي وقضيضي فقاتلت هؤلاء فقتلت من امتنع من الخروج واخرجنا الباقي فلقيه اهل المدينة بقضّهم وقضيضهم . (قال) وأقام ابن عطية بالمدينة شهرًا وابو حمزة مقيم بمكة ثم توجه اليهِ . فقال لهُ عليّ ابن حضين العنبري : اني قد كنت أشرت عليك يوم قديد وقبله ان تقتل هؤلاء الاسرى كلهم فلم تفعل وعرّفتك انهم سيغدرون فلم تقبل حتى قتلوا المفضلَ واصحابنا المقيمين بالمدينة . وأنا اشير عليك اليوم ان تضع السيف في هؤلاء فانهم كفرة فجرة ولو قدم عليك ابن عطية لكانوا اشدّ عليك منهُ . فقال : لا ارى ذلك لانهم قد دخلوا في الطاعة وأقرّوا بالحكم ووجب لهم حقّ الولاية . قال : انهم سيغدرون . فقال : ابعدهم الله . مَن نكث فانما ينكث على نفسهِ . (قال) وقدم عبد الملك بن عطية مكة فصيّر أصحابهُ فرقتين ولقي الخوارج من وجهين فصيّر طائفة بالابطح وصار هو في الطائفة الاخرى بازاء ابي حمزة . فصار ابو حمزة اسفل مكة وصيّر ابرهة بن الصباح بالابطح في ثمانين فارسًا . فقاتلهم ابرهة فانهزم اهل الشام الى عقبة منًى فوقفوا عليها ثم كرّوا . وقاتلهم فقُتل ابرهة كمَنَ لهُ هبار القرشي وهو على جبل دمشق عند بئر ميمون فقتلهُ . وتفرّق الخوارج وتبعهم اهل الشام يقتلونهم حتى دخلوا المسجد . والتقى ابو حمزة وابن عطية باسفل مكة . فخرج اهل مكة مع ابن عطية . فقُتل ابو حمزة عند فم الشعب وقُتلت معهُ امرأتهُ وهي ترتجز وتقول :

أنا الجعيداء وبنت الاعلمْ   من سال عن إسمي فاسمي مريمْ
بعت سواريّ بسيفٍ مخذمْ

(قال) وتفرّقت الخوارج فأسر اهل الشام منهم اربعمائة فدعا بهم ابن عطية فقال : ويلكم ما دعاكم الى الخروج مع هذا . قالوا : ضمن لنا الكنّة يريدون الجنة وهي لغتهم . فقتلهم وصلب ابا حمزة وأبرهة بن الصباح ورجلين من اصحابهم على فم الشعب شعب الخيف . ودخل عليُّ بن الحصين دارًا من دور قريش . فأحدق اهل الشام بالدار فأحرقوها . فلما رأى ذلك رمى بنفسهِ من الدار فقاتلهم وأسر فقُتل وصلب مع ابي حمزة . ولم يزالوا مصلّبين حتى أفضى الامر الى بني العباس وحجّ مهلهل الهجيمي في خلافة ابي العباس فأنزل أبا حمزة ليلًا فدفنهُ ودفن خشبتهُ

وأتى فلّ ابي حمزة الى عبد الله بن يحيي بصنعاء . فأقبل معهُ اصحابه وقد لقبوه طالب الحقّ يريد قتال ابن عطية . وبلغ ابن عطية خبره فشخص اليهِ فالتقوا بكسة . فأكثر اهل الشام القتل فيهم واخذ اثقالهم واموالهم وتشاغلوا بالنهب . فركب عبد الله بن يحيي فكشفهم فقتل منهم نحو مائة رجل وقتل قائدًا من قوادهم يقال لهُ يزيد بن حمل القشيري من اهل قنّسرين . فدمّرهم ابن عطية فكرّوا وانضمّ بعضهم الى بعض وقاتلوا حتى امسوا . فكفّ بعضهم عن بعض . ثم التقوا من غد في موضع كثير الشجر والكرم والحيطان فطال القتال بينهم واستحرّ القتل في الشراة . فترجل عبد الله بن يحيي في الف فارس فقاتلوا حتى قُتلوا جميعًا عن آخرهم . وانهزم الباقون فتفرّقوا في كل وجه ولحق من نجا منهم بصنعاء وولّوا عليهم حمامة . فقال ابو صخر الهذلي :

قتلنا دعيسًا والذي يكتني الكنى   ابا حمزة الغاوي المضلّ اليمانيا

وابرهة الكنديّ حاضت رماحنا   وبلجًا صبحناه الحتوف القواضيا
وما تركت اسيافنا منذ جُرِّدت   لمروان جبارًا على الارض عاديا

قال المدائني: وبعث عبد الملك بن عطية رأس عبد الله بن يحيي مع ابنه يزيد بن عبد الملك الى مروان. وقال عمرو بن الحصين (ويقال الحسن العنبري مولى لهم) يرثي عبد الله بن يحيي وأبا حمزة:

هبّت قبيل تبلّج الفجرِ   هند تقول ودمعها يجري
ان ابصرت عيني مدامعها   ينهلّ واكفها على النحرِ
أنّى اعتراك وكنت عهديَ لا   سَرِب الدموع وكنت ذا صبرِ
أقذًى بعينك لا يفارقها   ام عابرٌ ام ما لها تدري
ام ذكر اخوانٍ فجعت بهم   سلكوا سبيلهمُ على خبرِ
فأجبتها بل ذكر مصرعهم   لا غيرهُ عبراتها يمري
يا ربّ اسلكني سبيلهمُ   ذاالعرش واشدد بالتقى أزري
في فتية صبروا نفوسهمُ   للمشرفيّة والقنا السمرِ
تالله القى الدهرَ مثلهمُ   حتى اكون رهينة القبرِ
اوفى بذمتهم اذا عقدوا   وأعفّ عند العسر واليسرِ
متأهّلين لكل صالحة   ناهون من لاقوا عن النكرِ
صمت اذا احتضروا مجالسهم   وُزُنٍ لقول خطيبهم وُقرِ
إلّا تجيبهمُ فانهمُ   رجف القلوب بحضرة الذكرِ
متأوّهون كأنّ جمر غضًا   للخوف بين ضلوعهم يسري
تلقاهمُ الّا كأنّهمُ   لخشوعهم صدروا عن الحشرِ
فهمُ كأنّ بهم جوى مرضٍ   أو مسّهم طرف من السحرِ

لا ليلهم ليل فيلبسهم   فيهِ غواشي النوم بالسكرِ
الّا كذا خُلَسًا وآونة   حذر العقاب وهم على ذعرِ
كم من اخ الك قد فجعت بهِ   قوّام ليلتهِ الى الفجرِ
متأوّه يتلو قوارع من   آي القران مفزّع الصدرِ
نصب تجيش بنات مهجتهِ   من خوف جيش مشاشة القدرِ
ظمآن وقدة كل هاجرة   ترّاك لذتهِ على قدرِ
ترّاك ما تهوى النفوس اذا   رُغب النفوس دعت الى النذرِ
والمصطلي بالحرب يسعرها   بغبارها وبفتية سعرِ
يجتاحها بأفلّ ذي شطب   عضب المضارب قاطع البترِ
لا شيء يلقاهُ أسرّ لهُ   من طعنة في ثغرة النحرِ
منهرّة منهُ تجيش بما   كانت عواصي جوفه تجري
كخليلك المختار أذكِ بهِ   من مغتدٍ في الله او مسرِ
خوّاض غمرة كل متلفة   في الله تحت العنبر الكدرِ
ترّاك ذي النخوات مختضبًا   بنجيعهِ بالطعنة الشزرِ
وابن الحصين وهل لهُ شبهٌ   في العرف أنّى كان والنكرِ
بشهامة لم تحن أضلعهُ   لذوي اخوّتهِ على غمرِ
طلق اللسان بكل محكمة   رأّاب صدع العظم ذي الوقرِ
لم ينفكك في جوفهِ حزن   تغلي حرارتهُ وتستشري
ترقى وآونة يخفضها   بتنفس الصعداء والزفرِ
ومخالطي بلج وخالصتي   سمّ العدوّ جابر الكسرِ
نكل الخصوم اذا همُ شغبوا   وسداد ثالمة عورة الثغرِ

والخائض الغمرات يخطر في ... وسط الاعادي ايما خطر
بمشطب أو غير ذي شطب ... هامَ العدا بذبابهِ يفري
وأخيك أبرهة الهجان أخي م ... لحرب العوان ملقح الجمرِ
برشة فرع تثجُّ دماً ... ثجَّ الغويّ سلافة الخمرِ
والضارب الاخدود ليس لها ... أحد ينهنهها عن السمرِ
ووليّ حكمهم فجعت بهِ ... عمرو فوا كبدي على عمروِ
قوّال محكمة وذي فهمٍ ... عفّ الهوى متثبت الامرِ
ومسيّب فاذكر وصيتهُ ... لا تنسَ إما كنت ذا ذكرِ
فكلاهما قد كان محتسباً ... لله ذا تقوى وذا برِّ
في مخبتين ولم اسمّهمِ ... كانوا يدي وهم اولو نصري
وهمُ مساعر في الوغى رجح ... وخيار من يمشي على العفرِ
حتى وفوا لله حيث لقوا ... بعهود لا كذبٍ ولا غدرِ
فتخالسوا مهجات انفسهم ... وعداتهم بقواضب بترِ
واسنَّة يُثنين في لدنٍ ... خطّية بأكفهم زهرِ
تحت العجاج وفوقهم خرق ... تخفقنَ من سودٍ ومن حمرِ
فتفرّجت عنهم كأنهمُ ... لم يغمضوا عيناً على وترِ
فشعارهم نيران حربهمِ ... ما بين أعلى الشحر فالحجرِ
صرعى فخاجلة تنوبهمُ ... وجوامع لحماتهم تفري

قال المدائني: وكتب مروان الى ابن عطية يامره بالمسير الى صنعاء ليقاتل من بها من الخوارج. فاستخلف ابنهُ محمد بن عبد الملك على مكة وعلى المدينة الوليد بن عروة بن عطية وتوجه الى صنعاء. ورجع اهل الجزيرة

جميعاً الى بلدهم وكذلك كان مروان شرط لهم. فلما قرب من صنعاء هرب عامل عبيد الله بن يحيي عنها. فأخذ اثقالهُ وحملين من مال كان معهُ اهل صنعاء فسلموا ذلك الى ابن عطية. وتتبع اصحاب عبد الله بن يحيي في كل موضع يقتلهم وأقام بصنعاء أشهراً. ثم خرج عليهِ رجل من اصحاب عبيد الله ابن يحيي في آل ذي الكلاع يقال لهُ يحيي بن عبد الله بن عمر بن السباق في جمع كثير بالجند. فبعث اليهِ ابن عطية ابن اخيهِ عبد الرحمن بن يزيد بن عطية فلقيهُ بالحرب فهزمهُ وقتل عامة اصحابه وهرب منهُ فنجا. وخرج عليهِ يحيي بن كرب الحميري بساحل البحر وانضمَّت اليهِ شذّاذ الاباضيَّة. فبعث اليهِ ابا اميَّة الكندي في الوضاحية فالتقوا بالساحل فقتل من الاباضية نحو مائة رجل وتحاجزوا عند المساء فهربت الاباضية الى حضرموت وبها عامل لعبد الله بن يحيي يقال لهُ عبد الله بن معبد الجرمي فصار في جيش كثير واستفحل امره. وبلغ ابن عطية الخبر فاستخلف ابن اخيهِ عبد الرحمن بن يزيد ابن عطية على صنعاء وشخص الى حضرموت. وبلغ عبد الله بن معبد مسير عبد الملك اليهم فجمعوا الطعام وكل ما يحتاجون اليهِ في مدينة سنام وهي حصين حضرموت مخافة الحصار ثم عزموا على لقاء ابن عطية في الفلاة فخرجوا حتى نزلوا على اربع مراحل من حضرموت في عدد في فلاة. وأتاهم ابن عطية فقاتلهم يومهُ كلهُ. فلما امسى وقد بلغهُ ما جمعوا في سنام حدّر عسكره في بطن حضرموت الى السنام ليلاً ثم اصبح فقاتلهم حتى انتصف النهار. ثم تحاجزوا. فلما امسوا تبع عسكره وأصبح الخوارج فلم يروا للقوم اثراً فاتبعوهم وقد سبقوهم الى الحصين فأخذوا جميع ما فيهِ وملكوه. ونصب ابن عطية عليهم المسالح وقطع عنهم المادة والميرة وجعل يقتل من يقدر عليهِ

ويسبي ويأخذ الاموال. ثم ورد عليهِ كتاب مروان بن محمد يأمره بالتعجل الى مكة ليحجّ بالناس. فصالح اهل حضرموت على ان يردّ عليهم ما عرفوا من اموالهم ويولّي عليهم من يختارون وسالموه. فرضي بذلك وسالمهم وشخص الى مكة متعجلًا مخفًّا. ولما نفذ كتاب مروان ندم بعد ذلك بايام وقال: انّا لله قتلتُ والله ابنَ عطية هو الآن يخرج مخفًا متعجلًا ليلحق الحج فيقتلهُ الخوارج. فكان كما قال تعجل في بضع عشرة رجلًا فلما كان بأرض مراد تلففت عليهِ جماعة فمن كان من تلك الجماعة اباضيًا عرفهُ. فقال: ما ننتظر بهذا ان ندرك ثأر اخواننا فيهِ. ومن لم يكن اباضيا ظنهُ من الاباضية وانهُ منهزم. فلما علم انهم يريدونهُ قال لهم: ويحكم انا عامل امير المؤمنين على الحجّ. فلم يلتفتوا الى ذلك وقتلوه ونصبت الاباضية رأسهُ. فلما فتشوا متاعهُ وجدوا فيهِ الكتاب بولايتهِ على الحج فأخذوا من الاباضيّة رأسه ودفنوه مع جسده

. بلغ ابن اخيهِ وهو بصنعاء خبره فأرسل شعيبًا البارقي في الخيل فقتل الرجال والصبيان وبقر بطون النساء وأخذ الاموال وأخرب القرى وجعل يتتبع البري والنطف حتى لم يبقَ احد من قتلة ابن عطية ولا من الاباضيّة الّا قتلهُ ولم يزل مقيمًا باليمن الى ان أفضى الامر الى بني هاشم وقام بالامر ابو العباس السفّاح

تمّ الجزء الثاني بحولهِ تعالى





فهرس

